

جامعة الخليل

عمادة الدراسات العليا

قسم اللغة العربية

الجواري وأثرهنّ في الشعر العربيّ في الأندلس

إعداد: جانان عزالدين شبانة

إشراف: د. حسن فليفل

أستاذ الأدب الأندلسي المشارك

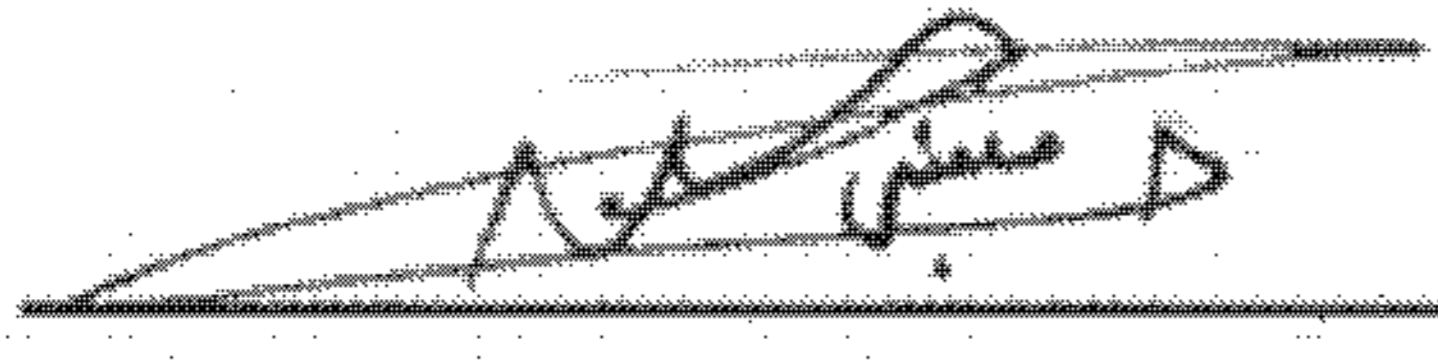

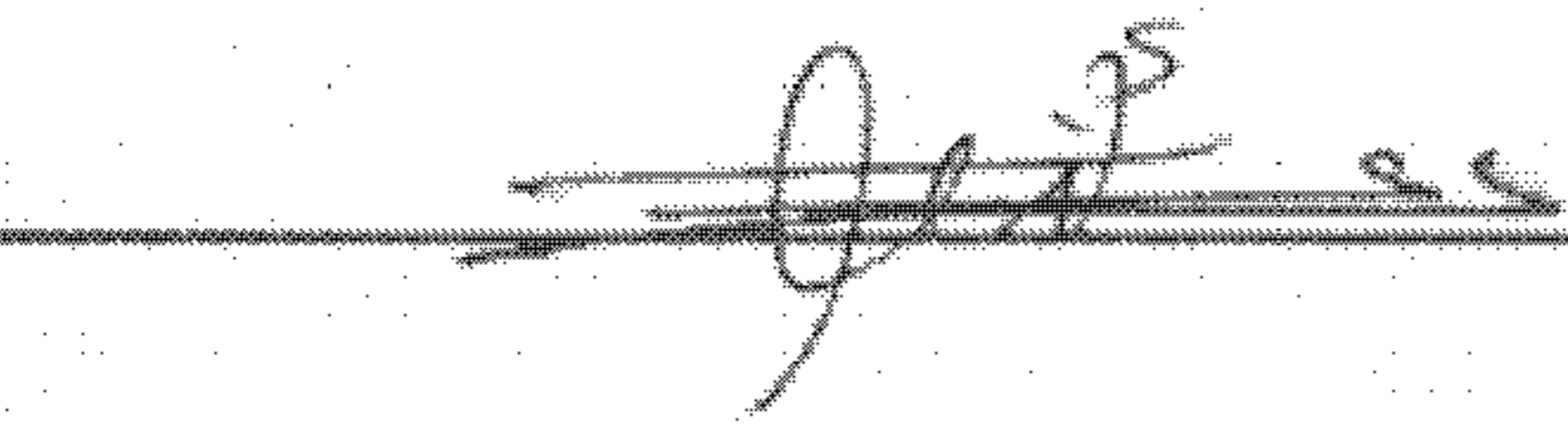
قُدِّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلّبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها
بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي في جامعة الخليل.

العام الدراسي 2005

نوقشت هذه الرسالة يوم الأحد بتاريخ 12 / 02 / 2006م الموافق
13 / محرم / 1427هـ وأجيزت.

التوقيع

أعضاء لجنة المناقشة:

1. د. حسن فليفل مشرفاً ورئيساً 
2. د. مشهور الحبازي ممتحناً خارجياً 
3. د. علي عمرو ممتحناً داخلياً 

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

إلى أمي وأبي

الشُّكْرُ

إلى أستاذي... ونافذة

المحتويات:

المقدمة	أ-ي
التمهيد	1
1- مُسمّيات الجارية في الأندلس	2
2- أنواع الجوّاري في الأندلس	5
أ- جوّاري اللّذة	5
ب- أمّهات الأولاد	8
ج- جوّاري الخدمة	13
3- انتشار الجوّاري في الأندلس	19
الباب الأوّل: الجوّاري في الحياة الأندلسيّة	22
الفصل الأوّل: الجوّاري في الحياة الاجتماعيّة	23
1- حرّيّة الجوّاري	24
2- العلاقة بين الجوّاري والحرائر	29
3- العلاقة بين الجوّاري أنفسهن	33
4- العلاقة بين الجوّاري والرجال	35
أ- إعجاب الخاصّة بالجوّاري	35
ب- إعجاب العامّة بالجوّاري	39
ج- هُيامُ الرجال بالجوّاري	40
د- إعجاب الجوّاري بالرجال	42
5- نظرة المجتمع الأندلسيّ للجوّاري	44
أ- نظرة الحرائر والرجال للجوّاري	45
ب- احتقار بعض المجتمع الأندلسيّ للجوّاري	46
ج- تقدير بعض المجتمع الأندلسيّ للجوّاري	47
الفصل الثّاني: الجوّاري في الحياة الثّقافيّة	50

52.....	1- تعليم الجوّاري
54.....	2- الجوّاري المشرقيّات الوافدات على الأندلس
57.....	3- الجوّاري المتأدّبات
61.....	4- الجوّاري الكاتبات
63.....	5- الجوّاري المغنيات
66.....	6- أثر الجوّاري في الثقافة الأندلسيّة
69.....	الفصل الثّالث: الجوّاري في الحياة السّياسيّة
70.....	1- نفوذ الجوّاري
75.....	2- مؤامرات الجوّاري
75.....	أ- مؤامرات الجوّاري لاستخلاف أبنائهن
81.....	ب- مؤامرات انتقاميّة
83.....	3- إخلاص الجوّاري
85.....	الفصل الرّابع: الجوّاري في الحياة الاقتصاديّة
86.....	1- تجارة الجوّاري
89.....	2- مراحل شراء الجارية
92.....	3- إقبال الأندلسيين على شراء الجوّاري
94.....	4- التهادي بالجوّاري
96.....	5- تقديم الهدايا للجوّاري
99.....	6- انتفاع العامّة بهدايا الرجال للجوّاري
101.....	7- ثروات الجوّاري
103.....	الباب الثّاني: الجوّاري في الشّعْر في الأندلس
104.....	الفصل الأوّل: الجوّاري في شِعْر الشّعراء
105.....	الجوّاري في الموضوعات الشعريّة
105.....	1- الجوّاري في الغزل
115.....	2- الجوّاري في الحنين
122.....	3- الجوّاري في الرّثاء

127	4- الجوّاري في الوصف
127	أ- وصف السّاقيات
131	ب- وصف الرّاقصات
133	1- وصف راقصات جميلات
136	2- وصف راقصات قبيحات
137	3- وصف راقصات غلاميات
141	5- الجوّاري في الشّكوى
144	6- الجوّاري في الهجاء
147	7- الجوّاري في العتاب
148	8- الجوّاري في موضوعات أخرى
149	أ- طلب جارية
151	ب- الطّمع في الجوّاري
153	ج- في وفاء الجوّاري وخيانتهم
155	الخصائص الفنيّة
155	1- سيطرة المقطوعات
156	2- الموروث الثقافي
159	3- مظاهر أندلسيّة
161	4- المحسنات البديعيّة
162	أ- الجناس
165	ب- الطباق
167	5- الأخيالة والصُّور
167	أ- الصُّور التقليديّة
171	ب- الصُّور المُبتكرة
175	6- الموسيقى
178	الفصل الثّاني: شعر الجوّاري موضوعاته وخصائصه
180	موضوعات شعر الجوّاري

180	1- الغزل
188	2- المدح
190	3- الحنين إلى المشرق
192	خصائص شعر الجوّاري
192	1- سيطرة الأبيات المفردة والنتف والمقطوعات
193	2- الشعر القصصي
195	3- المحسنات البديعية
195	أ- الطباق
196	ب- الجناس
198	4- الأخيّة والصُّور
202	5- الموسيقى
204	الفصل الثالث: أثر الجوّاري في شعر الغناء
206	1- إقبال الأندلسيين على الغناء
210	2- دور المشرق في نشأة الغناء الأندلسي وتطوره
211	أ- الجوّاري الوافدات
212	ب- زرياب وأبناؤه وجواريه
215	3- التأثيرات الأجنبية في الغناء الأندلسي
217	شعر الغناء
218	الغناء وأثره في تمكين النماذج الشعرية المشرقية
220	دور الجوّاري في اختيار أصوات الشعر
225	موضوعات شعر الغناء
225	1- الغزل
232	2- الشكوى
234	3- الفخر
236	4- نذب الشباب
238	خصائص شعر الغناء

238	1- سيطرة النُتف والمقطوعات
241	2- المحسنات البديعية
241	أ- الطباق
243	ب- الجناس
246	3- الأخيذة والصُّور
250	4- الموسيقا
253	الخاتمة
256	الملاحق
257	ملحق شعر الشعراء في الجواري
327	ملحق شعر الجواري
338	ملحق شعر الغناء
361	ملحق الصُّور
366	الفهارس
367	فهرس الأعلام
377	فهرس الأماكن
379	فهرس إحصائيات موضوعات الشعر
394	المصادر والمراجع
411	ملخص باللغة الإنجليزية

المقدمة

فتح المسلمون الأندلس في نهاية القرن الأول الهجري، ولكنهم لم يفتحوها وحدهم فقد دخل معهم البربر، وأضحى المجتمع الأندلسي خليطاً من الأجناس والأعراق التي تعايشت مع بعضها تحت راية الإسلام، فتحت الجزيرة أبوابها للوافدين عليها، ورحبت بأجناسهم ولغاتهم وثقافتهم المختلفة، وظلت تمزج بينها وتصهرها حتى أخرجت مجتمعاً مميزاً له خصائصه وملحه وعاداته وشعره.

وأثارت الجنسيات والثقافات المتعددة في الأندلس اهتمامي، فقررت دراسة شعر طائفة أندلسية ذات أصول غير عربية، ووقع اختياري على الأندلسيين البربر، وبدأت استقصاء أخبارهم وشعرهم في الأندلس رغبةً مني في تسليط الضوء على شعرهم العربي، وفحص تأثيرات شعرهم في الشعر الأندلسي كافة، ولكن المصادر لم تُسغني بمادة كافية تمكّني من كتابة بحث شامل عنهم، ففكرت في جماعة أجنبية أخرى ألا وهي الجواري، وعندما عرضت موضوعي على أستاذي شجّعني على دراسته رغم أنني ترددت في الإقبال على دراستهن لظنّي أنهن غير موجودات إلا في الحانات، ولا يعرفن إلا السقاية والخمر.

ووجدت عدة أسباب تدفعني لدراسة تأثيرات الجواري وشعرهن، فهن مزيجٌ غريب: بشرٌ وبضاعة، غربيات وعربيات، عالمات ومبتذلات، حاكمات ومحكومات، كما أنهن أثرن في المجتمع الأندلسي وشعره، وكانت الأسباب الأساسية التي دفعتني لدراسة الجواري وشعرهن وما قيل فيهن هي:

- 1- لم يتوفّر عن الجواري بحث جاد شامل يدرس شعرهنّ وشعر الغناء الذي تخيرنه وكلّ شعر الشعراء الذي نظموه فيهنّ في الأندلس.
- 2- تهميش الباحثين للجواري وأثرهنّ في المجتمع الأندلسي وشعره، فقد ظلّت دراسة الجواري وتأثيراتهنّ في الشعر والحياة الأندلسية جزءاً فرعياً من دراسة شعر المرأة في الأندلس، ولم يُقدّم بحث يختصّ بهنّ.

- 3- إشاعتهم أجواء الحرية التي امتاز بها المجتمع الأندلسي، لما تميّز به من حرية اللباس والخروج إلى الأسواق، والاختلاط بالرجال ومجالستهم، والجرأة في التعبير عن مشاعرهم، حتى إنّ حرية بعضهم أضحت إحدى مصادر الانحلال والفساد في الأندلس، كما أنهم شاركوا في تأسيس الحركة الغنائية في الأندلس، وكان النصيب الأكبر للجواري المشرقيات اللاتي تتلمذ على أيديهنّ جوارٍ أندلسيّات ساهمن في وضع أسس الغناء الأندلسي.
- 4- نقلهنّ الثقافة المشرقية وعلومها إلى الأندلس، والمشاركة في الحياة الثقافيّة سواءً بوضع المؤلفات وتعليم المريدين أو بتسخير علومهنّ وفنونهنّ، كما أن الجواري على اختلاف أجناسهنّ نقلن ثقافات أقوامهنّ ولغاتهم وعاداتهم.
- 5- تأثيرهنّ في الحياة السياسيّة الأندلسيّة بفرض نفوذهنّ، أو بمؤامراتهن لتولية أولادهنّ حكم الأندلس، أو بمواقفهنّ العسكرية.
- 6- تقليلهنّ من فرص الفتاة الحرّة في الزواج، لازدهار تجارتهنّ وانخفاض أسعارهنّ، ومعرفتهنّ بأساليب امتلاك عقول الرجال وقلوبهم ، كما أثرن في الأسرة الأندلسيّة فقد نشرت بعض أمهات الأولاد العداوة والبغضاء بين الإخوة في أثناء محاولتهنّ الحصول على ولاية العهد لأبنائهنّ.
- 7- تأثيرهنّ في الحياة الاقتصاديّة عند بيعهنّ أو شرائهنّ، بالإضافة إلى مصروفاتهنّ والهدايا المقدّمة لهنّ أو بأعمالهنّ الخيريّة في المجتمع الأندلسي.
- 8- تأثيرهنّ في الشعر في الأندلس لكونهنّ أحد مصادر إلهام الشعراء في الأندلس، بالإضافة لإنتاجهنّ الشعري، كما أنهنّ مكّن للعديد من النماذج الشعرية المشرقية التي اخترنها في مجالس الأندلس.
- 9- غناؤهنّ مقطوعات شعريّة أوردها ابن فضل الله العمريّ في مسالك الأبصار، ولم يعرض باحث من قبل لكلّ هذه المقطوعات الشعرية التي غنتها الجواري وحفظها ابن فضل الله العمري.

واهتمامي بالجواري لم يكن الأول من نوعه؛ فقد أوّلى المؤرخون والمترجمون القدماء اهتماماً بالنساء عامّة والجواري خاصّة، وأفردوا لهنّ مؤلفات عدّة، كما قام بعضهم بإدراج تراجم متواضعة لبعضهنّ، أو نثر أخبارهنّ في كتبه، ويسترعي الانتباه أنّ المشاركة وضّعوا مصنّفات

عن الجوّاري أكثر من الأندلسيين؛ فوضع يونس الكاتب " كتاب القيان " في القرن الأول الهجري، وتبعه إسحاق الموصلي بكتابه " كتاب القيان " و " قيان الحجاز"، ولحقه الجاحظ برسائلته " الجوّاري والقيان"، وجاء جلال الدين السيوطي في القرن التاسع الهجري فوضع كتاب "المستظرف من أخبار الجوّاري"، بالإضافة للعديد من كتب شراء الرقيق في التراث العربي مثل "رسالة جامعة لفنون نافعة في شري الرقيق وتقليب العبيد" لابن بطلان، و" رسالة القول السديد في اختيار الإماء والعبيد" للعنتابي الأمشاطي، و " رسالة هداية المرید في تقليب العبيد" لمحمد الغزالي.

أمّا الأندلسيون فكانت مشاركتهم قليلةً على يد فتحونة بنت جعفر الأندلسية التي جمعت أخباراً عن جوّاري الأندلس في كتابها " قيان الأندلس" ولكن لم يُكشف عن هذا الكتاب بعد وربما كان مفقوداً، كما ظهرت تراجم مقتضبة لبعض الجوّاري الأندلسيات في كتاب " التكملة لكتاب الصلّة" لابن الأبار الذي نقل عنه المقرّي في كتابه " نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب"، ونُشرت أخبارهنّ في مصادر أندلسية متعدّدة أهمّها: "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" لابن بسام الشنتريني، و" طوق الحمامة" لابن حزم الأندلسي، بالإضافة إلى " نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب" للمقرّي.

واتجه الباحثون المعاصرون لدراسة أدب المرأة وشعرها عامّة ولم يخصّوا الجوّاري بالدراسة، باستثناء ناصر الدين الأسد الذي درس القيان والغناء في العصر الجاهلي، وفايد العمروسي وجبّور عبد النور اللذين درسا الجوّاري في العصرين الأموي والعباسي، وسهام الفريح التي درست الجوّاري والشعر في العصر العباسي، أمّا دارسو الأدب الأندلسي فلم يُقدّموا على دراسة الجوّاري وشعرهنّ، واكتفوا بدراسة شعر المرأة في عصور أندلسية محدّدة، ومن الجدير بالذكر أن بعض دارسي الأدب الأندلسي تعرّض للجوّاري وشعرهنّ إلا أن التركيز انصبّ على الحرائر وأعلامهنّ مثل ولادة بنت المستكفي وحفصة الركونية، وأبرز الدراسات رسالة ماجستير تقدّمت بها سلمى سلمان علي بعنوان " المرأة في الشعر الأندلسي في عهد الطوائف"، ورسالة ماجستير لمحمد احداًن بعنوان " المرأة في الأدب الأندلسي في عصر بني أمية"، ورسالة غادة الحصني التي عنونها بـ "شاعرات الأندلس"، ورسالة دكتوراة لمحمد صبحي أسعد أبو حسين بعنوان " المرأة في الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين".

ولم أجد أية دراسة حول الجوّاري في الأندلس غير كتاب وائل أبو صالح " الجوّاري في الأندلس " الذي قسّمه إلى تمهيد وخمسة فصول، ومهد لبحثه بحديث عن الجوّاري في المشرق أيام الجاهلية، وعرض لأثر الإسلام في نظام الرقيق، أما الفصول اللاحقة فدرس فيها أثر الجوّاري في الحياة الاجتماعيّة والسياسيّة والفنيّة والأدبيّة.

وعلى الرغم من أن وائل أبو صالح له الفضل في حمل عصا السبق في دراسة الجوّاري في الأندلس إلا أن دراسته لم تخل من المآخذ؛ فقد تحدّث المؤلف عن مباحث لا ضرورة لها في البحث: كتخصيصه التمهيد للحديث عن الجوّاري في المشرق أيام الجاهلية وتجاهل الحديث عنهنّ في الأندلس، كما أنه أدرج مبحثاً لدراسة شعر الحرائر وموضوعاته بدلاً من دراسة شعر الجوّاري وموضوعاته، وأظنّ أنه لا مكان لدراسة شعر الحرائر في بحث متخصص بالجوّاري إلا في حال عقد مقارنة بين أشعار الجوّاري والحرائر، أو عند دراسة أثر شعر الحرائر في شعر الجوّاري، وخرج المؤلف أثناء حديثه في الفصل الثالث عن " أثر الجوّاري في الحياة السياسيّة " عن نطاق البحث كلّه؛ فتحدّث عن أشهر دويلات ملوك الطوائف، وقدم نبذة لا ضرورة لها عن كل عصر من العصور الأندلسيّة، كما أدرج العديد من المقطوعات الشعريّة التي عرضت سقوط الممالك الأندلسيّة وضياعها.

ولم يفصّل وائل أبو صالح الحديث عن شعر الجوّاري أو الشعر الذي تغنّين به، ولكنه درس في الفصل الرابع وهو " أثر الجوّاري في الحياة الفنيّة " خمسة وعشرين بيتاً من أصل مائتين وثلاثة وثلاثين بيتاً من شعرهنّ والشعر الذي تغنّين به، وختم الفصل بدراسة للأبيات الشعريّة من الناحية الموسيقيّة في ثلاث عشرة صفحة متوسطة الحجم، وعلى الرغم من أن المؤلف لم يستقص شعر الجوّاري أو الشعر الذي تغنّين به ولم يدرسه دراسة شاملة، إلا أن هذا لم يمنعه من تقديم ملاحظات على شعرهنّ!

وعرض وائل أبو صالح في الفصل الخامس " أثر الجوّاري في الحياة الأدبيّة " لشعر الشعراء في الجوّاري وقسّمه لموضوعات أربعة هي الوصف، والغزل، والحنين، والرثاء إلا أنه أهمل الموضوعات الأخرى، ولم يستقص كلّ شعر الشعراء في الجوّاري، واكتفى بعرض مائة

وخمسين بيتاً من أصل سبعمائة وثلاثة وستين بيتاً في ثلاثين صفحة من الحجم المتوسط، كما أنه لم يقم بدراسة فنيّة لشعر الشعراء في بحثه، ولم يعرض لأي أثر للجواري في النشر رغم أن عنوان الفصل هو " أثر الجواري في الحياة الأدبيّة " وأظن أنه كان على المؤلف أن يعرض أثر الجواري في تأليف بعض القطع أو الرسائل النثرية لأن الحياة الأدبية تضم الشعر والنثر.

وأظن أن وائل أبو صالح ابتعد عن الموضوعية في بعض المباحث؛ فعلى الرغم من أنه عرض لإيجابيات الجواري وسلبياتهن في الفصل الأول والثاني على حد سواء، إلا أنه ظهر متحاملاً ناقماً عليهن عند دراسته لأثرهن في الحياة السياسيّة، فهو يرى أن الجواري كن وراء كلّ انتقال إلى مرحلة سيئة، وأنهن كن سبباً مباشراً من أسباب ضياع الأندلس، بالإضافة إلى أنهنّ بددن خزانة الدولة في بعض المشاريع الأندلسيّة مثل بناء مدينة الزهراء، ولا أرى أن الجواري أحد الأسباب المباشرة لضياع الأندلس لأنّي بهذا التعميم أغفل العديد من الأحداث والظروف السياسيّة والدينيّة التي أحاطت بالأندلس، وأعتقد أن وائل أبو صالح لم يُنصف الجواري ولم يُعطهنّ حقهنّ من التقدير، ولم يُقدّر أهمية الأعمال الاجتماعيّة والثقافيّة والعلميّة والأدبيّة التي أدّينها.

وأعتقد أن الموضوعية لا تنص على نسبة البطولة والفضل في الازدهار لقوة الرجال الأندلسيين ونسبة الضعف والانحمار إلى الجواري والنساء، فإن كان كذلك فإننا نهمّش دور الجواري والنساء في العصور المزدهرة ونقصرها على الرجال، كما أننا نتناسى دور الرجال وإراداتهم في العصور التي تشهد انحطاطاً.

ووقع وائل أبو صالح في بعض الأخطاء والهفوات التي قد يقع فيها أي باحث ومنها: استعانتة ببعض المقطوعات الشعريّة التي ظنّ أنها قيلت في الجواري وهي في الغلمان أو في فتيات حرائر أو في نصرانيات، كما أنه أورد مقطوعات شعريّة نُظمت في المشرق أو في بلاد المغرب أو في بلاطات ملوك النصارى الإسبان، ولم يتّبع المؤلف المنهج نفسه في الفصول كلّها؛ فقد اتّبع المنهج الوصفي التحليلي في كل الفصول إلا إنه أخلّ بمنهجه واتّبع المنهج التاريخي في الفصل الثالث وهو " أثر الجواري في الحياة السياسيّة " وتتبع أثرهنّ في كل عصر من عصور الأندلس في مبحث منفصل.

وارتأيت أن أختار المنهج التكاملي كي يتسنى لي جمع المادة الشعرية وعرضها وتحليلها بشكل موفق ومتكامل، وعملت على الالتزام بهذا المنهج في الفصول كلها دون أي أفراد أو تمييز، لذا بدأت بحثي بتمهيد عرضت فيه لمعنى كلمة جارية ولأنواع الجواري وانتشارهن في الأندلس.

وقسمت بحثي إلى بابين: تناولت في الباب الأول الجواري في الحياة الأندلسية، وأثرهن في الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية في فصول أربعة، وبدأت الفصل الأول بدراسة أثر الجواري في الحياة الاجتماعية فتحدثت عن حرية الجواري التي مارسنها في المجتمع الأندلسي وكيف استغلت بعضهن هذه الحرية وحوّلنها إلى انحلال أخلاقي، ثم انتقلت إلى الحديث عن علاقة الجواري بالحرائر وعلاقتهن ببعضهن، وتعرضت لعلاقة الجواري بالرجال وهيامهم بهنّ، وأنهيت الفصل بعرض لنظرة المجتمع الأندلسي للجواري.

وخصت الفصل الثاني لدراسة الجواري في الحياة الثقافية، فعرضت لاهتمام الأندلسيين بتعليم جواريهم علوماً متعددة، وعرفت بالجواري المتأدبات وعرضت لأشهرهنّ ممن وُصفن بالأدب وإن كان نتاجهنّ الأدبي مفقوداً، وعرّجت بعدها للحديث عن الجواري الكاتبات اللواتي انتشرن في عصر عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر، وانتقلت بعدها لعرض أهم الآثار التي تركتها الجواري في الثقافة الأندلسية من أسماء وأديان ولغات، بالإضافة إلى دورهنّ في الشعر كملهمات أو شاعرات.

وارتأيت أن أدرس في الفصل الثالث الجواري في الحياة السياسية، فدرست نفوذ الجواري السياسي وعرضت لأكثرهنّ نفوذاً في عصور الأندلس المختلفة، ثم تحدثت عن مؤامراتهنّ التي حيكت بهدف تولية أبنائهنّ الحكم واستبعاد أبناء ضرائرنّ أو بهدف الانتقام من خصومهنّ أو من رفاقهنّ الذين غدروا بهنّ، وختمت حديثي عنهنّ في الحياة السياسية ببعض النماذج التي كان لهنّ أدوار سياسية مشرّفة.

وأفردت الفصل الرابع للحديث عن الجواري في الحياة الاقتصادية، فاستهللت الفصل بحديث عن تجارة الجواري وتكلّمت فيه عن الجواري المفضّلة التي اشتراها الأندلسيون، وأهم

الأنواع التي صدّروها، وجمعت بعدها نصوصاً عن كيفية شراء الجوّاري فرتبتها وكأنها عملية واحدة متسلسلة، وتحدّثت عن تهادي الأندلسيين بالجوّاري وتقديمهم الهدايا لهنّ.

أمّا الباب الثّاني فتحدّثت فيه عن الجوّاري في الشّعْر في الأندلس وقسمته إلى فصول ثلاثة: الجوّاري في شعر الشعراء، وشعر الجوّاري؛ موضوعاته وخصائصه، وأثر الجوّاري في شعر الغناء، وقمت في الفصل الأوّل بتقسيم شعر الشعراء في الجوّاري إلى موضوعات شعريّة، وركّزت دراستي على ميّزات الشعر في الجوّاري في كل موضوع شعري طرّقه، وبدأت كل موضوع شعريّ بحديث موجز عن أهم خصائصه، وقدمت إحصائيات وافية للشعر المنظوم في كل موضوع مع إيضاح لعدد القصائد والمقطوعات والنتف والأبيات الشعريّة التي نظمها الشعراء في الجوّاري في كل عصر من العصور الأندلسية، كما أشّرت إلى عدد الشعراء وأسماء الجوّاري التي ذكرها الشعراء في شعرهم، وعرضت لأبرز المقطوعات الشعريّة أو النتف التي حوت ميّزات الموضوع الشعريّ؛ ففي موضوع الغزل _ على سبيل المثال _ أشّرت إلى أن الشعراء تغزلوا بمحاسن الجوّاري وعيونهنّ وقدودهنّ، ولم أطل الشرح في النواحي التقليديّة المعروفة بل آثرت التوقف عند كل ما هو مميّز في الغزل في الجوّاري، ودفعّت في بعض الموضوعات الشعريّة إلى الرّبط ما بينها وبين الموضوعات المشرقيّة، فحجم رثاء الجوّاري والمرأة عموماً في الأندلس أكبر منه في المشرق، كما عقدت مقارنة بين لباس الجوّاري الراقصات وحركاتهنّ التي وصفها الشعراء وبين لباس راقصات الفلامنجو وحركاتهنّ اليوم في إسبانيا، وألحقت دراسة الموضوعات بدراسة لأهم خصائص شعر الشعراء في الجوّاري في الأندلس، فدرست الأشكال الشعريّة التي قدّم بها الشعراء شعرهم، وبحثت عن آثار الموروث الثقافي الإسلامي العربي والحياة الأندلسية في شعر الشعراء، كما عرضت لأهم المحسنات البديعية والصور والأخيلة التي نظمها الشعراء، وسلّطت الضوء على كل ما هو جديد من صور وأخيلة، وتحدّثت عن موسيقا الشعراء من بحور وقوافٍ.

أمّا الفصل الثّاني فعرضت فيه لمشاركات الجوّاري في الشعر الأندلسي، وأشّرت إلى أسباب ضياع شعرهنّ، ثم انتقلت لدراسة أهم الموضوعات الشعريّة التي طرّقتها، وبدأت كل موضوع شعريّ بحديث مختصر عن أهم ميّزاته، وقمت بعمل إحصائيات شاملة لشعرهنّ؛ فعرضت لأعداد الجوّاري الشاعرات والأبيات الشعريّة التي نظمها، ووضّحت عدد القصائد

والمقطوعات والنتف والأبيات الشعرية التي نظمها في كل عصر من عصور الأندلس، وعرضت لأبرز المقطوعات الشعرية أو النتف التي حوت ميّزات الموضوع الشعري وحاولت عرض كل ما هو أندلسي وغير تقليدي في شعرهنّ، ففي غزلهنّ _ على سبيل المثال _ ذكرت الصفات التي تغزّرن فيها، وعرضت لموضوعات شعرية اختصت بها جواري المشرق دون الجواري الأندلسيات، وألحقت دراسة الموضوعات بدراسة لأهم خصائص شعر الجواري في الأندلس، فدرست الأشكال الشعرية التي صبّت فيها الجواري شعرهنّ، وعرضت لبعض المحسنات البديعية والصور والأخيلة التي نظمها، كما تحدّثت عن موسيقا شعرهنّ من بحور وقوافٍ.

وقمت في الفصل الثالث بدراسة أثر الجواري في شعر الغناء؛ وبينت مدى إقبال الأندلسيين على الغناء، وعرضت لأثر الجواري وسادتهنّ في نشر الغناء وتمكين النماذج الشعرية، ثم انتقلت إلى الحديث عن الموضوعات الشعرية التي اختارتها الجواري من شعر الشعراء المشاركة والأندلسيين، فبدأت كل موضوع شعريّ بحديث موجز عن أهم خصائصه، ثم قدّمت إحصائيات للشعر المغنّى وذكرت عدد الجواري اللاتي غنّينه وأسماءهنّ، وذكرت عدد الأبيات المغناة ووضّحت عدد المقطوعات والنتف الشعرية التي تخيرتها الجواري في غنائهنّ، وعرضت لأبرز المقطوعات أو النتف الشعرية التي حوت ميّزات الموضوع الشعري المغنّى، وبحثت عن الروابط التي تجمع بين الشعر المغنّى والبيئة التي حوته، والأسباب وراء اختيار مقطوعة شعرية لغنائها دون أخرى، وألحقت دراسة الموضوعات بدراسة لأهم خصائص شعر الغناء، فدرست الأشكال الشعرية التي شكّلتها الجواري وانتقتها في غنائها، وأبرزت التغييرات التي أجرتها الجواري على شعر الشعراء الذي غنّينه، ثم عرضت لأهم المحسنات البديعية والصور والأخيلة وموسيقا الشعر الذي اختارت الجواري غناه.

وعلى الرغم من أنني عرضت لمقطوعات مختارة إلا أن حديثي في الموضوعات الشعرية وخصائصها في الباب الثاني كان نتاجاً لدراسة كل الشعر الذي توفّر لي، وأعتقد أن الإحصائيات التي عرضتها في بداية كل موضوع شعري ستقدم للقارئ فكرة طيبة عن حجم الشعر المدروس.

وأنهيت بحثي بخاتمة استعرضت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في أثناء دراستي للجواري في الشعر في الأندلس، كما أضفت عدّة ملاحق ضمّت جميع الأشعار التي جمعتها من

شعر الشعراء في الجوّاري وشعر الجوّاري وشعر الغناء الذي غنّيه، وبلغ مجموع الأشعار في الملاحق تسعمائة وثمانية وثمانين بيتاً وأرجوزة وأربعة موشحات، ورتبتها حسب الترتيب الأبثني لأسماء الشعراء أو الشاعرات، أمّا عن الأبيات الشعرية التي نظمها كلُّ شاعر فقد رتبها حسب القافية، ومن الجدير بالذكر أنّي رتبت الأشعار في ملحق شعر الغناء بالاعتماد على الشاعر الذي نظم الشعر لا الجارية التي قامت بغنائه، وألحقت هذه الملاحق بفهرس أعلام، وفهرس أماكن، وفهرس إحصائيات موضوعات الشعر الذي عرضت فيه للإحصائيات التي قمت بها واعتمدت عليها في دراستي، وأنهيت دراستي بملخص للبحث باللغة الإنجليزية.

وكانت رسائل ابن حزم الأندلسي، وكتاب " الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة " لابن بسام الشنتريني، ومخطوط " مسالك الأبصار في ممالك الأمصار " لابن فضل الله العمري، وكتاب " نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب " للمقريّ من أهم المصادر التي استعنت بها في بحثي، فقد جمع ابن حزم وابن بسام العديد من الأخبار الاجتماعية حول الجوّاري وقصصهنّ في المجتمع الأندلسي، وأمّدي كتاب "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" بمعظم شعر الغناء الذي غنّته الجوّاري في الأندلس، فهو المصدر الوحيد _ ما بين يدي من المصادر _ الذي توفّر فيه شعر الغناء، أمّا المقريّ فقد أمّدي بتراجم وأشعار وأخبار عديدة حول الجوّاري في الأندلس.

ولم تواجهني صعوبات جمّة أثناء دراستي، ولكن تعرّضت لبعض المنغصات ومنها قلّة المصادر الأندلسية فهي ليست بغزارة المصادر التراثية الأخرى؛ لتعرض الكثير منها للضياع أو لكونها حبيسة الأقبية مقيّدة داخل مخطوطات قديمة، كما أنّ المصادر القديمة لم تتعرض لتراجم وحتى أسماء الكثير من الجوّاري، وعلى الرغم من أنّ كلاً من ابن الأبار في كتابه " التكلمة لكتاب الصلّة " والمقريّ في كتابه " نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب " عرضا لتراجم بعض الجوّاري إلّا أنّ هذه التراجم كانت مقتضبة وقليلة.

ومن المنغصات التي اعترضت طريقي صعوبة فهمي لنظام الرقيق رغم أنّنا قريبو العهد به، فكان من الصّعب عليّ تقبّل نظام يعتبر البشر بضاعة، ويوافق على أن تصبح النساء أدوات للذة والتسلية، وأن يتمّ بيعهنّ عند الاكتفاء منهنّ أو الشعور بالضجر والرغبة بالتجديد، ويعتبر الرّجال عبيداً وُجدوا للخدمة، أو لحماية نساء الخاصة، أو للمشاركة في الحروب والحفاظ على

ي

العروش، وعملت على أن أتخلص من رفضي لهذا النظام والتّحلي بالتّفهم والقبول، وأرجو أن تكون دراستي موضوعيّة معزّزة بفهم نظام الرّقيق وحال المجتمعات والعصور التي وُجدن فيها.

وأرجو أن أكون وفقت في عرض بحثي ودراستي، وأن يظهر فيه مبلغ الجهد المبذول، فإن بلغت النجاح فما هو إلا توفيق من الله ثم بركة دعاء الوالدين، وإن أخفقت فلا عذر لي إلا أنني إنسان يخطئ ويصيب.

جانان شبانة

الخليل

تمهيدا

لعبت المرأة الأندلسية دوراً هاماً في الأندلس بدءاً من أيام المسلمين الأولى فيها وانتهاءً بخروجهم منها، وتركت آثارها في الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية، كما كانت أحد مصادر الإلهام للشعراء في الأندلس، وشاعرةً مستقلةً، ولم تتساو النساء جميعاً في هذا التأثير؛ فكان للجواري أثر أكبر من الحرائر، وسجّلت المصادر الأندلسية تأثيراتهنّ كلها، وسماهّن المؤرخون بمسميات مختلفة، فاستخدموا كلمة القينة والسريّة والأمة والرقيق والجارية.

1- مسميات الجارية في الأندلس

القينة: هي " الأمة المغنية " ¹، و" قان القين الحديد يقينه: سواه، والشيء لمة، والإناء أصلحه " ²، و"القين هو الحداد" ³ أو " هو الذي يعمل بالحديد ويعمل بالكير" ⁴، و"التقين التزين" ⁵، أي أن الاشتقاقات من قين تُفيد الإصلاح وتحسين الحال والتجمل، و " قيل للمرأة مقينة أي أنها تزين، قال الجوهرى: سميت بذلك لأنها تزين النساء، شُبّهت بالأمة لأنها تُصلح البيت وتزيّنه" ⁶، فالجواري اعتنيت بتزيين البيت وإصلاح حاله حتى أصبح التزين صفةً مقرونةً بهنّ، وعلى الرغم من أن ابن منظور يرى أن القين هو كلُّ عامل بالحديد والكير فحسب، إلا أنه ذكر أن بعض العرب يقولون " للمغنية قينة إذا كان الغناء صناعةً لها، وذلك من عمل الإماء دون الحرائر" ⁷، وبهذا يبدو لي أنه إذا ما زينت الجارية نفسها أو اتخذت من الغناء صنعة لها يُطلق عليها اسم قينة.

¹ - ابن منظور، لسان العرب، مادة (قين) 351/13.

² - الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة (قين) 262/4.

³ - ابن منظور، لسان العرب، مادة (قين) 350/13.

⁴ - ابن منظور، لسان العرب، مادة (قين) 351/13.

⁵ - ابن منظور، لسان العرب، مادة (قين) 351/13، الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة (قين) 262/4.

⁶ - ابن منظور، لسان العرب، مادة (قين) 351/13.

⁷ - لسان العرب، مادة (قين) 351/13.

أما السُّرِّيَّة فاختلف أهلُ اللغة في سبب تسميتها وجمع ابن منظور اختلافهم فقال: " قال بعضهم نُسِبَتْ إلى السَّرِّ وهو الجِماع، وضُمَّت السِّين للفرق بين الحُرَّة والأُمَّة توطأ، فيقال للحُرَّة إذا نُكحت سِرّاً أو كانت فاجرة سُرِّيَّة، وللمملوكة يتسرّأها صاحبها سُرِّيَّة مخافة اللبس، وقال أبو الهيثم: السَّرُّ السُّرور فسمّيت الجارية سُرِّيَّة لأنها موضع سُرور الرجل"¹، وأدلى ابن منظور بدلوه فقال: " السُّرِّيَّة الأُمَّة التي بوّأتها بيتاً وهي فُعَلِيَّة منسوبة إلى السَّرِّ وهو الجِماع والإخفاء، لأن الإنسان كثيراً ما يُسرّها ويستُرّها عن حُرَّتِه"²، ولم يتطرق الفيروز آبادي إلى معانٍ عدّة واكتفى بأن قال: إنَّ السَّرَّ هو " الجِماع، والذَّكر، والنِّكاح، والإفصاح به، والزَّنا، وفرج المرأة، ومُسْتَهْلُ الشهر أو آخره أو وسطه"³، وعَرَّف السُّرِّيَّة فقال: هي " الأُمَّة التي بوّأتها بيتاً، منسوبة إلى السَّرِّ بالكسر للجِماع من تغيير النسب"⁴.

والأُمَّة هي "المملوكة خلاف الحُرَّة"، أو " المرأة ذات العبودية وقد أقرت بالأموة"⁵، وجمعها " أمواتٌ وإماءٌ وآمٌ وإموانٌ وأموانٌ"⁶، أمّا الأندلسيون فقد أطلقوا لفظة أُمَّة على الجارية التي تتخذ الغناء أو الرقص مهنة لها⁷.

والرَّقُّ من "رقيق: الرقيق نقيض الغليظ والثخين"⁸، والرَّقُّ هو "الملك والعبودية"، ويقال أُمَّة رقيق ورقيقة من إماء رقائق فقط، وقيل الرقيق اسم للجمع... والرقيق المملوك واحد... سُمي العبيد رقيقاً لأنهم يرقون لمالكهم ويذلون ويخضعون"⁹.

¹ - لسان العرب، مادة (سرر) 358/4.

² - لسان العرب، مادة (سرر) 358/4.

³ - القاموس المعيط، مادة (سرر) 46/2.

⁴ - القاموس المعيط، مادة (سرر) 47/2.

⁵ - ابن منظور، لسان العرب، مادة (أما) 44/14-45.

⁶ - ابن منظور، لسان العرب، مادة (أما) 45/14، الفيروز آبادي، القاموس المعيط، مادة (أما) 302/4.

⁷ - انظر ابن بسّام، الخيرة، ق 3 م 707/2.

⁸ - ابن منظور، لسان العرب، مادة (رقيق) 121/10.

⁹ - ابن منظور، لسان العرب، مادة (رقيق) 124/10.

أما الجارية فهي: " الفتية من النساء بيّنة الجارية"¹، كما أنها " الكاعب الشابة"²، وأوضح الفيومي أصل كلمة الجارية عندما قال " والجارية السقينة، سُميت بذلك لجريها في البحر، ومنه قيل للأمة جارية على التشبيه لجريها مُستسخرة في أشغال مواليتها"، ثم توسعت الكلمة " حتى سموا كلّ أمة جارية وإن كانت عجوزاً "³.

واخترت لفظة الجارية عوضاً عن المسميات الأخرى لأنني أرى _ بالاعتماد على ما جاء في أمهات معاجم اللغة _ أن لفظة الجارية مرتبطة بكون الجارية أنثى فقدت حرّيتها وسُخّرت لتلبية أوامر سادتها، أما القينة فهي مرتبطة بصنعة الغناء بالدرجة الأولى، وأرجح أن السُرّيّة مرتبطة باللذة فحسب، ويبدو أن حياة الأمة تنحصر في امتهان الغناء والرقص في الأندلس تحديداً، أما الرقيق فإنها لفظة تُطلق على الرجال والنساء من العبيد وتحمل في أثنائها الغموض وعدم الوضوح، لذا ارتأيت أن لفظة الجوارى هي الأنسب في بحثي؛ وأخذت بعين الاعتبار ملاحظة الطاهر أحمد مكي التي تنصُّ على أن لفظة الجارية أُطلقت في قرطبة⁴ على الفتيات والشابات من الحرائر اللواتي اتّصفن بصفات ارتبطت بالجوارى كيباض البشرة، وشقرة الشعر، وزرقة العينين، والثقافة الواسعة، والعواطف الدافئة، والتمكّن من الموسيقى والشعر والغناء⁵، لذا لم أورد في بحثي إلا الروايات والقصص والأخبار التي تبين فيها أن الحديث يدور حول جارية من الجوارى، واستبعدت ما قد يثير الشكّ والريبة في هوية أي جارية.

¹ _ ابن منظور، لسان العرب، مادة (جری) 14/144.

² _ الفيروز آبادي، القاموس المعيط، مادة (جری) 4/315-316.

³ - المصباح المنير، 1/134.

⁴ - قرطبة (Cordoba): عاصمة الخلافة بالأندلس، وتعدُّ قرطبة خمس مدن متلاحقة يفصل بين المدينة والمدينة سور، وطولها من غربيها إلى شرقيها ثلاثة أميال، وعرضها من باب القنطرة إلى باب اليهود ميل واحد، وهي في سفح جبل مطل عليها يسمى جبل العروس، وبها كانت ملوك بني أمية. انظر ابن حوقل، صورة الأرض، 1/111-113، الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، 2/574-575، الزهري، الجغرافية، 86-87، ياقوت، معجم البلدان، 4/324-325، القزويني، آثار البلاد، 552، الحميري، الرّوض المعطار، 456-459.

⁵ - انظر دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة، 210.

ومن الجدير بالذكر أن ملاحظة الطاهر أحمد مكي لم تقتصر على قرطبة والأندلس فحسب، فقد وجدت أن أهل المشرق أطلقوا اسم جارية على كل من الجواري والحرائر؛ ذلك أن الفارابي عرف العانس فقال هي: "الجارية التي بقيت في بيت أبويها لم تزوج"¹، ولحقه ابن منظور فعرف العانس تعريفاً مشابهاً فقال: "عَسَتْ الجارية تَعَسُ إذا طال مكثها في منزل أهلها بعد إدراكها حتى خرجت من عداد الأبقار وهذا ما لم تتزوج، فإن تزوجت مرة فلا يُقال عَسَتْ"²، ويظهر واضحاً من تعريفهما أن كلمة جارية هنا عنت فتاة حرّة، وهكذا فالأندلسيون اتبعوا منهج أجدادهم المشرقيين وأطلقوا كلمة جارية على كل من الأمة والحرّة، وتركوا سياق الحديث فيصلاً _ في معظم الأحيان _ في تحديد هوية المرأة المحكي عنها.

2- أنواع الجواري في الأندلس

وقسمت الجواري إلى أقسام ثلاثة هي: جواري اللذة، والجواري أمهات الأولاد، وجواري الخدمة.

أ- جواري اللذة

جواري اللذة: هنّ الجواري اللواتي يسلّين أسيادهنّ، و ينشرن المتعة وأجواء المرح والسرور في بيوتهم، ويُزلن الهمّ والكدر عن نفوسهم، وعلى الرغم من أن الغرض الرئيس لاتخاذهنّ هو المتعة والتسلية إلا أن المسلمين _ أوائل الفتح _ اتخذوهن بديلات عن زوجاتهم اللواتي بقين في بيوتهنّ _ في مشرق العالم الإسلاميّ _ ولم يُغامرن في الخروج مع أزواجهنّ، كما أن التشريع الإسلاميّ أباح الزواج بالكتايبات وأباح اتخاذ السرايا³ بناءً على قوله تعالى:

¹ - ديوان الأدب، 351/1.

² - لسان العرب، مادة (عنس) 149/6.

³ - انظر محمد سعيد الدغلي، الحياة الاجتماعية في الأندلس، 16-17.

﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ 5﴿ إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين﴾ 6﴿¹.

ولم يتخذ المسلمون الجواري لإباحة الإسلام تملكهنّ فحسب؛ فقد كنّ من بين المغريات التي وُظِّفت في الخطبة المنسوبة لطارق بن زياد بهدف تشجيع الجند على فتح الأندلس، فقد قال طارق: " وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان، من بنات اليونان، الرافلات في الدرّ والمرجان، والحلل المنسوجة بالعقيان، المقصورات في قصور الملوك ذوي التيجان"²، ومن الجدير بالذكر أنني لم أجد وصفاً حسيّاً أو معنوياً دقيقاً للسبايا الإسبانيات _ أوائل الفتح _ غير وصف طارق بن زياد لهن، وما يعينني في هذه الخطبة هو أنها ترسم صورة لتوقعات المسلمين عن السبايا اللواتي سيأسروهنّ إثر فتحهم الأندلس، لذا كانت هذه الخطبة هي الصورة الأولى التي رسمها المسلمون عن الجواري في الأندلس.

وشكّلت جواري اللذة نسبة كبيرة من عدد الجواري في الأندلس، وربّما كانت جميع الجواري اللاتي وجدتهنّ جواري لذة، سواءً أكانت لذة جسدية أم حسية تتملّ باستمتاع السادة بغناء الجواري وفنونهنّ وآدابهنّ، و يمكنني التأكيد أن أربعين جارية _ من الجواري اللاتي جمعت في هذا البحث _ كنّ جواري لذة لأنهنّ أمهات أو أولاد أو لأنهنّ وُصِفْنَ بالمحظيات، أما الجواري الأخر فلم أجد ما يثبت كونهنّ جواري لذة، وأرجح أن امتلاك الأندلسيّ لجارية ما لا يؤكد أنه اتخذها للذة والفراش، فربّما امتلك جارية كاتبة اكتفى بعملها في الكتابة وربّما ضمها لفراشه.

وحبّ الأندلسي لأي جارية ليس دليلاً كافياً على أنها جارية لذة، فربّما هام الأندلسي بجارية ليست ملكه ولم يستطع لقاءها، أو أنها كانت في ملكه وهام بعلمها وما أتقنته من فنون إلا أنه اتخذ محظيات آخر للفراش والولد.

وربّما كان الجمال هو المعيار الأول لاقتناء جواري اللذة، على الرّغم من أنني لم أجد أي وصف لجارية الأحلام التي يتمنى كلُّ أندلسي أن يفتنيها، فالجواري اللاتي وجدتهنّ _ في المصادر المتوفرة بين يدي _ تتوّعت ألوانهنّ وأجناسهنّ وعلومهنّ وفنونهنّ، وأعتقد أن معيار

¹ - سورة المؤمنون، آية 5-6.

² - المقرّي، النّسخ، 1/232.

الجمال نسبيٌ يختلف باختلاف الرجال؛ فلكل رجل ذوقه الخاص في الجارية التي يودُّ أن تُسلِّيَه وتُتسِّيه همومه، وعلى الرغم من أنّ الشعراء تغزلوا بجمال جواريههم وقُدودهن وبشرتهن وما إلى ذلك من محاسن، إلا أنّي لم أجد معايير موحّدة تجمع بينهم.

وكان طارق بن زياد أول من أشار لجمالهن بوصفه لهن بالهور الحسان، وعلى الرغم من إشارته لجمال الأندلسيّات اللاتي أصبحن سبايا حرب ثم جوارى لذّة للجند المسلمين وأمّهات لأولادهم، إلا أنّ ابن زياد لم يكن متفرّغاً لهنّ؛ فقد استولت الفتوحات على تفكيره حتى إنه ترك جاريته أم حكيم في الجزيرة الخضراء¹ التي نسبت إليها² فيما بعد، وأظنه لم يتركها لسوء فيها، فالجوارى أداة متعة وتسلية وربّما أدى وجودها إلى إبعاده عن هدفه، لذا أعتقد أنّه ارتأى أن يسمو بنفسه لتحقيق أهداف كبيرة ويستغني عن أم حكيم.

وحذا عبد الرحمن الداخل حذو طارق بن زياد، فردّ جارية أهديت إليه وقال: " إنّ هذه من القلب والعين بمكان، وإن أنا اشتغلت عنها بهمتي فيما أطلبه ظلمتها، وإن اشتغلت بها عمّا أطلبه ظلمت همتي، ولا حاجة لي بها الآن"³، أي أنّ الجهاد والفتح وتدعيم قوائم الدولة كان الشغل الشاغل لفاتحي الأندلس الأوائل ولم تكن الجوارى أو أي أداة متعة وتسلية جزءاً من اهتماماتهم؛ فالجهاد هو همُّهم الأول.

وبعد فتح الأندلس انهالت الغنائم والثروات والسبايا على الفاتحين، فأصبح الترف ظاهرةً من ظواهر المجتمع الأندلسي، وبدأ الأندلسيون يتنافسون في بناء القصور وتزيينها بكل ما يلزم وما لا يلزم، وأضحى اقتناء الجوارى أحد مظاهر الغنى والترف، واستمرت هذه المظاهر وتعمّقت في نفوس الأندلسيين حتى بعد استقرارهم في الأندلس، حتى إنهم أمسوا يغالون في إظهار الغنى والترف، لذا امتلأت قصورهم بأعداد كبيرة من الجوارى.

¹ - الجزيرة الخضراء (Algeciras) : مدينة أندلسيّة، وعلى الرغم من أنّ اسمها جزيرة إلا أنّ ماء البحر لا يحيطها كبقية الجزائر فهي متصلة بأرض الأندلس، ويخترقها نهر يسمى نهر العسل. انظر الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، 539/2-541، ياقوت، معجم البلدان، 136/2، الحميري، الرّوض المعطار، 223.

² - انظر ابن عذاري، البيان المغرب، 30/2، الحميري، الرّوض المعطار، 223.

³ - المقرئ، النّبع، 35/4.

وربما لم يكن الترف الدافع الوحيد وراء اتخاذ الجواري، فربما كان جمالهن واختلاف طبيعتهن من بياض البشرة وشقرة الشعر سبباً في اقتنائهن عند خاصة الأندلسيين وعامتهم، لذا أخذ كل قادر على اقتناء جارية يميل إلى اتخاذها من الشقراوات، وهذا يُفسر شقرة كثير من خلفاء بني مروان في الأندلس¹ فقد مالوا لاتخاذ أمهات أولادهم من الشقراوات، ومن الجدير بالذكر أنه لم تكن جميع الجواري اللاتي اتخذهن الأندلسيون من الشقراوات، فقد اتخذوا الجواري السود للفراش والولد²، كما أنهم قاموا بجلب جوارٍ مشرقيات³.

ولم يُعن الأندلسيون بجمال الجسد فحسب، فقد فتتوا بظرافة الجواري وأدبهن وقدرتهن على امتلاك القلوب؛ فقد سحرت الرُمَيْكِيَّة المُعْتَمَد بِمِلاحة وجهها وحُسن حديثها وحلاوة نواذرها، أما الشفاء فقد فتتت عبد الرحمن بن الحكم كيف لا وهي أكثر نساء عصرها عقلاً ودينياً وفضلاً⁴، كما ملكت صُبْحَ الحِكمِ المُسْتَصِرِّ بِمِجالسها وأدبها ومخزونها من التاريخ والنوادر⁵.

ب- أمهات الأولاد

أما الجواري أمهات الأولاد فأصلهن جواري لندة اتخذن للوطء وولدن من أسيادهن، ويحقُّ للسيد أن يتزوج الجارية بعد إعتاقها وأن يعطيها مهراً، فإذا رفضت الجارية الزواج منه ليس له أن يعيدها لمُلكيته أو يجبرها على الزواج، وأولادها من هذا الوطء أحرارٌ شرعيون، لهم ما لغيرهم من أبناء الحرائر من ميراث وغيره⁶، ويبدو أن الشرع شجّع على نكاحهن فقد قال عليه الصلاة والسلام: "ثلاثة يُؤتَوْنَ أجرهم مرتين: رجلٌ كانت له أمة فأدبها فأحسن أدبها

¹ - انظر ابن حزم، رسائله، 130/1-131.

² - انظر توفيق بن عامر، الحضارة الإسلامية وتجارة الرقيق، 293، نقلاً عن السقطي، أحاديث الحسبة، 48-49.

³ - انظر ابن عذاري، البيان المغربي، 128/2، المقرئ، النفع، 126-123/4.

⁴ - ابن الأبار، التكملة، 241-240/4.

⁵ - انظر ابن بشكوال، الصلة، 694/2، ابن الأبار، التكملة، 247-246/4.

⁶ - انظر أحمد شفيق بك، الرق في الإسلام، 85.

وعلّمها فأحسنَ تعليمها ثم أعتقها وتزوجها، وعبدٌ يُؤدّي حقَّ الله وحقَّ مواليه، ومؤمنٌ من أهل الكتاب" ¹.

وكان إنجاب الولد حلم أي جارية؛ فحصلها على الولد سيضمن استقرارها مع سيد واحد بدلاً من أن يتم تداولها في أسواق النخاسة، كما أن منزلتها ستسمو عند سيدها فقد أضحت أم ولده، والأهم من كل ما سبق أنها ستملك فرصة العتق والزواج بسيدها، وبهذا ستتساوى مع الحرائر بعد أن كانت مجرد جارية.

وربّما كان من السهل على جوارى اللذة بما حظين به من جمال وظرف وثقافة أن يصبحن أمهات أولاد أسيادهن وينلن ميزات أم الولد، فقد كانت منزلتهن تكبر بمجرد تحولهن إلى أمهات أولاد، وتعظم مكانتهن إذا ما أنجبن ولد الخليفة أو الأمير، لذا قمت بتخصيص قسم لهن ولم أدرجهن مع جوارى اللذة، ومن الجدير بالذكر أنني وجدت _ فيما بين يدي من مصادر_ أربعاً وثلاثين أم ولد، ذكرت أسماء اثنتين وثلاثين منهن، ووجدت أن أمهات الأولاد أنجبن تسعة عشر أميراً وخليفة إبان عصر الإمارة والخلافة.

فأم الأمير عبد الرحمن الداخل هي الجارية راح ²، وأم هشام بن عبد الرحمن الداخل هي الجارية حوراء ³، وأم الحكم بن هشام هي زُخرف وهي أم ولد ⁴، وأم عبد الرحمن بن الحكم هي حلاوة، وأم الأمير محمد بن عبد الرحمن تهتز ⁵ التي اعتنت الجارية شفاء بابنها محمد بعد أن توفاه الله ⁶، وأم الأمير المنذر بن محمد هي أثل وهي أم ولد ⁷، وأمهات أولاد عبد

¹ - النسائي، سننه، 115/6.

² - انظر ابن حزم، رسائله، 191/2.

³ - انظر ابن حزم، رسائله، 192/2، عبد الواحد المرآكشي، المعجبة، 107.

⁴ - انظر ابن حزم، رسائله، 192/2، عبد الواحد المرآكشي، المعجبة، 44.

⁵ - انظر ابن حزم، رسائله، 192/2.

⁶ - انظر ابن الأبار، التكملة، 241-240/4.

⁷ - انظر ابن حزم، رسائله، 193/2، عبد الواحد المرآكشي، المعجبة، 52.

الرَّحْمَنُ الْأَوْسَطُ كَثُرَ: فَطَرُوبُ أُمِّ ابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ¹، وَقَجْرُ أُمِّ ابْنِهِ بِشْرٍ²، وَأُمُّ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ هِيَ عِشَارٌ وَهِيَ أُمُّ وَلَدٍ³ وَقِيلَ اسْمُهَا بَهَارٌ أَوْ دَرٌّ⁴، وَأُمُّ الْأَمِيرِ إِيَّانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ هِيَ شَأْنٌ⁵، وَأُمُّ الْخَلِيفَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ هِيَ مُزْنَةُ⁶ الَّتِي عَرَفَتْ بِالْعِرْجَاءِ لَخَلْعِهَا وَهِيَ أُمُّ وَلَدٍ⁷، وَأُمُّ الْخَلِيفَةِ الْحَكَمِ الْمُسْتَنْصِرِ هِيَ مَرْجَانٌ وَهِيَ أُمُّ وَلَدٍ⁸ وَقِيلَ مَهْرَجَانٌ⁹، وَأُمُّ هِشَامِ الْمُؤَيَّدِ هِيَ صُبْحٌ وَهِيَ أُمُّ وَلَدٍ¹⁰، وَيُذَكَّرُ أَنَّ الْحَكَمَ الْمُسْتَنْصِرَ امْتَنَعَ عَنِ التَّعَرُّضِ لِلْوَلَدِ مِنْ غَيْرِهَا¹¹، وَأُمُّ مُحَمَّدِ بْنِ هِشَامِ الْمَهْدِيِّ هِيَ مُزْنَةُ¹²، وَأُمُّ أَخِيهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ هِيَ غَايَةُ¹³، وَأُمُّ سَلِيمَانَ بْنِ الْحَكَمِ الْمُسْتَعِينِ هِيَ ظَبْيَةٌ¹⁴، وَأُمُّ وَلَدِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُسْتَكْفِيِّ هِيَ حَوْرَاءُ¹⁵، وَأُمُّ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدِ الْمَعْتَدِ هِيَ عَاتِبٌ¹⁶.

-
- 1- انظر ابن حبان، المقتبس، 8، ابن الأبار، التكملة، 242/4، العلة السيرة، 114/1، ابن عذاري، البيان المغربي، 92/2، المقرئ، النفع، 150/5.
 - 2 - انظر ابن حبان، المقتبس، 10، ابن الأبار، التكملة، 242/4.
 - 3 - انظر ابن حزم، رسائله، 193/2، عبد الواحد المرآكشي، المعجب، 53.
 - 4 - انظر عبد الواحد المرآكشي، المعجب، 53.
 - 5 - انظر ابن عذاري، البيان المغربي، 226/2.
 - 6 - انظر ابن حزم، رسائله، 192/2، عبد الواحد المرآكشي، المعجب، 88.
 - 7 - انظر الحميدي، جذوة المقتبس، 40، ابن عذاري، البيان المغربي، 50/3.
 - 8 - انظر ابن حزم، رسائله، 194/2، عبد الواحد المرآكشي، المعجب، 59.
 - 9 - انظر ابن عذاري، البيان المغربي، 233/2.
 - 10 - انظر ابن حزم، رسائله، 196/2، عبد الواحد المرآكشي، المعجب، 72، ابن عذاري، البيان المغربي، 377/2.
 - 11 - انظر ابن حزم، رسائله، 91-92 / 1.
 - 12 - انظر ابن حزم، رسائله، 197/2، عبد الواحد المرآكشي، المعجب، 54.
 - 13 - انظر عبد الواحد المرآكشي، المعجب، 105.
 - 14 - انظر ابن حزم، رسائله، 198/2.
 - 15 - انظر ابن حزم، رسائله، 202 / 2، عبد الواحد المرآكشي، المعجب، 43.
 - 16 - انظر ابن حزم، رسائله، 202/2، عبد الواحد المرآكشي، المعجب، 109، ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 314-316.

أما العصور اللاحقة فلم يذكر المؤرخون الكثير من أمهات الأولاد ولكن كان من أبرزهن العبادية محظية المعتضد¹، والرُمَيْكِيَّة محظية المُعْتَمَد²، كما ظهرت أمهات أولاد إسماعيل بن فرج الأحمر³ وهنّ بهار وعلوة وقمر⁴، ولمع نجم أمهات أولاد أبي الحجاج بن نصر⁵ وهنّ مريم وبُئِيَّة⁶.

كما حفظ المؤرخون أسماء جميع أمهات أولاد الأمراء والخلفاء، أما أمهات أولاد الخاصة والعامة فقد أهمل ذكر أسمائهن، إلا أنني وجدت بعضهن ومنهنّ: بنت سكري

¹ - انظر المقرئ، النفع، 58/6.

² - ابن الأثير، العلة السيرة، 62/2، ابن سعيد، المغرب، 390/1، المقرئ، النفع، 347/5، الحسيني الموسوي، نزهة الجليس، 411/1.

³ - هو أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر بن الأحمر، صاحب كتاب نثير فرائد الجمال. انظر ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 389/1، اللّمة البحرية، 126-129.

⁴ - انظر ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 398-403/1.

⁵ - هو يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر بن الأحمر، كني بأبي الحجاج كما عُرف بأمير المسلمين على عادة سلاطين بني نصر، كان ملكاً وسيماً مهيباً كلف بالمباني والأثواب وجمع الحلي والذخيرة، وكان يهتم بمظهرة ويُفضّل الناس حسب مظاهرهم وجمال هيئتهم وعقلهم، بايعه الناس سنة 734هـ بعد أخيه، مال إلى الهدنة فلما اشتد عليه الأعداء نازلهم ووقف أمام هجماتهم، توفي سنة 755هـ بعد طعنة من رجل في أثناء أدائه صلاة عيد الفطر. انظر ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 318-333/4، اللّمة البحرية، 102-112، كناسة الدكان، 22-24.

⁶ - انظر ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 163/1، نفاضة الجراب، 13-14.

المورورية¹ أم ولادة بنت المستكفي²، و أم ولد سعيد الخير بن الحكم³ وهي مُنتَهى المُنَى⁴، وعابدة المدنيّة أم بشر بن حبيب⁵ وكانت جارية سوداء⁶، كما أن يحيى بن حُرَيْث⁷ كان ابناً لجارية سوداء⁸، ومن الجدير بالذكر أني وجدت أم ولد قبيحة؛ فقد كانت الجارية خَلَّة جارية

¹ - مَوْرور (Moron de la Frontera): مدينة أندلسيّة، كور مَوْرور متصلة بأحواز قرمونة، وهي في الغرب والجوف من كورة شذونة، وأحوازاها متصلة بأحوازاها، وهي من قرطبة بين القبلة والمغرب، وكانت كورة مورور رابع كورة يبايع أهلها الداخل بعد إشبيلية وريّة وشذونة، وذلك سنة 138هـ، ذكرها ياقوت بالزاي أي موزور. انظر ياقوت، مَعَجَم البُلْدَان، 222/5، الحِمِيرِي، الرُّوض المِعْطَار، 564.

² - انظر ابن سَعِيد، المَغْرِبِي، 55/1.

³ - هو أبو عثمان سعيد الخير بن الأمير الحكم، سيد جوار كأخيه الأمير عبد الرَّحْمَن بن الحكم وأقرب أهله إلى نفسه، حباه الأمير برعايته وحمايته وقرّبه إلى مجلسه فصار نديمه ورفيقه في الغزو والصيد، بعد مقتل جواريه وفقدانه بيته عوّضه الأمير عبد الرَّحْمَن بمال كثير يعيد به بناء بيته، وأعطاه عن كل جارية ماتت جاريتين؛ فقد أرسل إليه ثمانياً وعشرين جارية، توفي سنة 240هـ. انظر ابن حَيَّان، المَقْتَبَس، 91-92.

⁴ - انظر ابن حَيَّان، المَقْتَبَس، 92.

⁵ - هو بشر بن حبيب بن الوليد المرواني يُعرف بالحبيبي، روى الحديث الشريف، وبعد خروجه من سجن عبد الرَّحْمَن الأوسط رحل إلى المشرق ثم رجع إلى الأندلس بعلم كثير. انظر ابن حَيَّان، المَقْتَبَس، 95-96، الإِسْتَجِي، سمط الجمان، 114، ابن الأَبَّار، التَّكْمِلَة، 182/1، ابن سَعِيد، المَغْرِبِي، 62/1، المَقْرِي، النَّفْع، 251/3، 123/4.

⁶ - انظر ابن حَيَّان، المَقْتَبَس، 96، ابن الأَبَّار، التَّكْمِلَة، 240/4، المَقْرِي، النَّفْع، 123/4.

⁷ - هو يحيى بن حُرَيْث الجذامي، من أهل الأردن، دعا إلى نفسه سنة 129هـ فظفر بكورة ريّه وبها سكن أهل الأردن، وعندما عزله يوسف الفهري عن ريّة تحالف مع أبي الخطّار فانضمت إليه قبيلة حمير وكندة ومذحج وقضاة، أما مُضَر وربيعة فمالت ليوسف الفهري، ولما التقى الجمعان انهزم يحيى بن حُرَيْث ورفيقه وقُتلا في سوق قُرْطُبة سنة 131هـ. انظر مجهول، أخبار مجموعة، 58-61، ابن عِدَارِي، البيان المَغْرِبِي، 35-37.

⁸ - انظر مجهول، أخبار مجموعة، 57.

قبيحة أهداها يوسف الفهري لمعاوية بن صالح¹، وكانت خلة قبيحة وكان لها خادمة جميلة اسمها سعاد، فكان الناس يقولون: "شتان ما بين خلة وسعاد"².

ج- جوارى الخدمة

جوارى الخدمة: هنّ الجوارى اللاتي قمن بالأعمال المنزلية أو عملن لصالح أسيادهن، ولم يحظين بجمال جسدي أو بنصيب من الثقافة، وربما حظين بالجمال دون الثقافة أو الثقافة دون الجمال، وربما حظين بكليهما إلاّ أنهنّ لم ينلن إعجاب سيدهن لانشغاله بجوارٍ آخر، وربما لم ينلن فرصة لقائه لكثرة ما ملكته يمينه من الجوارى، فلم يتمكنّ من أن يُصبحن محظيات لأسيادهن.

ولم أجد الكثير عن ميّزات جوارى الخدمة أو صفاتهنّ، وكل ما وجدته كان مجرد قصص ذُكرن فيها بإيجاز وبدون اهتمام بشخص الجارية أو حتى اسمها، ولم أجد غير أربع جوارى خدمة ذُكر اسم واحدة منهن وبقيت الثلاث الأخريات دون اسم، وتُظهر هذه القصص جوارى الخدمة وهن يعملن في الأعمال المنزلية، كجارية القاضي أبي العباس المرواني³ التي

¹ - هو معاوية بن صالح الحضرمي، دخل الأندلس سنة 123هـ قبل دخول عبد الرحمن الداخل، عاش في مالقة وبنى فيها مسجداً نسب إليه ثم انتقل إلى إشبيلية، وبعد دخول عبد الرحمن الأندلس ولاه قضاء قرطبة، وكان يرافقه في غزواته ويحيي الليل معه بالصلاة، روى عن الإمام مالك بن أنس، ثم عزله الداخل في آخر أيامه بعد أن عمل في القضاء اثنتين وثلاثين سنة، توفي في قرطبة سنة 158هـ. انظر الخشني، قضاة قرطبة، 50-58، الحميدي، جذوة المقتبس، 540/2، الضبي، بغية الملتبس، 458-461، عبد الواحد المرآكشي، 647، المعجب، 41-42، ابن سعيد، المغرب، 102/1-103، النباهي، تأريخ قضاة الأندلس، 43.

² - انظر الخشني، قضاة قرطبة، 57، ابن الأبار، التكملة، 238/4.

³ - هو أبو العباس إبراهيم بن العباس بن عيسى بن عمر المرواني من أهل قرطبة، استقضاه الأمير عبد الرحمن بن الحكم على قرطبة، وكان رجلاً عاقلاً صالحاً عالماً، وقاضياً عادلاً متواضعاً. انظر الخشني، قضاة قرطبة، 116-117، ابن حيّان، المقتبس، 58-59، ابن الأبار، التكملة، 114/1-115، ابن سعيد، المغرب، 148-149.

كانت تتسج في زاوية بيته أثناء نظره في قضايا الناس¹، وكجارية أبي جعفر بن سعيد² وهي تقول لامرأة كانت بالبواب: ما تريدين؟ فطلبت المرأة منها أن توصل رقعة إلى سيدها³.

ولم يقدم الخبران السابقان أي تفاصيل عن جوارى الخدمة غير أن إحداهما تتسج في زاوية البيت والأخرى تردّ على ضارب باب البيت، ولم يُعر الراوي اهتماماً لهاتين الجاريتين حتى إنه لم يذكر اسميهما، وربما لم يذكر شيئاً عنهما لأنه رأى أن وجودهما وعملهما حدث اعتيادي يتكرر في الكثير من البيوت الأندلسية، أو لأن منزلة جوارى الخدمة وعملهن أدنى من أن يُذكر عنهن شيء.

إلا أنني وجدت خبراً ذكر تفاصيل أكثر عن جارية خدمة، ألا وهي زاد المال جارية ابن قزمان⁴، ويتلخص الخبر في أن زاد المال جارية سوداء أخبرت سيدها عن زائر وصل ليلاً فأمرها أن تقول للزائر إنه نائم، وعندما سمع أن الزائر اسمه الذهب، قفز من فراشه وهو يسبها و يسب قنوّ⁵ التي أنجبتها ويتهما بالكذب⁶.

1 - انظر ابن حيّان، المُقتبس، 59.

2 - هو أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن سعيد العنسي، هام في حب حفصة الركونية وكان له معها وفيها شعر كثير، استكتبه أبو سعيد بن عبد المؤمن ملك غرناطة _ أيام عهد الطوائف _ ثم قتله بسبب حفصة؛ فقد كان يهواها هو الآخر. انظر ابن سعيد، المغرب، 138/2، المقرّي، النَّفَع، 317/5-318.

3 - المقرّي، النَّفَع، 316/5.

4 - هو أبو بكر محمد بن عيسى بن عبد الملك بن عيسى بن قزمان الأصغر، إمام الزجالين بالأندلس، أديب بارع، قيل إنه نظم الشعر المُعرب وعندما رأى تخلفه عن معاصريه عمد إلى طريقة جديدة فصار إمام الزجل المنظوم بكلام عامة أهل الأندلس توفي سنة 555هـ. انظر ابن سعيد، المغرب، 100/1-101/1، 167/1-176، المقرّي، النَّفَع، 172/5-173.

5 - قنوّ: قناوة أي غينيا. انظر ابن قزمان، الديوان، (الهامش) 579.

6 - انظر الديوان، 576-580.

ولم يذكر الشاعر الشيء الكثير عن جاريتته، غير أنها سوداء و اسمها زاد المال وأنها من قنوة، كما وصفها في إحدى أراجيزه وهي تعمل في الصوف وتنظفه، ثم تُخبره بحضور شخص يحمل الخوخ والرمان فقال: ¹

يا أمورَ الزمانِ وشغلَ البالِ	لم نَفَكَّرَ في الحرِّ وقتاً زال
حتى رَيتَ الخُدَيْمَةَ زادَ المالِ	تَبَسُّطَ الصوفِ وتَنزَعِ الطَّيْبِريِّ ²
سأقتُ المَيْدَةَ سأقتُ القنديلِ	وهي تجعلُ من المثلثِ ³ قَلِيلِ
حتى قالت لي سيدي جا الوكيلِ	بخويضاتِ ورماناً سَافِري

ويتضح حال جوارى الخدمة في أرجوزة الشاعر أبي عبد الله بن مسعود⁴ التي خاطب بها الوزير ابن بقنة⁵، وقد نظمها على لسان جاريتته وهي تشكو زمانها وتبكي سوء حالها، وتخيرت بعض أجزائها التي وصفت حال الجارية وما آل إليه عيشها: ⁶

وكنتُ أرجو مَعَةَ للرَّاحَةِ	إذ لم يُقَزِ بطائلِ المَلَاخَةِ
إذا به أدخاني في شُغْلِ	لَفَرَطِ الإلِمامِ بِسوقِ الغَزْلِ
وقال لي إن كنتِ تهوينِ التَّحَفَ ⁷	والأكلِ والشربِ وحلَّةِ الطُّرْفِ
فانتبهي وحكّمي الأصابعِ	واطرحي عن نفسكِ المطامِعِ

¹ - الديوان، 134.

² - الطيبري: لم أجد معناها.

³ - المثلث: اسم لألوان شتى في طعامهم، الديوان (الهامش) 135.

⁴ - هو أبو عبد الله محمد بن مسعود القرطبي، كان شاعراً ظريفاً، كثير الهزل في نظمه ونثره، من مشهوري شعراء المائة الخامسة للهجرة. انظر ابن بسّام، الكخيرة، ق 1 م 549/1، ابن سعيد، المغرب، 134/1.

⁵ - ابن بقنة: ربّما قرئت ابن بقية، وقد ورد هذا الاسم عند الحديث عن الهدية التي أهداها ابن شهيد إلى عبد الرحمن الناصر، وربّما كان ابن بقنة ابنه أو حفيده. انظر ابن بسّام، الكخيرة (الهامش)، ق 1 م 552/1.

⁶ - ابن بسّام، الكخيرة، ق 1 م 553-554.

⁷ - تحف: زوق، جمل زين. دوزي، تحفة المعاجم العربية، مادة (تحف) 25/2.

ولم أكن عند فقيرٍ فاجرٍ
 فربّما حازَ نفسَ المجدِ
 خُطّةَ خَسفِ بسؤالِ النَّاسِ
 فما له عند البرايا قَدْرُ
 أعجزُ في البيتِ من الضُّرَيْسِ¹
 إذا بدا في كُسوةِ الغرُنُوقِ²
 مُداوِلاً عصاهُ في كَفَيْهِ
 مُنكَمِشاً في طلعةِ الصِّيادِ
 ومرةً يمشي وعَشراً يَقعُ
 قد طرَحَتْ حولَ مكانِ النارِ
 لم يَكُ فيها قطُّ غيرُ البقلِ
 أُودِعَ فيه في الدُّجى مغزلي
 كأننا من أعبادِ العَبّادِ
 وتوقنا أيضاً إلى منديلِ
 بلا دَقِيقٍ يُرتجى وزيتِ
 إن كان عندي من ثيابِ الأرضِ
 فبنتُ قبلَ الليلِ منه طالقهُ
 أنني حُبلى مُقربٌ بنطفهُ
 لكي يحوزَ قُرّةَ العينينِ

ألا وهبَّتِي لِشخصٍ تاجرٍ
 أو ليتتني كنتُ لبعضِ الجُنْدِ
 يَ ضربُ بالسيفِ ولا يُقاسي
 قد كَسَدَتْ آدابُهُ والشَّعرُ
 ألحنُ في أشعارِهِ من تيسِ
 ولو تراه سائراً للسوقِ
 مُشمرّاً في الطّينِ عن ساقِيهِ
 يأخذُ في التعييرِ والإزهادِ³
 فمرةً يُعطى وألفاً يُمنعُ
 قطعاً لبُني دارسِ الآثارِ
 إلى قُذورٍ هي أقصى عَقْلِ
 وقُدسٍ⁴ مُعلّقٍ مُقابلي
 وطوبى⁵ بموضعِ الرُّقادِ
 يا شوقنا فيه إلى قنديلِ
 هذا جميعُ كلِّ ما في البيتِ
 وقد شكّا منه لبعضِ بعضي
 غيرُ الذي كَسوتني بمالقهُ
 لا سيّما زيادةً في التَّحقُّة
 وربّما جئتُ له باثنينِ

1 - الضُّرَيْسِ: اسم طير. دوزي، تكملة المعاجم العربيّة، مادة (ضرس) 68/6.

2 - الغرُنُوق: هكذا ينطقها أهل الغرب وهذه الكلمة تعني كُرْكِي... والغرُنُوق والغرُنُوق طائر أبيض من طير الماء. دوزي، تكملة المعاجم العربيّة، مادة (غرنق) 402/7.

3 - يعتقد إحسان عباس أن الصواب هو " يأخذ في التعثير والإرعاد أي يعثر في مشيه ويضطرب مهتراً حتى يستدرّ عطف المحسنين، لما يرون من عجزه". ابن بسّام، الخَخيرَة، (الهامش) ق 1 م 554/1

4 - قُدسٍ: ضبطها دوزي قُدسٍ: وهو أنبوب ماء. دوزي، تكملة المعاجم العربيّة، مادة (قدس) 197/8.

5 - طوبى: طوب واحدته طوبى: لبن صلب جاف، طوب (معناها الأصلي آجر) تين جاف كبس بشكل كتلة مربعة، وهذه الكتل تشبه الآجر. دوزي، تكملة المعاجم العربيّة، مادة (طوب) 86/7.

أشارت الأبيات السابقة إلى ما تعانيه هذه الجارية من قلة ما في اليد، ومن بخل سيدها وما تعيشه معه من فقر وبؤس، حتى إنها لا تملك ثياباً غير التي جاءت بها من مألقة¹ إليه، ويبدو أن سيدها لم يكتف بتشغيلها في سوق الغزل بل إنها حبلت ولزيادة الطين بلة قد تكون حبلت باثنين.

قد تكون أرجوزة ابن مسعود صورة حية عن حياة إحدى جوارى الخدمة، أو أنها مجرد وسيلة مبتكرة للاستجداء²، إلا أنني أرجح أنها حفظت معلومة هامة عن جوارى الخدمة؛ فهن جوارى خدمة ولذة وقد يصبحن أمهات أولاد، ذلك أن جارية ابن مسعود عملت في سوق النسيج كما أنها تنتظر مولودها كي تصبح أم ولد سيدها، وربما يُعطي السادة الجارية أكثر من مهمة في بيوتهم ويُصبحن جوارى لذة إذا ما نلن إعجاب السيد، أو أن السيد يضطر إلى جمع مهام جوارى عدة في جارية واحدة لأنه غير قادر على شراء أكثر من جارية.

وتُصبح جارية اللذة جارية خدمة إذا ما غضب عليها سيدها؛ فقد بيعت جارية جميلة في تركة سيدها إثر وفاته، ولما أراد سيدها الجديد ضمها إلى فراشه رفضت رغم تعذيبه وضربه الشديد لها³، ورضيت بالخدمة والتنازل عن حياة جوارى اللذة المنعمة في بيت سيدها الجديد وفاءً لسيدها القديم.

¹ - مألقة (Malaga): مدينة أندلسية على شاطئ البحر من أعمال رية، ومن مألقة إلى أرشدونة ثمانية وعشرون ميلاً. انظر الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، 565/2، 570، الزهري، الجغرافية، 93-94، ياقوت، معجم البلدان، 43/5، الحميري، الروض المعطار، 517-518.

² - انظر حسن أحمد النوش، التصوير الفني للحياة الاجتماعية في الشعر الأندلسي، 349.

³ - انظر ابن حزم، رسائله، 208/1.

ولم تكن حياة كلِّ جوارى الخدمة جحيماً بسبب الفقر وسوء المعاملة فقط؛ فجوارى عبد الملك بن زيادة الله¹ عشن جحيماً آخر تمثل في بخل سيدهن وتقديره عليهن مما دفعهن إلى خنقه في النهاية، وقيل إنه كان يترك أهل داره يأكلن الخبز بلا إدام، فإذا طلبن الإدام قال: " هذه عادة سوء"²، وأعتقد أن ابن زيادة الله كان بخيلاً حقاً لأنه غني؛ فهو لم يملك جارية واحدة وإنما مجموعة جوار.

ولم يقتصر عمل جوارى الخدمة على الأعمال الصعبة؛ فقامت بعضهن بتربية أولاد أسيادهن وتعليمهم؛ وحظيت هؤلاء الجوارى بنصيب وافر من العلم والثقافة، وكنّ ملكاً للأسر المترفة؛ فقد قامت الجوارى بتعليم ابن حزم _ وهو من عائلة غنية _ القرآن والشعر ودرّبته على الخط³، ويبدو أنه لم يكن الأندلسي الوحيد الذي ربّته وعلمته الجوارى، وأن اتخذهن لتعليم الأولاد كان ظاهرة موجودة في المجتمع الأندلسي، أو على الأقل ظاهرة سادت بين الأثرياء القادرين على دفع أثمان جوارٍ متعلمات لهنّ القدرة على تعليم القرآن والشعر والخط، وأرجّح أن العائلات الغنية التي تكبدت عناء إحضار الجوارى اختارت جوارى مميّزات عن غيرهن؛ فهنّ بحاجة إلى جوارٍ وقورات يُعلّمن أولادهم الأخلاق إلى جانب العلوم التي قمن بتدريسها.

ومن المؤسف أن مصادر التراث الأندلسي لم تذكر الشيء الكثير عن جوارى الخدمة، و أرجّح أنه لم توجد معايير لانتقاء هؤلاء الجوارى، ومع أن المنطق يفرض أنهنّ من الجوارى اللاتي لم يوهبن الكثير من الجمال أو الثقافة، إلا أن ما جاء عن جارية ابن مسعود ينفي ارتباط الخدمة بانعدام الجمال أو الثقافة، ويبدو أن الحظ هو المعيار الوحيد في عمل الجوارى في الخدمة؛ فقد ينزلن عند سيد يرفع شأنهنّ ويكرمهنّ، وقد يُلقى بهنّ عند سيد بخيل أو مستغلٍ يقوم باستغلالهنّ وتشغيلهنّ في أكثر من مجال.

¹ - هو أبو مروان عبد الملك بن زيادة الله ابن أبي مضر الطُّبْنِيّ، شاعر أديب ولغوي وإمام في علم الحديث، من بيت معروف بالشعر والأدب، رحل إلى المشرق وسمع من محدثي مصر والحجاز، وقتل بقرطبة سنة 457هـ. انظر الحميدي، جَذْوَةُ الْمُقْتَبِسِ، 449/2-450، ابن خاقان، مطمع الأنفس، 268، ابن بسّام، الذّخيرة، ق 1 م 535-540، الضبّي، بُغْيَةُ الْمُلتَمَسِ، 378-379، ابن سَعِيدِ، المغرب، 92/1-93، المقرّي، النَّفْحُ، 274/9-275.

² - انظر ابن بسّام، الذّخيرة، ق 1 م 537/1، ابن سَعِيدِ، المغرب، 92/1-93.

³ - انظر ابن حَزْمِ، رسائله، 166/1.

وعلينا ألا ننسى أن جوارى الخدمة لم يكن حِكراً على سكان القصور فحسب فقد عملن في خدمة العامة أيضاً، كما كُنَّ من الجوارى السوداوات وغيرهن، ولم يكن هناك قاعدة لاتخاذهنَّ من السوداوات دون البيض، ولاحظت أنه لم يُذكر أيّ شيء عن مدى إتقان هؤلاء الجوارى للغة العربيّة، أو ماذا سيحل بإحداهنَّ إن لم تُجد العربيّة أو تتحدثها، هل ستتضم إلى جوارى الخدمة أم جوارى اللذة؟ وماذا سيكون حالها إن كانت جميلة ولم تتحدّث العربيّة؟ هل ستتضم إلى جوارى اللذة أم تتبع جوارى الخدمة؟ ولم أجد في المصادر الأندلسيّة أيّ شيء حول هذه القضية، إلا أنني أرجح أن أيّ جارية لا تتحدّث العربيّة ولا تتمتع بالجمال المطلوب ستقوم بخدمة سيدها، أما إن كانت جميلة ولا تتحدّث العربيّة فستتضم إلى جوارى اللذة.

3- انتشار الجوارى في الأندلس

دخلت الجوارى الأندلس سبايا حرب و بضاعة يتاجر بها الأندلسيون وغيرهم من التّجار المشاركة والأوروبيين في الأندلس، وبدأ تدفّق الجوارى على الأندلس منذ أيام الفتح الأولى مروراً بغزوات الأندلسيين لزيادة رقعة الدولة الإسلاميّة وتأييد المعتدين على الثغور وانتهاءً بجهاد المسلمين لاسترداد مدنهم التي سقطت في يد الإسبان.

وأظنّ أن عدد الجوارى الوافدات إلى الأندلس عن طريق الحرب كان متذبذباً، فقد اعتمد على قوة القادة الأندلسيين ورغبتهم في حماية الثغور؛ فإن كان حاكم الأندلس قائداً قوياً يسعى لمصالح الأمة و نشر الإسلام أو استرجاع مدنه السليبية فسوف يُعدّ جيوشه ويخرج للجهاد ويظفر بالغنائم التي تشكّل الجوارى جزءاً كبيراً منها؛ فقد نال طارق بن زياد العديد من السبايا أيام الفتح الأولى¹، كما سبى عبد الرحمن الناصر ثلاثمائة رأس ونيّف إثر غزوته على أرض

¹ - انظر عبد الواحد المرّاكشي، المُعْجِب، 83-84، ابن الأَبّار، العُلّة السِّيراء، 334/2، المقري، النّفح، 243/1.

جَلِيْقِيَّة¹ سنة 340 هـ² فما بالك بغزواته كلِّها؟، أما المنصور فملاً الأندلس بالسَّبي من بنات الروم، حتى إنه نودي على ابنة عظيم من عظماء الروم بقرطبة فلم تساو أكثر من عشرين ديناراً³، وعندما استرجع ابن هود⁴ بربشتَر⁵ غنمَ فيها غنائم كثيرة ومن ضمنها ألف وخمسمائة سبية⁶ وقيل خمسة آلاف⁷، ولم يتوقف الأندلسيون عن الجهاد والفوز بالغانم والسبي حتى

1 - جَلِيْقِيَّة (Galicia): بلاد تقع شمال غرب الأندلس، وهي بلاد لا يطيب سُكناها لغير أهلها، ويغلب على أرضها الرَّمْل، وتنتهي أحواز الجليقيين في الجوف إلى البحر المحيط، وفي القبلة إلى أحواز مدينة طلسونة، وقاعدتهم مدينة أقش. انظر الزهري، الجغرافية، 228، ياقوت، مُعجَم البلدان، 157/2، الحميري، الرُّوض المِعطار، 169.

2- انظر ابن عَدَّار، البيانُ المُغربي، 217/2.

3- انظر عبد الواحد المرآكشي، المُعجِب، 84.

4 - هو أبو جعفر أحمد بن سليمان بن هود الجذامي المنقب بالمقتدر بالله، ولاه أبوه ابن هود على سرقسطة، فطمع في حصة إخوته الأربعة وكاد لهم ولجأ إلى الروم في بعض مكائده حتى استولى على ولاياتهم، كانت له حروب كثيرة مع الروم، أُصيب بعلّة في جسده أذهبت حسّه وعقله وقيل: إنه أضحى ينبح كنباح الكلاب لدعوة رجل صالح عليه، وتوفي سنة 475هـ. انظر ابن عَدَّار، البيانُ المُغربي، 222/3-229.

5 - بَرَبَشْتَر أو بَرَبَشْتَر (Barbastro) مدينة أندلسية من أعمال بَرَبَانِيَّة، وتقع في شرق الأندلس، بينها وبين قرطبة ثمانون ميلاً، دخلها الروم سنة 456هـ فنكّلوا بأهلها وحملوا سبعة آلاف بكر من بنات بَرَبَشْتَر في جملة الهدايا لإمبراطور القسطنطينية، ثم استعادها المسلمون في إمارة أحمد بن سليمان بن هود سنة 457هـ. انظر ياقوت، مُعجَم البلدان، 370/1، الحميري، الرُّوض المِعطار، 90-91.

6- انظر ابن عَدَّار، البيانُ المُغربي، 3-227.

7 - انظر البكري، المسالك والممالك، 95.

اللحظة الأخيرة من أيامهم في الأندلس، فقد ظفر أبو الوليد بن الأحمر¹ بسبعة آلاف نفس بالإضافة إلى عشرات قناطير الذهب والفضة².

كما اعتمد كمّ الجوّاري الوافدة إلى الأندلس على التجارة؛ فقد كانت تجارة الجوّاري منهلاً لا ينضب، كيف لا وطُرق تجارة الرقيق لا تتوقف إلى الأندلس وعبرها: كطريقها مع المشرق لجلب الجوّاري المتفقات والجوّاري السوداوات، ونحو طريق أوروبا الذي يخترق ألمانيا مروراً بالأندلس حتى يصل موانئ إيطاليا وفرنسا فالشرق³، وكطريق التجار البيزنطيين الذين كانوا يغزون شواطئ البحر الأسود كي يبيعوا الأسرى الذين اختطفوهم من على شواطئه⁴، بالإضافة إلى أن الأندلس كانت سوقاً للرقيق الإسباني الذي اختطفه القراصنة الإسبان وباعوه للأندلسيين⁵.

¹ - هو الغالب بالله أبو الوليد إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر المعروف بابن الأحمر، خامس سلاطين دولة بني نصر، بويغ سنة 713هـ، حارب الطاغية دون بطرّه بعد أن ألّب ملوك النصارى عليه وجمع له سنة 719هـ، فاستعان الغالب بالله بأبي سعيد المريني وهزموا النصارى وقتلّوهم، وأسروا الكثير منهم، واستمرّ البيع في الأسرى والدّواب ستة أشهر، قُتل الغالب بالله على يد ابن عم له سنة 725هـ. انظر المقرّي، النّفع، 428/1-431.

² - انظر النّاصري، الاستقما لأخبار دول المغرب الأقصى، م 1 ج 3، 109، المقرّي، النّفع، 430/1.

³ - انظر آدم متر، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، 300، ليفي بروفنسال، الحضارة العربيّة في إسبانيا، 53.

⁴ - انظر عمر الدقاق، ملامع الشعر الأندلسي، 45.

⁵ - انظر أحمد أمين، ظمّر الإسلام، 6/3.

الباب الأول

الجواري في الحياة

الأندلسية

الفصل الأول: الجواري في الحياة الاجتماعية

الفصل الثاني: الجواري في الحياة الثقافية

الفصل الثالث: الجواري في الحياة السياسية

الفصل الرابع: الجواري في الحياة الاقتصادية

الفصل الأول

الجواري

في

الحياة الاجتماعية

كان عدد الجوّاري في الأندلس كبيراً، وعلى الرغم من أنّ الجوّاري لم يدخلن كل بيت من بيوت الأندلس _ لأن أسعارهن لم تكن في متناول الجميع _ إلا أنّ أعدادهنّ في القصور وبيوت الخاصة كانت كبيرةً على مرّ العصور، وقد وجدت مائتين وعشرين جارية، ذُكرت أسماء تسع وتسعين جارية، بينما بقيت مائة وواحدة وعشرون منهنّ مجهولة الاسم، باستثناء وصف قليل لبعضهن كقولهم: مغنية أو ساقية أو راقصة أو أم فلان أو جارية سوداء، أو كنسبتهنّ لقومهنّ أو منطقتهنّ أو بلدهنّ كقولهم جارية رومية أو مشرقية أو عراقية، ومن الجدير بالذكر أنّي ألفت بينهنّ سبعاً وأربعين جارية وُصِفْنَ بأنهنّ أجذن الغناء ذكر اسم خمس وعشرين منهن، كما وجدت تسع ساقيات وخمسة وعشرين راقصة ذكر اسم ساقية وراقصة فقط، وألفت خمس جوار وُصِفْنَ بأنهن جوار سوداوات، وجاريتين وُصِفتا بالبشكنسيات¹، وثلاث روميّات، وخمس مدنيّات وعراقيّتين، ووجدت جاريتين من العُدوة، وجاريتين وُصِفتا بالمشرقيّتين دون تحديد لبلدهنّ.

1- حرية الجوّاري

تمتعت الجوّاري بحرية كبيرة مدّهنّ بها المجتمع الأندلسي من جهة وجلبن بعضها معهنّ من بيئتهن، فهنّ لم يبقين حبيسات القصور والبيوت بل خرجن منها وتمتعن بحرية الحركة والتصرّف؛ فجبّ الأسواق وخبرنها، فالرّمادي² التقى الجارية التي هام بها عند باب

1 - البشكنس: أمة مستقلة بنفسها، تسكن على أبواب فرنسا و حدود نباريه حتى اليوم، لهم لغتهم الخاصة بهم وهي لغة الباشكونس التي لازال بعضهم يتحدثون بها، ويتحدث بعض البشكنس الإسبانية أو الفرنسية، وهم قوم أشداء جليون، تغلب عليهم السمرة إلا من كانوا في أعالي الجبال، فيغلب عليهم اللون الأشقر. انظر شكيب أرسلان، اللؤلؤ السندسية، 321/1-328.

2 - هو أبو عمر يوسف بن هارون الرّمادي الكندي المعروف بأبي جنيش، شاعر غزير الشعر سريع القول، من شعراء الحكم المُستتصِر غير أنه غادره إلى شنترين إثر خلاف بينهما ثم عاد إلى قرطبة في عهد المنصور فنال منه حظوة لم تدم طويلاً، توفي سنة 403هـ. انظر الحميدي، جذوة المُقتبس، 589/2، ابن بشكوال، الصلة 674/2، الضبي، بُغية المُلتَمس، 493-496، ابن خاقان، مطمع الأنفس، 311-312، ابن دحية، المطرِب، 3، ابن خلكان، وَهيات الأعيان، 225/7، ابن سعيد، المغرب، 392 /1، المقرئ، النَّفح، 182/5-185.

الطارين بقرطبة ولم ينسها أبداً¹، كما أنهنّ تحدثن مع أي غريب لا يجمعهنّ به صلة، فعندما مرّ بعض أهل المرية² في وادي إشبيلية³ على طاقة من طاقات شنتبوس⁴ قام أحدهم يغني:⁵

خَلَّينِ مَنْ وَاذْ وَمَنْ قَوَارِبُ وَمَنْ نَزَاهَا فِي شَنْتَبُوسُ
غَرَسَ الْحَبَقُ⁶ الَّذِي فِي دَارِي أَحَبُّ عِنْدِي مِنَ الْعُرُوسِ⁷

فأخرجت جارية رأسها وسألته: من أي بلد أنت يا من غنى؟ فقال: من المرية، فقالت: وما أعجبك في بلدك حتى تفضله على وادي إشبيلية وهو بوجه مالح وفقاً أحرش؟⁸

وتضمّنت حرية الجارية مراسلة من تحب⁹ والجلوس مع من تهوى، وذكر ابن حزم في "طوق الحمامة" الكثير من المجالس التي ضمّت جواري جالسن من يُحببن، وقد تكون هذه

¹ - انظر ابن حزم، رسائله، 120/1-121.

² - المرية (Almeria): مدينة كبيرة من كورة البيرة، والمرية في ذاتها جبلان بينهما خندق معمور وتطل على البحر لذا كانت المرية من أهم موانئ الأندلس، بُنيت سنة 344هـ - بأمر الخليفة عبد الرحمن الناصر. انظر الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، 562/2-567، الزهري، الجغرافية، 101-102، ياقوت، معجم البلدان، 119/5، الحميري، الرّوض المعطار، 537-538.

³ - إشبيلية (Sevilla): مدينة كبيرة عامرة، بينها وبين قرطبة ثمانون ميلاً، ويطل عليها جبل الشرف، وهي على شاطئ نهر عظيم يقال له وادي الكبير، أُطلق عليها اسم "حمص"، لأنه عندما دخل جند من جنود حمص إلى الأندلس سكنوا فيها فسُميت بهم. انظر الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، 539/2، الزهري، الجغرافية، 88-89، ياقوت، معجم البلدان، 192/1، القزويني، آثار البلاد، 497، الحميري، الرّوض المعطار، 58-60.

⁴ - شنتبوس: منارة على نهر إشبيلية. انظر المقرئ، النّفع، 348/4.

⁵ - انظر المقرئ، النّفع، 348/4.

⁶ - الحبق والحبق: بكسر الباء والحباق الضراط. ابن منظور، لسان العرب، مادة (حبق) 37/10.

⁷ - العروس: منتزه، المقرئ، النّفع، 146/3.

⁸ - المقرئ، النّفع، 348/4.

⁹ - انظر ابن حزم، رسائله، 214/1.

المجالس مجرد لقاءات بريئة مليئة بالعواطف العذرية ومشاعر الحب؛ كمجلس فتى وجارية اجتماعاً يتحدثان وفي يد الفتى سكين يقطع بها بعض الفواكه، وإذا به يقطع إبهامه قطعاً خفيفاً فسال دمه، فقامت الجارية بتمزيق ردائها الحريري لتأخذ منه قطعة تشدّ بها إبهام محبوبها¹.

وتعدّت الحرّية حدودها عندما تحوّلت اللقاءات البريئة إلى انحلال أخلاقي واستطالات على الأعراس، فقد ذكر ابن حزم أنّ أحد أصحابه عشق جارية لأهله وكان ممنوعاً منها، فلما خرج مرّة مع أعمامه إلى ضيعة لهم نزل الغيث، فأمر أعمامه بالأغطية التي لم يحضروا منها ما يكفي الجميع، فغطوه معها واستطال عليها وسط الملاء².

وربما رضيت بعض الجوّاري بالاستطالات _ على الرغم من علمهنّ أنها فضيحة لا يرضى بها المجتمع _ ووجدن لها تفسيرات عجيبة، ذلك أن هشاماً المؤيد لما استفضّ جاريته وجدها ثيباً فسألها، فقالت: "بينما أنا ذات يوم راقدة تحت الشجرة الفلانية في البستان، وإذا بمن نزه الله ذكره عن هذا المكان قد جامعني واستفضّني، فاستيقظت فوجدت الدم على رجلي، وخفت الفضيحة وكتمت ذلك"³ فبكى هشام حالها وحرّرها⁴، وقد تتم هذه الممارسات على الملاء ويشارك فيها الكثير من الجوّاري؛ فقد عُرف عن المُعتمَد أنه كان يراقد جُملة من الجوّاري تحت لحاف واحد⁵.

واتخذت حرّية الجوّاري اتجاهاً غريباً وبعيداً عن العُرف وكلّ ما هو معتاد عند العرب، فقد أمست بعض الجوّاري طالباتٍ للرجال لا مطلوبات؛ ويبدو أن الرجال لم يخطر ببالهم أنهنّ يطلبنهم، فلما هامت جارية بفتى من أبناء الرّؤساء ولمّحت له لم يفهم مرادها، ولما طال الأمر شكت الجارية حالها لامرأة تثقّ بها فنصحتها أن تُعرّض له بالشعر، فعرضت له أكثر من مرّة فلم يفهم، ولما يئست منه قبلته في فمه وتركته دون أن تتبس بكلمة، فما غمض له جفن و كان هذا بدء الحب بينهما دهرًا⁶.

1 - رسائله، 187/1.

2 - انظر رسائله، 188/1-189.

3 - ابن سَعِيد، المغربي، 196/1.

4 - انظر ابن سَعِيد، المغربي، 196/1.

5 - انظر ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار خَرْناطة، 123/2.

6 - انظر ابن حَزْم، رسائله، 182/1-183.

وقد تتعرّض الجارية إلى معانٍ مكروهة بينما يتعفف المطلوب، فقد تعرضت جارية لبعض تلك المعاني فقال لها مطلوبُها: " كلا إن من شكر نعمة الله فيما منحني من وصالك الذي كان أقصى آمالي أن أجتنب هواي لأمره"¹.

ويرى وائل أبو صالح أن السبب وراء إعطاء هذه الحرية للجواري هو قلة الغيرة عليهن، وانحطاط منزلتهن في نظر أسيادهن²، إلا أن غضبة المنصور على جاريته أنس القلوب عندما لمحت لأبي المغيرة بن حزم³ بحبها⁴، تثبت أن هؤلاء الأسياد كانوا يغيرون على جواريهم، وربما لم تتبع غيرتهم من اعتقادهم أن الجواري جزء من حريمهم وأعراضهم بل لأنهن جزء من أموالهم وممتلكاتهم.

كما قام المنصور بقتل جارية غنت شعراً تغزل فيه بعض شعراء قرطبة بصبح أم المؤيد⁵، وعلى الرغم من أن صبح لم تكن جاريته أو محظيته إلا أنها كانت أم خليفة المسلمين، وأرملة الحكم المستنصر الذي جعلها محظيته .

وأرجح أن الحرية المطلقة التي أدت إلى ممارسات غير أخلاقية ما هي إلا نتيجة لإهمال سادتهن لهن؛ فقد تخير السادة من بين جواريهم بعض محظيات قربوهن إليهم، وربما عشقوهن أو استولدوهن أو حتى أعتقوهن وتزوجوهن، إلا أن قصورهم حوت العديد من الجواري اللاتي بقين نكرات لهم ولم يعرفوا أسماءهن، ويبدو أن هؤلاء الجواري لم ينلن الحظوة أو ينس من أي أمل بالتقرب من أسيادهن، فبدأن البحث عن رجل آخر يعطينهن الأهمية، ويصبحن شخصية معروفة في حياته بدلاً من البقاء نكرة على هامش حياة السيد، ويبدو أن السيد نفسه لم يلحظ غيابهن ولم يهتم بالسؤال عنهن، فهن كثر في قصره.

¹ - ابن حزم، رسائله، 1/ 297.

² - انظر الجواري في الأندلس، 48.

³ - هو أبو المغيرة عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن حزم، الوزير الكاتب، من المقدمين في الأدب والشعر، توفي سنة 420هـ. انظر الحميدي، جذوة المقتبس، 461/2، ابن خاقان، مطمع الأنفس، 202-203، ابن بسام، الذخيرة، ق 1 م 132/1-133، الضبي، بغية الملتمس، 393-394، المقرئ، النفع، 153/2-154.

⁴ - انظر المقرئ، النفع، 151/2.

⁵ - انظر ابن حزم، رسائله، 1/ 147.

وأعتقد أنّ المجتمع الأندلسي وإن كان فيه هذا القدر من الحرية إلا أنه لم يتقبل الحرية المطلقة؛ فهو مجتمع إسلامي أولاً وأخيراً، وبعض روايات ابن حزم في " طوق الحمامة " دليل على أن المجتمع الأندلسي رفض الحريات المطلقة ودعا إلى صون العورات، وأن أفرادها خافوا من الفضيحة أو سوء السمعة، فقد قال ابن حزم في مقدمة كتابه طوق الحمامة: " فاغتر لي الكناية عن الأسماء، فهي إمّا عورة لا نستجيز كشفها، وإمّا نحافظ في ذلك صديقاً ودوداً ورجلاً جليلاً وبحسبي أن أسمى من لا ضرر في تسميته ولا يلحقنا والمسمى عيب في ذكره، إمّا لاشتهار لا يُغني عنه الطي وترك التبيين، وإمّا لرضا من المخبر عنه بظهور خبره وقلة إنكار منه لنقله"¹، فلو كان المجتمع يتقبل مثل هذه القصص التي سردها، لما تحرّج ابن حزم في ذكر أسماء أصحابها، ولما خاف من فقدان صديق إن كشف أمره، ولما قال إن الناس تسمي المحب بصفات أهل البطالة²، ولما كرّر حديثه عن الفضيحة إن اكتشف أمر من قص أخبارهم، كقوله في باب المراسلة " رأيت أهل هذا الشأن يُبادرون لقطع الكتب وبحلّها في الماء وبمحو أثرها، فرُبّ فضيحة كانت بسبب كتاب"³.

إذن على الرغم من أنّ بعض الأندلسيين خرقوا عادات مجتمعهم وتجروا على المراسلة، إلا أنهم لم يستطيعوا الإعلان عنها، حتى إنهم أتلفوا الرسائل وتخلّصوا منها، فهم يخافون الفضيحة في مجتمع يسيطر على الأفراد، ويعيش فيه الأفراد في قلق من أن يسميهم المجتمع بسمات لا تتناسب مع معاييرهم ولا يتقبل حرياتهم، وقد تزيد نسبة حدوث الفضيحة باتخاذ سفير بين المحبين، فبيد السّفير فضح المتحابين أو سترهما بعد الله تعالى⁴، وقد ينوي المحب أن يفضح محبوبه فضيحة مستورة، كما فعلت جارية بفتى طلبها في غير حلال، فشكته بشعر غنته في أحد مجالس أكابر الملوك⁵، وقد فهم الفتى شعرها دون أن يفهمه غيرهما، ولكن هذه كانت فضيحة مستورة، لم يقصد منها إعلام الناس أو فضح أمر صاحبها على الملأ.

¹ - رسائله، 87/1.

² - رسائله، 144/1.

³ - رسائله، 139/1.

⁴ - انظر ابن حزم، رسائله، 141/1.

⁵ - انظر ابن حزم، رسائله، 135/1.

2- العلاقة بين الجوّاري والحرائر

لم تذكر المصادر الأندلسيّة تفاصيل العلاقة بين الجوّاري والحرائر، أو علاقة أمهات الأولاد أو جوّاري الخدمة بهنّ، وعلى الرغم من وجود الكثير من الروايات التي تحدّثت عن الرجال ومحظياتهم أو أمهات أولادهم، إلاّ إنها لم تُقدّم تفاصيل عن زوجات هؤلاء الرجال أو حتى أسماء بعضهن، مما يدفعني للتساؤل عن دور الحرائر وفاعليتهنّ في المجتمع الأندلسي؛ فالكثير من أمّهات حكام الأندلس من بني أمية -على سبيل المثال- كنّ من الجوّاري، أمّا الحرائر فإنني لم أجد تفاصيل عنهنّ، وربّما لم يُذكرن أصلاً، أو أنهنّ ذُكرن وضاع الحديث عنهنّ مع ما ضاع من تاريخ الأندلس، وإن زعمت أنّ رجال العامة اتخذوا الحرائر ولم يشترخوا الجوّاري؛ فالعامة رجالاً ونساءً لم يحظوا بحيز كبير في كتب التراث الأندلسي.

ولم تتوفر لي تفاصيل كافية لرسم صورة متكاملة عن العلاقة بين الجوّاري والحرائر، لذا حاولت نسج صورة لعلاقتهم انطلاقاً من علاقة مرّجان أم الحكم المُستتصرّ مع فاطمة بنت المنذر القرشية زوج النّاصر، فقد تنافستا على النّاصر وأين سيقضي ليلته وعندما اشتعلت المنافسة اشترت مرّجان ليلة مع النّاصر بعشرة آلاف دينار¹، إلاّ أنني وجدت أن هذه الحالة غير كافية لرسم تفاصيل علاقة الجوّاري بالحرائر، فعمدت إلى رسم صورة عامّة لعلاقتهم، فعلاقة الجوّاري بالحرائر إما علاقة عداوة ومنافسة للاستئثار بالزوج والسيد، أو علاقة تسودها المحبة والوثام.

وإن كانت العلاقة علاقة عداوة ومنافسة للاستئثار بالرجل فأظنها نابعة من غيرة النساء؛ وبإمكاننا تخيل المرأة الحرّة عندما يدخل عليها زوجها بجارية جميلة تُجيد فنون الأدب والغناء، وتصوّر جارية توذّ الاستئثار بسيدتها ثم تتعرّض لهجوم زوجته الحرّة، كيف لا تكون العلاقة علاقة تنافسية والمرأة الحرّة تعرف أن الجوّاري جمع من اللذات ما لا يجتمع في شيء آخر غيرهنّ² من جمال وعلم وثقافة وأساليب امتلاك القلوب التي تُوقع أيّ رجل في شباكهن؛ وما تقفنه من طرق المغازلة والشعر وادّعاء الحب والشوق³.

¹ - انظر ابن الأثير، التّكملة، 246/4-247.

² - انظر الجاحظ، رسائله، 170/2.

³ - انظر الجاحظ، رسائله، 171/2.

وأعتقد أنّ المنافسة أمر طبيعي بين كل الحرائر والجواري وربما كانت المنافسة هي الحال السائدة بينهنّ؛ فالرجل هو السيّد والزوج وكلّ يسعى لاملاكه، فالأندلسيّة الحرّة التي لم تتزوج بعد تنتظر الزوج الذي يملأ حياتها، أما المتزوجة فهنّ الاستئثار بزوجه واستعادته من أيّ كان¹، ومما يجعلني أميل إلى أنّ المنافسة هي الحال السائدة بين الجواري والحرائر وصف ابن حزم لنساء عصره بأنهن: "متفرغات البال من كل شيء إلا من الجماع ودواعيه، والغزل وأسبابه، والتألف ووجوهه، لا شغل لهن غيره ولا خلقن لسواه"² فقله دليل على أنّ الرجل هو مركز حياة المرأة الأندلسيّة حرّة كانت أو جارية، وأنها تدور في فلكه ولا تستطيع الابتعاد عنه، وأرجّح أنّ حياة هؤلاء النساء دفعتهن إلى المنافسة لامتلاك الرجال، لكنّ الرجل لم يكن همّ كل نساء الأندلس، فقد كان لبعض النساء مهنّ امتهنّ، وعلوم درسناها، وألّفن فيها المؤلفات، وجعلن العلوم همهنّ وهدف حياتهن.

وأرجّح أنّ كفة الجواري سترجح إذا ما خيّر الرجل الأندلسي بينهنّ وبين الحرائر، فالحرائر وإن وهبن جمالاً وثقافة إلاّ أنهنّ لم يملكن أساليب الجواري في جذب الرجال، وهؤلاء الرجال لم يختاروا زوجاتهم - تبعاً للأعراف العربيّة - إلاّ أنه كان لهم الحرية التامة في اختيار جواريهم؛ فللرجل أن يقبّل الجارية بنظره ويده كيفما شاء³ ويختار الجارية التي تُعجبه وتوافق مزاجه.

وقد أباح الشّرع السّفور للجواري فإن الله تعالى يقول: "قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يُدنين عليهنّ من جلابيبهنّ ذلك أدنى أن يُعرفن فلا يُؤذنين وكان الله غفوراً رحيماً"⁴، وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يأمرهنّ بإدناء الجلابيب ليتسترن ويظهر الفرق بين الإماء والحرائر، كما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يضرب أية أمة يراها تتفّع⁵، إذن تمتعت الجارية بحريّة اللباس الذي يسمح لها بإظهار محاسنها على عكس المرأة الحرّة التي تتقيّد بقيود الشّرع، وربما كانت العلاقة بين الجارية وسيدها تختلف عنها بين السيد نفسه وزوجته الحرّة فوائل أبو صالح يعتقد أنّ الشرعية التي تجمع بين الرجل وزوجته تضي على

¹ - انظر صلاح خالص، إشبيليّة في القرن الخامس الهجري، 93.

² - رسائله، 1/165.

³ - انظر القزويني، آثار البلاد، 531.

⁴ - سورة الأحزاب، آية 59.

⁵ - انظر ابن عطية الأندلسي، المعرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 116/12-117.

العلاقة الزوجية_ وبخاصة الجسدية _ نوعاً من الهالة بينما تسقط هذه الهالة عند التمتع بجارية، فهي ليست بزوجة وإنما أداة للمتعة ليس أكثر¹.

وربما كانت هناك منافسة غير مباشرة بين الجواري وبعض نساء الطبقة الفقيرة؛ فزوجة الرجل الفقير الذي لا يستطيع شراء جارية لن تعيش منافسات وحروب مباشرة مع جارية، إلا أنها ستتنافس على زوجها مع جارية لا تلقاها أو تعرفها، فقد تمكن بعض رجال العامة من الاختلاء بهن فيما عُرف ببيوت الحظوة، ويبدو أن هذه البيوت كانت بيوتاً قانونية، فالدولة لم تعارض وجودها والدليل على هذا أن الجواري اللواتي عملن فيها كنّ يدفعن ضرائب للدولة، وكانت الواحدة منهن تُسمى خراجية، وأطلق على هذه البيوت دار الخراج²، وسماها ابن عذاري دار البنات³، وتحدث عنها ابن فضل الله العمري فقال: سكن المومسات الخواطي⁴، وذكر ابن حزم هذه الدور وسماها منازل البغايا⁵، ولم أجد ما يقطع أن هذه البيوت كانت حكرًا على الجواري فحسب، وهذا يعني أنه ربما عملت فيها بعض حرائر العامة أو ممن ساءت أحوالهن فهوين إلى هذه البيوت، إلا أنني أرجح أن الجواري شكّلت معظم العاملات في هذه البيوت لسهولة امتلاكهن وفقدانهن الأهل والرقيب.

ويصعب على الإنسان المعاصر أن يتخيّل علاقة ودية أو حتى سلمية بين امرأتين تتنازعان على رجل واحد، ولكن استبعاد هذا النوع من العلاقة لا ينفي وجودها، وربما نشأت علاقة سلمية بين المرأة الحرة والجارية إذا ما كان الرجل الأندلسي غنياً أو من الخاصة أو أحد حكام الأندلس، عندها سيملك الرجل أكثر من جارية وربما مئات الجواري، ولن تكون علاقة المرأة الحرة بكل هؤلاء الجواري علاقة متوترة ملتهبة، وربما لن تتمكن المرأة الحرة من لقاء جميع الجواري اللواتي اشتراهن زوجها، وبالتالي ستكون علاقتها بهنّ علاقة فاترة وستعكس علاقتها عليهنّ فلا تعلن أيّ منهنّ الحرب عليها.

1 - انظر الجواري في الأندلس، 45.

2 - انظر ابن الخطيب، نفاضة الجراب، 117.

3 - انظر ابن عذاري، البيان المغرب، 81/3.

4 - انظر مسالك الأبطال، سفر 24.

5 - انظر رسائله، 40/1.

وأرجح أن أية علاقة ودية تجمع ما بين الجواري والحرائر ستتم إن لم يكن بينهن منافسة على رجل، فقد قامت سيدة أندلسية حافظة للقرآن ببذل أموال كثيرة لتشتري جارية كلف بها أحد الفتيان، وكانت على استعداد أن تبذل مالها كله¹، وربما تتعدم المنافسة وتحلّ بينهن علاقة ودية إذا ما كانت الجواري جواري خدمة لهن أو معلمات لأولادهن.

كما أن أعظم علاقة ودية ستنشأ بينهن إن كانت الحرّة بنتاً للجارية، ولم أجد في المصادر المتوفرة بين يدي روايات عن بنات الجواري _ كما هي الحال عند الرجال _ وربما اكتفى المؤرخون بالحديث عن إحدى هؤلاء البنات وهي ولادة بنت المستكفي، وربما ظنوا أن الحديث عنها أغنى عن الحديث عن غيرها من بنات الجواري، رغم أنني أرجح أن ولادة وسلوكها المتحرّر في مجالسها وسهولة حجابها² ليست النموذج الوحيد لبنات الجواري.

3- العلاقة بين الجواري أنفسهن

لم يوضّح المؤرخون _ الذين وقعت مؤلفاتهم بين يدي _ العلاقة بين الجواري أنفسهن، حتى إن معظمهم لم يشيرُوا إليها، إلا أنني تمكّنت من استنتاج بعض مظاهر علاقات الجواري بين بعضهن من إشارات عابرة مرّت سريعاً عند بعض المؤرخين.

وظهر لي أن علاقة الجواري فيما بينهنّ كعلاقة الحرائر معهنّ، فهي علاقة تنافسية حيناً وودية أحياناً أخرى، ومعظم الروايات التي حصلت عليها تصوّر أن العلاقة الطيبة سادت بين معظم الجواري؛ فردّاح جارية الأمير عبد الرحمن بن الحكم لم تقبل أن تخرج مع سيدها في إحدى نزّهاته دون أن ترافقها صويحباتها من الجواري³، كما أن جوارى المعتدّ ومحظيّاته كنّ يسافرن مع بعضهن بعضاً ولم يُذكر أن إحداهنّ تخلفت لخلاف بينها وبين جارية أخرى⁴،

¹ - انظر ابن حزم، رسائله، 165/1.

² - انظر المقرئ، التّنعج، 343/5.

³ - انظر ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 198/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم

الجامعة الأردنية.

⁴ - انظر المقرئ، التّنعج، 142/6.

وإذا ما أعجب السيّد بجارية ومُنعت عنه لم تحاول جارية أخرى أن تحتل مكانتها في قلب السيّد، ذلك أن رَدّاح لما رأت الأمير عبد الرّحمن بن الحكم حزيناً لُبّعه عن جارية يحبها غنت له شعراً ودعته أن يتمسك بمحبوبته ويبقى معها على العهد¹.

أما التنافس الذي ساد بين بعض الجوّاري فكان معظمه تنافساً مهنيّاً أي أنهنّ تنافسن على من تكون أفضل من تصنع لحناً، وكان بعض السادة يذكرون نار المنافسة بينهن، فقد طلب الحكم من بعض جواريه أن يصنعن له لحناً في شعر للفرزدق، وبعد أن صنعت كلُّ منهن لحناً خاصاً بها، استمع الحكم لكل الألحان واختار لحن جاريته بهجةً على أنه الأفضل ولما سألها عن مكافأتها قالت: " أن لا يُغنين اليوم إلا من أصواتي"²، وقولها هذا دليل على أن المنافسة كانت مشتعلة ما بينها وبين الجوّاري الأخر، وسؤال سيدها لها دليل على أنه مدرك للمنافسة القائمة بين جواريه.

ولم تكن المنافسة بين الجوّاري منافسة مهنية فحسب، فقد تنافست بعض الجوّاري على الاستئثار بالسيّد، ومن سوء حظ الجوّاري في الأندلس أن منافساتهنّ لم تُكنّ من الحرائر والجوّاري الأندلسيّات فحسب بل دخلت الجوّاري المشرقيّات دائرة المنافسة أيضاً، وكان عبيد الله بن يحيى³ إحدى دوائر المنافسة والنزاع بين جواري المشرق وجوّاري الأندلس؛ فعندما نفاه

¹ - انظر ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 198/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية.

² - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 189/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية.

³ - هو أبو الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان التركي البغدادي، وزير المُعتَمَد على الله ووزير إبيه المتوكل على الله العباسي، قُتل مع الخليفة المتوكل على الله سنة 247هـ ودُفن معه في القصر الجعفري بسرّ من رأى. انظر ابن خلكان، وَفَيَاتِ الْأُمَيَّانِ، 350/1، 43/3، الذهبي، سير أعلام النبلاء، 10-9/13.

المتوكل¹ إلى جزيرة أقریطش² وطال مقامه بها، تمتع بجارية رائعة الجمال أنسته جارية مشرقية هام بها وخلفها وراءه في العراق، وبينما هو يمتع نفسه بالأقریطشية و يحلف لها أنه لا يفارق الأندلس ما عاش، وصله كتاب جاريته المشرقية تقول فيه: ³ [الخفيف]

كَيْفَ بَعْدِي لَا ذُقْتُمْ النُّومَ أَنْتُمْ	خَبَّرُونِي مُذْ بِنْتُ عَنْكُمْ وَبِنْتُمْ
بِمَرَضِ الْجَفُونَ مِنْ خُرْدِ الْعِي—	— مِنْ وَوَرْدِ الْخُدُودِ بَعْدِي فُتْنْتُمْ
يَا أَخْلَائِي إِنْ قَلْبِي وَإِنْ بَا	نَ مَنْ الشُّوقِ عِنْدَكُمْ حَيْثُ كُنْتُمْ
فَإِذَا مَا أَبِي الْإِلَهَ اجْتَمَاعاً	فَالْمَنَائِيَا عَلَيَّ وَحَدِي وَعِشْتُمْ

فلم يهنأ له بال بعده حتى رضي عنه المتوكل وصرفه إلى أحسن حالاته.

4- العلاقة بين الجواري والرجال

العلاقة الأساسية التي جمعت بين الجواري والرجال هي الإعجاب الجسدي أو الإعجاب بعلوم الجارية وفنونها، وربما تحول هذا الإعجاب لدى بعض الرجال إلى حبٍّ وهيام، إلا أنه لم يكن حبًّا يقتصر فيه الرجل على جارية واحدة؛ فقد يهيم الأندلسي بأكثر من جارية، ولما كان من الصعب عليّ معرفة مكونات هؤلاء الرجال والتأكد إن كانوا أعجبوا بجواريتهم أو

¹ - المتوكل على الله أبو الفضل جعفر بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي ببيع له سنة 232هـ، أحيا السنة وأمات التجهم وانهمك على اللذات، وعُرف بالكرم والتبذير، وعندما عزم على خلع ابنه المنتصر وتقديم المعتز عليه، أرسل المنتصر إليه من يقتله في مجلس لهوه، فقتل سنة 247هـ. انظر ابن خلكان، وفيات الأعيان، 356-350/1، الذهبي، سير أعلام النبلاء، 12/41-30.

² - أقریطش: جزيرة أندلسية في بحر المغرب، وقيل: طولها مائة واثان وسبعون ميلاً في عرض خمسين ميلاً، وقيل: طولها من الشرق إلى الغرب ثلاثمائة ميل، وبينها وبين الأرض الكبيرة ستون ميلاً من ناحية الغرب ومن شرقها إلى الأرض الكبيرة يومان، والأرض الكبيرة هي أرض الروم التي تتصل بالشام. ونظر أقریطش إلى صاحب القسطنطينية. انظر الزهري، الجغرافية، 176، ياقوت، معجم البلدان، 236/1، الحميري، الرّوض المِعطار، 51.

³ - ابن عبد ربّه، العقد الفريد، 406/5.

عشقوهن، فقد ارتأيت أن أوظف الألفاظ نفسها التي وردت في الروايات الأصلية، وإن اختلفت الروايات سأذكر أن الإعجاب هو ما جمع بين الرجل والجارية، وأظن السبب وراء الإعجاب هو تميّز الجوّاري عن غيرهنّ بشخصيات جمعت الجمال والأدب والثقافة وحفظ الأخبار ورواية الأشعار، كما أن بعضهنّ قرضن الشعر أو أحسنّ الغناء فملكن بهذا ثلاثاً من الحواس وفرت اللذة في آن واحد؛ فللعين النظر إلى الجارية الحسنة، وللأذن الاستماع لصوتها وغنائها، وللمس التعلّق والحنين، وكلّ هذه الحواس طريق إلى القلب¹.

أ- إعجاب الخاصّة بالجوّاري

وكان أمراء بني أميّة من الباحثين عن لذات حواسهم الثلاث، حتى إن بعضهم هام بجوّاريه ولم يقتصر إعجابهم على جارية واحدة، فقد هاموا بأكثر من جارية في الوقت نفسه، فالأمير عبد الرّحمن بن الحكم كان دنيّاً هائماً مولعاً بجاريته طروب²، وأحب جاريته الشفاء³ وأعجب بجاريته قلم، كما أنه أحبّ مدثرة فأعتقها وتزوجها⁴، أي أن إعجابه وحبه لها كان أكثر من أن يبقيها محظية أو أم ولد فحرّرها وتزوجها.

أمّا الجارية رغد فكانت غالبية على المغيرة بن عبد الرّحمن بن الحكم، وقد نالت حظاً من الجمال وأتقنت الأدب والغناء⁵، وورثت المغيرة ميله للجوّاري لابنه الأمير هشام الذي لم يفارق جاريته واصطحبها معه في كل مكان حتى إنها رافقته في مجلس حكمه⁶، كما أحبّ

¹ - انظر الجاحظ، رسائله، 170/2-172.

² - انظر ابن عذاري، البيان المغربي، 92/2، ابن سعيد، المغرب، 46/1، المقرئ، النفع، 335/1.

³ - انظر ابن الأبار، التكملة، 240/4-241، المقرئ، النفع، 336/1.

⁴ - انظر المقرئ، النفع، 336/1.

⁵ - انظر ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 191/10-192، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية.

⁶ - انظر ابن عذاري، البيان المغربي، 99/2-100.

الخليفة الناصر جاريته الزهراء¹ حباً شديداً، وامتتع الحكم المُستتصِر عن التعرض للولد من غير صُبْح البشكنسية².

ولم يكن الإعجاب بالجواري والهيام بهنّ مقتصرأ على حكام بني أمية؛ فقد حذا ملوك الطوائف حذوهم واتخذوا الكثير من الجواري فأعجبوا بهنّ وهاموا بجمالهنّ وأديهنّ، فالمعتضد الموصوف بالقوة والقسوة لم يكن يصبر عن جاريته العبادية الأدبية الشاعرة على الرغم من أنها كانت إلى جانبه دوماً، فقد ذكر أن المعتضد سهر ليلة لأمر ألقه وهي نائمة فقال:³

[المقارب]

تتـامُ ومُدنّفها يـسهرُ وتـصبرُ عنه ولا يـصبرُ

فأجابته: [المقارب]

لئن دَامَ هذا وهـذا بهـ سـيـهـلكُ وجـداً ولا يـشـعـرُ

أمّا ابنه المُعتمَد فقد اشتهر بإعجابه بالجواري، ووردت في ديوانه أشعار كثيرة في الجواري منهن: سحر وجوهرة ووداد⁴، أما الحظوة فكانت لجاريته اعتماد الرميكية التي لقيها تغسل على النهر فأجازته عندما عجز ابن عمّار عن ذلك، فأعجب بجمالها وعقلها واصطحبها معه إلى قصره⁵.

¹ - انظر المقرئ، النفع، 64/2.

² - انظر ابن حزم، رسائله، 1/ 90-92، ابن عذاري، البيان المغرب، 235/2.

³ - ابن الأبار، التكملة، 252/4، ابن عبد الملك المراكشي، الخيل والتكملة، 494/2/8، المقرئ، النفع، 58-59.

⁴ - انظر الديوان، 2، 3، 10.

⁵ - انظر ابن الأبار، العلة السيرة، 106/2، السيوطي، نزهة الجلساء، 85-86، المقرئ، النفع، 347/5-348.

كما لُقّب نفسه بالمُعتمَد كلفاً بجاريته اعتماداً، لتتفق حروف لقبه مع حروف اسمها¹،
وللمعتمد مقطوعة ضمّن أوائل أبياتها حروف اسمها اعتماداً، وكان قد بعث بها إليها وهو غائب
عن إشبيلية: ² [المتقارب]

<p>وحاضرةً في صميم الفؤادِ ودمع الشؤون وقدر السُّهادِ وصادفت وُدِّي سهل القيادة فيا ليت أنِّي أُعطى مُرادِي ولا تَسْتَحِيلِي لِطَوْلِ البِعَادِ وألّفت فيه حروفَ اعتمادِ</p>	<p>أغائبة الشَّخصِ عن ناظري عليك سلامٌ بقدر الشُّجونِ تملّكت منِّي صعب المرامِ مرادي لقياك في كل حينِ أقيمي على العهد ما بيننا دَسَّستُ اسمك الخُلوَ في طيّه</p>
--	--

كما أحبّ أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر ثلاثاً من جواريه، وجعلهنّ محظياتِه
واستولدهن وهنّ بهار وعلوة وقمر³، أما ابنه أبو الحجاج فقد أحب جاريته مريم وبُثينة⁴،
واشتهر حب أبي الحسن النصري⁵ لجاريته ثريا التي أسرها في بعض معاركه، وتزوجها،
واستغلّت حبه لها في التأثير عليه⁶.

1 - انظر ابن الأثير، العلة السيرة، 62/2، ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 109/2،
نفاضة الجراحي، 57.

2- الديوان، 8.

3- انظر ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 318/4.

4 - انظر ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 163/1، نفاضة الجراحي، 13-14.

5- هو أبو الحسن علي بن سعد النصري الغالبي، أحد سلاطين بني الأحمر، اشتعلت في زمانه
فتنة بينه وبين أخيه أبي عبد الله محمد بن سعد المدعو بالزغل، كثرت جيوشه فجاهد المشركين
واسترجع مدناً كثيرة، حتى خافوه وطلبوا هدمته، أعدّ مجلساً ليُشاهد عرضاً لجيوشه وبدأ
عرضه عام 882هـ واستمرّ سنة كاملة، أُصيب بمرض يشبه الصرع إلى أن ذهب بصره،
فخلع نفسه وقدم أخاه أبا عبد الله، وهو أبو السلطان عبد الله محمد الذي ضاعت غرناطة في
عهده، توفي قبل 890هـ. انظر المقرئ، النسخ، 268-271.

6 - انظر المقرئ، النسخ، 268 /6.

وأرجح أن كل ما ذكر في المصادر الأندلسية عن حياة الخلفاء والأمراء الخاصة ليس إلا غيض من فيض؛ فقد كان لحياتهم الخاصة حرّمات اجتنبها المؤرخون، كما أنهم فضلوا ذكر أخبار حزمهم ودفاعهم عن الدين والذود عنه، وابن حزم ممن رأى هذا الرأي فقال: "وقد أحب من الخلفاء المهديين كثير....، ولولا أن حقوقهم على المسلمين واجبة _ وإنما يجب أن نذكر من أخبارهم ما فيه الحزم وإحياء الدين، وإنما هو شيء كانوا ينفردون به في قصورهم مع عيالهم فلا ينبغي الإخبار به عنهم _ لأوردت من أخباره هذا الشأن غير قليل"¹.

ولم يقع بعض الخلفاء والأمراء في حب جواريمهم بل وقع فيه غيرهم من الخاصة من أكابر الرجال، فقد كلف الفقيه ابن أيوب الحداد² في جاريته أم هشام³ كما كلف موسى بن عاصم⁴ بإحدى الجوارى وكان لا يتمالك نفسه لرؤيتها ويلحق بها⁵.

وأحب الرّماديّ خلوة التي أخذت بمجامع قلبه وتخلل حبّها جميع أعضائه⁶، وعشق ابن حزم جاريته نعم، ولما توفّاها الله أقام بعد موتها سبعة أشهر لا يتجرّد من ثيابه، ولا تقتر دمعته وقال إنه ما نسيها أبداً⁷.

1 - ابن حزم، رسائله، 90/1-92.

2 - هو أبو علي الحسن بن أيوب بن محمد بن أيوب الأنصاري المعروف بالحداد، كان عالماً بالأدب ومسائل الحديث وراوياً له، وقد أجاد الشعر في الزهد والرثاء، توفي سنة 425هـ.

انظر ابن بشكّوال، الصلّة، 136/1، الضبي، بُغية الملتمس، 265.

3 - انظر ابن الأبار، العلة السيرة، 204/1.

4 - لم أجد له ترجمة في المصادر المتوفرة.

5 - انظر ابن حزم، رسائله، 150/1.

6 - انظر ابن حزم، رسائله، 120/1-122.

7 - انظر ابن حزم، رسائله، 224/1.

ب- إعجاب العامة بالجواري

الإعجاب بالجواري وعشقهنّ لم يقتصر على الخلفاء والأمراء والخاصة والفقهاء والشعراء، ولكنه امتد ليصل إلى قلوب العامة الذين ملك بعضهم الجواري، حتى إن إعجاب رجل أندلسي بجاريته دفعه أن يرفع مظلمة ضد الخليفة، فقد ذكر أنه كان لرجل من أهل كورة جَيَّان¹ جارية اغتصبها منه عامل للحكم بن هشام وأرسلها إليه، فتظلم الرجل عند القاضي وأتاه ببيّنة تثبت ملكيته للجارية، فخرج القاضي لمقابلة الحكم وقصّ عليه أمر الجارية، وطلب منه أن يُقيم العدل ويُرجع الجارية لصاحبها، فعرض الحكم عليه أن يشتري الجارية لأنها أعجبتة، ولكن القاضي رفض أن يبيع ما لا يملك فهي مازالت في ملك الرجل من كورة جَيَّان، وعندما رأى الحكم عزم القاضي على إرجاع الجارية لمالكها أمر بإخراج الجارية من قصره وإرجاعها لسيدها².

وذهب لبُ الوزير اليهودي أبي الفضل بن حسداي³ وجُنّ جنونه بإحدى الجواري حتى إنه غيّر دينه إلى الإسلام إرضاءً لها، فلما علم صاحبها بأمره زفّها إليه⁴.

¹ - جَيَّان (Jaen): مدينة أندلسية لها كورة كبيرة جمعت قرى كثيرة، بينها وبين بياسة عشرون ميلاً، وبينها وبين قرطبة سبعة عشر فرسخاً وكورتها متصلة بكورة تدمير وكورة طليطلة. انظر الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، 568/2-569، ياقوت، معجم البلدان، 195/2، الحميري، الرّوض المعطار، 193.

² - انظر مجهول، أخبار مجموعة، 113-114، ابن عبد ربّه، العقد الفريد، 491/4، ابن عذاري، البيان المغربي، 78/2-79.

³ - هو أبو الفضل حسداي بن يوسف بن حسداي، من بيت شرف اليهود بالأندلس، نال حظاً وافراً من الشعر والبلاغة والعلوم، وبرع في علم الهندسة والنجوم والموسيقا، أتقن علم المنطق والعلم الطبيعي وكان له باع في الطب، كان حياً في سنة 458هـ. انظر ابن خاقان، فلاندي العقيان، 545/2-546، ابن بسّام، الذخيرة، ق 3 م 457-486، ابن دحية، المطرّب، 196، ابن أبي أصيبعة، ميعون الأنباء في طبقات الأطباء، 499/1، ابن سَعِيد، المغربي، 441/2، المقرّي، النفع، 74/2، 172-174.

⁴ - ابن بسّام، الذخيرة، ق 3 م 457-458.

ج- هُيامُ الرجال بالجواري

أدى إعجاب بعض الرجال بجاريته إلى الجنون واختلاط العقل، فقد علق مروان بن يحيى¹ بجارية أخيه، ولمّا منعها عنه وباعها لغيره جُنّ، وجُنّ يحيى بن محمد² إثر بيع أمه جارية له كان يجدُّ بها وجداً شديداً، ومن الجدير بالذكر أن هذين المجنونين كانا من أتم أهل الأدب، أي أنهما لم يكونا غرّين جاهلين، وبخاصة إذا عرفنا أن يحيى بن محمد كان أستاذ ابن حزم في الفقه³.

ولم يكن الجنون أسوأ ما وصل إليه الرجال في حبهم للجواري، فقد هلك بعضهم في سبيل استرجاع جاريته، وأخبرنا ابن حزم أن السبب وراء هروب أبي بكر بن عبد الرحمن⁴ إلى محلة البرابر، كان للحاق بجارية يكلف بها حُمَلت إلى هناك⁵.

1 - لم أجد له ترجمة في المصادر المتوفرة.

2 - لم أجد له ترجمة في المصادر المتوفرة.

3 - انظر ابن حزم، رسائله، 242/1-243.

4 - لم أجد له ترجمة في المصادر المتوفرة.

5 - انظر ابن حزم، رسائله، 284/1.

وقُتِلَ خلف¹ وصُلِبَ عندما رجع إلى قُرْطُبَة إثر فراره منها لأنه لم يُطق صبراً عن جاريته التي خلفها بقُرْطُبَة²، كما قَتَلَ الشَّرِيفَ الطَّلِيقَ³ أباه لأنه استأثر بجارية كان يتعشَّقها ووُعد أن تكون في ملكه⁴.

وحاول أندلسي قتل نفسه في سبيل جاريته؛ فقد ذكر ابن حزم أن رجلاً أندلسياً باع جاريته لبربري بعد أن حلت به فاقة، وعندما صارت في ملك البربري أدرك الأندلسي أنه لن يصبر عنها، فذهب إلى البربري وعرض عليه ماله كله في سبيل استرجاعها إلا أنه رفض، ووسط الأندلسي كثيراً من البربر إلا أنهم رُدُّوا جميعاً، فلم يجد الأندلسي بُدّاً من أن يذهب إلى ملك البربر، فرقَّ الملك لحاله وتوسَّط عند البربري، إلا أن البربري قال إنه أشدَّ حبا لها منه وإنه لا يستطيع فراقها، فقام الأندلسي بإلقاء نفسه من أعلى العلية التي كانوا يجلسون بها إلى الأرض، ولم يتأذَّ فحاول مرة ثانية، وعندها طلب الملك من البربري أن يُلقي بنفسه من فوق العلية إن كان صادقاً في وجده، فتظاهر البربري أنه سيلقي بنفسه، وساعتها أمر الملك أن يُلقى به فخاف وتنازل عن الجارية، فاشتراها الملك منه وأعطاهما للأندلسي⁵.

1 - هو أبو القاسم مولى يوسف بن البهلول، كان فقيهاً وله كتاب اختصر فيه المدونة وقرأ به على طلابه فقبل من أراد أن يكون فقيهاً من ليلته فعليه بكتاب البريلي، رجع إلى قُرْطُبَة بعد الفرار منها إثر مقتل هشام بن سليمان النَّاصر، فقتله المهدي سنة 344 هـ. انظر ياقوت، مُعْجَمُ البُلْدَانِ، 407/1.

2 - انظر ابن حزم، رسائله، 1/284.

3 - هو أبو عبد الله مروان بن عبد الرَّحْمَنِ بن مروان بن النَّاصر، سجن وهو ابن ست عشرة سنة لأنه قتل أباه، ومكث في السجن ست عشرة سنة، وعاش بعد إطلاقه من السجن ست عشرة سنة، وكان سجنه في أيام المنصور ثم أطلق سراحه فسُمِّي الطَّلِيقَ وطَلِيقَ النِّعَامَةِ، وتوفي قريباً من 400 هـ. انظر الحميدي، جَذْوَةُ الْمُقْتَبِسِ، 546/2-547، الضَّبِّي، بُغْيَةُ الْمُلتَمَسِ، 461-462، ابن سَعِيدٍ، المَغْرِبِ، 1/191.

4 - انظر الحميدي، جَذْوَةُ الْمُقْتَبِسِ، 546/2-547، الضَّبِّي، بُغْيَةُ الْمُلتَمَسِ، 462، ابن سَعِيدٍ، المَغْرِبِ، 1/191.

5 - انظر رسائله، 1/265-266.

وإذا كان هذا الأندلسي قد حاول الموت في سبيل جاريته ولم يوفق في رغبته في الموت، ووفق في الحصول على جاريته، فإن هناك من وُفق في قتل نفسه بسبب حبه لجارية، فقطع أمعاءه مثل مروان بن أحمد بن حُدَيْر¹ الذي شرب سمَّ جاريته **قطر الندى**².

د - إعجاب الجوّاري بالرجال

كلّ ما سبق كان في حبّ الرجال للجوّاري، أي أن كثيراً منهم نجحوا في تحقيق غايتهم، ألا وهي امتلاك قلب السيّد، ولكن ماذا عنهن؟ هل أحبين سادتهن؟ أو أيّ رجلٍ آخر؟، يرى صاحب الموشى " أن حبّهن حبُّ كذوب، وعشقهنّ عشقٌ مشوب، وهواهنّ منسوب إلى الملل، ليس بثابت ولا متصل، وإنّما لطمع وعرض، ... وأن محبتهم تظهر ما ظهرت علاماتُ اليسار والمال، وتنتقل عند الإفلاس والإقلال"³.

إلاّ أنني أعتقد أن الجوّاري كغيرهن من البشر فيهن الصادقة والكاذبة؛ فهنّ بشر يحملن قلوباً ويبحثن عن الحب والاستقرار، كما أن بينهنّ الطامعات في المال والمتظاهرات بالحب كي ينلن مرادهنّ، وممن كذبت في ودها جارية لأحد إخوان ابن حزم كان قد علّق بها و تأكد الوُدُّ بينهما، ثم غدرت به وشاع خبرهما، فحزن لذلك حزناً شديداً⁴.

وقصص وفاء الجوّاري في حبّهن أكثر من قصص خداعهن، حتى إن واحدة منهن وهي **أنس القلوب** عرضت نفسها لغضب المنصور بن أبي عامر عندما أعلنت حبّها لأبي المغيرة بن حزم قائلة: ⁵ [الخفيف]

يا لقومي تعجّبوا من غزالٍ جائرٍ في محبّتي وهو جاري

¹ - لم أجد له ترجمة في المصادر المتوفرة.

² - انظر ابن حزم، رسائله، 171/1-172.

³ - أبو الطيب الوشاء، 116-117.

⁴ - انظر ابن حزم، رسائله، 207/1.

⁵ - المقرئ، النّفع، 151/2.

لَيْتَ لَوْ كَانَ لِي إِلَيْهِ سَبِيلٌ فَأَقْضِي مِنْ حُبِّهِ أَوْطَارِي

عندها غضب المنصور واستل سيفه، وسألها إلى من تُشير بقولها، فقالت: " إن كان الكذب أنجى فالصدق أحرى وأولى، والله ما كانت إلا نظرة، ولدت في القلب فكرة، فتكلم الحب على لساني وبرح الشوق بكتماني، والعفو مضمون لديك عند المقدرة، والصفح معلوم منك عند المعذرة"¹، وأنشدت شعراً فأطرق المنصور ثم عفا عنها ووهبها لأبي المغيرة².

وليست المجالس المكان الوحيد الذي تقع فيه الجارية في الحب، فقد لا تعرف الحب إلا في بيت سيدها، وقد تكرهه في بداية أيامها معه، وربما تحوّل الكره حباً مع الوقت، فقد ذكر ابن حزم أنه عرف فتى كان يبتاع الجارية وهي كارهة له لقلّة محاسنه وقطوبه الدائم، وريثما يصل إليها بالجماع يتحوّل الكره حباً مفراً³.

وكما لقي بعض الرجال حتفهم من حبهم للجواري واندفاعهم وراء عواطفهم، ماتت بعض الجواري من حبهن؛ فقد ماتت جارية من حزنها على فراق سيدها الذي أحبته، وكان ذلك لأنه سمع ما يكره عنها _ على الرغم من أنه لا يوجب السخط _ فباعها، وحزنت الجارية وعاشت في همّ وكدر ونحول حتى توفاهها الله بعد بضعة شهور من فراق سيدها⁴.

وليست هذه الجارية الوحيدة التي وافتها المنية إثر بيعها وابتعادها عن محبوبها، فقد ذُكر أن الكثير من جواري المنصور تعرّضن للمصير نفسه، فقد كان لا يصبر عن جارية تُعجبه حتى تصير في ملكه، فإن ملكها تحوّل حبه لها نفوراً منها، وباعها بأرخص الأثمان، وماتت من حبه جوارٍ كثر أحببته ووفين له، وأشهر قتيلاته جاريته عَفْرَاء التي هامت به واعتراها الحزن والكدر بعد بيعها وكانت تتحدث عن حبها له أينما جلست وحلّت⁵.

1 - المقرّي، النَّهْج، 151/2.

2 - انظر المقرّي، النَّهْج، 151/2-152.

3 - انظر رسائله، 127/1-128.

4 - انظر ابن حزم، رسائله، 259/1.

5 - انظر ابن حزم، رسائله، 199/1-200.

5- نظرة المجتمع الأندلسي للجواري

مما سبق من حديث حول علاقة الرجال بالجواري، وما قُصَّ عنهن من قصص الحب والموت في سبيلهنّ والغيرة عليهنّ، قد يظن القارئ أن المجتمع الأندلسي كلّهُ قدَرَّ الجواري وقدّمَ لهن آيات الاحترام، وعاملهنّ كغيرهنّ من الحرائر أو بنات المجتمع الأندلسي، وربّما كان بعض أفراد المجتمع الأندلسي يعاملون الجواري كأفراد متساويين معه، إلا أنه من الجدير بالذكر أن المسلمين عندما دخلوا الأندلس حملوا معهم موروّثهم الثقافي الذي ضمّ تاريخهم وعاداتهم وتقاليدهم وخبراتهم في الحياة وأمثالهم عن الجواري نحو قولهم: " الجواري كخبز السوق والحرائر كخبز الدور"، و" لا تمازح أمة ولا تبك على أكمة " ¹، و" لا تفترش من تداولتها أيدي النخاسين ووقع ثمنها في الموازين"، و" لا خير في بنات الكفر وقد نودي عليهن في الأسواق ومرّت عليهن أيدي الفساق " ².

أ- نظرة الحرائر والرجال للجواري

ربّما كانت معظم الحرائر في الأندلس ممن يعتقدن أن الجواري أدنى منزلة منهن، وإن كُنَّ كذلك فإنني أرجح أن شعورهنّ تغدّى على غيرتهنّ وشعورهنّ بالمنافسة مع الجواري، كيف لا والجواري يملكن الجمال والعلم والدهاء، ويُسكُنن خطراً على وحدة أسرهنّ وبيوتهنّ، ومستقبل أبنائهنّ إن كُنَّ أمهات خلفاء أو أمراء.

وأعتقد أن الحرائر رأين أنّهنّ أفضل من الجواري لأن الجواري لا يتمتعن بحريتهنّ ويخضعن لنظام رقيق لا يُقرّ بأيّ حسب أو نسب، بينما الحرائر مصونات في خدورهن خاضعات للتقاليد التي توجب المحافظة على الشرف والصيت، وقد تنظر الحرائر إلى الجواري على أنّهن خارجات على التقاليد إذا ما قادتتهنّ حريتهنّ إلى الانحلال والوقوع في الإثم، وربّما

¹ - أكمة: القُف من حجارة واحدة، وقيل: هو دون الجبال، وقيل: هو الموضع الذي هو أشد ارتفاعاً مما حوله وهو غليظ لا يبلغ أن يكون حجراً، والجمع أكمّ وأكُمّ وإكامّ وآكامّ وأكُمّ. ابن منظور، لسان العرب، مادة (أكم) 21/12.

² - الجاحظ، المباشن والأضداد، 250.

تظنّ الحرائر أن هذا الانحلال الذي وقعت فيه بعض الجواري نابعٌ من ثقافتهن التي ورثتها من بلادهن الأصلية، فقد ذكر الحميري في حديثه عن الصقالبة أنه " ليس في نسائهم زنا، إلا أن الجارية إذا أحببت رجلاً صارت إليه فأقامت عنده ما أحببت، فإن وجدها زوجها عذراء قال لها: لو كان فيك خير وكان لك جمال لرغب فيك الرجال، واخترت لنفسك من يأخذ عذرتك، فيخرجها ويتركها " ¹ .

وأرجحُ أن نظرة الرجال مشابهة لنظرة الحرائر في الجواري؛ فهم جزءٌ من المجتمع الأندلسي وبعضهم أبناء لحرائر، ويُدركون أصل الجواري وقدراتهنّ وأفعالهنّ، ويستمعون إلى قصص انحلال بعضهنّ، لذا من الطبيعي أن يكون هناك من يهيم بهنّ ومن يحتقرهنّ؛ وربما كان كل ما سبق السبب في احتقار بعض الناس للأمة²، إضافة إلى أن أفعال بعضهنّ كانت تدعو للاحتقار والشك والريبة، فقد ذكر أن جارية ابن حيّان سرقت داره بمعونة جاريتين خبيثتين كانتا تسكنان في الدار الواقعة خلف داره³.

ب- احتقار بعض المجتمع الأندلسي للجواري

ولا بد أن هذه النظرة أثرت على تعامل الأندلسيين _ رجالاً ونساءً _ مع الجواري، فقد تتعرّض الجواري للتجريح أو الإساءة التي تعرّضت لها قمر الجارية البغدادية بعد دخولها إلى الأندلس، فهي سمعت الكثير من التعليقات التي وُصفت فيها أنها ترتدي ملابس رثة، وأنها تشق البلاد بعد البلاد كي تصل إلى الأندلس، وأنها مجرد جارية ما لها غير الشعر، وسمعت استتكار الحرائر لدخولها منازلهن، فردّت عليهنّ قائلة: ⁴ [البسيط]

قالوا أتت قمر في زيّ أطمار
تمسي على وحل تغدو على سبل
من بعدما هتكت قلباً بأشفار
تشق أمصار أرض بعد أمصار

¹ - الروض المعطار، 264.

² - انظر ابن بسّام، الخيرة، ق 3 م 707/2.

³ - انظر الخيرة، ق 1 م 580-581.

⁴ - ابن عذاري، البيان المغربي، 128/2-129.

لا حُرَّةٌ هِيَ مِنْ أَحْرَارٍ مَوْضِعِهَا
 لَوْ يَعْقَلُونَ لَمَا عَابُوا غَرِيبَتَهُمْ
 مَا لَابَنِ آدَمَ فخرٌ غَيْرَ هِمَّتِهِ
 دَعْنِي مِنَ الْجَهْلِ لَا أَرْضَى بِصَاحِبِهِ
 لَوْ لَمْ تَكُنْ جَنَّةً إِلَّا لِجَاهِلَةٍ
 وَلَا لَهَا غَيْرُ تَرْسِيلٍ وَأَشْعَارِ
 اللَّهُ مِنْ أُمَّةٍ تُزْرَى بِأَحْرَارِ
 بَعْدَ الدِّيَانَةِ وَالْإِخْلَاصِ لِلْبَارِي
 لَا يَخْلُصُ الْجَهْلُ مِنْ سَبِّ وَمَنْ عَارِ
 رَضِيَتْ مِنْ حُكْمِ رَبِّ النَّاسِ بِالنَّارِ

وكان أولاد الجواري أول من عانى من نظرة المجتمع لهم، فقد عيّر ابن عمّار أولاد الرُمَيْكِيَّةِ بأنهم لئيمو النسب لأنهم أبناء جارية، كما شتم أهمهم لكونها جارية لا تتمتع بنسب عربي خالص كغيرها من بنات العائلات العربية فقال مخاطباً المعتمد: ¹ [المتقارب]

تَخَيَّرْتَهَا مِنْ بَنَاتِ الْهَجَانِ
 فَجَاءَتْ بِكُلِّ قَصِيرِ الْعِدَارِ
 قِصَارِ الْقُدُودِ وَلَكِنَّهُمْ
 رُمَيْكِيَّةٌ مَا تُسَاوِي عَقَالاً²
 لئِيمِ النَّجَّارِينَ³ عَمَّاءَ وَخَالاً
 أَقَامُوا عَلَيْهَا قُرُوناً طَوَالاً

ولم يكن أبناء الرُمَيْكِيَّةِ الوحيديين الذين تعرّضوا للتجريح بسبب نسبهم، وأرجح أن أي أندلسي قد يتعرّض لمسبة أو شتيمة لكونه ابن جارية، ويظهر هذا من خلال كلام ابن حريق البلنسي: "ما يُغني شرفُ الفصيلة، والتطاولُ بالمعلاة الأصيلة... فلا أتسمّى لك بأزكى الأسماء، ولا أنشدك مُتبرئاً من أبناء الإمام: ⁴ [البسيط]

أَمَّا الْإِمَاءُ فَلَا يَدْعُونِي وَلِدًا
 إِذَا تَرَامَى بَنُو الْإِمْوَانِ بِالْعَارِ

¹ - ابن الأَبَّار، الْعُلَّةُ السَّيْرَاءُ، 63/2، ابن خلكان، وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ، 428/4، الْمُقْرِي، النَّفْعُ، 348/5.

² - ابن الأَبَّار، الْعُلَّةُ السَّيْرَاءُ، 63/2.

³ - النَّجَّارِينَ: النَّجْرُ وَالنَّجَارُ وَالنُّجَارُ الْأَصْلُ وَالْحَسْبُ. ابن منظور، لسان العرب، مادة (نجر) 193/5.

⁴ - الدَّيْوَانُ، 247.

ويظهر أن ابن حريق البنسني مؤمن أن الإنسان بعمله، دون النظر لأصله أو اسمه، وما يهمني في حديثه هو أن المجتمع الأندلسي اعتبر أن أبناء الجواري يترامون بالعار، أي أنه لا يفخر أي إنسان بأنه ابن لجارية.

ج- تقدير بعض المجتمع الأندلسي للجواري

حوى المجتمع الأندلسي بعض المظاهر التي تدلّ على أن بعض الجواري نلن قدرًا من الاحترام والتقدير، وكان على رأسهن الجواري المتأدبات _ سأعرض لهن في الفصل المقبل _ اللاتي نلن الاحترام وكان لبعضهن مريدون، كما أن بعض الأمهات نلن ألقاباً فخمة لم يحصل عليها الرجال الأندلسيون أو الحرائر؛ كمرجان محظية الناصر التي لُقبت بالسيّدة الكبرى¹، و صُبْح البشكنسيّة التي لُقبت بالسيّدة صُبْح أم المؤيد² والسلطانة صُبْح³، ونحو ما عُرفت الرُمَيْكِيَّة بأَم الربيع والسيّدة الكبرى⁴ وأم الملوك⁵، ومثل راضية المعروفة بالكوكب الزاهي⁶.

1 - انظر المقرّي، النفع، 347/1.

2 - انظر ابن حزم، رسائله، 147/1، المقرّي، النفع، 382 /1.

3 - انظر دوزي، تاريخ مسلمي إسبانيا، 198-190.

4 - انظر ابن الأبار، الحلة السّيراء، 62/2، ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 109/2-110.

5 - انظر ابن خلكان، وفيات الأعيان، 56/4.

6 - انظر ابن الأبار، التّكملة، 246-247/4.

كما دُفنت بعض الجواري في المقابر الكبرى المخصصة للنخبة، فقد ضُمَّت مقبرة الربض قبر عقار جارية الأمير محمد بن عبد الرحمن¹ وجارية أخرى له لعلها كريمة أو كوثر.²

ولاحظت أن الجواري اللواتي حُزن التكريم والاحترام كُنَّ من محظيات الخلفاء، وربّما حظين بهذه المنزلة لأن أسيادهنّ رفعوا من شأنهنّ رغماً عن المجتمع والناس، أو أنهنّ كنّ أهلاً لما نلنه من احترام وهيبة.

وأعتقد أنه ليس من السهل أن يتمكن أي باحث من استنتاج نظرة عامة واحدة لأي مجتمع حول أي قضية، فمن الطبيعي أن يكون في أيّ مجتمع أكثر من نظرة، وهناك من يؤيد الشيء وهناك من يعارضه، والجواري مثلهنّ مثل أيّ ظاهرة من ظواهر الحياة الاجتماعيّة في الأندلس، فهناك من يستحسنهنّ ويحبهنّ ويختارهنّ كأمهات لأولاده، وهناك من يحتقرهنّ ويفضّل الحرائر عليهنّ، ولكل من هؤلاء أسبابه التي دفعته للاختيار.

¹ - انظر السيد عبد العزيز سالم، قُرُطَبَة حاضرة الخلافة، 226/1، نقلاً عن Ocana Jimenez, Nuevas inscripciones arabes de Cordoba, al _Andalus, Vol. XVII, 1952, P.380.

² - انظر السيد عبد العزيز سالم، قُرُطَبَة حاضرة الخلافة، 226/1، نقلاً عن Dozy, Ibid, P.381.

الفصل الثاني

الجواري

في

الحياة الثقافية

ذكرت في الفصل الأول أن قيمة الجواري لم تكن في جمالهن فقط، فقد أعجب سادتهنّ بذكائهن وقدرتهن على امتلاك القلوب، وأصبحن حاجة روحية وعقلية، كيف لا وقد كان الكثير من سادتهن مولعين بالعلم والأدب والشعر، فهم يبحثون عن الجارية المتفّفة ليستمتعوا بمجالستها، ويبحثون عن طرق ليزيدوا بها علمها وفنونها، وربّما أرسلوها في رحلة إلى المشرق كي تنهل من علومه وتنقلها معها، أو أحضروا لها أساتذة يُثرون علومها وفنونها، لذا أضحت لجواريهم ثقافة موسوعية، وأصبحن جوارٍ متأدبات يُجدن الأدب والشعر واللغة والنحو والعروض والغناء والطب والتشريح والحديث وقراءات القرآن، كما أن بعضهن اشتهرن بإجادتهن الكتابة، وخطت بعضهن رسائل هامة في الأندلس.

وعلى الرغم من أن معظم الجواري المتأدبات وُصفن بأنهن أديبات أو شاعرات أو عالمات، إلا أنني لم أجد نتاج أدبهن أو شعرهن أو علومهن، كما أن المؤرخين لم يتعرّضوا لتفاصيل سيرة هؤلاء الجواري إلا فيما ندر، ولم يذكروا الشيء الكثير عنهن أو عن شعرهن وعلومهن، وربّما ذكر المؤرخون نتاجهنّ الشعريّ والعلميّ إلا أنه فقد كغيره من موروث الأندلس.

ووجود كل هذه المواهب والعلوم لم يمنع جلب جوارٍ مشرقيات، ولاحظت أن معظم الجواري المشرقيّات كنّ من المتخصصات في الغناء وكان بعضهن من العالمات بالحديث أو حافظات القرآن الكريم، و تركّز جلب المشرقيّات إلى الأندلس أيام بني أمية، ويبدو أن ملوك الطوائف ومن تبعهم لم يهتموا بجواري المشرق أو أن من جلبوهنّ لم يسطع نجمهن، لذا لم يذكرهن المؤرخون أو ذكروهن في كتب أندلسية مفقودة.

وإحضار الجواري من المشرق لم يُؤثر على شراء الجواري الأندلسيّات، فقد وُهبن أصواتاً جميلة ومواهب مميزة، لذا عجت الأندلس بالجواري المتففات، وأشار عبد الواحد المرّاكشي إلى وجود مائة وسبعين كاتبة بالربض الشرقي لقرطبة¹، ومهما كانت نسبة الجواري المتففات المتعلمات فإن عددهنّ لن يكون عدداً صغيراً مهما صغرت النسبة.

¹ - المّعجب، 456-457.

1- تعليم الجوّاري

كان اهتمام الأندلسيين بالجوّاري المتفقات دافعاً لتجار الرقيق لتعليمهنّ، ولم يكن ذلك اهتداءً بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي حثّ على تعليمهنّ والإحسان إليهنّ والزواج بهنّ بغية نيل الأجرين، بل كان بهدف زيادة أثمانهنّ؛ فكلما زاد علمهنّ زاد سعرهنّ، لذلك اعتُبر تعليم الجوّاري و العناية بهن من أبواب الكسب الواسعة¹.

وعلمّ تجار الرقيق جواريهم علوماً وفنوناً مختلفة؛ فقد تفاخر ابن الكتاني² أنه علمّ جواريه الرُّوميات الجاهلات الأربع علم المنطق والحكمة والهندسة والموسيقا والاسطرلاب³ والنجوم والنحو والعروض والخط.⁴ كما كان هناك الكثير من العجائز اللواتي علمن جواريهن وبعنهن، أو أنهن استؤجرن لتعليم جوّاري الخاصة⁵.

ولم يكتف بعض السّادة بما ملكته جواريهم من علم، فأرسلوهنّ إلى المشرق كي ينهلن من علومه، وأرسل الأمير عبد الرّحمن بن الحكم قلم البشكنسيّة إلى المدينة المنورة لتتعلم

¹ - الخربوطلي، تاريخ العراق، 282.

² - هو أبو عبد الله محمد بن الحسن المدحجيّ المعروف بابن الكتاني، عالم بالمنطق والنجوم وعلوم الفلسفة، وطبيب مُتمرسّ خدم بعلمه المنصور بن أبي عامر وابنه المظفر، عُرف بالذكاء والفهم وحسن التوحيد والتسبيح، وكان ذا ثروة كبيرة وغنى واسع، انتقل إلى سرقسطة بعد الفتنة وسكن فيها حتى قارب الثمانين وتوفي قريباً من سنة 420هـ. انظر الحميدي، جذوة المقتبس، 90-88/1، ابن أبي أصيبعة، ميعون الأنباء في طبقات الأطباء، 491، ابن خلكان، وفيات الأعيان، 326/3.

³ - الاسطرلاب: بالسّين المهملة وبعضهم يُبدلها بالصاد، ومعناه ميزان الشمس، ومن هنا ظن بعضهم أن أصله في اللغة اليونانية استرلابوه ومعناها: مرآة الكوكب، ويقول بعضهم أسطر: معناها تصنيف، ولاب اسم ابن هرمس أمية بن عبد العزيز الداني الذي اخترع الاسطرلاب، وهي آلة يوضح بها الحكماء والمنجمون أسرار الفلك ومعناه ميزان الشمس، التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، 167.

⁴ - ابن بسّام، الذخيرة، ق 3 م 319-320.

⁵ - انظر ابن بسّام، الذخيرة، ق 3 م 112.

الغناء فعادت أديبة، حسنة الخط، راوية للشعر، حافظة للأخبار، عالمة بضروب الآداب والغناء¹، أمّا الحكم المُستتصرِ فارتأى أن يُحضر المُعلِّمين العلماء لجواريه المتميّزات كي يُعلِّمهنّ علوماً جديدة؛ فطلب من الرّصافي² أن يعلم جاريته الغلاميّة الكاتبة خدمة الاسطرلاب، ويبدو أن هذه الجارية التي لم يذكر ابن الأبار اسمها واكتفى بوصفها بالغلاميّة كانت على مستوى عالٍ من العلم فهي كاتبة تعمل في قصر الخلافة، كما أنه وصفها بالفهم والذكاء، ومما يُدلل على علمها وعُلوّ مكانتها أن الخليفة أعادها إلى قصره كي يستفيد من علمها بعد أن أتمت ثلاثة أعوام في دراستها.³

ولم يقتصر تعليم الجوّاري على الخلفاء فقط، وإنما انتقل الأمر إلى غيرهم من العامة كالكرّيّاني⁴ الذي أدب صُبْح جاريته الرومية التي شغفته حباً حتى نالت حظاً من العربيّة وتمكنت من نظم الشعر⁵، كما أن إشراق السّويدياء العروضية أخذت العربيّة واللغة والآداب عن ابن غلبون⁶ ومولاها⁷.

¹ - انظر ابن الأبار، التّكملة، 241/4، المقرّي، النّسخ، 124/4.

² - هو أبو القاسم سليمان بن أحمد بن سليمان الأنصاري، لم أجد له ترجمة في المصادر المتوفرة.

³ - انظر التّكملة، 247/4، ابن عبد الملك المرّاكشي، الذّيل والتّكملة، 495/2/8.

⁴ - هو أبو العباس أحمد بن محمد بن شعيب الكرياني، عالم بالطب والفنون والأدب، وحافظ للشعر وصاحب خط ظريف، من أهل فاس وتلقّى علومه فيها ثم انتقل إلى تونس ليكمل فيها علومه، كتب في ديوان سلطان المغرب ثم انتقل إلى غرناطة وحقق بها نجاحات طبّيّة عديدة، وانتقل بعدها إلى تونس وتوفي هناك سنة 749هـ. انظر ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 277-272/1.

⁵ - انظر ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 272/1.

⁶ - هو أبو المطرف عبد الرّحمن بن غلبون، من أهل قرطبة وسكن بلنسية، عالم بالعربيّة واللغة والأخبار والآداب، توفي قريباً من 430هـ. انظر ابن الأبار، التّكملة، 10/3، عبد الملك المرّاكشي، الذّيل والتّكملة، 480/2/8.

⁷ - انظر ابن الأبار، التّكملة، 250/4، المقرّي، النّسخ، 308/5.

ولاحظت أن الرجال الذين اهتموا بتعليم جواريتهم كانوا من أهل العلم أو الأدب، أو أنهم أحبوا العلوم والآداب؛ فالحكم المُستتصرِ عالمٌ نبيهٌ حوت مكتبته ما يقارب أربعمئة ألف مجلد¹، كما كان الكرياني عالماً بصناعة الطب، وعارفاً بالأدب حافظاً للشعر، وقيل: إنه حفظ عشرين ألف بيت للمُحدثين²، أما ابن غلبون فهو كاتب متميز وأستاذ إشراق السُويداء التي أخذت عنه العربية واللغة والآداب، وسأبدأ الحديث عن الجواري اللواتي نلن علماً وأدباً قمن بتوظيفه في دولة الأندلس.

2- الجواري المشرقيات الوافدات على الأندلس

كانت عابدة المدينة من أوائل الوافدات على الأندلس، وهي جارية سوداء حالكة من رقيق المدينة، روت عن مالك بن أنس وغيره من علماء المدينة، وقيل: إنها تروي عشرة آلاف حديث، وقد أُهديت لحبيب بن الوليد³ في أثناء رحلته إلى الحج فأعادها معه إلى الأندلس، وأضحت أم ولده بشر ذلك أنه أعجب بعلمها وفهمها فاتخذها لفراشه⁴.

والجارية المعروفة بالعجفاء من الجواري المشرقيات اللاتي وفدن من المدينة إلى الأندلس، ولا تُبين المصادر الأندلسية إن كان هذا اسمها أو لقبها، والأرجح عندي أنه لقبها فهو ينطبق مع ما ذكره المقرئ في وصفها بأنها كلفاء⁵ عجفاء⁶، وقد أصابت هذه الجارية العجفاء حظاً وافراً من الشهرة بين جواري الأندلس وفتنت الكثيرين بحُسن غنائها وجمال صوتها، ويبدو

1 - انظر المقرئ، النَّفْع، 377/1.

2 - انظر ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 272/1.

3 - هو أبو سليمان حبيب بن الوليد ويُلقب بدحون، فقيه عالم وأديب شاعر، كانت له حلقة بجامع قرطبة، وتوفي بعد 200هـ. انظر ابن حيّان، المُقتبس، 94، ابن الأبار، التَّحْمِلة، 228/1، المقرئ، النَّفْع، 250/3-251.

4 - انظر ابن حيّان، المُقتبس، 96، ابن الأبار، التَّحْمِلة، 240/4، المقرئ، النَّفْع، 123/4.

5 - كلفاء: الكلف والكلفة: حُمرة كدرة تعلق الوجه، وقيل: لون بين السواد والحمرة. ابن منظور، لسان العرب، مادة (كلف) 307/9.

6 - انظر النَّفْع، 125/4.

أن شهرتها وصلت إلى مسامع الأمير عبد الرحمن الداخل فاشتراها ولم يُفَرِّط بها حتى توفاهما الله¹، و هذا يشير إلى مدى رعايته وعنايته بالجواري المغنيات وتقديره لهن.

وعمد الأمير عبد الرحمن الأوسط إلى شراء جوار متميزات من المشرق وأرسل في طلبهن إلى الأندلس، و كانت فضل المدينة وعلم المدينة وقلم البشكنسية ضمن جواريه اللواتي نُسبت إليهن دار المدنيات²، وكن من الجواري المميزات في المشرق قبل أن يلمع نجمهن في الأندلس.

وكانت فضل المدينة جارية لإحدى بنات هارون الرشيد، ونشأت وتلقت علومها في بغداد، ثم انتقلت إلى المدينة المنورة لتزويد في علومها، ووصفها ابن الأبار بأنها حاذقة بالغناء، كاملة الخصال، أما علم المدينة فلم يتوفر لي أي وصف لها غير أنها صاحبة الجارية فضل التي وصلت الأندلس معها³.

وعلى الرغم من أن قلم صبية أندلسية من سبي البشكنس إلا أن المقرري وضعها ضمن النساء الداخلات الأندلس من المشرق⁴؛ وقد يعود هذا لأنها انتقلت في صغرها إلى المدينة وتلقت علومها هناك، فأضحت أديبة حسنة الخط حافظة للأخبار عالمة بفنون الغناء⁵، ويبدو أن الرحلة إلى المدينة كانت بمثابة بعثة دراسية لرفع المستوى العلمي والفني للجارية المتميزة لتتخرج بعدها وهي أستاذة في مجالها، وتحمل شهادة لا تضاهي من المدينة المنورة تؤهلها أن تنسب نفسها إليها.

ولم يكن عبد الرحمن الداخل الأمير الوحيد الذي يُقدّر المغنيات والمغنيين ويرعاهن، فقد قام الأمير عبد الرحمن الأوسط باستقبال زرياب في الأندلس، ويبدو أن نزوله الأندلس أحدث

1 - انظر المقرري، النفع، 125/4-126.

2 - انظر ابن الأبار، التكملة، 241/4، المقرري، النفع، 123/4-124.

3 - انظر التكملة، 241/4، المقرري، النفع، 123/4-124.

4 - انظر النفع، 123/4-124.

5 - انظر التكملة، 240/4-241، المقرري، النفع، 124/4.

تغييراً جذرياً في الحركة الغنائية والموسيقية في الجزيرة ولم يحضر زرياب وحده إلى أرض الأندلس فأحضر أولاده وبناته وجاريتيه غزلان وهنيدة.¹

ولم تكن هنيدة وغزلان آخر الجواري المشرقيات المميزات في الأندلس، ففي عصر الأمير عبد الله بن محمد وصلت قمر جارية إبراهيم بن حجاج اللخمي² من بغداد محملة بفصاحتها ومعرفتها بصوغ الألحان والغناء، بعد أن وجّه ابن الحجاج أموالاً ضخمة لشرائها.³

أما الخليفة عبد الرحمن الناصر الذي استكثر من الجواري، فيبدو أنه لم يكتف بما ملك من الجواري الأندلسيات، وإنما أرسل إلى الإسكندرية يطلب استفاداً مغنين ومغنيات مشاركة عام 344هـ.⁴

وربما يظن المرء أنه لم تتوافر أي جارية مشرقية إلا عند الخلفاء والأمراء لأن أسعارهن مرتفعة، ولكن الشيباني⁵ أحضر معه جارية مدنية من المشرق، أحسنت تلاوة القرآن الكريم وإنشاد الشعر وامتازت بصوت عذب.⁶

ويخطر بالبال أن كلّ الطّلب في العالم الإسلامي كان على الجواري المشرقيات؛ لكن رواية ابن الأبار والمقري عن قلم البشكنسية⁷ أمّدتني بملاحظة لطيفة؛ ألا وهي إمكانية وجود

¹ - انظر المقري، النّفع، 111/4.

² - هو إبراهيم بن الحجاج الذي خرج على الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط واستقلّ بأشبيلية، فتصرف فيها وكأنه ملكٌ عليها، ووفد عليه كثير من الشعراء وأبرزهم ابن عبد ربّه، توفي سنة 288هـ. انظر ابن عذاري، البيان المغربي، 125/2-129، ابن سعيد، المغربي، 111/1، ابن الخطيب، أحمال الأعمال، 35.

³ - انظر ابن الأبار، التّكملة، 245/4، ابن عذاري، البيان المغربي، 128/2، المقري، النّفع، 124/4.

⁴ - انظر ابن الأبار، التّكملة، 245/4.

⁵ - هو رجل مشرقي دخل الأندلس وسكن قرطبة على شاطئ الوادي بالعيون. انظر الحميدي، جذوة المقتبس، 81/1، الضبي، بغيّة الملتمس، 85.

⁶ - انظر الحميدي، جذوة المقتبس، 81/1، الضبي، بغيّة الملتمس، 85.

جوارِ أندلسيات بقين في المشرق أيضاً، ذلك أن قلم البشكنسية الأندلسية الأصل التي تم سببها وحملت إلى المدينة المنورة ليست الجارية الوحيدة التي سببت ونقلت إلى هناك، فمن المنطقي أن يكون معها جوارِ أندلسيات أُخر، ومن الطبيعي أن يشتريهن مشاركة أو مغاربة، إلا أن المصادر التي بين يدي لم تذكر شيئاً عن جوارِ أندلسيات اشتراهن مشاركة، والافتقار إلى روايات حول وجود جوارِ أندلسيات في المشرق لا يعني عدم وجودهن هناك.

3- الجوارِ المتأدبات

وهنّ الجوارِ اللاتي تلقين ثقافة متعددة في اللغة والأدب والشعر والحساب والعروض والحديث وغيرها من العلوم، أو أنهنّ ملكن مواهب أو ملكات دلّت على ثقافتهنّ وعلمهنّ، أو روي في أخبارهنّ ما يدل على ذلك.

لاحظت أنه لا يوجد كثير من الجوارِ المتأدبات إبان عصر الإمارة في ما بين يدي من المصادر، وأول ذكرٍ وجدته عن إحداهن كان لقلم البشكنسية في عصر الأمير عبد الرحمن الأوسط، وذلك لما نالته من أدب وشعر ومعرفة الأخبار، وانمازت بجودة الخط، وحبها الله صوتاً فريداً¹، كما اشتهرت فينان محظية الأمير محمد التي عُرفت ببراعتها في الأدب².

أما عصر الخلافة فاشتهرت فيه راضية جارية الخليفة عبد الرحمن الناصر المعروفة بنجم، وذكر ابن بشكوال أنه كان لها مريدون روا عنها وملكوا بعض كتبها³ ولكني لا أدري المقصود بكتبها هل هي تواليفها أم ممتلكاتها من الكتب⁴، وإن كان لها كتب فمن المؤسف حقاً أن ابن بشكوال لم يذكر عناوينها أو موضوعاتها، وأرجح أنه لم يطلع على كتبها ولم يعرف أيّ

¹ - انظر ابن الأبار، التكملة، 241/4، المقرئ، النفع، 124/4.

² - انظر ابن حيان، المقتبس، 213.

³ - انظر الطلّة، 694/2.

⁴ - انظر محمد المنتصر الريسوني، الشعر النسوي، 137.

شيء عنها، وكل ما هنالك أنه نقل ما سمعه من أن كتبها اشتهرت وملأت الآفاق فكانت غنية عن التعريف، وما يعينني هنا هو أن لها كتباً، وهذا دليل كافٍ على أنها كانت جارية متأدبة ذات علم ومريدين.

كما تميزت مَرَجَان زوج الناصر وأم ولده الحكم المستنصر وعُرف عنها أنها أديبة لطيفة المقاصد¹، إلا أن المؤرخين لم يذكروا لها أي مؤلفات أو شعر باستثناء بيتين غنتهما لتغيظ زوجة الناصر الحرّة فقالت: ² [مجزوء الرجز]

يا ليلية لو أنّها تُباع لِي أو تُشترى
شَرَّيْتها بِكُلِّ ما أطبُّهُ مِنَ المُنَى

وربما تعرّض أدبها أو شعرها للضياع كالكثير من شعر الأندلس وأدبها، أو أنه ما زال ينتظر من يكشف النقاب عنه، وما يهمني هنا أن ابن الأبار وصفها بالأديبة وهذا يضعها مع الجواري المتأدبات.

وانضمت لبني جارية الحكم المُستنصرِ إلى قافلة الجواري اللواتي عُرفن بالعلم والأدب، فقد كانت شاعرةً أديبةً وعالمةً بالنحو والحساب والعروض³.

ولم ينته وجود الجواري المتأدبات بانتهاء أيام بني أمية، فقد كانت لهنّ حظوةٌ بين ملوك الطوائف أيضاً؛ فالمعتصم بن صمّادح اشترى غاية المُنَى وهي جارية أندلسية متأدبة وأرسلها إلى ابن الفراء ليختبرها، فلما وصلته قال: ما اسمك؟ فقالت غاية المُنَى، فقال أجيّزي: ⁴ [مجزوء الخفيف]

¹ - انظر ابن الأبار، التَّحْمِلَة، 247/4-248.

² - ابن الأبار، التَّحْمِلَة، 247/4-248.

³ - ابن بشكّوال، الصلّة، 692/2، ابن الأبار، التَّحْمِلَة، 247-246/4، ابن عبد الملك المرّاكشي، الذَّيْل والتَّحْمِلَة، 492/2/8.

⁴ - ابن الأبار، التَّحْمِلَة، 253-252/4، ابن عبد الملك المرّاكشي، الذَّيْل والتَّحْمِلَة، 489-488/2/8، المقرّي، النَّعْج، 61/6.

سَلْ هَوَى غَايَةَ الْمُنَى مَنْ كَسَا جِسْمِي الضَّنَى

فقال: [مجزوء الخفيف]

وَأرَانِي مُنِيَّماً سَأَقُولُ الْهَوَى أَنَا

ويبدو أن هذه الإجازة كانت أمراً طبيعياً ليتبين المشتري مدى قدرة الجارية على الارتجال، وبهذا يتبين له مخزون الجارية من الأدب والشعر، وإن كان سيخولها أن تنظم شعراً وتجزئ سائلها أم لا، وإن كانت ستقدر على إمتاع سيدها أم لا، فإن تمكنت من كل ما سبق فهي جارية متأدبة تستحق الانضمام إلى قافلة الجواري المتأدبات.

ولم تكن الرغبة بامتلاك الجواري المتأدبات حكراً على ملوك الطوائف العرب فحسب؛ فقد اشترى هذيل بن خلف البربري الجارية رِيحانة بثلاثة آلاف دينار، وذلك لما امتازت به من جمال الصوت والخط وإجادة العربية، ولمعرفتها النحو واللغة والعروض والطب والتشريح بالإضافة لإتقانها أنواعاً من اللعب بالسيوف والخنجر¹.

ونالت إحدى هؤلاء المتأدبات منزلة عالية عند سيدها، ليس لكونها جارية متأدبة فحسب بل لأنها جمعت الأدب والعلم وأنجبت الولد، فقد قيل في العبادية جارية المعتضد إنها أديبة و كاتبة شاعرة، على قدر كبير من المعرفة باللغة، وذكر أن المعتضد سهر ليلة لأمر كان يُقلقه بينما هي نائمة فقال: ² [المتقارب]

تتـام ومـدنفها يـسهرُ وتـصبرُ عنـهُ ولا يـصبرُ

فأجابته: [المتقارب]

لـنّ دـامَ هـذا وهـذا بـه سـ يهـلكُ وجـداً ولا يـشعرُ

¹ - انظر ابن عذاري، البيان المغربي، 308/3.

² - ابن الأثير، التكملة، 251/4-252، ابن عبد الملك المرآكشي، الذيل والتكملة، 494/2/8، المقرئ، النفع، 58-59.

ومن المؤسف أن المصادر التي بين يدي لم تذكر لهذه الأديبة الكاتبة الشاعرة إلا هذا البيت الوحيد، وقد يكون لها شعرٌ آخر لكنه لم يصل إلينا، أو أهمل مؤرخو الأدب تدوينه وحفظه أو أنهم اكتفوا بهذا البيت للدلالة على براعتها وشعرها، فقد علّق المقرئ على بيت العبادية قائلاً: "ويكفيك هذا شاهداً على فضلها رحمها الله تعالى وسامحها"¹، وقد يكون قوله هذا بناءً على أخبار سمعها، أو قصص عرفها ولم يذكرها، أو أنه اكتفى بنقل ما سمع عنها، أو أنه بنى قوله هذا على سرعة بديهة هذه الجارية وقدرتها الفائقة على الارتجال بكل هذه القوة.

ولم تكن الجواري المتأديات ملكاً للخلفاء والملوك فحسب، فقد ذكر أنه كان لابن مسلمة الشاطبي² جارية تسمى هند وكانت أديبة وشاعرة مشهورة³، وكان أبو عمرو المقرئ⁴ يملك الجارية ریحانة التي كانت تلميذة مجدة وأخذت عنه القراءات السبع بالمريّة، وكانت تقرأ حتى أتمت دراسة السبع ثم روايات أخرى غيرها، حتى أجازها⁵، أما إشراق السويدياء جارية ابن غلبون فلم تكتف بعلم اللغة والآداب التي نهلتها من مولاها، وإنما درست العروض وأوزان الشعر، ويبدو أن علمها كان غزيراً حتى أصبح لها مريدون عدة⁶.

1 - النفع، 283/4.

2 - هو أبو محمد عبد الله بن مسلمة الشاطبي. لم أجد له ترجمة في المصادر المتوفرة، ذكره ابن الأبار، التكملة، 259/4، المقرئ، النفع، 67/6.

3 - انظر ابن الأبار، التكملة، 259/4، المقرئ، النفع، 67/6.

4 - هو عثمان بن سعيد بن عثمان المعروف بأبي عمرو الداني، كان محدثاً ومقرئاً وأديباً رحل إلى المشرق قبل 400هـ فسمع من شيوخه ثم عاد إلى الأندلس، فتصدّر بالقراءات وألف فيها كتاب "المقنع" و "التيسير"، توفي سنة 444هـ. انظر الحميدي، جذوة المقتبس، 483/2-484، الضبي، بغيّة الملتمس، 411-412، المقرئ، النفع، 350/2-351.

5 - انظر الضبي، بغيّة الملتمس، 412.

6 - انظر ابن الأبار، التكملة، 250/4، ابن عبد الملك المرآكشي، الخيل والتكملة، 480/2/8.

ويبدو أن إشراق السُّوَيْدَاء لم تكن ظاهرة غريبة في مجتمع تكثر فيه الشاعرات، فقد ذكر المَقْرِي أنه كان هناك نساء يُعرفن بالمحافظة على المعاني العربية في غرناطة¹ وكُنَّ يُعرفن بالعربيات بدلاً من الغرناطيات²، وأعتقد أنه كان للجواري الأندلسيات نصيب من هذا الاسم، وعلى الرغم من أنه لم يُحدّد أعداد الغرناطيات أو أعداد الجواري بينهن، إلا أنه من المنطقي أن يكون لهن حصة لا بأس بها في هذا الكم الهائل من الشاعرات.

4- الجواري الكاتبات

لم يظهر في المصادر المتوفرة بين يدي أي ذكر لجواري كاتبات في الأندلس حتى عصر الخليفة الناصر، ولم أجد أي نص يُشير إليهن قبل عصر الناصر، ولا أدري إن عملت الجواري في الكتابة والتدوين قبل ذلك العصر أم لا، فربما لم يمتهن الكتابة أو أنهن مارسن الكتابة والتدوين ولكن لم يهتم أحد بذكرهن، أو أن دورهن في الكتابة والتدوين كان أصغر من أن يُذكر.

واشتهر العديد من كاتبات الناصر تحديداً فمنهن زمرد التي وُصفت بالكاتبة الحاذقة³، وكتمان المشهورة بالفهم والنبيل⁴، ومزُن المعروفة بذكائها ومعرفتها بالخط، وهذا الوصف

¹ - غرناطة أو أغرناطة (Granada): مدينة أندلسية من أعظم مدن الأندلس، بينها وبين وادي آش أربعون ميلاً، وبينها وبين البيرة ستة أميال، يشقها نهر يعرف بنهر حداره، وفيها نهر آخر يُقال له سنجل، وتُعرف بغرناطة اليهود لأن نازلتها كانوا يهوداً. انظر الإدريسي، نُزهة المشتاق في اختراق الآفاق، 569/2، الزهري، الجغرافية، 94-96، ياقوت، معجم البلدان، 195/4، القزويني، آثار البلاد، 547، الحميري، الروض المعطار، 45-46.

² - العربيات: من نساء غرناطة المشهورات بالحسب والجاه، وذلك لمحاظتهن على المعاني العربية والتزامهن نهج العرب في النظم. انظر المَقْرِي، النَّهْج، 64/6.

³ - انظر ابن الأثير، التَّحْمِكة، 246/4، عبد الملك المرّاكشي، الذَّيْل والتَّحْمِكة، 485/2/8.

⁴ - انظر التَّحْمِكة، 247/4، ابن عبد الملك المرّاكشي، الذَّيْل والتَّحْمِكة، 488-489/2/8.

وصف طبيعي لكاتبات قصر الخلافة؛ كيف لا والأندلس تحوي أفضل الأدباء وأنبلهم، وقصر الخلافة يضم زبدة أفضل الأدباء والعلماء والكتاب¹.

وحذا الحكم المُستتصِرِ حذو أبيه؛ فاستعمل الجارية لبنى كاتبةً لديه وموقَّعةً عنه، وكان محقاً في اختياره؛ ذلك أن لبنى لم تُعرف بالذكاء والفهم وحُسن الخط فحسب، وإنما كانت شاعرةً أدبية، جامعةً لعلوم النحو والحساب والعروض².

ويبدو أن الجواري الكاتبات علا شأنهنّ في الأندلس حتى إن نظام الكاتبة الأدبية بقصر الخليفة هشام المؤيد المعروفة بحُسن تحرير الرسائل أنشأت الرسالة التي جدّد فيها المظفرُ عبد الملك العهدَ بالحجابه للمنصور بن أبي عامر وعزّاه فيها بأبيه محمد بن أبي عامر سنة 392هـ³.

ويظهر مما تقدّم أن الجواري الكاتبات كان لهن شأن عظيم في قصر الخلافة ومن ثم في دولة الأندلس بشكل عام، فقد ملكن علماً غزيراً وموهبة نادرة جعلتهن يتبوأن منزلة رفيعة في الأندلس، ولا غرابة في ذلك لأن أهل الأندلس يولون أهمية كبيرة للعلم والتعلّم والخط، وقد ذكر عبد الواحد المرّاكشي أنه كان بالربض الشرقي لقرطبة مائة وسبعون امرأة يكتبن المصاحف بالخط الكوفي، ولم يُخف دهشته من عددهنّ فقال: "هذا في ناحية من نواحيها، فكيف بجميع جهاتها، وكان فيها واحد وعشرون ربضاً"⁴.

وربّما كان هذا العدد غير دقيق أو بعيداً عن الصحة، ولكن سواءً أكان الرقم صحيحاً أم ناتجاً عن سوء تقدير فإن هذا لا ينفي وجود الكثير من الكاتبات، ومن المنطقي أن يكون بين هؤلاء الكاتبات رقم لا بأس به من الجواري الكاتبات في قرطبة وغيرها من المدن الأندلسية.

1 - انظر ابن الأبار، التّكملة، 247/4 .

2 - انظر ابن بشكّوال، الصّلة، 692/2، ابن الأبار، التّكملة، 246/4-247، ابن عبد الملك المرّاكشي، الذّيل والتّكملة، 492/2/8.

3 - انظر ابن عبد الملك المرّاكشي، الذّيل والتّكملة، 493/2/8، ابن الأبار، التّكملة، 249/4.

4 - المُعجِب، 456-457.

ويدل ما تقدّم على أنه كان للجواري نصيب في النهضة العلمية والأدبية في الأندلس، وهذا يوافق رأي محمد جميل بيهم إذ يرى أنه كان للجواري نصيب في النهضة العلمية والأدبية وإن كان نصيبهن متواضع مقارنة بالحرائر اللواتي قامت النهضة على سواعدهن¹، ويشاركة الرّيسوني الرأي نفسه ويضيف أن الجواري برعن في الموسيقى والغناء وقطعن فيهما أشواطاً بعيدة².

إلا أن إبراهيم علي العكش يظن أن مشاركة الجواري في الحياة العلمية والأدبية أكبر من الحرائر، فمنهن ناسخات المصاحف وكاتبات رسائل الخلفاء وعلى رأسهم الناصر وابنه الحكم المُستنصر، ويرى العكش إن طبيعة حياة الجواري تتطلب أن يتعلمن فنوناً علمية كثيرة مما عرفته الأندلس³.

ومن غير المعقول تقسيم نهضة أية أمة إلى نهضة نسوية وأخرى ذكورية؛ ذلك أن نهوض أية أمة يتم بتفاعل رجالها ونسائها كافة، ومن الصعب أن نفرص بين دور الجواري والحرائر فكلاهما يؤثر ويتأثر بالآخر، ومن الإنصاف أن أذكر بأن الجواري برعن في علوم وآداب متنوعة ولم يقتصر علمهنّ على الغناء والموسيقا.

ومرّ في صفحات البحث ما يُدلّل على معرفتهن وبراعتهم في علوم مختلفة، وأعتقد أن إلمامهنّ بالفنون والعلوم المتعددة لم يكن تلبية لحاجات حياتهم فحسب؛ فقد اقتضت العصور التي عشن فيها معرفةً موسوعية وألواناً متعددة من الفنون.

5- الجواري المغنيات

ما تقدّم من حديث عن الجواري المشرقيّات اللاتي وفدن إلى الأندلس لا يعني أنه كان هناك اعتماد كليّ عليهن فقد وُجد الكثير من الجواري الأندلسيّات المتأدبات والكاتبات _ كما

1 - انظر المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة، 240.

2 - انظر الشعر النسوي ، 41.

3 - انظر التربية والتعليم في الأندلس، 125.

عرضت سابقاً_ كما أنهنّ تميزنّ بفنون الرقص والغناء والموسيقا وساهمن في الحركة الغنائية في الأندلس.

فقد برعت مُهَجَّة جارية الحكم بن هشام في الغناء لأنها كانت حسنة الصوت بارعة التلحين، ولكنها لم تكن القينة الوحيدة لدى الحكم الذي عشق الغناء والجواري، فقد كان يعيش في كنفه الكثير من الجواري اللاتي أحسنَّ الغناء كالجاريتين عزيز وفاتن¹.

وتلت مُتَعَّة هؤلاء المغنيات البارعات فهي جارية رائعة الجمال، بارعة الأداء، عالية الصيت، تلقت علومها على يد زرياب وأدت أغانيه أحسن أداء. وكانت تغني لدى الأمير عبد الرحمن الأوسط الذي أعجب بها، وحدث ذات يوم أن مثلت بين يديه تسقيه وتغني، فلما أحست بإعجابها قالت: ² [المجتث]

يَا مَنْ يُغَطِّي هَوَاهُ	مَنْ ذَا يُغَطِّي النَّهَارَا
قَدْ كُنْتُ أَمْلَأُ قَلْبِي	حَتَّى عَاقَبْتُ فَطَارَا
يَا وَيَلْتَا أَتُّرَاهُ	لِي كَمَا أَوْ مُسْتَعَارَا
يَا بِأَبِي قُرَشِّي	خَلَعْتُ فِيهِ الْعِذَارَا

فلما أحس زرياب أنها حازت قبول الأمير أهداها إليه فحظيت عنده.

وورث الأمير المنذر حب الغناء والجواري المغنيات عن جدّه، فقد هام في حب جاريته المغنية طرب بعد أن وقعت عينه على حُسنها وأذنه على صوتها، وقرّر أن يعوّض التاجر الذي قدّمها إليه بمائة ألف دينار هدية له، وهذا مبلغ زهيد إذا ما قورن بحُسن صوتها، وعلمها بالغناء³.

1 - انظر المقرّي، النفع، 308/3.

2 - ابن الأثير، التكملة، 242/4، المقرّي، النفع، 115/4.

3 - انظر المقرّي، النفع، 119-118/5.

أما جيجان فكانت ملك الأمير عبد الله بن محمد، وهي التي سمعها سعيد بن جودي¹
بقرطبة فهام بها، وقال فيها أرق الأشعار وأعذبها، ومنها قوله:² [البسيط]

سمعي أبا أن يكون الروح في بدني فاعتاض قلبي منه لوعة الحزن
أعطيت جيجان روي عن تذكرها هذا ولم أرها يوماً ولم ترني

واشترى جارية سماها باسمها جيجان فلم يسله ذلك عنها وهام بها دهرًا³.

وكان لعصر ملوك الطوائف نصيب من عشق الغناء ورعاية الجواري المغنيات، ودفع
الغالي والرخيص لاقتنائهن؛ فقد اشترى المعتصم بن صمّاح جاريته غاية المنى بمائة ألف
درهم، وقد برعت في الموسيقى، وكانت من صاحبات الصوت الحسن، كما كان لها مشاركة في
الأدب، وكل محاسنها هذه أهلتها أن تتال الحظوة عند سيدها، وأن تكون السيدة على قلبه⁴.

وأما نزهة الوهبية فقد وصفها ابن الأبار بأنها من عجائب القيان في الأندلس، وذلك
لحسن طبعها وظرفها وجمال إنشادها الأشعار، إضافة إلى معرفتها بالحكايات والأخبار وأيام
العرب، وحفظها الأمثال والأنساب، وكانت غزيرة العلم مما دفع ابن الأبار إلى أن يشبها بقيان
المشرق المتقدمات⁵.

¹ - هو سعيد بن سليمان بن جودي السعدي، فارس جواد له باع في فنون العلم والأدب
والشعر، كان أميراً لإبييرة في عهد لأمير عبد الله بن محمد حتى قتل غدرًا بأيدي بعض
أصحابه في ذي القعدة من سنة 284هـ. انظر الضبي، بغيّة الملتمس، 307، ابن الأبار، العلة
السيرة، 156-154/1، ابن سعيد، المغرب، 106-105/2، ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار
مروناطة، 277-275/4.

² - ابن الأبار، العلة السيرة، 157/1.

³ - ابن الأبار، العلة السيرة، 157/1.

⁴ - انظر ابن الأبار، التكملة، 253-252/4، ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة،
489-448/2/8، المقرئ، النفع، 61/6.

⁵ - انظر التكملة، 250/4.

6- أثر الجوّاري في الثقافة الأندلسيّة

كان للجوّاري -كغيرهن من الداخلين إلى المجتمع الأندلسي- تأثير في ثقافة الأندلس، فقد قدّم من بيئات مختلفة تعددت بين مشرقية وبشكنسية ورومية، فحملن معهن أسماءهن ولغاتهم وثقافاتهن وأديانهن.

وإذا تتبعنا دخول أي جارية للمجتمع الأندلسي سنجدها تدخل باسم جديد لها؛ وربما كان اسمها وصفاً لملامحها المادية نحو تسمية الجارية بالعجفاء أو الغلاميّة، وقد يأتي الاسم لوصف صفات معنوية تدل على المرح والبهجة مثل اسم مُتعة وطرب، أو على تعلق القلوب بهذه الجارية والرغبة في وصالها كاسم غاية المني وأنس القلوب ومُهجة، أو لتشبيهها بكل ما هو غالٍ وثمين ومحبّب نحو زمرد وريحانة ونظام، وقد يكون الاسم ترجمة لاسمها الأصلي الذي حملته معها من بلادها الأصلية مثل: أورورا التي ترجم الحكم اسمها إلى صُبْح¹، وربما يتغير اسمها الأجنبي إلى اسم عربي جديد مثل إيزابيلا التي تغير اسمها إلى ثريا إثر وقوعها في الأسر وزواجها بالسلطان أبي الحسن النصري، وقد تُنسب إلى بلادها الأولى باسمها مثل: قلم البشكنسيّة وصُبْح البشكنسيّة أو بنت سكري المورورية أو عابدة المدنيّة وفضل المدنيّة وعلم المدنيّة وقد يكتفي الرواة بنسبتها إلى بلادها الأولى كجارية الشيباني المدنيّة، وقد تغلب نسبتها إلى مالكا الأول على اسمها كالرُميكيّة التي ابتاعها المُعتمد من رميك بن حجاج²، وقد تُنسب الجارية إلى ديانتها التي كانت أو ما زالت عليها نحو ثريا النصرانيّة، وبهار النصرانيّة³ وماريا النصرانيّة التي سُميت فيما بعد بمُزن⁴.

ولكن ماذا عن بقية الجوّاري اللاتي ملأن الأندلس هل بقين على دينهن؟ وهل مارسن شعائر دينهن في الأندلس أو في قصور الخلافة؟ أم أنهن اعتنقن الإسلام؟ يبدو أن بعض

¹ - انظر محمد عبد الله عنان، تراجم إسلامية، 200، نقلاً عن Dozy: Ibid, V. II. P.190.

² - لم أجد له ترجمة في المصادر المتوفرة.

³ - انظر ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 318/4.

⁴ - انظر محمد عبد الله عنان، حولة الإسلام في الأندلس، 2 / 373، نقلاً عن Lévi-Provençal, Una Cronica Anonima de Abd Al-Rahman III, Al-Nasir, (Madrid 1950) p.29-30.

الجواري كُنَّ نصرانيات وبقين على دينهن مثل: ثريا النصرانية وبهار النصرانية، أما ماريان النصرانية وأورورا فربما غيرتا دينهما لأن اسمهما تغيرا إلى مُزَن وصُبْح، وكان هناك جوار مسلمات متدينيات قامت كلُّ منهنَّ ببناء جامع أو سبيل على نفقتها الخاصة وسمته باسمها مثل طرُوب ومجد ومُتعة والشفاء¹ وفخر²، إلا أنني لم أجد أي معلومات أو نصوص عن الجواري غير المسلمات أو كيفية ممارستهنَّ شعائرهنَّ وأعيادهنَّ.

ويرى الطاهر أحمد مكي أنه بعد أن كثر الزواج من الجواري بدأت هذه الأمهات وغيرهن من أهل الأندلس بإعطاء أسمائهن لبناتهن، فأصبح هناك أسماء مستمدة من الزهور مثل³: بهار ونرجس وبنفسج بنات المنصور بن أبي عامر⁴.

وخلدت بعض الجواري أسماءهن في الحضارة الأندلسية وذلك بأن أطلقن أسماءهن على مساجد أو مدن أو حتى جزر؛ فالجارية شعاع خلدت اسمها عندما بنت مسجداً أسمته باسمها⁵، كما ذكر بعض الرواة أن الزهراء طلبت من الناصر أن يطلق اسمها على مدينته الجديدة، أو كجزيرة أم حكيم التي أخذت هذا الاسم من جارية طارق بن زياد التي خلفها طارق وراءه⁶، أي أنه كان لأسماء الجواري وهي أبسط ما حملته معهن تأثير في ثقافة المجتمع الأندلسي بدءاً من أسماء أبنائه وصولاً إلى أسماء مدنه وجزره.

وكما أعطت الجواري البياض والشقرة لأولادهن وبناتهن علمنهم لغتهن الأولى أيضاً، فحظي أبنائهن باللاتينية إلى جانب العربية⁷، وهذا لا يعني أن السبب وراء تداول اللاتينية هو الجواري فحسب، فقد ضمَّ المجتمع الأندلسي أهل الأندلس الأصليين الذين تحدثوا اللاتينية، ويرى مصطفى الشكعة أن شيوع اللاتينية التي لعبت الجواري دوراً فيها أثر على أسماء

1 - انظر ابن الأثير، التكملة، 240/4-242، الغساني، رحلة الوزير في امتحان الأسير، 20.

2- انظر ابن الأثير، التكملة، 240/4-242.

3 - انظر دراسات عن ابن خزم وكتابه طوق العمامة، 37.

4 - انظر المقرئ، النسخ، 70/2.

5 - انظر ابن الأثير، التكملة، 248/4، عبد الملك المرآكشي، الخيل والتكملة، 488/2/8.

6 - انظر ابن عذاري، البيان المغرب، 30/2، الحميري، الروض المعطار، 223.

7 - انظر ج. ب. ترند، تراث الإسلام، 16/1.

أهل الأندلس؛ فالواو والنون التي لحقت ببعض أسمائهم نحو: زَيْدُون وَعَبْدُون ونَزْهُون ما هي إلا مقطع لاتيني يفيد التكبير، كما أن تاء التأنيث التي لحقت بعض الأسماء نحو حَمْدُونَة ما هي إلا بتأثير صياغة الاسم المؤنث باللاتينية¹.

وكان للجواري أثرٌ كبيرٌ في الحياة الشعرية في الأندلس، فكنَّ مصدر إلهام للشعراء ومحفراً لنظم الشعر فيهنَّ حتى إن الشعراء في الأندلس نظموا فيهنَّ سبعمائة وثلاثة وستين بيتاً وثلاثة موشحات وأرجوزة وأزجال مختلفة، كما أن معظم الجواري ملكن القدرة على نظم الشعر فنظمن ثمانين بيتاً في موضوعات متعددة، وعلان على نشر مائة وخمسة وأربعين بيتاً شعرياً وثلاثة موشحات، كما ساهمت الجواري في نقل الثقافة المشرقية وخصوصاً الشعر المشرقي الذي غنينه ونقلن ألقانه إلى الأندلس، أو صُنغن له الألقان، ناهيك عن دورهنَّ في حركة الغناء.

¹ - انظر الأديب الأندلسي، 46.

الفصل الثالث

الجواري

في

الحياة السياسيّة

لم يكن بإمكان أية امرأة أو جارية أن تتال مناصب سياسية عالية في الأندلس أو غيرها من الدول التي تآمر بأمر الإسلام، إلا أن بعض الجواري تمكّن بدعائهن أن يكون لهن اليد الطولى في تدبير شؤون الدولة، وحققن ذلك بامتلاك زمام سادتهن الذين وقعوا تحت تأثيرهن كما ذكرت الروايات، وأرجح أن الألقاب الملكية التي حازت عليها بعض الجواري ما هي إلا دليل على أنه كان لهن نفوذ أو تأثير، إلا أنه لا يوجد ما يُحدّد مدى نفوذهن، أو يُثبت أنه كان لهن تأثير على القرار الأندلسي أو مصير المسلمين في الأندلس.

وتدلُّ بعض الروايات والأخبار الأندلسية على أن بعض أمهات الأولاد من الجواري شاركن في نسج مؤامرات سياسية هدفن من ورائها إلى تقليد أبنائهن مقاليد الحكم، وقد نجحت بعض مؤامراتهن وفشل بعضها، ومن الجدير بالذكر أنني لاحظت أن الجواري التي كان لهن تأثير في الحياة السياسية كن من أمهات الأولاد المقربات إلى قلوب الحكام، وأنهن من الجواري المشهورات اللاتي حفظ المؤرخون بعض أخبارهن، كما أنهن عملن في مؤامراتهن بالطريقة نفسها؛ فقد لجأن إلى رجل قوي له نفوذ وسلطان في الدولة كي يساعدهن في نيل مرادهن، وكان شركاؤهن في المؤامرات من الطامحين إلى الحكم والطامعين فيه بشكل مباشر أو غير مباشر وهذا هو الدافع وراء عملهم مع الجواري.

1- نفوذ الجواري

كانت طروب من أبرز الجواري اللاتي حظين بنفوذ سياسي أيام سيدها عبد الرحمن الأوسط؛ فقد تمكنت من استمالة نساء القصر وفتيانه وخدمه كلهم¹، كما أنها ملكت زمام سيدها² وأثرت فيه كي يصرف ولاية العهد عن ابنه البكر محمد وينقلها إلى ابنها عبد الله³، وأرجح أن انتشار خبر كهذا لم يكن بالأمر السهل على عبد الرحمن بن الحكم⁴، الذي حكم مجتمعاً عربياً

¹ - انظر ابن القوطية، تاريخ افتتاج الأندلس، 91، ابن حيان، المُقتبس، 8.

² - انظر ابن الأبار، التَّحْكِمَة، 242/4، ابن سَعِيد، المغرب، 146/1.

³ - انظر ابن القوطية، تاريخ افتتاج الأندلس، 91.

⁴ - ذكر ابن سَعِيد أن عبد الرحمن الأوسط رشح ابنه عبد الله لولاية العهد بعده، إلا أن كبار الخدم رجحوا محمداً إثر وفاته وولوه الخلافة، ولم يذكر أي مؤامرة. انظر ابن سَعِيد، المغرب، 51/1.

يستتكر تأثير المرأة على الرجل، ويرفض أي نفوذ لها في حكم دولة تأتمر بتعاليم الإسلام الذي استبعد المرأة عن قيادة الأمة.

وربما كان ابن حيّان أحد الأندلسيين الذين انتقدوا نفوذ طرُوب بأسلوب ساخر عندما قال: "وكان لهذه الجارية طرُوب هذه الحظية أم عبد الله تحكّم على مولاها الأمير عبد الرحمن وإدلال كثير تكاد تسحب بهما عليه، فعملت لذلك في صرف أمر الخلافة بعده إلى ابنها عبد الله دون بكره محمد وجميع إخوته ولم يكن ابنها بالحصيف. وتبعت هواها فيه"¹، ويظهر من حديثه نوع من التهكم والسخرية من علو شأن "هذه الجارية" أو "هذه المحظية" التي كان لها "تحكم وإدلال"².

ولم تحز مَرَجَان محظية الناصر والسلطانة الكبرى على ما حازته طرُوب من نفوذ سياسي مباشر، إلا أن صاحب المقتبس ذكر أنها كانت غالبية على نفس الأمير عبد الرحمن³، ولا ينقل أي من المصادر الأندلسية التي وجدتها أية حادثة أو واقعة تُبين مدى نفوذ مَرَجَان السياسي، إلا أن حديث ابن حيّان يجعلني أرجح أنه كان لها تأثير كبير على قرارات الناصر الذي هام بها وملّكها أمره.

وعلى الرغم من نفوذ طرُوب السياسي وتحكّمها في سيدها إلا أن نفوذها لم يُضاه نفوذ صُبْح التي تمتعت بالوصاية على ابنها هشام المؤيد ولي العهد⁴، ويبدو أن ظروف صُبْح هيأت لها النفوذ الأوسع؛ فقد ملكت قلب سيدها العجوز الحكم المُستنصر بجمالها وذكائها وشبابها، كما أنها المرأة الوحيدة التي أنجبت له الولد، وكان لها تأثير كبير عليه في إدارة شؤون الدولة واختيار الموظفين وعلى رأسهم المنصور بن أبي عامر⁵، وأرجح أن وفاة الحكم مكّنت صُبْح من توسيع نفوذها السياسي الذي بدأته أيام الحكم، عندما سيطرت على ولي العهد الصغير،

¹ - ابن حيّان، المقتبس، 110.

² - انظر نزار اللبدي، ابن حيّان القرطبي أديباً، ص 58-62، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، 1997.

³ - انظر ابن حيّان، 121.

⁴ - انظر المقرئ، النفع، 382/1.

⁵ - انظر المغرب، 195/1-199، المقرئ، النفع، 382/1.

وأعتقد الألقاب التي حازتها صُبْح أو التي أطلقتها على نفسها كالسيدة صُبْح أم المؤيد¹ والسلطانة صُبْح²، ما هي إلا دلالة على علو مكانتها وقوتها ونفوذها السياسي.

ويبدو أن قوتها ونفوذها تحولاً إلى أسطورة؛ فها هي اعتماد الرُمَيْكِيَّة تحاول تقليدها، وتملك زمام المُعْتَمَد بن عباد، وتُحيطه بجو من المرح والمحبة فلا يقوى على مفارقتها أو البُعد عنها، فكأنها ملكة عقل المُعْتَمَد وقلبه حتى شُغل عن الحُكم نفسه ولم يأبه إلا بها، كما أنه نفذ رغبتها وتخلص من ابن عمّار وهو أقرب المقربين إليه³، ويبدو أنها وسّعت نفوذها كثيراً حتى إن اسمها ذكر في نقوش صومعة إشبيلية سنة 472هـ عند الشروع في بنائها⁴، كما أنها حظيت بألقاب عدّة تدل على علو الشأن والنفوذ فقد عُرفت بأُم الربيع والسيدة الكبرى⁵ كما سميت أم الملوك⁶، وأصبح اسم اعتماد رمزاً لمملكة بني المُعْتَمَد بن عباد، كما نوّه المؤرخون إلى علو شأنها ودورها الكبير في الدولة عندما أطلق اسمها على كتاب حول أخبار بني عباد سُمي "الاعتماد في أخبار بني عباد"⁷.

ولكن تأثير الجوّاري السياسي انحسر إثر دخول المرابطين إلى الأندلس؛ فقد حمل المرابطون معهم عاداتهم و تركيبتهم الاجتماعيّة، لذا حظيت المرأة المرابطية في الأندلس بالميزات نفسها التي تمتعت بها في مجتمعها الصحراوي الأول، فقد استمرت المرابطيات في تدخلتهنّ في شؤون الدولة وتمتعت بالسلطة السياسيّة⁸، وأرجح أن المرابطيات قمن بإقضاء جوّاري الأندلس عن الحياة السياسيّة؛ فطبيعة مجتمعهنّ مدتهنّ بالقوة والقدرة التي تمكنهنّ من منع أزواجهن من الوقوع تحت تأثير أيّة جارية، وربّما لم يجرؤ الرجال على الاقتراب من

¹ - انظر ابن حزم، رسائله، 147/1، المقرّي، النّفع، 382/1.

² - انظر دوزي، تاريخ مسلمي إسبانيا، 198-190.

³ - ابن بسّام، الذّخيرة، ق 2 م 432/1، ابن خلكان، وفيات الأعيان، 428/4، المقرّي، النّفع، 348/5.

⁴ - انظر مجهول، أخبار مجموعة، 49.

⁵ - انظر ابن الأبار، العلة السّيراء، 62/2، ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 109/2-110.

⁶ - انظر ابن خلكان، وفيات الأعيان، 56/4.

⁷ - المقرّي، النّفع، 32/6.

⁸ - انظر محمد مجيد السعيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين في الأندلس، 49.

الجواري خوفاً من نساءهم المرابطيات، ناهيك عن أن الأمور السياسيّة صارت بين يدي أكابر نساء لمتونة¹ ومسوفة² اللواتي جمعن حولهن كل مفسد وشرير وقاطع سبيل وصاحب ماخور³.

ولم تتمكن جميع الجواري من أن يصبحن محظيات ذوات تأثير وسلطة على سادتهن، ولم تكن كلهن ملكاً لأمرأء وقادة وكن ملكاً لرجال من الخاصة أو حتى من العامة، وعلى الرغم من ذلك فقد أصبحت بعض الجواري _ البعيدات عن صنع القرارات السياسيّة _ أداةً سياسيّة فعّالة في يد بعض الرجال؛ فقد قام أبو الحسن بن نزار⁴ _ إثر سجن ابن مردنيش⁵ له ورفضه أي حديث معه _ باستخدام جارية وطلب منها أن تغني لابن مردنيش موشحته التي أولها: ⁶

¹ - لمتونة: وهم الملتمون وهم إحدى أفخاذ قبيلة صنهاجة، وموطنهم الصحراء فيما بين بلاد البربر وبلاد السودان، حكموا المغرب الأقصى والأوسط والأندلس، ولم يعرفوا حرثاً ولا زرعاً ولا فاكهة، واعتاشوا على اللحم واللين. انظر ياقوت، معجم البلدان، 12/2، الناصري، الاستقفا لأخبار دول المغرب الأقصى، م 1 ج 2، 3.

² - مسوفة: إحدى أفخاذ قبيلة لمطة في أولى مراقي الصحراء، إذا بلغت بعض نساءهم اللواتي لا أزواج لهن أربعين سنة تصدقت بنفسها على من أرادها من الرجال، فلا تدفع عن نفسها ولا تمنع من يريدها. انظر الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، 225/1.

³ - انظر عبد الواحد المرّاكشي، المعجب، 241.

⁴ - هو من أعيان وادي آش، عندما دخل المرابطون الأندلس حسده الناس على المكانة التي سيحوزها عندهم فقصدوا تأخيرها عنها، فأوصلوا شعراً قاله لابن مردنيش، فأرسل إليه من حملة وقيده، ومكث في سجن ابن مردنيش مدة ثم أطلق سراحه وجدّد له الإحسان. انظر المقرئ، النفع، 41-43.

⁵ - هو أبو عبد الله محمد بن مردنيش، انطلق بثورته من مُرسيّة فسيطر عليها ثم سيطر على جيان وقرطبة، تحالف مع الفرنجة وخاض معهم وقعة الجلاب ضد الموحدّين سنة 560هـ، إلا أن الموحدّين قضوا على جيش الفرنجة وهزموه، وتوفي عند دخول يوسف بن تاشفين إشبيلية فقيل إن سبب وفاته هو خوفه من ابن تاشفين، كما قيل إن أمه سمته لأنها خافت بطشه بها بعد أن نصحته أن يحسن لكبار دولته. انظر الناصري، الاستقفا لأخبار دول المغرب الأقصى، م 1 ج 2، 141-147.

⁶ - المقرئ، النفع، 42/5.

نَازِعَـكَ الْبَدْرُ اللَّيْلِيَّاحُ بِنُوتِ الْوَدَانِ
فَلَمْ يَدْعُ لَكَ اقْتِرَاحُ عَلَيِ الزَّمَانِ

فلما سمعها ابن مَرْدَنِيَش سألها عن صاحب الموشحة فأخبرته أنه أبو الحسن، وتم اللقاء بين ابن مَرْدَنِيَش وأبي الحسن فأطلقه وأعلى شأنه¹، ولم تكن هذه الجارية العنصر الفعّال هنا إلا أنها كانت أداة سياسية أحسن أبو الحسن استخدامها وتوظيفها لإخراجه من محنة سياسية تسببت في سجنه، ولولا إعجاب ابن مَرْدَنِيَش بصاحبة الصوت وصوتها لما سمع الشعر ولم يستدع ناظمه.

أما الموحّدون فلم يُفسحوا المجال لأي من النساء الحرائر أو الجواري أن يتصرفن في شؤون الدولة أو يؤثرن فيها، مع أن بعضهم _ في آخر أيام حكمهم في الأندلس _ قضوا معظم أوقاتهم معهن في مجالس الغناء والمرح والخمر².

وشهد العصر الأخير في الأندلس قوة مريم جارية أبي الحجاج التي وحدت قوتها مع قوة زوج ابنتها البرميخو³ ضد ابن ضررتها محمد الخامس⁴، وقد أدت قوتها وقوة حلفائها إلى الكثير من الصراعات التي لم تعشها وحدها فحسب بل عاشها الأندلسيون جميعاً⁵.

واعتقد أن حديث المؤرخين عن تأثير الجواري على سادتهن لم يأت من فراغ، مع أنهم لم يُدعموا أخبارهم بأية قصص واكتفوا بقولهم إن فلانة ملكت زمام سيدها، لذا بحثت بين السطور وسط الروايات على ما يثبت ادّعاءاتهم، ولم أجد الكثير سوى الألقاب التي حازها

¹ - انظر المَقْرِي، النَّهْج، 43/5.

² - انظر المَقْرِي، النَّهْج، 12/6.

³ - هو أبو سعيد محمد بن إسماعيل بن محمد، المعروف بأبي سعيد البرميخو، وهو سياسي ماكر عُرف باللؤم والغدر. انظر ابن الخطيب، نفاضة الجرايم، 164.

⁴ - هو محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر بن الأحمر، كان ملكاً وسيماً وقوراً عفيفاً، تولى الأمر بعد مقتل أبيه سنة 755هـ، افتتح عهده بالهدنة ثم قامت عليه ثورة فهرب إلى وادي آش ثم إلى العدو، وعاد بعدها إلى الأندلس بدعم أمير قشتالة وبني مرين. انظر ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 13/2، اللّمة البحرية، 113-121.

⁵ - ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 163/1، نفاضة الجرايم، 14-15.

بعضهن أو تأثيرهن في توظيف بعض الموظفين، إلا أن المصادر الأندلسية لم تذكر لنا جارية واحدة من اللواتي ملكن زمام أسيادهن قد أثرت على قرار سياسي مصيري أثر في تاريخ الأندلس، أو أنهن حرضن على حرب أو معركة مع أحد أعداء الأندلس فأدت إلى غنائم كثيرة أو خسائر لا تحصى، وعلى الرغم من أني لم أجد أخباراً مماثلة لما ذكرته إلا أن هذا لا يثبت أنهن لم يُشاركن أو يؤثرن في قرارات مصيرية، فمن يدري ماذا أباح الخليفة لمحظيته في خلوتها معاً وبماذا أشارت عليه؟

2- مؤامرات الجواري

لم تكتفِ الجواري بالنفوذ السياسي فحسب؛ فقد رغبن في استمرار سيطرتهن وتولية أبنائهن أولياء للعهد وخلفاء مقبلين، مما فتح باب التنازع بين الأخوة من أبناء الجواري وأبناء الحرائر، وعلى الرغم من أن بني أمية لم يعهدوا استخلاف أبناء الجواري في المشرق¹، إلا أنهم بايعوهم في الأندلس؛ فقد قامت الجواري أمهات الأولاد بتدبير المؤامرات لنقل ولاية العهد لأبنائهن أو لتصفية حسابات شخصية أو لإثارة الفتن.

أ- مؤامرات الجواري لاستخلاف أبنائهن

وكانت أغلبية مؤامرات أمهات الأولاد تهدف إلى تولية أبنائهن ولاية العهد، ومؤامرة طرُوب أشهر مؤامرات أمهات الأولاد؛ فقد استمالت فتيان القصر وخصيانه لجانبها وجانب ابنها عبد الله المستهتر المنغمس في اللذات²، كما تأمرت مع نصر الخصي كي يُقنع الأمير عبد الرحمن وكل من في القصر بتولية ابنها³.

¹ - كان بنو أمية يرون أن زوال ملكهم على يد ابن أم ولد. انظر ابن عبد ربّه، العهد القوي، 131/6.

² - انظر ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، 92، ابن سعيد، المغرب، 52/1.

³ - انظر ابن حيان، المُقتبس، 8.

وأخذ الأمير في آخر أيامه_ يميل لتولية ابنه محمد ، فقرّر نصر القيام بمجازفة أخيرة وحاول أن يدس السمّ للأمير عبد الرّحمن، فطلب من الطبيب الحرّاني¹ أن يعدّ له سمّاً على أنه دواء شاف، إلاّ أنّ الحرّانيّ سرّب خبر السمّ مع إحدى الجوّاري_ إلى فخر محظية الأمير ومُنافسة طرُوب، وحذّرها من أي شراب يحضره نصر²، فلما أخذ الشراب للأمير أمره الأمير بشربه فشربه وخرج للحرّانيّ فأشار عليه بلبن المعز إلاّ أن نصراً توفي قبل وصول اللبن.³

وعلى الرغم من أن طرُوب لم تشارك نصراً في مؤامرتة، وربّما لم تعرف بتدبيره لها أو أنها عرفت ولم تطلع أحداً إلاّ أنها في النهاية خسرت حليفاً قوياً، ولكنها لم تيأس، وحاولت استغلال وفاة الأمير بتنصيب ابنها حاكماً على الأندلس إلاّ أن محاولاتها باءت بالفشل ثانية؛ فقد اجتمع أكابر الفتيان الصقالبة في القصر بعد موت الخليفة وأغلقوا أبواب القصر وكتّموا خبر موت سيدهم ليختاروا خليفة جديداً لمبايعته، فلما تشاوروا بينهم كان جوابهم واحداً "سيدنا وابن سيدتنا المربية لنا والمحسنة إلينا"⁴ إلاّ أن كبيرهم⁵ رجّح الأمير محمد بن عبد الرّحمن لرجاحة عقله وحسن سيرته⁶، فقاموا بإحضاره من منزله على ظهر بغلة متكرراً بزي فتاة، فدخل القصر بعد تمنع⁷، وتم له الأمر وذهبت مؤامرات طرُوب أدراج الرياح.

¹ - هو يونس بن أحمد الحرّانيّ الطبيب، قدم من المشرق أيام الأمير محمد بن عبد الرّحمن، اشتهر بمعجونه الذي باعه في الأندلس وعُرف باسم المغيث الكبير. انظر ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء، 93، ابن أبي أصيبعة، ميعون الأنباء في طبقات الأطباء، 1/ 486-487.

² - انظر ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، 91، ابن حيّان، المُقتبس، 10.

³ - انظر ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، 91، ابن حيّان، المُقتبس، 10-11، ابن سَعِيد، المغرب، 1/ 49.

⁴ - انظر ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، 91-92، ابن حيّان، المُقتبس، 111.

⁵ - هو حبيب الصقلبيّ وكناه ابن القوطية بأبي المُفرّج، من فتيان بني أمية، كان من أهل الأدب والفهم والزهد، حجّ إلى مكة وعلا شأنه بين الفتيان، وله كتاب تعصّب فيه للصقالبة سماه الاستظهار والمغالبة على من أنكر فضل الصقالبة، انظر ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، 92، ابن حيّان، المُقتبس، 108، ابن الأَبَر، التَّحْمِلة، 1/ 299.

⁶ - ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، 92، ابن حيّان، المُقتبس، 112.

⁷ - انظر ابن سَعِيد، المغرب، 1/ 51.

ومن الجدير بالذكر أن طرُوب وافقت على تولية محمد بدلاً من ابنها عبد الله، وقد يرجع هذا إلى استسلامها للأمر الواقع أو لأنها أيقنت أن ابنها اللاهي العابت لا يصلح لإمارة المسلمين في الأندلس.

ولم تنته جميع مؤامرات الجواري لتولية أبنائهن بالفشل، فقد نجحت صُبْحُ البَشْكَنَسِيَّةِ في إقناع الحكم أن يُعطي ابنه الوحيد هشام المؤيد ولاية العهد بدلاً من أخيه المغيرة، كما استمرت مؤامراتها مع المنصور بن أبي عامر كي تُدعم حكم ابنها بعد وفاة الحكم، فوافقت على التخلص من الفتيان الصقالبة وجعفر المصحفي¹ ظناً منها أنها تقوي حكم ابنها وترسخه، إلا أنها كانت توسع نفوذ ابن أبي عامر على حساب حكم ابنها، وتفتح على نفسها باب القيل والقال؛ فقد تغزل بعض شعراء قرطبة بها، وغنته إحدى الجواري أمام المنصور كي يشتريها فأمر بقتلها².

وكانت نتيجة مؤامرة صُبْحُ لتولية ابنها العهد أن تمت توليته حقاً، إلا أن المنصور -حاكم الأندلس الحقيقي- ملك زمام الأمور كافة، ولم يكتف بعزل هشام عن الناس فحسب؛ بل أمّن نفسه ضد أي محاولة من هشام للانقلاب عليه³ وذلك بالتأثير في نشأته ونفسيته حتى إن ابن سعيد ذكر أنه: "نشأ جامد الحركة، أخرس الشمائل، لا يشك المتفرس فيه أنه نفس حمار في صورة آدمي، وعشيق في صباه نباح كلب فجعل الغلمان يهيجونه، حتى ينبح، ليلتذ بذلك"⁴.

أما ابن عذاري فذكر أن هشاماً انقطع للعبادة وقراءة القرآن الكريم والاهتمام بالعلوم⁵، وأرجح أن تناقض الروايات حول هشام يعود لانعزاله عن الناس الذين نسجوا قصصاً خيالية حوله، أما هو فإني أراه شاباً عاجزاً أمام قوة المنصور ودهائه الذي قبض على الأندلس بقبضة حديدية وحمى ثغورها وأرهب أعداءها، وأعتقد أن الخوف من قوة المنصور جعلته ينزوي

1 - انظر ابن سعيد، المغرب، 202/1، المقرئ، النسخ، 382/1.

2 - انظر ابن حزم، رسائله، 147/1.

3 - انظر ابن عذاري، البيان المغرب، 273/2.

4 - المغرب، 194/1.

5 - انظر البيان المغرب، 253/2.

ويصبح غير مبالٍ بحال الأندلس، ذلك أنه لما أنبته صُبْحُ قائلة: "أما ترى ما يصنع هذا الكلب؟ قال: دعيه ينبح لنا ولا ينبح علينا"¹.

وأدت مؤامرة صُبْحٍ إلى تنحية الأمويين جانباً، ومهدت الطريق أمام العامريين الذين أوصلهم المنصور إلى حكم الأندلس، ولما توفي المنصور خلفه ابنه عبد الملك من زوجته الحرة الذلفاء، وخاض عبد الملك صراعاً عنيفاً مع أخيه عبد الرحمن الملقب بشنجول²، ويقول وائل أبو صالح إن عبدة أم شنجول قامت بإضرام نار الكراهية بين الأخوة وختمتها بتشجيع ابنها على دس السم لأخيه بُغية التخلص منه³ وقد وثق ما نقل من ابن عذاري، وبعد عودتي للكتاب نفسه وجدت ابن عذاري ينقل خبر موت عبد الملك ويورد إشاعة مفادها أن شنجول دس له السم عن طريق خادم، ولم يشر إلى أي دور لأم شنجول حتى إنه لم يأت على ذكرها. وعلى أي حال فقد أصبح شنجول الحاكم المطلق على الأندلس⁴.

ومن الجدير بالذكر أن الذلفاء حرّضت الأمويين على شنجول والعامريين كافة⁵، ووعدهم بمالها إذا ما أخذوا ثأر ابنها القتل وانتقموا له⁶؛ وقد أدى هذا الصراع الجديد إلى فتنة كبيرة استمرت إحدى وعشرين سنة دُمّرت فيها الأندلس وفقد أهلها حلاوة العيش.

واكتظّ عصر الطوائف بالصراعات السياسيّة، وعلى الرغم من كثرة الجواري ونفوذهن على أسيادهن وتأثيرهن فيهم إلا أني لم أجد مؤامرات بحجم المؤامرات السابقة! وقد يعود هذا إلى أن الإمارات الأندلسيّة أصبحت محصورة في عائلات محددة وبين أفراد قلة يحاولون الحفاظ على ذاتهم وسط صراعات خارجية وأخرى داخلية.

¹ - ابن سَعِيد، المَغْرِبِ، 195/1.

² - لَقَبَتْهُ أُمُّهُ بِهَذَا اللَّقَبِ نِسْبَةً لِأَبِيهَا شَانِجَةَ النَّصْرَانِي تَذَكُّراً مِنْهَا لَهُ. انظر ابن عذاري، البَيَانُ المَغْرِبِ، 38/3.

³ - انظر الجواري في الأندلس، 62.

⁴ - انظر ابن عذاري، البَيَانُ المَغْرِبِ، 36/3-37.

⁵ - انظر ابن الأَبَّار، المَلَّةُ السَّيْرَاءُ، 271/1، ابن عذاري، البَيَانُ المَغْرِبِ، 52/3-53.

⁶ - انظر ابن عذاري، البَيَانُ المَغْرِبِ، 62/3-63.

أما المرابطون والمؤحّدون فذكرت أنهم استبعدوا الجوّاري عن الحياة السّياسيّة ويبدو أنه لم يكن استبعاداً فحسب بل توقيفاً لأي تأثير سياسي لهن، إلا أن وائل أبو صالح يرى أن الجوّاري هنّ السبب المباشر في ضعف المرابطين¹، واعتمد في استنتاجه هذا على ما أورده عبد الواحد المرّاكشي من أن نساء لمتونة ومسوفة استولين على الأحوال في الأندلس.²

وأعتقد أن عبد الواحد المرّاكشي بخبره هذا يريد أن يلقى اللوم على قادة المرابطين وأكابرهم، فقد استبدوا وظلموا وأخذ كلّ منهم يدعو لنفسه لاعتقاده أنه أحق بولاية الأمر من الأمير علي بن يوسف بن تاشفين³، ونتيجة لهذه الفوضى تسلّمت النّساء زمام الأمور، وعمّ الفساد و انتشر⁴، كما أن عبد الواحد المرّاكشي لم يذكر الجوّاري وإنما نساء لمتونة ومسوفة وليس هناك ما يقطع أنهن من الجوّاري، وربّما لجأ إلى تخمينه هذا مدفوعاً برواية عبد الواحد المرّاكشي من أن هؤلاء النّساء رافقن كل مفسد وصاحب خمر وماخور، ومن الجدير بالذكر أن نساء مسوفة اللواتي لم يحتشمن ولم يحتجبن من الرجال كان لهنّ أصدقاء وأصحاب من رجال قبيلتهن⁵.

أما أيام الأندلس الأخيرة فحاكت فيها مريم جارية أبي الحجاج يوسف بن نصر مؤامرتها كي تنقل ولاية العهد من محمد ابن ضرته الجارية بئينة إلى ابنها إسماعيل، ولتحقق مبتغاها قامت بالتآمر مع زوج ابنتها البرميخو، وأشعلت نار الحقد في صدر إسماعيل الذي كان حانقاً على أخيه لأنه تزوج ابنة عمه التي كان يحبها ويريدها لنفسه، إلا أن محاولتها فشلت وآل الحكم لابن بئينة محمد الخامس⁶.

¹ - انظر الجوّاري في الأندلس، 68.

² - انظر المعجيب، 241.

³ - هو أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين، سجنه أبوه بالجزيرة الخضراء، وعندما مات أبوه وهو ابن ست عشرة سنة خرج من سجنه، أمّه رومية تُسمى رياض الحسن، وهو شاب ذكيّ وقائد شجاع غزا بلاد الروم وعبر إلى الأندلس أربع مرات، وله حروب وصراعات عدّة مع المهدي بن تومرت وعبد المؤمن بن علي، لم يُشهر موته إلا بعد ثلاثة أشهر من وفاته، واشتعلت الفتنة بعد وفاته سنة 537هـ. انظر مجهول، اللؤلؤ الموشية، 84-102، 119-120.

⁴ - انظر المعجيب، 241.

⁵ - انظر الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، 225/1.

⁶ - انظر ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 163/1-164، نفاضة الجراب، 14.

ولم تياس مريم _ كسابقاتها من الجواري _ وظلت تحيك الدسائس حتى نجحت؛ إذ انقضَّ رجال حليفها البرميخو على قصر الحمراء وأقاموا ابنها إسماعيل حاكماً مطلقاً على غرناطة، أما محمد الخامس فقد نجا لأنه سمع الضوضاء خارج جنة العريف، ففرَّ على ظهر حصانه إلى مدينة وادي آش¹ وانتقل بعدها إلى فاس².

وتبع هذه المؤامرة فتنة واضطراب، فقد بدأ إسماعيل حكمه بالقبض على أنصار أخيه محمد الخامس وزجهم في السجن، كما صادر أموالهم وممتلكاتهم واستصدر فتوى بتطليق زوجة أخيه واستحل لنفسه الزواج منها³.

يظهر مما سبق أن الجواري أمهات الأولاد اللواتي أردن لأولادهن ولاية العهد لم يعملن وحدهن أبداً، فقد وجدن لأنفسهن حليفاً صاحب نفوذ وقوة لتحقيق غرضهن؛ فقد عملت طروب مع نصر الخصي، وصُبَّح مع المنصور بن أبي عامر، ومريم مع زوج ابنتها البرميخو، وقد عمل الطرفان مع بعضهما لتحقيق المصالح المشتركة التي جمعتهم.

وكان حكم الأندلس هو المصلحة الأساسية التي جمعت بين أمهات الأولاد وحلفائهن، فأم الولد تسعى لتقليد ابنها مقاليد الحكم بينما يهدف حليفها إلى تولية ابنها اللاهي الفاسد كي يحكم الأندلس ويسيطر على أهلها بطريقة غير مباشرة، ذلك أن أبناء الأمهات سابق الذكر لم يشاركوا في مؤامرات أمهاتهم؛ لأن بعضهم كان لاهياً فاسداً كعبد الله ابن طروب، أو صغيراً كهشام ابن صُبَّح، أو بعيداً عن المساهمة العسكرية كإسماعيل ابن مريم.

ولأن مؤامرات أمهات الأولاد وقادتهن باءت بالفشل أو نجحت نجاحاً مؤقتاً ما عدا مؤامرة صُبَّح والمنصور فإني أرجح أن ما جرى مع صُبَّح هو نموذج لأي مؤامرة كان سيكتب لها النجاح؛ فلا أعتقد أن قائداً قوياً مثل نصر الخصي كان يقبل بولاية عبد الله الماجن، أو أن

¹ - وادي آش (Guadix): أو أش مدينة أندلسية من كورة البيرة، وهي مدينة قريبة من غرناطة، تتحدر إليها أنهار من جبل شلير في الشرق، ولها نهر صغير دائم الجريان. انظر الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، 567/2، ياقوت، معجم البلدان، 198/1، الحميري، الروض المعطار، 604.

² - انظر ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 1-163، نفاضة الجراب، 14-15.

³ - انظر ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 1/164، نفاضة الجراب، 14-15.

البرميخو كان ليعيش تحت راية إسماعيل، وأرجح أن كليهما أرادا تحقيق أهدافهما الخاصة وذلك بأن يولوا ابن الجارية العايب الضعيف ثم يخلعوه في أقرب فرصة أو يُقصوه عن الحكم كما فعل المنصور بهشام المؤيد.

ب- مؤامرات انتقامية

ولم تكتفِ الجوّاري بمؤامرات ليستولين على ولاية العهد لأولادهن؛ فقد عملن على تنفيذ مؤامرات لتسوية حسابات شخصية، وقد صبغت هذه المؤامرات بصبغة سياسية لأنها دارت في قصور حكام الأندلس أو لأنها دارت بين أشخاص يتمتعون بقوة سياسية في الأندلس، وقد بدأ هذا النوع من المؤامرات منذ دخول المسلمين الأندلس، فقد ذكر أنه لما ملك مغيث الرومي¹ قرطبة وحصل على كل ما فيها من ملك وسراري لاحظ أن فيهن جارية تُكثر التعرض له فشكّ في أمرها، ووكل من توعدّها بالعذاب إن لم تعترف، فأقرت بأنها أعدت خرقة مسمومة لتمسح بها عضوه عند وقاعها².

أما عن صبّح التي لم تعرف للهدوء والطمأنينة طعماً إثر سيطرة المنصور على حكم ابنها فقد استمرت في مؤامراتها بعد أن تضاربت مصالحها مع مصالح المنصور شريكها القديم، ذلك أنها حملت خدمها الصقالبة ثمانين ألف دينار على هيئة مائة كوز من الذهب والفضة، وموّهتها بالشهد والأصباغ، وبهذا فقد أبدت أية فرصة للشك فيما تُخرجه وراء أسوار القصر، إلا أن المنصور وضع يده على المال وأخرج خمسة آلاف ألف دينار من القصر³.

¹ - هو مغيث بن الحارث بن الحويرث الغساني، سبي من الروم وهو صغير فأدبه عبد الملك ابن مروان مع ولده الوليد، نشأ مغيث بدمشق ودخل الأندلس مع طارق بن زياد. انظر مجهول، أخبار مجموعة، 19-23، 35-39، المقرّي، النفع، 4/9-11.

² - انظر، المقرّي، النفع، 4/10.

³ - انظر ابن سعيّد، المغرب، 1/201، المقرّي، النفع، 4/80.

وقامت جارية أخرى بمؤامرة غريبة وصفها سعد شلبي بالحادثة الغريبة وعدّها مطعناً طعن به تاريخ ملوك الطوائف¹؛ ألا وهي حادثة هروب جارية المأمون بن المعتد التي حرّرها وتزوَّجها، وقد فرّت مع أولادها إلى قشتالة² وارتدت عن الإسلام، وتزوَّجت ألفونسو السادس³، وأنجبت له شانجة⁴ ابنه الوحيد⁵، وهذه فتنة أكبر من أي فتنة سابقة ذُكرت فقد كانت فتنة سياسية ودينية معاً، قامت فيها هذه الجارية بإيذاء ديارها ودينها معاً.

3- إخلص الجواري

ويتوقع القارئ لكل ما مرّ من حديث حول مؤامرات الجواري وفتنهنّ أنهن مجرد عنصر نسوي خلا من أي معنى للإخلاق أو القلق على مستقبل الشعب الأندلسي، إلا أن الروايات والأخبار حفظت لنا بعض النماذج التي دلّت على إخلص بعض الجواري وحفاظهن

¹ - انظر سعد شلبي، البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، 423.

² - قشتالة (Castilla): عمل من الأعمال الأندلسية، قيل: ما خلف الجبل المسمى الشارات في جهة الجنوب يُسمّى إشبانيا، وما خلف الجبل من جهة الشمال يسمى قشتالة. انظر الحميري، الروض المعطار، 483، البغدادي، مرآة الأطلال، 1094.

³ - هو ألفونسو السادس (Alfonso VI) أو ألفونسو وينطق ألفونسو وأذفونش وأذفونش وهو ابن فرذند، ملك قشتالة وليون؛ استولى هو وأبوه على إشبيلية وقرطبة ومرسية وطليلة وغيرها، ومن أشهر المعارك التي يرد فيها ذكره موقعة الزلاقة سنة 479هـ، انتصر المسلمون فيها وهرب ألفونسو، وغالبا ما كان يوصف بالطاغية لكثرة تصادمه مع المسلمين في حروبهم. وكان ملوك الطوائف يصلحونه ويؤدون إليه ضريبة، ثار عليه ولده شانجة ثم ملك بعده، توفي سنة 502 هـ. انظر ابن الأثير، المعلى السيرة، 2/249، ابن عذاري، البيان المغربي، 50/4-52، ابن خلكان، وفيات الأعيان، 27/5 - 29، 116/7 - 128، ابن سعيد، المغربي، 2/13، 23، ابن الخطيب، اللمعة البدرية، 56، المقرئ، النفع، 6/120 - 147.

⁴ - هو شانجة الأول (Don Sancho) ملك البرتغال، من أعظم ملوك الفرنجة وأمنعهم، توفي سنة 608هـ. انظر ابن عبد الواحد الشيباني، الكامل، 474/7، عبد الواحد المرآكشي، المغربي، 400.

⁵ - انظر ابن عذاري، البيان المغربي، 50/4.

على أسيادهن بتدخلاتهن العسكرية لا السياسيّة فحسب، منهن أميمة الكاتبة التي سهرت على حراسة سيدها هشام المؤيد إثر خلع محمد بن هشام¹ له².

كما أن ثلاث عشرة جارية خرجن مع محمد بن هشام لما هرب وطُرد في قرطبة، فأيدنه ووقفن إلى جانبه حتى أخذن عنوة و سلّمن إلى الخليفة الجديد³.

ويبدو أن ما تقدم كان مجرد تمهيد كي تأخذ الجارية في الأندلس دوراً عسكرياً أكبر و أوضح تجلى أيام المرابطين عندما قامت عجب جارية لب بن موسى⁴ و زوجته بالاعتصام في حصن أرنيط⁵، عندما حاصرها إخوة زوجها بهدف الاستيلاء على الحصن، فرفضت تسليم الحصن إلا أنها اضطرت لتسليمه والاستسلام فيما بعد مقابل إطلاق سراح زوجها المُهدّد بالقتل⁶.

¹ - هو أبو الوليد محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر، أمه أم ولد اسمها مزنة ولقبها كباره وتُعرف بالعرجاء لخلع كان بها، ثار على عبد الرحمن بن أبي عامر فقتله وخلع هشاماً المؤيد سنة 399هـ، وتلقّب بالمهدي، قام عليه البربر بقيادة هشام بن سليمان ثم سليمان بن الحكم إلا أنه تمكن من هزيمتهما وقتلهما، ثم انقض عليه العبيد مع واضح الصقلبي فقتلوه وهو في الرابعة والثلاثين سنة 400هـ. انظر عبد الواحد المرآكشي، المُعْجِب، 88، ابن الأَبَّار، العَلَّة السَّيْرَاء، 7-5/2، ابن عَدَّارِي، البَيَانُ المُغْرِبِي، 50/3-51، المُقْرِي، النَّفْع، 408/1-409.

² - انظر ابن الأَبَّار، التَّكْمِلَة، 250/4.

³ - انظر ابن عَدَّارِي، البَيَانُ المُغْرِبِي، 92/3.

⁴ - لب بن موسى: لم أجد له ترجمة في المصادر المتوفرة، وجدت ترجمة لوهب بن لب بن موسى، كان حاكماً في ثغور بلنسية، توفي فيها سنة 560هـ. انظر ابن الأَبَّار، التَّكْمِلَة، 156/4.

⁵ - أرنيط (Arnedo): مدينة شرق الأندلس من أعمال تطيلة، تُطلُّ على أرض العُدوة، وبينها وبين تطيلة ثلاثون ميلاً وبينها وبين سرقسطة ثمانون ميلاً. انظر ياقوت، مُعْجَم البُلْدَان، 162/1، الحَمِيرِي، الرُّوض المِعْطَار، 27.

⁶ - انظر فائزة حمزة عباس، دور المرأة الأندلسية في الحياة العامة من الفتح حتى نهاية الخلافة الأموية، ص 165، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، 1989، نقلاً عن العذري، نصوص عن الأندلس من كتابه ترصيع الأخبار، 31-32.

الفصل الرَّابِع

الجواري

في

الحياة الاقتصادية

ذكرت في الفصول السابقة أعداداً كبيرة من الجوّاري اللواتي أُنّرن في الحياة الاجتماعيّة والتّقافيّة والسياسيّة في الأندلس، ولكن المجتمع الأندلسي ضمّ أعداداً أكبر بكثير من الجوّاري اللواتي ذكرتهنّ، فقد دخلن الأندلس سبايا حرب وفي قوافل الرقيق العابرة أو بضاعة يُرعى بيعها في أسواق الأندلس، وعُرض في هذه الأسواق الكثير من الجوّاري المتعددات الأجناس والألوان، وكان إقبال الأندلسيين على الجوّاري الصّقلبيات أكثر من غيرهن¹، إلا أن شراءهن أو شراء غيرهن من الجوّاري لم يكن بالعملية السهلة؛ واجتهدت في استنتاج عملية شراء أية جارية وخرجت بأن شراءها مرّ بمراحل متعددة وطويلة: أولها اختيار الجارية والتعرّف إلى ملكاتها والتأكد من خلوها من العيوب، وثانيها الاتفاق على سعرها وكتابة عقد البيع والشراء، وثالثها اصطحاب الجارية إلى المنزل وتعريفها بالقهرمان² إن وُجدت.

ويبدو أن ارتفاع أثمان بعض الجوّاري وعدم سهولة شرائهن، جعل منهنّ هدايا قيّمة يتهاذى بها عليّة القوم أو يهدونها لمن هم أقل منزلة، وعلى الرغم من أن الجارية بضاعة قد تتحول إلى هدية في أية لحظة، إلا أن هذا لم يمنع بعض السادة من تقديم الهدايا الغريبة والتمينة لهنّ لإسعادهن ونيل رضاهن.

1- تجارة الجوّاري

عجّت المدن الأندلسيّة بتجار استغلوا حاجة الأندلس لجوّار أتقنّ الثقافة العربيّة المشرقيّة من جهة، وتجار أفادوا من موقعها في أوروبا وطرقها مع المشرق، فوصلت بضاعتهم الأندلس ونزلت في مدنها التي تخصّص بعضها بأنواع من الجوّاري؛ فتخصّصت قرطبة بتجارة

¹ - انظر ابن حوقل، صورة الأرض، 110/1.

² - القهرمان: امرأة وربّما كانت جارية، تقوم بإحصاء كل ما تحضره الجارية من ملابس وحليّ ومتاع معها إلى بيت مالها الجديد، ثم تكتبه وتبيّن عدد أغراض الجارية وتصفها ثم تقدّم القائمة إلى المالك، وقد يحوي القصر أكثر من قهرمان، انظر ابن حيّان، المُقتبس، 218.

الجواري المغنيات¹ حتى إن أبا الوليد ابن جهور² أمير قرطبة تلقى ثلاث رسائل في يوم واحد من أمراء يطلبون جواري موسيقيات³.

وبدأت الأندلس تصدير ما لديها من سبي إلى مصر وحتى أقاصي خراسان، وكان سبي الفرنجة وجليقية وخصيان الصقالبة أشهر ما صدرته الأندلس من رقيق⁴، بالإضافة إلى الجواري الروميات والأندلسيات⁵.

وعلى الرغم من أن الأندلس امتلأت بهذا العدد الهائل من الجواري حتى قامت بتصديره، إلا أنها عانت من أزمة الرقيق التي سادت في القرن الرابع الهجري، حتى إن رسول المظفر بن الأفطس⁶ لم يجد في قرطبة جارية يشتريها كي يأنس سيده إليها، ووجد صبيتين لا طائل منهما بعد جهد وعناء فاضطر لشرائهما⁷.

¹ - انظر هنري بيريس، الشعر الأندلسي في مصر الطوائف، 340.

² - هو أبو الوليد محمد بن جهور ملك قرطبة، ولي قرطبة بعد وفاة أبيه سنة 435هـ وسمي الرشيد، عُرف بالمروءة والحسب وحذا حذو أبيه في السياسة وحسن التدبير، وسعى في الصلح بين المعتضد وابن الأفطس، توفي بعد أن قبض عليه المعتضد بن عباد سنة 443هـ. انظر عبد الواحد المرآكشي، المعجب، 60/1، ابن الأبار، العلة السيرة، 2/34، 181-182، ابن عذاري، البيان المغربي، 232/3-234.

³ - انظر ابن عذاري، البيان المغربي، 250/3.

⁴ - انظر ابن حوقل، صورة الأرض، 1/110.

⁵ - انظر ابن خرداذبة، المسالك والممالك، 92.

⁶ - هو المظفر أبو بكر محمد بن عبد الله بن مسلمة ابن الأفطس، ملك بطليوس وماردة، وكان شاعراً أديباً وعالماً وبطلاً شجاعاً، ألف كتاب "المظفري" الذي حوى أخباراً وسيراً وآداباً متخيرة ونكتاً بديعة في نحو خمسين مجلداً، خاض حروباً عدة مع ابن عباد وابن ذي النون والروم. انظر ابن خاقان، فلان العقبان، 249/1-250، ابن بسام، الخيرة، ق 2 م 640-646، ابن عذاري، البيان المغربي، 236/3-237، ابن خلكان، وفيات الأعيان، 7/123، المقرئ، النفع، 4/159، 340.

⁷ - انظر ابن عذاري، البيان المغربي، 212/3.

وكان اليهود أهم من يقوم بهذه التجارة ويسافرون من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق براً وبحراً، كما أتقنوا العربية والفارسية والرومية والإفريقية والأندلسية والصقلبية¹.

ويبدو أن أعداد الجواري وكثرتهم أتاحت لكل أندلسيٍّ - قادر على شرائهنَّ - أن يختار جارية أحلامه من بين الألوان والأجناس المتعددة التي ملأت الأندلس، ويبدو أن معظم الأندلسيين ابتعدوا عن الجواري الجليقيات لما اتصفن به من غدر وخيانة²، وفضلوا عليهن الجواري الصقلييات³، ويرى ليفي بروفنسال أن مدلول الصقالبة عند بعض المؤرخين لم يقتصر على سكان البحر الأسود فحسب، وإنما شمل أجناساً أخرى من البلاد المجاورة للأندلس وهم أهل غسقونية⁴ ولنكدوك⁵ في فرنسا بالإضافة إلى الإسبان، وذلك لميل الأندلسيين لشقرة شعورهن

¹ - انظر ابن خرداذبة، المسالك والممالك، 153.

² - انظر الحميري، الرّوض المعطار، 169.

³ - انظر ابن حوقل، صورة الأرض، 110/1.

⁴ - غسقونية أو غاسكونيا (Gasconne) : منطقة تاريخية في الجزء الجنوبي الغربي من فرنسا، ينحدر اسمها من الاسم اللاتيني Vasconia، خضعت لحكم الرومان ثم القوط وتلاههم الفرنكيون فالباسكيون، ثم أضحت إمارة مستقلة خاضعة للدوقات الذين تنازعوا عليها فيما بينهم، واستولى عليها الإنجليز في القرن الـ 12م حتى القرن الـ 15م فكانت ساحة لحرب الأعوام المائة، ثم أصبحت جزءاً من الجمهورية الفرنسية، أشير إليها باسم غشكونية عند الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، 735/2، وابن خلدون، المُقَدِّمَة، 67/1. انظر منير البعلبكي، موسوعة المورد، 194/4.

⁵ - لنكدوك أو لانغدوك (Languedoc) : منطقة تاريخية في الجزء الجنوبي الغربي من فرنسا، اسمها مشتق من لهجتها البروفنشالية الفرنسية المعروفة بلغة أوك " langue d'oc " التي كان يُنطق بها في جنوب فرنسا خلال القرون الوسطى وهي لهجة في حُكم المنقرضة اليوم، خضعت للإمبراطورية الرومانية ثم فتحها المسلمون في القرن الـ 8 الميلادي، وبعد خمسين سنة استولى عليها الحكام الفرنسيون الذين تعاقبوا على حكمها كما تعرّضت لدمار شبه كامل في القرن الـ 13 الميلادي ثم ضُمت لملك فرنسا. انظر منير البعلبكي، موسوعة المورد، 88/6.

وبياض ألوانهن، بالإضافة لعدم قدرتهن على التحدث بالعربيّة؛ لذا فقد ارتفعت أسعار الجوّاري الصّقلبيات تبعاً لزيادة الطلب عليهن¹.

وعلى الرغم من أن بروفنسال يرى أنّ الأندلسيين فضّلوا الجوّاري اللواتي لا يتحدّثن العربيّة، إلّا أنّ الروايات والأخبار التي نكرتها سابقاً تدلّ على أنّ الجوّاري اللواتي أتقن العربيّة وتفقنها وأجذن الشعر واللغة كنّ مطلب كل أندلسي، ولكن لم يحظ بأمثالهن إلا الأغنياء لارتفاع أسعارهن، ومن الطبيعي لأية جارية أو شخص يدخل المجتمع الأندلسي أن يتعلّم اللغة العربيّة عاجلاً أم آجلاً؛ فهو يحيا بين أهلها كما أنّها اللغة الرسمية والعلمية والأدبية في الدولة، أمّا إتقان العربيّة ومعرفة علومها وآدابها فهو رهنّ بالجارية وسيدها، فربّما سعت الجارية إلى التعلّم والقراءة أو أن سيدها علّمها وأدبها إما بنفسه أو بإحضار معلمين لها إن كانت لدية القدرة المالية على ذلك.

2- مراحل شراء الجارية

لم تقتصر متطلبات الأندلسيين على صفات الجوّاري وعلومهنّ فحسب؛ فقد كان لهم متطلبات ومعايير في التاجر الذي سيشترون منه الجارية ويدفعون له المال، لذا بحثوا عن تاجر أمين عفيف عادل، كما كان على الأندلسي الراغب في شراء جارية التأكّد أنّ التاجر مصدر ثقة حتى لا يشتري جارية حرّة أو مسروقة أو فيها أي عيب فتضيع نقوده هباءً².

وعلى المشتري أن يتأكّد من خلو الجارية من العيوب؛ فتجار الرقيق على استعداد للقيام بأية حيلة تُحقّق لهم الكسب الوفير، وقد اتبعوا الكثير من الحيل والغش كتغيير لون البشرة

¹ - انظر تاريخ إسبانيا المسلمة، 71/3-76.

² - انظر القرشي، معالم القرية، 152-153.

وتطويل الشعر، وتسمين الأطراف وتنعيمها، وإزالة العيوب وغيرها من الحيل التي ذُكرت في رسائل شراء العبيد¹.

إلا إنني لم أعثر على أية رسالة أندلسية تتناول شراء الجواري أو تتحدث عن أنواعهن وأجناسهن فيما وقع بين يدي من مصادر، غير أنني وجدت خبراً أندلسياً تحدّث عن حيلة طريفة قام بها تاجر أندلسي في رجل من أهل البيرة²، فقد اشترى البيريّ جارية أعجمية رائعة الجمال على أنها جارية أعجمية لا علم لها بأرض الأندلس أو بلغة أهلها، وألبسها ثوب حرير كنساء ملوك العجم، وحملها على ظهر بغلة، ولم تتوقف الجارية طوال الطريق عن القيام بإشارات تدلُّ على دهشتها وإعجابها بكل ما تراه، ولما وصلوا البيرة دخلها الإلبيريّ وطلب من الجارية أن تنتظر مع غلامه خارج المدينة حتى يحلّ الليل، ولما حلّ الظلام دخل الغلام والجارية المدينة فالتقيا برجل مُسنٍ عُرِف بعبته ومجونه في الماضي، وعندما رأته الجارية قالت بعربية متقنة: "الشيخ السوء يعيش" فردّ قائلاً: "فلانة أو قد جيت!" فتعجب الغلام من كلامها وفصاحة لسانها، ولما وصلا بيت سيده أخبره بما سمع، فجنّ جنون سيده وأرسل يستقصي عن أخبار الجارية فقيل له: "فلانة الشاطرة³ خدينة⁴ الخلطيين⁵ وصاحبة الفتاك المنقطعين!"، فأخذ يفكر في التخلص منها دون أن يخسر نقوده فلما أحست بما يضرر قالت له: "لا عليك مما نهى إليك! إن

¹ - انظر رسالة جامعة لفنون نافعة في شري الرقيق وتقليب العبيد لابن بطلان، ورسالة القول السديد في اختيار الإماء والعبيد للعتابي الأمشاطي، ورسالة هداية المريدي في تقليب العبيد لمحمد الغزالي.

² - البيرة (Elvira): بليدة أندلسية قريبة من ساحل البحر، ولها مرسى ترسي فيه السفن ما بين مرسية والمرية، وحولها أنهار كثيرة، وبين البيرة و غرناطة ستة أميال، ومدينة البيرة بين القبلة والشرق من قرطبة. انظر ياقوت، معجم البلدان، 526/1، القزويني، آثار البلاد، 502، الحميري، الروض المعطار، 28.

³ - شاطر: ماهر حاذق. دوزي، تحفة المعاجم العربية، مادة (شطر) 310/6.

⁴ - خدينة: الخدن و الخدين: الصديق، وفي المحكم صاحب المحدث والجمع أخذان و خدناء و الخدن و الخدين: الذي يُخادِنك فيكون معك في كل أمر ظاهر وباطن. ابن منظور، لسان العرب، مادة (خدن) 139/13.

⁵ - الخلطيين: خليط و خليطي و خليطي أي أوباش مجتمعون مختلطون. ابن منظور، لسان العرب، مادة (خلط) 291/7.

كنت تخاف على مالك احملني إلى المَرِيَّة تأخذ الزائد على ما وزنت!"، ففعل ما أشارت عليه، واحتال بالحيلة نفسها التي جرت عليه فباعها بسعر أكبر مما دفعه فيها¹.

وبعد أن يُحدِّد الراغب في اقتناء جارية معاييرها ومتطلباته فيها، ويختار تاجراً يثق به، ويتأكد من خلو الجارية من العيوب، عليه أن يساوم على السعر ذلك أن " الرقيق تجارة من التجارات تقع عليه المساومات والمشاركة بالثمن، ويحتاج البائع والمبتاع إلى أن يستشفا العلق² ويتأملاه تأملاً بيناً يجب فيه خيار الرؤية المشترط في جميع البياعات، وإن كان لا يُعرف مبلغه بكيل ولا وزن ولا عدد ولا مساحة؛ فقد يُعرف بالحسن والقبح"³.

ولاشك أن ثمن الجارية اعتمد على جنسها وجمالها والعلوم التي تعرفها، والمهارات التي تُتقنها، فكلما ازداد علم الجارية وجمالها ازداد سعرها، ويبدو أن تجار الرقيق استغلوا ميل الأندلسيين لشراء جوارٍ متقفات على دراية بالعلوم المختلفة والغناء والعزف والرقص فرفعوا أسعارهن، وربما ابتاع التاجر الجارية بمائة دينار ثم باعها بألف دينار بعد أن يُعلِّمها ويصقل مواهبها فيحقق بهذا مكاسب كبيرة، فقد كان لابن الكتاني جارية لا نظير لها، أجادت اللغة والأدب والخط والكتابة والغناء والرقص والطب وعلم التشريح واللعب بالسيوف وغيرها من العلوم، ولم يتمكن الملوك من شرائها لارتفاع سعرها، إلا أن عبد الملك بن رزين⁴ تمكن أخيراً من شرائها بثلاثة آلاف دينار⁵.

¹ - انظر توفيق بن عامر، الحضارة الإسلامية وتجارة الرقيق، 301-302، نقلاً عن السقطي، أحاديث الحسبة، 51-52.

² - العلق: النفيس من كل شيء. ابن منظور، لسان العرب، مادة (علق) 268/10.

³ - الجاحظ، رسائله، 161/2-162.

⁴ - هو أبو مروان عبد الملك بن رزين بن هذيل ذو الرياستين حسام الدولة، وُلِّي بعد أبيه الحاجب عز الدولة شنتمرية الشرق وهو في العشرين من عمره، ثم تمكن من ضم بعض أعمال بلنسية إليها، كان شاباً جميلاً قاسياً رفيع الهمة من أكابر برابر الثغر، ونظم شعراً معظمه ضعيف وكان مع شرفه وأدبه بخيلاً على الشعراء، وكانت وفاته سنة 496هـ. انظر ابن خاقان، فُلانِد العقيان، 157/1-169، ابن بسّام، الذخيرة، ق 3 م 109/1-125، ابن الأبار، العلة السيرة، 108/2-115، ابن عذاري، البيان المغربي، 181/3-184، ابن سعيد، المغربي، 428/2-429.

⁵ - انظر ابن بسّام، الذخيرة، ق 3 م 112/1، ابن عذاري، البيان المغربي، 308/3.

وعندما يتفق الطرفان على سعر الجارية المنشودة عليهما أن يُحضرا كاتب عقود كي يُدوّن عقد الشراء ويكتب الأسباب التي طُلبت الجارية من أجلها¹، وبعد الانتهاء من الشراء ومغادرة سوق الرقيق على صاحب الجارية أن يُسلّم الجارية الجديدة إلى القهرمانة المسؤولة في بيته إن وُجدت، كي تقوم بكتابة تقرير كامل يضم كل ما جاءت به الجارية من ملابس وحلي ومتاع وتسلمه لسيدها².

3- إقبال الأندلسيين على شراء الجوّاري

على الرغم من أن شراء أي جارية لم يكن بالعملية السهلة كما تقدّم، إلا أن هذا لم يمنع الأندلسيين من شرائهن وتكديسهن في قصورهم، فقد كانت الجوّاري مظهراً حضارياً يدل على النعمة والأبهة، وأنصوّر أن كلّ أندلسي سعى لشراء جارية أو أكثر بدءاً ببني أمية الذين غلبت عليهم الشقرة لاستكثارهم الجوّاري، ولم يتوقف الأمر عند انتهاء حكم بني أمية بل استمر إلى أيام العامريين؛ فقد كان المنصور يُكثر من الجوّاري ويبالغ في استبدالهن؛ فإن أعجبه جارية لا يصبر عنها ويشترئها، وعندما تصير في ملكه ينفّر منها ويبيعها بأرخص الأثمان، وأنفق في استبدال الجوّاري عشرات ألوف الدنانير³، واستمر الشغف بشرائهن إلى أيام ملوك الطوائف، فقد ذكر ابن بسام أن أحد أصحاب اليسار امتلك أكثر من ستين سُرّيّة⁴، كما استكثر المعتضد من الجوّاري وذكّر أنه خلّف نحو سبعين جارية لذة له⁵، كما خلّف المُعتمد ثمانمائة جارية حين خلّع عن العرش⁶، ولم يكتفِ عبد الملك بن رزين بشراء الجوّاري بل كان أول من بالغ في أثمانهن في الأندلس⁷.

¹ - انظر ج.ب.ترند، تراجم الإسلام، 12/1، نقلاً عن Julian Ribera, Disertaciones y opusculos. Vol I pp. 17-25. Madrid. 1928.

² - انظر ابن حيّان، المُقتبس، 218.

³ - انظر ابن حزم، رسائله، 199/1-200.

⁴ - انظر ابن بسّام، الذخيرة، ق 2 م 128/1.

⁵ - انظر ابن بسّام، الذخيرة، ق 2 م 29/1.

⁶ - انظر ابن الأبار، العلة السيرة، 55/2.

⁷ - انظر ابن بسّام، الذخيرة، ق 3 م 112/1، ابن عذاري، البيان المغربي، 308/3.

وتدلُّ الأرقام السابقة على أن هؤلاء الحكام أنفقوا جزءاً كبيراً من ثروتهم على شراء الجواري، فأضحت قصورهم أشبه بخزائن لثروتهم الحية التي تنظم الشعر وتغني وترقص، وربما كان شراؤهن هدرًا للأموال ذلك أنهن لم يُشكلن استثماراً لأصحابهن بل كُنَّ استثماراً مُربحاً لتجار الرقيق فحسب.

واعتمد عدد الجواري في المنزل الواحد ونوعيتهن ومهاراتهن ومؤهلاتهن على القوة الشرائية لمالكهن، ومن الطبيعي أن يحظى الخاصة وأصحاب المال الوفير بأفضل الجواري وأجملهن وأوسعهن علماً، وقد تنافس الأندلسيون في اقتناء أفضل الجواري فكان عبد الملك بن رزين¹ أحد المستكثرين منهن، كما غالى المعتضد في شراء الجواري².

واعتقد أنه لم يكن من السهل على أحد أفراد الطبقة الوسطى أو العامة أن يشتري جارية بآلاف الدنانير؛ ذلك أن الملوك _ باستثناء ابن رزين _ لم يقدرُوا على شراء جارية بثلاثة آلاف دينار، فكيف سيشتريها العامة؟ أمّا عن أيام المنصور بن أبي عامر التي قال ابن حزم إن الجواري بيعت فيها بأوكس الأثمان³، فأرجح أن الأسعار التي يراها ابن حزم منخفضة ربّما كانت معتدلة لأبناء الطبقة الوسطى أو أنها مرتفعة وباهظة للفلاحين والعمال الأندلسيين، واعتقد أن أبناء العامة _ إن استطاعوا تدبير ثمن الجارية _ يعلمون تماماً أن النفقات لن تنتهي عند ثمن الجارية؛ فالجارية فرد جديد يُضاف إلى الأسرة، أي أن مصاريف الأكل والمشرب والملبس ستزداد، وربما تضاعفت إذا أنجبت الجارية أولاداً، وقد تخرج المصاريف عن حدود ميزانية الأندلسي الفقير فيجد نفسه في أزمة مالية، لذا أرجح أن الأندلسيين من أبناء الطبقة المتوسطة أو الفقيرة فضلوا شراء ما يُحسّنون به حياتهم على أن يعقدوا صفقة خاسرة أو مكلفة.

وعلى الرغم من أن المصادر الأندلسية ذكرت أن بعض العامة ملكوا جواري كمسلم ابن يحيى وأبي العباس المرواني وابن قزمان الذين ذكرتهم في الحياة الاجتماعية، إلا أنها لم تذكر شيئاً عن أثمانهن أو كيفية الحصول عليهن، ولا يسعني إلا الشك في أن يكون هؤلاء العامة على فقرهم تمكنوا من شراء جواريهم من مالهم الخاص، فربّما كنّ هدايا قدمت لهم في إحدى المناسبات، أو أن الحظ أسعفهم فاشتروا جواريهم بسعر منخفض.

¹ - انظر ابن بسّام، الذخيرة، ق 3 م 112/1، ابن عذاري، البيان المغربي، 308/3.

² - انظر ابن بسّام، الذخيرة، ق 2 م 36/1.

³ - انظر ابن حزم، رسائله، 199/1-200.

4- التهادي بالجواري

أعتقد أن القدرة الشرائية العالية التي تميّزت بها الخاصة خفّضت القيمة المعنوية لأي جارية؛ فقد أكثر الخاصة من الجواري في قصورهم وربما لم يتمكنوا من التعرف إلى كل جواريتهم؛ لذا كان من السهل عليهم التفريط في جواريتهم باستبدالهنّ أو التهادي بهن، ويبدو أن الأندلسيين اعتقدوا أن الجواري أنفس ما يوطّد العلاقات فيما بينهم، وأفضل ما يثاب به الأدباء والشعراء.

وبدأ تاريخ التهادي بالجواري منذ أيام الفتوح الأولى في الأندلس؛ فقد أهدى عبيدة بن عبد الرّحمن¹ العبيد والخصيان والذهب والفضة وسبعمائة جارية مختارة للخليفة هشام بن عبد الملك²، وأهديت جارية للأمير عبد الرّحمن الداخل إثر دخوله أرض الأندلس إلا أنه رفضها وأعادها لصاحبها³.

وأثبت ابن شهيد أن الجارية تحمل قيمة معنوية بين الأندلسيين وكأنها تذكّار أو دليل محبة يرسلونه ويطلبون به؛ فقد أهدى ابن شهيد الخليفة النّاصر عشرين جارية مختارة مع كسوتهن وآلاتهن الموسيقية⁴، كما طالب ابن شهيد المنصور بن أبي عامر أن يُهديه جواري إثر عودته من إحدى غزواته، وكأنه يطالبه بما يثبت محبته، أو أنه يريد أن يثبت لنفسه محبة المنصور له، لذا عاتبه إثر طول انتظاره للهدية التي لم تصل حتى قال له: ⁵ [الخفيف]

¹ - هو عبيدة بن عبد الرّحمن السّلميّ، قدّم إفريقية سنة 110هـ، فدخل القيروان وخلع بشّر بن صفوان وحلّ محلّه وغير أكثر من والٍ على الأندلس، سجن عمّال بشّر بن صفوان وعذب بعضهم، وكان فيهم أبو الخطّار الحسام بن ضرار وهو من أشرف قومه الذي أرسل شعراً إلى الخليفة هشام بن عبد الملك، فأمر بعزل عبيدة سنة 114 هـ. انظر ابن الأبار، العلة السّيرة، 66-64/1، ابن عذاري، البيان المغرّب، 51-50/1.

² - انظر ابن عبد الحكم، فتوح إفريقية والأندلس، 93.

³ - انظر المقرّي، النّفع، 35/4.

⁴ - انظر المقرّي، النّفع، 345/1.

⁵ - ابن خاقان، مطمع الأنفس، 396، ابن بسّام، الخيرة، ق 4 م 29/1، ابن عذاري، البيان المغرّب، 300/2، المقرّي، أزهار الرياض، 131/5.

أَنَا شَيْخٌ وَالشَّيْخُ يَهْوَى الصَّبَايَا يَا بِنْفَسِي أَقِيكَ كُلَّ الرَّزَايَا
وَرَسُولُ الْإِلَهِ أَسْهَمَ فِي الْفِي ءِ لِمَنْ لَمْ يُخِبْ فِيهِ الْمَطَايَا

فأهداه أكثر من جارية ونال عليهن الشكر والثناء¹.

أما ابن الأحمر فأهدى السلطان عبد العزيز² خير متاع الأندلس وبغالها وسيبها وجواربها كي يُسلمه لسان الدين بن الخطيب، بعد أن فشت العداوة بينهما³، وهكذا تحولت هذه الهدية المعنوية المكلفة مادياً إلى أداة سياسية لجأ إليها كل مضطر لها.

وكان التهادي بالجوارب لتوكيد عرى المحبة أو للثناء أو لتحقيق أهداف شخصية، ومهما كان الغرض من وراء التهادي بالجوارب، فإن شراء أية جارية سيؤدي لحركة اقتصادية في سوق الرقيق وبالتالي حركة كاملة في أسواق الأندلس عامة، ومن الواضح أن هذا التهادي كان سمة من سمات المجتمع الأندلسي الذي سعى إلى مظاهر الفخامة والأبهة التي كلفته كثيراً وأثرت في اقتصاده.

وعلى الرغم من أن شراء الجوارب كلف مبالغ كبيرة، إلا أن أسواقهن ازدهرت لأن الشباب الأندلسي أقبل عليهن لرخص أثمانهن مقارنة بزواجهن من الحرائر، فقد أرهقت الحرائر خطابهن بمهورهن وبنفقات الزواج منهن، إلا أن هذه الحال تغيرت عندما قام الآباء بالترغيب ببناتهم بأن توقفوا عن طلب المهور، وزادوا على هذا بأن جهزوا بناتهم بالثياب والحلي⁴، وأعتقد أن ردة فعل الآباء لتزويج بناتهم ساهمت في إبطاء حركة سوق الرقيق إلا أنها لم تستطع

¹ - انظر ابن خاقان، مطمع الأنفس، 396-397، ابن الأثير، اللؤلؤ السيرة، 276/1-277، ابن عذاري، البيان المغربي، 300/2، المقرئ، أزهار الرياض، 131/5-132.

² - هو السلطان أبو فارس عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن المريني أنعش دولة بني مرين بتلمسان وأعاد إليها شبابها بعد هرمها، كان عفيفاً متمسكاً بالدين، ومحباً للخير وأهله، من صالحى الملوك توفي سنة 774هـ. انظر الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، م2 ج4، 52.

³ - انظر المقرئ، النفع، 100/7.

⁴ - انظر عبد الواحد المرآكشي، المعجبة، 84.

يقافها، وإن كانت قد أبطأت حركة سوق الرقيق فأظنها ساهمت في تنشيط جزء آخر من الأسواق الأندلسية، وربما خلقت بينها تنافساً تجارياً أثر في اقتصاد الأندلس.

وأعتقد أن الأصل عند الأندلسيين هو الزواج من الحرائر وشراء الجواري لا يزيد على كونها متعة، ولكنها متعة أساسية لدى القادرين، وأرجح أن امتلاك الجارية لا يُغني عن الزواج بحرّة؛ فالقادرون على شراء جارية أو أكثر هم من الخاصة والأغنياء الذين يحظون بمرتبة اجتماعية يعملون على تعزيزها بالزواج من إحدى الحرائر.

5- تقديم الهدايا للجواري

نشّطت الجواري الحركة الاقتصادية في أسواق الأندلس؛ فمن الطبيعي أن يقوم مالكو الجواري بشراء الملابس والعطور لهنّ، ولم يتوقف الأمر عند الملابس فحسب فقد قام بعضهم بشراء بيوت لهنّ؛ وذكر أن الناصر احتاج لشراء دار بقُرطبة لإحدى محظياته¹، ومن المنطقي أن يشتري صاحب الجواري دوراً جديدة أو يشتري داراً أخرى أكبر وأوسع حتى تتسع لزوجاته وجواريه وأبنائهن، فإن كان يمتلك سبعين جارية لذّة كالمعتاد² _ على سبيل المثال _ سيضطر إلى بناء قصر كبير يتسع لهن أو تفريقهن على أكثر من قصر واحد، ناهيك عن نفقات الخدم والعبيد المخصصين لراحتهن، والنفقات المخصصة لهن.

ولم يكتف السادة بشراء الملابس والعطور والبيوت لجواريهم؛ وإنما أهدوهن الكثير من الهدايا الثمينة، وقد ذكر أن الأمير عبد الرحمن اشترى عقداً للسلطانة زبيدة³ من بغداد وأهداه

¹ - انظر ابن عاصم، جنة الرضا، 1/164.

² - انظر ابن بسّام، الذخيرة، ق 2 م 29/1.

³ - هي أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور، وجدّها الأول العباس ابن عبد المطلب بن هاشم وهي أم الأمين محمد بن هارون الرشيد، الهاشمية الوحيدة التي ولدت خليفة، عُرفت بحب الخير و اشتهرت بمشروعها الكبير الذي أسالت فيه الماء للحجاج في مكة، توفيت في بغداد سنة 216هـ. ابن خلكان، وفيات الأعيان، 2/314-317.

إلى محظيته الشفاء¹، كما كسب المنصور بن أبي عامر ودّ صُبْحَ البَشْكَنَسِيَّةِ بالكثير من الهدايا وأهم هداياه قصر الفضة الذي صاغه لها أيام عمله في السكّة²، واسترضى عبد الرحمن الأوسط طَرُوبَ بنحو عشرين ألف دينار وأمر لها بعقد قيمته عشرة آلاف دينار³.

ولم تُحصَرِ الهدايا في النقود والحليّ فحسب، فقد قُدِّمَت هدايا غير مألوفة تدل على مدى الحب الذي يُكنّه هؤلاء السادة لجواريتهم، واستعدادهم لتلبية أية رغبة من رغباتهن مهما كلف الأمر، ومهما كان الأمر غريباً أو مُرتفعاً في قيمته؛ فقد ذكر الرواة أن الزَّهْرَاءَ لما رأت وحشة الجبل الأسود طلبت من النَّاصِرِ أن يزيله، فلما عرض الأمر على خاصته أخبروه باستحالتة، فقام الخليفة بزراعة التين وشجر اللوز على الجبل، ولم تكن هذه الهدية الثمينة الغريبة للزهراء فحسب؛ وإنما كانت لقرطبة أيضاً لما أضفته عليها من جمال وبخاصة في الربيع⁴.

كما حفظ المؤرخون قصة هدية المُعْتَمَدِ للرُّمَيْكِيَّةِ، فقد أمر بأن تُسحق العطور المختلفة الأنواع وتُعجن بماء الورد حتى تصير كالطين، لأن الرُّمَيْكِيَّةِ اشتهدت المشي في الطين بعد أن رأت الجوّاري يمشين فيه⁵، كما رأت يوماً قطع الثلج تتساقط فوق قرطبة فأعجبها منظره، فأمر المُعْتَمَدُ أن تُزرع أشجار في هضاب قرطبة لتزهر في آخر كل شتاء فتظهر كأنها مغطاة بالثلج⁶.

ومن الجدير بالذكر أن هناك من كافأ جاريته على صفة أحبها فيها؛ ذلك أن النَّاصِرَ لما جلس في قصره مع طبيبه كي يفصد عرقه أطلّ عليه زُرُورٌ وأنشد قائلاً: ⁷ [مجزوء الرَّمَلِ]

أَيُّهَا الْفَاصِلُ دُرُقِقَا
بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

¹ - انظر ابن عَدَارِي، البيانُ المَغْرِبِي، 91/2.

² - انظر ابن عَدَارِي، البيانُ المَغْرِبِي، 252/2.

³ - انظر مجهول، أخبار مجموعة، 123، ابن الأَبَّار، الخَلَّةُ السَّيْرَاءُ، 116/1، ابن عَدَارِي، البيانُ المَغْرِبِي، 92/2.

⁴ - انظر المَقْرِي، النَّفْعُ، 64/2.

⁵ - انظر ابن الخطيب، الإحاطة بنبى أخبار نَخْرَاطَةَ، 74/2، المَقْرِي، النَّفْعُ، 49-48/6.

⁶ - انظر جان وجيروم طارو، أزهار البساتين، 43.

⁷ - انظر المَقْرِي، أزهار الرياض، 265/2، النَّفْعُ، 346/1.

إِنَّمَا نَفَسُ صَدُ عِرْقًا فِيهِ مَحْيَا الْعَالَمِينَ

وأخذ الزُّرُورُ يكرره مرة بعد مرة، فلما عرف النَّاصر أن السيدة الكبرى مَرَجَان هي من علمته ذلك كافأها بثلاثين ألف دينار¹.

ولاحظت أن الهدايا التي قُدِّمت للجواري كانت هدايا مُرتفعة الثمن، وتتنوعت بين هدايا مادية مثل: العقود والنقود والقصور، وبين هدايا مالت إلى الجانب المعنوي كتزيين الجبل الأسود وسحق العطور والطيب، إلا أن جميع الهدايا امتازت بكلفة مادية مرتفعة، وأعتقد أن عائد الهدايا لم يقتصر على الجواري فحسب؛ فقد أفاد الكثيرون من تقديم هذه الهدايا، فصيافة قصر من الفضة فتح باب رزق ومعاش لمن عمل فيه، وإحضار عقد من بغداد تطلب من يسافر ونفقات سفر، كما أن تزيين الجبل وزراعة أشجار التين والزيتون وفرت فرص عمل للمزارعين، ناهيك عن المواد الأساسية التي تطلبها هذه الهدايا نحو فضة وزرور ومعاول وعطور وهكذا أفاد الكثيرون من هذه الهدايا التي قدَّمتها الحكام لمحظياتهم من الجواري، فحصل الكثيرون نقوداً مكنتهم من تحريك اقتصاد الأسواق الأندلسية.

6- انتفاع العامة بهدايا الرجال للجواري

وربما كانت مدينة الزَّهراء أكبر هدية قُدِّمت لجارية في الأندلس؛ فقد ذكر المَقْرِي رواية عن بعض مشايخ قُرطبة قالوا فيها إن السبب وراء بناء مدينة الزَّهراء هو موت إحدى جواري النَّاصر وتركها الكثير من المال، فارتأى النَّاصر أن يفك أسرى المسلمين بذلك المال، إلا إنه لم يجد أي أسير، فقالت له جاريته الزَّهراء: " اشتھيت لو بنيت لي به مدينة تسميها باسمي، وتكون خاصة لي".²

¹ - انظر المَقْرِي، أزهار الرياض، 265/2، النَّفْع، 346-347.

² - انظر النَّفْع، 64/2.

وبنى الناصر الزَّهراء التي ضُمَّت مائة ألف دار، وثلاثة آلاف مسجد، وثلاثمائة حمام بالإضافة إلى أربعمئة بيت محيط بقصر الزَّهراء، ومن الجدير بالذكر أن قصر الزَّهراء حوى ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسين صقليياً، و ست آلاف وثلاثمئة امرأة وطفل وخدام¹.

واعتقد أن تكاليف بناء مدينة بهذا الحجم بلغت مبالغ ضخمة يصعب تصوُّرها، بدءاً بأربعمئة درهم لكل من سييني داراً في مدينة الزَّهراء²، بالإضافة إلى أجور عمال البناء والمهندسين والحرفيين، ناهيك عن أثمان مواد البناء بجميع أنواعها، مع الأخذ بعين الاعتبار أن هذه النفقات استمرت خمسة وعشرين عاماً³، وقد اعتمد الناصر في سداد هذه النفقات على ثلث جباية الأندلس التي كانت تصل إلى مليونين وواحد وثمانين ألفاً وستمئة وستة وستين ديناراً⁴.

ولا تنتهي النفقات والأعباء المالية عند انتهاء البناء فحسب؛ فهناك مستحقات أثاث البيوت ومستلزماتها، وأجور الخدم أو أثمانهم إن كانوا من الرقيق، إضافة إلى طعام وشراب واحتياجات أهلها، فقصر عظيم كالزَّهراء يحتاج إلى الكثير من الخدمة الفاخرة لكل من فيه وتأمين الطعام الفاخر والشراب، ومن الطبيعي أن يكون هناك الكثير من المستلزمات الأخرى التي تستدعيها حياة القصور وأهل الخاصة.

ويبدو أن بعض الدارسين لم يستسيغوا الخبر الذي نقله المقرئ؛ فقد رأى السيد عبد العزيز سالم أن خبر المقرئ مجرد رواية خيالية، وأنه من غير المعقول أن يقوم الناصر الذي أُرهب أعداءه وملك الدنيا بالخضوع لما أسماه نزوة جارية⁵، أما عبد الله عفيفي فقد استنكر على الناصر أن يبني هذه المدينة لجاريته، فهو بهذا يشرِّع للناس شريعة الفناء في جواريتهم، ويحفر قبر الأندلس لما ملك الجواري القلوب والعقول⁶.

¹ - انظر ابن عذاري، البيانُ المُعرب، 232/2.

² - ابن حوقل، صورة الأرض، 111/1.

³ - ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، 59.

⁴ - انظر ابن عذاري، البيانُ المُعرب، 231/2-232.

⁵ - انظر قُرطبة حاضرة الخلافة، 324/1.

⁶ - انظر المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها، 55/3.

إلا أن بناء الزَّهراء أثار إعجاب دارسين آخرين كقدرية حسين التي قالت: إن الناصر بنى الزَّهراء لتخليد اسم محبوبته¹، كما قال إحسان عباس: إنه إن طُعن في هذا الخبر لسخط أو رفض له فهذا يعني أن علينا إعادة النظر في تاريخنا الموروث².

وأرجح أنه ليس من المستبعد على رجل كالناصر أن يبني مدينة لمحبوبته، فهو إنسان قبل أن يكون قائداً، وإذا توفر له المال والقدرة لإرضاء محبوبته ومحظيته فإنه سيرضيها مهما كلفه الأمر، وإذا كان حجم الزَّهراء و تكاليف بنائها يدفع بعضنا إلى القول: إنه من غير المعقول أن يقوم رجل كالناصر بإنفاق كل هذه الأموال لإرضاء جارية، فإني أذكر بضريح تاج محل الذي بناه شاه جاهان لتخليد ذكرى زوجته الحبيبة ممتاز، وهو آية في العمارة التي استغرق إنشاؤها إحدى وعشرين سنة³، ومن الجدير بالذكر أن ممتاز لم تطلب من زوجها تخليد ذكراها فكيف لو أنها طلبت ذلك؟

و يفهم من خبر المقرئ أنه لما طلبت الزَّهراء من الناصر أن يبني لها مدينة يسميها باسمها استحسن فكرة بناء مدينة جديدة؛ فهذه المدينة ستعطيه الفرصة كي يقيم وينظم مدينة عصرية تعكس أبهة الأندلس وتُشيد بعاصمتها، كما أن بناءها سيُلبي رغبة محبوبته التي أطلق اسمها على مدينته الجديدة التي لم يكن لها مثل في ذلك العصر، وأعتقد أن بناء الناصر المدينة لجاريته الزَّهراء كان له أكبر الأثر في اقتصاد الأندلس؛ فقد أوجدت فرص عمل وأبواب رزق للكثير من العمال والمهندسين والتجار على جميع أنواعهم وعملت على تحريك الأسواق الأندلسية مما أدى إلى نشاط تجاري واقتصادي كبير.

¹ - انظر شهيرات النساء في العالم الإسلامي، 148-149.

² - انظر عصر الطوائف والمرابطين، 40.

³ - تاج محل: ضريح السيدة ممتاز محل بناه زوجها الإمبراطور المغولي المسلم شاه جاهان في مدينة أكره الهندية، بدأ العمل في الضريح بعد عام من وفاتها سنة 1632، وانتهى بناؤه سنة 1643، ثم أحيط ببنائات وبساتين وحدائق انتهى العمل بها سنة 1653. انظر ياسين صلاواتي، الموسوعة العربية الميسرة والموسعة، 3/1065.

7- ثروات الجوّاري

وحصول الجوّاري على هذه الهدايا الثمينة أو المكافآت المالية ما هو إلا دليل على الترف والثروة التي ملكها حكام الأندلس، كما خلّص إحسان عباس بعد دراسته لأخبار الغناء والمغنين في الأندلس أن الجوّاري في البلاط الأموي تقاضين جريات محددة¹، وهذا يعني أنهنّ عشن في رفاهية وترف، ولم يقتصر هذا العطاء على المغنيات فقد ملكت السيدة مرّجان حقولاً عظيمة بطرف قرطبة الغربي²، كما كان لها مالها الخاص، ويبدو أنها حازت ثروة كبيرة مكنتها من شراء ليلة مع الناصر من زوجته الحرة بعشرة آلاف دينار، كما اشتهرت بالصدقات وأعمال البر³.

وذكر أنها أوقفت مالا للإنفاق على خدمة الجامع الكبير وأحواضه في قرطبة، واعتنت بمسجد أم معاوية بقرطبة وغيرها من المساجد بطرف قرطبة الغربي⁴، وإذا ما عرفنا أن الجامع الكبير هو أوسع مساجد قرطبة وأحسنها عمارة⁵ فبإمكاننا توقّع النفقات الهائلة التي صرفتها مرّجان على هذا المسجد ناهيك عن نفقات المساجد الأخرى التي تولّت العناية بها، وقدرتها على تسديد النفقات ما هو إلا دليل على أنها ملكت ثروة هائلة وربّما كان لها دخلٌ مادي بالإضافة لريع حقولها وأراضيها.

ولم تكن مرّجان الجارية الوحيدة التي تكفّلت بنفقات ماديّة وتحملت مسؤوليات مالية؛ فقد تنافس جواري عبد الرحمن بن الحكم في بناء الجوامع؛ وقامت كلٌّ من طروب ومجد ومُتعة

¹ - انظر إحسان عباس، أخبار الغناء والمغنين في الأندلس، مجلة الأبحاث، 1963، 6.

² - انظر الحبيب الجحاني، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الأندلس في عصر عبد الرحمن الناصر من خلال المُقتبس لابن حيان، مجلة المناهل، ع 29، 1984، 346.

³ - انظر ابن الأبار، التكملة، 246/4-247.

⁴ - انظر ابن عبد الملك المرّاكشي، الذيل والتكملة، 500 / 2/5.

⁵ - انظر المقرّي، أزهار الرياض، 295/2.

والشِّفاء¹ وفخرُ ببناء جامع أو سبيل على نفقتها الخاصة²، كما قامت مُتعةُ ببناء مقبرة³، ولم يقتصر بناء المساجد على جواري الأمراء فقد بنت شعاع جارية قاسم بن أصبغ البياني⁴ مسجداً في قرطبة⁵.

وأعتقد أن حقول الجواري والمساجد التي بنيتها أوجدت فرص عمل للكثير من الأندلسيين الذين عملوا في الحقول أو باعوا محاصيلها أو اشتروها، كما أن بناء الجوامع احتاج للكثير من العمال والمهندسين والفنانين ناهيك عن مواد البناء المطلوبة التي سيتم شراؤها من صنّاع وتجار متعددين.

¹ - انظر ابن الأَبَّار، التَّكْمِلَة، 240/4-242، الغساني، رحلة الوزير في اقتكائه الأسير، 20.

² - انظر ابن الأَبَّار، التَّكْمِلَة، 240/4-242.

³ - انظر ابن بَشْكَوَال، الصَّلَة، 247/1، ابن عبد الملك المرآكشي، الذَّيْل وَالتَّكْمِلَة، 495 / 2/8.

⁴ - هو قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف أبو محمد البياني، أصله من موالي الوليد بن عبد الملك، رحل في طلب العلم إلى مكة والعراق ومصر والقيروان ثم عاد إلى الأندلس، كان عالماً بالحديث والرجال والنحو والغريب والشعر، اختصر كتاب السنن لأبي داود وسماه المجتبي وجعله باسم الحكم المُسْتَنْصِرِ وفيه من الحديث المسند ألفان وأربعمائة وتسعون حديثاً في سبعة أجزاء. انظر المَقْرِي، النَّفْع، 264/2-266.

⁵ - انظر ابن الأَبَّار، التَّكْمِلَة، 248/4، ابن عبد الملك المرآكشي، الذَّيْل وَالتَّكْمِلَة، 488/2/8.

الباب الثاني الجواري في الشعر العربي في الأندلس

الفصل الأول: الجواري في شعر الشعراء

الفصل الثاني: شعر الجواري موضوعاته

وخصائصه

الفصل الثالث: أثر الجواري في شعر الغناء

لم يقتصر أثر الجواري في الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية في الأندلس، وإنما تعداه إلى بروز أثرهن في الشعر في الأندلس، فقد شغلن حيزاً لا بأس به في شعر شعراء في الأندلس، وكان لجمالهن وعلمهن وأدبهن وسهولة الاختلاط بهن أثر في تحفيز قريحة شعراء في الأندلس، فشكّلن نبعاً لإلهام الشعراء ودافعاً للإبداع والتنافس فيما بينهم، فنظم الشعراء في الأندلس سبعمائة وثلاثة وستين بيتاً في الجواري، وكان شعرهم في معظم الموضوعات الشعرية المعروفة من غزل وحنين ورتاء ووصف وشكوى وهجاء وعتاب وغيرها من الموضوعات المختلفة.

الجواري في الموضوعات الشعرية

1- الجواري في الغزل

وهب الله الأندلسيين طبيعة خلابة رقيقة انعكست عليهم وأثرت في نفوسهم، فصارت عيونهم ترنو لكل ما هو جميل، وقلوبهم تهفو لكل حسن، وأرواحهم تتعلق بما أحاطهم الله به من تحف فنية، فأجال الشاعر الأندلسي بصره وألقى الجواري يملأن بيته بجمالهن وفتنتهن ويتنافسن للحصول على قلبه، وإذا ما خرج من بيته وجدهن في الأسواق والطرقات يتحدثن إليه ويبادلنه أطراف الحديث، وعندما يجلس إلى إخوانه في مجالس الأُنس تأتي إليه لترفّه عنه، وهكذا كان اللقاء؛ رجل وامرأة معاً بالدرجة الأولى ويزداد اللقاء فتنة وسحراً لكون الرجل شاعراً له قلب رقيق وقريحة خصبة والمرأة جارية ساحرة فاتنة.

ولما اجتمع الشاعر بالجارية أُعجب بمفاتها وتغزل بقوامها الرشيق وعيونها الناعسة وشعرها المسترسل وأسنانها وريقها وخالها، كما تغزل بصوتها الساحر الذي سال ذهباً من ثغرها الفضي، ولم يتوقف هنا فتغزل بلكنتها ومخارج صوتها ورقة أناملها وعزفها وألحانها، كما لا حظ زينتها وتصنيف شعرها، وحدثها عن كل ما مرّ بقلبه وخاطره، ولم يتحفظ الشاعر في أن يتغزل بمفاتها الجسدية ويتحدث عن تفاصيل علاقتها الخاصة، ويذكر اللذة التي اعترته عندما ضمها إلى صدره ولثم فمها حتى طلوع الفجر.

ولم يكن هناك ما يردع الشاعر الأندلسي عن هذا الغزل وإن كان شيخاً كبيراً، فجمال جوارى الأندلس يدفع كل شاعر إلى التغزل به، لذا كان هناك الكثير من شعر الغزل في جوارى الأندلس، وقد بلغ مائتين وثلاثة وستين بيتاً بالإضافة إلى موشحين _ من المصادر المتوفرة بين يدي _ توزعت بين خمسة أبيات مفردة وثلاث عشرة نتفة وثمان وعشرين مقطوعة وتسع قصائد وموشحين.

ونال عصر ملوك الطوائف نصيب الأسد منه؛ فحظي بثلاثة وتسعين بيتاً لاثني عشر شاعراً أندلسياً من أصل واحد وأربعين شاعراً، كما أن شعراء عصر الطوائف صرّحوا بأسماء الجوارى اللاتي تغزلوا بهن؛ فذكروا أسماء سبع جوارٍ من بين خمسة عشر اسماً زيّن بها الغزل بالجوارى في الأندلس.

وقد يعود السبب وراء ازدهار الغزل بالجوارى في عصر الطوائف إلى طبيعة العصر نفسه؛ فقد تقاعس الأندلسيون عن الجهاد وفضلوا الراحة والجلوس، وربما جذبهم جمال الجوارى وسحرهن فلم يقاوموه ونظموا شعرهم يتغزلون بهن، فأغرقوا أنفسهم في مجالس اللهو والأنس، وهناك لم يملكوا إلا أن يتأملوا جمال الجوارى ويسحروا بأغانيهن وألحانهن ويقضوا أوقاتاً مسلية معهن، كيف لا والغرض الأول من اقتنائهنّ هو المتعة والتسلية.

ونبع شعر الغزل في الجوارى من الافتتان بجمالهنّ المادي، وعلى الرغم من أن الرابط بين الشاعر الأندلسي والجارية لم يكن رابطاً معنوياً قوياً ودائماً بل كان رابطاً مادياً زائلاً قام على المتعة والتسلية، إلا أن هذا الرابط أظهر الشاعر الأندلسي وكأنه عبدٌ لجمال جاريتيه وسحرها، فانعكست الآية لتصبح الجارية هي المالكة والسيدة الأمرة الناهية ويصبح السيد عبداً لحبه وافتتانه بجاريتيه.

كان الجمال أحد الأسباب التي دفعت الأندلسيين لشراء الجوارى، فهنّ يُمتعن أسيادهن و ينشرن المتعة والمرح في كل مكان يوجدن فيه، ويُسعدن النفوس بدلالهنّ ويملكن الأنظار بجمالهنّ، كما أنهنّ يستعملن كل ما حظين به من جمال ودلال وأساليب تعلمنها كي يملكن قلوب سادتهنّ حتى يصبحوا عبيداً يأترون بأمرهن.

وأعلن الأمير الحكم بن هشام أنه أحد هؤلاء السادة العبيد؛ فقد ملك خمسَ جوارٍ نلن اهتمامه ورعايته وملكن أمره حتى قال: إن سحرَ جواريه الخمس حوَّله إلى عبدٍ لهنّ، فاستسلم لإعجابه بهنّ ولم يجروا أن يشكو تباريح الهوى حتى لا يزدنه بعداً فيهلك فقال: ¹ [الخفيف]

ظَلَّ مَنْ فَرَطَ حُبَّهُ مَمْلُوكَا	وَلَقَدْ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ مَلِيكَا
إِنْ بَكَى أَوْ شَكَا الْهَوَى زَيْدًا ظُلْمًا	بِبِعَادِ أَدْنَى حِمَامًا وَشَيْكَا
تَرَكَتْهُ جَاذِرٌ ² الْقَصْرَ صَبَابًا	مُسْتَهَامًا عَلَى الصَّعِيدِ ³ تَرِيكَا
يَجْعَلُ الْخَدَّ وَاضِعًا فَوْقَ تَرْبٍ	لِلَّذِي يَجْعَلُ الْحَرِيرَ أَرِيكَا
هَكَذَا يَحْسُنُ التَّنْذُلُ لِلْحُرِّ	— إِذَا كَانَ فِي الْهَوَى مَمْلُوكَا

وذكر أنه ذهب إليهن يوماً فأعرض عنه ورفض أن يدخل عليهن⁴، ولم يكتفين بالهجران فحسب وإنما عزم على هجره ولم يُصغين لمناشدته لهن، ولم يرحمته بعد أن سلبن روحه و ملكن سلطانه فقال متغزلاً: ⁵ [البسيط]

قُضِبَ مِنَ الْبَانِ مَاسَتْ ⁶ فَوْقَ كُتُبَانِ	أَعْرَضَنَ عَنِي وَقَدْ أَرْمَعَنَ هَجْرَانِي
نَاشِدْتُهُنَّ بِحَقِي فَاعْتَزَمَنَ عَلَيَّ —	— هَجْرَانِ حَتَّى خَلَا مِنْهُنَّ هَيْمَانِي
مَلَكَتْنِي مَلِكٌ مِنْ ذَلَّتْ عَزِيمَتُهُ	لِلْحَبِّ ذَلَّ أَسِيرٌ مُوثَقٌ عَانِي
مَنْ لِي بِمُغْتَصِبَاتِ الرُّوحِ مِنْ بَدْنِي	غَصْبَنِي فِي الْهَوَى عَزِيٌّ وَسُلْطَانِي

¹ - مجهول، أخبار مجموعة، 121-122، ابن الأَبَّار، الحَلَّة السَّيْرَاء، 1/49، ابن عَدَّارِي، البيانُ المَغْرِبِي، 80/2.

² - الجُوذَرُ و الجُوذَرُ: ولد البقرة وفي الصحاح البقرة الوحشية والجمع جَاذِر. ابن منظور، لسان العرب، مادة (جذر) 124/4.

³ - الصَّعِيد: الأرض. ابن منظور، لسان العرب، مادة (صعد) 254/3.

⁴ - مجهول، أخبار مجموعة، 121، ابن عَدَّارِي، البيانُ المَغْرِبِي، 2/79، ابن الأَبَّار، الحَلَّة السَّيْرَاء، 1/50.

⁵ - مجهول، أخبار مجموعة، 121، ابن الأَبَّار، الحَلَّة السَّيْرَاء، 1/50، ابن عَدَّارِي، البيانُ المَغْرِبِي، 2/79، المَقْرِي، النَّفْع، 1/330.

⁶ - المَيْسُ: التَّبَخُّرُ. ابن منظور، لسان العرب، مادة (ميس)، 6/224.

إلا أنني لا أظنّ أن غزل الحكم لهؤلاء الجوّاري وإعلانه أنه عبّد لهن يعني أنّهن ملكنه، وظني هذا لا ينبع من انتقاصي لجمال الجوّاري وذكائهن بل من كون الحكم عبداً لخمسة جوارٍ، فكل واحدة منهنّ امرأة أولاً وأخيراً وترغب في امتلاك سيدها وحدها دون أية شريكة أخرى، فما هو الدافع الذي سيرغمها أن تتحالف مع أربع جوارٍ أخريات كي يعذّبن الحكم؟ إذن كان الحكم سيّد نفسه ولم تستطع أية جارية أن تملكه وحدها، لذا اتفقت الخمسة على أن يأخذن موقفاً من الحكم حتى يحققن حاجة في نفس يعقوب، ولم يملك الحكم أمام هذا التحالف الخماسي القوي إلا أن يمثّل الضعف ويدّعي العبودية كي يصلّنه ويرجعن إلى سابق عهدهنّ معه، فهو يعرف أنّهنّ يسعين لامتلاكه واستعباده.

ولم تُوظّف الجوّاري جمالهنّ لاستعباد الملوك فحسب؛ بل تجاوزن فئة الملوك إلى الشعراء، فما هو ابن حمديس يقع في أسر جارية جميلة فيتغزل بها ويصبح عبداً لها، ومملوكاً لحسن منطقتها وجمال إشراقها، ولما زارها وقت السحر عانقتها وضمها إلى صدره حتى بزغ الفجر، فنزع نفسه من بين ساعديها كنزع الروح من الجسد، وغادرها وهو يذرف الدموع أسفاً على فراقها قائلاً: ¹ [الكامل]

ويلى على مملوكية ملكت	رقي بحسن مقالها ويلي
غيداء تحسب كلما انعطفت	من فرعها ذيلاً على الذيل
وكانها شمس على غصن	مترنج التقويم والميل
قالت وقد عانقتها سحراً	لم زرتنا في آخر الليل
فأجبتها وغمرتها قُبلاً	هذا أوان إغارة الخيل
حتى إذا بزغت شبيبتها	كالتجاج فوق مفارق القيل ²
نزعته كنزع الروح من جسدي	عني قلادة ساعد غيل
فنهضت أشرق بالدموع كما	شرق الفضاء بكثرة السيل

¹ - الديوان ، 363.

² - القيل: الملك من ملوك حمير ينقل من قبله من ملوكهم يُشبهه، وجمعه أقيال وقبول. ابن منظور، لسان العرب، مادة (قيل) 580/11.

قد يكون ابن حمديس عبداً لهذه الجارية اليوم ولكن ماذا عن الغد؟ ستفقد الجارية جمالها وإشراقها مع الزمن وسيبدأ ابن حمديس البحث عن مملوكة أخرى غيداء مشرقة يملكها أمره ويقول إنه ملكٌ يمينها، فهو ضعيف أمام جمالها ولا حول له ولا قوة أمام سحرها.

ومهما كان مفهوم الرجل الأندلسي لعبوديته للجارية فمن الواضح أنه يختلف عن عبودية الجارية لسيدها؛ فهي جارية لسيد واحد فقط بينما هو عبد لجوارٍ عدة، وهي فتاة فقدت حريتها والقدرة على تحديد حياتها واتخاذ قراراتها فحاولت أن تكون صاحبة قرار بالتأثير على سيدها، أما هو فيقول إنه عبدٌ لها على الرغم من أنه صاحب الأمر، وعلى الجارية أن تبقى جارية لسيدها سواءً أكان شاباً أم كهلاً أما السيد فهو عبدٌ لجمالها وجمالها زائل إذن عبوديته زائلة، والجارية لا تستطيع أن تخلص نفسها من ملكية سيدها كي تنتقل ملكيتها لسيد أفضل، أما هو فله الحق أن ينتقل من جارية لأخرى ويُسلم ملكيته لأي جارية يبتغيها.

وكان هناك عبيد لصفات أحبواها في الجوارى؛ فقد عشق بعض الأندلسيين وعلى رأسهم خلفاء بني مروان الجوارى الشقراوات¹، وقد كُنَّ من أسيرات الحروب² أو الوافدات عن طريق التجارة من أوروبا³، واستعبدت هذه الصفة ابن حزم بعد أن عشق نعم، فتغزل بالشقرة على الرغم من أن الجميع يعيبُ الشقرة ولونها، ويرى أن من كان ذوقه عكس ما يرى فهو أبعد خلق الله عن الحكمة والعقل: ⁴ [الطويل]

فَقَالَتْ لَهُمْ هَذَا الَّذِي زَانَهَا عِنْدِي
لِرَأْيِ جَهْوَلٍ فِي الْغَوَايَةِ مُتَمَدِّ
وَلَوْنَ النُّجُومِ الزَّاهِرَاتِ عَلَى الْبُعْدِ
مُفَضِّلُ جَرَمِ فَاحِمِ اللَّوْنِ مُسَوِّدٌ
وَلِبِيسَةٌ بَاكِ مُتَكَلِّمِ الْأَهْلِ مُحْتَدِّ

يَعْيِبُونَهَا عِنْدِي بِشُقْرَةٍ لَوْنَهَا
يَعْيِبُونَ لَوْنَ النُّورِ وَالتَّبْرِ ضَلَّةً
وَهَلْ عَابَ لَوْنَ النَّرْجِسِ الْغَضَّ عَائِبٌ
وَأَبْعَدُ خَلَقَ اللهُ مِنْ كُلِّ حِكْمَةٍ
بِهِ وَصِفَتْ أَلْوَانُ أَهْلِ جَهَنَّمَ

¹ - ابن حزم، رسائله، 130/1-131.

² - ج. ب. ترند، تراجم الإسلام، 11/1-12.

³ - انظر آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، 298-299، ليفي بروفنسال،

الحضارة العربية في إسبانيا، 53.

⁴ - ابن حزم، رسائله، 133/1.

ويبدو أن بعض الأندلسيين كانوا على دين ملوكهم وميّزوا الجواري الشقراوات عن السوداوات؛ فاختصوا الشقراوات للسادة أما السوداوات فألزموهنّ المطبخ وذلك بقولهم _ عند انقلاب الأوضاع_ ¹: " السُّودُ للسَّادة، والبييض للرمادة " ²، كما أنهم عبّروا عن الحادث التافه الذي لا يعيرونه اهتماماً بقولهم ³: " سوَدَ زَنَتُ، قال: قُلَّةٌ انْكَسَرَتْ " ⁴ وربّما كان هذا المثل دلالة على شكّ الأندلسيين في إخلاص الجواري السوداوات، وربّما أضحت خيانتهم أمراً طبيعياً اعتاد عليه الأندلسيون وأضحت خيانتهم وسوء أخلاقهم من الأسباب في تفضيل الشقراوات عليهن.

وعلى الرغم من أن الأندلسيين عرفوا الجواري السوداوات واتخذوهنّ للفراش والولد ⁵، إلا أنني لم أجد غير مقطوعة غزلية واحدة في جارية سوداء، نظمها أمية بن عبد العزيز الداني في جارية سوداء اسمها عزّة فقال: ⁶ [السَّرِيع]

يا عَزُّ عَزِّ الوَجْدُ صَبْرِي بِمَا	أَصْبَحْتُ مِنْ حُسْنِكَ تُبْدِينَهُ
ما أَنْتِ إِلَّا لَعْبَةٌ ما بَدَتْ	لِلْمَرءِ إِلَّا أَفْسَدَتْ دِينَهُ
وقَدْ أَفَدْتُ الْمَسْكَ فَخَرّاً بَأَنْ	أَصْبَحَ يَحْكِيكَ وَتَحْكِينَهُ
لا شَكَّ إِذْ لَوْنُكُمْ ما واحِدٌ	أَنْكُمَا فِي الْأَصْلِ مِنْ طِينَهُ

وافتنقاري إلى أبيات غزلية في السوداوات لا يعني أن كل أهل الأندلس فضّلوا الشقراوات عليهن؛ ذلك أن ابن حزم قال: ⁷ [الطَّوِيل]

يعيبون لون النور والتبر ضلة لرأي جهول في الغواية مُتَدِّ

1 - انظر أبو يحيى الزجاجي، أمثال العوام (المقدّمة) 219/1.

2 - أبو يحيى الزجاجي، أمثال العوام، 68/2.

3 - انظر أبو يحيى الزجاجي، أمثال العوام (المقدّمة) 221/1.

4 - أبو يحيى الزجاجي، أمثال العوام، 421/2.

5- انظر توفيق بن عامر، الحضارة الإسلامية وتجارة الرقيق ، 293، نقلاً عن السقطي، أحاديث الحسبة، 48-49.

6 - العماد الأصفهاني، الخريدة، ق 4 ج 1/324-325.

7- ابن حزم، رسائله، 1/133.

وَأَبْعَدُ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ كُلِّ حِكْمَةٍ مُفَضَّلُ جِرمِ فَاحِمِ اللّونِ مُسَوِّدٌ

وشعر ابن حزم وإن كان يدلُّ على ذوقه وذوق بني أمية إلا أنه يدلُّ على أن بعض الأندلسيين فضّلوا الجواري السوداوات الفاحمات على غيرهن، كما أنهم رأوا أن الشقرة عيب من العيوب التي تحول دون اقتناء الجارية، ولا أعتقد أن ذوقاً واحداً ساد الأندلس، أي أنني لا أظن أن كل الأندلسيين فضّلوا الجواري الشقراوات على السوداوات أو العكس، فهذه أمور نسبية تختلف باختلاف الأفراد وأذواقهم.

ولم يتوقف بعض الشعراء عند التغزل بالجمال فحسب، فقد تغزل أبو عثمان السرقسطي¹ بصوت الجارية وجمالها معاً، فهو يرى أنه لا معنى للحياة إلا بالمدام ورفقة جارية تغني على أوتار آلتها، وغناء هذه الجارية ليس كغيرها من الجواري؛ فهي تُبدع في الغناء وتحسن صنعته، وتبرع في المزج بين الأنغام والألفاظ فتصب الألبان الذهبية في وعاء الكلمات الفضي كي تمتع الأذان بسبيكة فنية بارعة، كما تمتع العيون بجمالها وإشراقها يقول: ²

[الكامل]

لا عيشَ إلا في المدامِ وقينية	تَشْدُو على وترِ فصيحِ ألثغ ³
تُعنى بتقديرِ الزمانِ ومسحِه	فيجيءُ بينَ مُملاً ومُفرغِ
وكأنما نغماتها في لفظها	ذهبَ أسيلَ على لجينِ مُفرغِ
وإذا نظرتَ إلى محاسنِ وجهها	ناديتَ يا قمرَ السَّما لا تبزغِ

¹ - هو سعيد بن فتحون بن مُكرم التجيبي السرقسطي الملقب بالحمار، كان عالماً بالنحو واللغة، وجمع رسائل في الفلسفة تدل على تمكنه فيها، رحل إلى صقلية بعد أن خرج من سجن المنصور بن أبي عامر ومات فيها. انظر الحميدي، جَذْوَةُ الْمُقْتَبِسِ، 1/362، الضبي، بُغْيَةَ الْمُتَمَسِّ، 311، ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، 4/40، السيوطي، بغية الوعاة، 256.

² - الكتاني، التشبيهات، 105.

³ - الألتغ: الذي لا يستطيع أن يتكلم بالراء، وقيل: هو الذي يجعل الراء غيناً أو لاماً أو يجعل الراء في طرف لسانه أو يجعل الصاد فاءً، وقيل: هو الذي يتحول لسانه عن السين إلى الثاء وقيل: هو الذي لا يتم رفع لسانه في الكلام وفيه ثقل. ابن منظور، لسان العرب، مادة (لتغ) 448/8.

وأظن أن الحياة التي يقصدها هي حياة اللهو ومجالس الأُنس، فإذا لم تشدُ فيها جارية مغنية فقدت الحياة معناها وأضاعت رونقها، ويبدو أن الجواري المغنيات أصبحن حاجة لا يمكن الاستغناء عنها في مجالس المجتمع الأندلسي وركناً أساسياً في مجالس اللهو.

وكان الجواري لم يقنعن بما نلنّه من غزل في جمالهنّ ومواهبهنّ، فاستعنّ بوسائل الزينة ومنها الخضاب الذي زينّ به أيديهنّ، ويبدو أن الجواري الأندلسيّات لم يستخدمن الزينة دون ذوق بهدف الزينة فحسب؛ فقد فكّرن بتناسب ألوان الخضاب مع بشرتهنّ ونسّقنّها مع لون شعرهنّ، وعرفن ما يناسبهنّ وما يناسب غيرهنّ من زينة، وهذا ما فعلته الجارية التي تغزّل بها أبو الحسن الحصري¹ فقد خضبت يديها البيضاء الجميلة بخضاب أسود فزاد يديها جمالاً، كما أنها نسّقت لون خضابها الأسود مع شعرها، ويبدو أن ذوق الجارية لم يتوافق مع ذوق أبي الحسن فقد أنكرت عليه خضاب شعره ربّما لأن الخضاب لا يليق بهيئته أو عمره، أو لأنه لم يعرف أصول الزينة مثلها، فردّ عليها بقوله: ² [الكامل]

خَضِبْتُ يَدِيهَا لَوْنَ فَاحْمِهَا فَمَا	نَقَصَ الْبِيَاضُ مَلَاخَةً بَلْ زَادَا
مَا بِالْشَيْبِيِّ تَتَكَبَّرِينَ خِضَابَهُ	وَأَرَاكَ خَاضِبَةَ الْبِيَاضِ سَوَادَا
قَالَتْ نَجِيعُكَ ³ فِي يَدِي وَإِنَّمَا	بَدَأْتُهُ أَسْفَاً عَلَيْكَ حَدَادَا

وتغزّل الشعراء بشعر الجواري وهيئته، فظهر من غزلهم مدى اهتمام الجواري بشعرهنّ وتصنيفه بطريقة جميلة، وعندما تغزّل ابن بطل⁴ بتصنيفه شعر إحداهن ظهر لي أن

¹ - هو أبو الحسن علي بن عبد الغني الفهري الحصري، مقرئ ولغويّ ونحويّ وأديب ضرير، دخل الأندلس بعد الخمسين وأربعمئة فمدح ملوكها إلا أنه لم ينل تقديراً كافياً فقرر الرحيل. قال شعره المذكور في مدينة مُرْسِيَّة سنة إحدى وثمانين وأربعمئة. انظر ابن دحية، المُطَرِّب، 79، السيوطي، بغية الوعاة، 341.

² - ابن دحية، المُطَرِّب، 79.

³ - النَّجِيع: الدّم وقيل: هو دم الجوف خاصة، وقيل: هو الطّري منه، وقيل: ما كان إلى السواد. ابن منظور، لسان العرب، مادة (نجع) 348/8.

⁴ - هو أبو أيوب سليمان بن محمد بن بطل البَطْلَيْوسِيّ المعروف بالمتلمس، شاعر محسن كثير الشعر، وعالم في المذهب المالكي توفي سنة 400هـ. انظر الحميدي، جَذْوَةُ الْمُقْتَبَسِ، 344/1، الضبّي، بَغِيَّةُ الْمُتَمَسِّ، 297، المقرئ، النَّفْع، 260/4، 404/4.

تصنيف شعرهن تصنيفٌ بسيطٌ جميل يلفت الأنظار ويُشغل خاطر، فقد عفت جارية ابن بطال شعرها على هنية هلال يتجه طرفه نحو صدغها، فظهرت خصلة شعرها كعقرب يحرس ورد خدودها ويلدغ كل من ينظر وكان غزله فيها: ¹ [الكامل]

تَرَنُو لَوَاحِظُنَا لَتَقْطُفَ وَرَدَهُ فَتَدْبُ عَقْرُبُهُ فَتَلْسَعُ مَن رَنَا
فَكَانَ عَقْرَبٌ صُدَّغَهُ فِي خَدِّهِ دَبَّتْ لَتَمْنَعَ وَرَدَهُ أَنْ يُجْتَنِّي

أما ابن بسام فقد تغزل بجارية تزينت بقرط لامع وسوار وضعت على عضدها، كما تغزل بلباسها الأنيق الذي جمع ألوان الطيف، وعلى الرغم من أني لم أجد أي نص أو شعر يتحدث عن كيفية اقتناء هؤلاء الجواري الحلي أو الملابس إلا أن المنطق يستوجب أن يوفر مالك الجارية كل احتياجاتها من مأكّل وملبس وحلي وغيره، ولا بد من أن هذه الاحتياجات كان لها حيزٌ في ميزانية مالك الجارية، وأظن أن هذا الحيز اختلف تبعاً لثروة المالك واحتياجات الجارية، فربما كان قرطها من ذهب وملابسها من الحرير أو كانا غير ذلك، إلا أن هذه الجارية بكل زينتها نالت إعجاب ابن بسام فتغزل بها قائلاً: ² [الرَّمَل]

صَاغَتْ الْجَوَازِءُ قَرَطِينَ عَلَيَّ مَسْمَعِيهَا وَالثَّرِيحَا دُمْلُجَا³
وَاسْتَجَادَتْ مَن سَمَاهَا حَلَاً فَكَسَاهَا قَزْحَ مَا نَسَجَا

ويظهر _ للوهلة الأولى _ وكان ابن عمّار الشاعر الوحيد الذي نظم شعراً عذرياً في جارية، فقد توجه في قصيدة له للجارية نَعْمِي، وأخبرها كيف يتعذب من حبها ويتمنى لقاءها، وأعلمها أنه يزور محل إقامتها أملاً برويتها، كما ضمّن اسمها أوائل الأبيات الأربعة الأولى فقال: ⁴ [الكامل]

نَفْسِي وَإِنْ عَذَّبْتَهَا تَهْوَاكِ وَيَهْزُهَا طَرِبٌ إِلَى لُقْيَاكِ
عَجَباً لِهَذَا الْوَصْلِ أَصْبَحَ بَيْنَنَا مُتَعَذِّراً وَمُنْأَيَ فِيهِ مُنَاكِ

1 - الكتاني، التشبيهات، 126.

2 - ابن بسام، الذخيرة، ق 3 م 491/1.

3 - الدملج: والدملوج المعضد من الحلي. ابن منظور، لسان العرب، مادة (دملج) 276/2.

4 - ابن الأبار، الحلة السيرة، 164/2.

ما بال قلبي حين رامك لم ينل
الله أعلم ما أזור لحاجة
ولقد ترومك مقلتي فتراك
ذاك المحل لغير أن ألقاك

إلا أن الأبيات اللاحقة تظهر أن ابن عمّار لم ينظم في نغمي أي غزل عذري؛ فقد صرّح أنه يودّ لقاء نغمي دون رقيب كي يرتوي من لماها، ويروح ويجيء في رياض خدها، ويشرب من كأس فتور عينيها، ويرقب قدّها الممشوق، إذن حب ابن عمّار لم يكن سوى إعجاب مادي، قال: ¹ [الكامل]

ليت الرقيب إذا التقينا لم يكن
متزهاً في روض خدك شارباً
حكّت الغصون جمال قدك فانتثت
لا تعذبي يا روضة ممطورة
فأنال رياء من لذيذ لماك
كأس الفتور تُديرها عيناك
والفضل للمحكي لا للحاكي
حتى أمدي يدي إلى مجناك

ويبدو أن غزل ابن خفاجة لعفراء نبع من إعجاب مادي أيضاً، فعلى الرغم من أنه يُظهر الحب والشوق لها ويُرسل سلامه إليها مع برق السماء، إلا أنه يتمنى أن يلقاها كي يلثم ثغرها ويضمها إلى صدره ويتمتع بها، يقول: ² [الطويل]

أرقت لذكرى منزل شطّ نازح
فقلت لبرق يصدع الليل لائح
وبلغ قطين الدار أني أحبهم
وأقري عفراء السلام وقل لها
وهل ينتثي ذلك الغصن نضرة
ومن لي بذاك الحشف من متقنص
كأفت بأنفاس الشمال له شمّا
ألا حيّ عني ذلك الربيع والرّسما
على النأي حباً لو جزوني به جمّا
ألا هل أرى ذاك السها قمرّاً تمّا
بجرّعا³ وهل ألوي معاطفه ضمّا
فأكله عَضاً وأشربة لثما

¹ - ابن الأَبَّار، العَلَّة السَّيِّراء، 164/2.

² - ابن بسَّام، الذَّخِيرَة، ق 3 م 577/2.

³ - بجرّعا: الجرّعاء: الأرض ذات الحزونة تُشاكل الرَّمْل، وقيل: هي الرَّمْلَة السَّهْلَة المُستوية، وقيل: هي الدَّعْصُ لا تُتَبُّ شَيْئاً. ابن منظور، لسان العرب، مادة (جرع) 46/8.

وأظنُّ أن الكثير من الأندلسيين لم ينظموا شعراً عذرياً في الجواري، وأن غزلهم فيهنَّ كان غزلاً مادياً نبع من جمالهنَّ وسهولة الاختلاط بهنَّ، فقد التقى الأندلسي الجارية وبادلها الحديث وضمها ولثم ثغرها حتى الفجر، لذا لم يشعر الأندلسي بعذاب الهوى أو يتجرَّع الحرمان ويسهر الليالي يذرف الدموع، ويبدو لي أن الجواري ساهمن في إخماد نار الغزل العذري ببذل الغالي والرخيص في أثناء تنافسهنَّ مع بعضهنَّ كي تظفر كل منهنَّ بالرجل الموعود، وأظنُّ أن الشعر الأندلسي لم يخلُ من الغزل والحب العذري، إلا أنني لم أحظ به في المصادر التي توفرت بين يدي وربما ضاع دون أن يترك للباحثين أي أثر، ومن الجدير بالذكر أن كلاً من ابن عمَّار وابن خفاجة بدأ قصيدته بأبيات غزلية حسيَّة ربَّما أراد الشاعران بذلك أن يُقلدا القصيدة العربيَّة القديمة أو أنهما ألقياها على مسامع الجواري لغاية في أنفسهنَّ.

2- الجواري في الحنين

كانت الجواري في الأندلس أداة للمتعة والتسلية بالدرجة الأولى، إلا أن جمالهنَّ وذكاءهنَّ دفع الرجال الأندلسيين للوقوف في حبهنَّ، فصارت الجارية للتسلية واللذة الروحية، فنعمَّ الرجل بجمالها وذكائها وظرفها، وتعلَّق بها حتى صعبَ عليه فراقها، وإذا ما فارقها يُفارقها مُكرهاً لأنه عليه الخروج إلى الغزو أو لأنها ليست ملك يمينه ولا يستطيع رؤيتها كلما شاء أو لأنها تخاف عيون الرُّقباء، فيعتز به الحنين إليها والشوق لرؤيتها ويزرف الدموع لفراقها، وينتظر طيفها ويتمنى لقاءها.

وربَّما كان الحنين أسمى العواطف التي يتعرَّض لها الرجل عند فراقه الجارية فيتسامى في أشعاره عن كل ما هو مادي شهواني¹، ويستشعر مدى حبه وتعلُّقه بالجارية التي وقع في حبها، فتصبح الجارية أقرب مخلوق إليه، وينسى كلَّ أهله ولا يذكر غيرها؛ فمعها يُحس السكينة والطمأنينة وإليها يشكو همَّه، إلا أنه لا ينعم بها فهو بعيد عنها، ولا يملك إلا الإيمان بالقدر والرِّضا بحال الدنيا.

¹ - انظر وائل أبو صالح، الجواري في الأندلس، 117.

ولم يكن شعر الحنين دائماً نتيجةً لشوق وحنين، فربّما كان مجرد غرض يشدّ فيه الرجل قريحته الشعرية ويتسلّى بلعبة كلامية مع أحد أصحابه، وربّما لم ينبع شعر الحنين من عاطفة سامية دائماً؛ فقد ينبع من عاطفة شهوانية يحنّ فيها الشاعر إلى محاسن الجارية ويتمنى أن يلتاها كي يعيدا زمن الوصل من جديد.

وبلغ شعر الأندلسيين في الحنين إلى الجوّاري مائة وثمانية وثلاثين بيتاً _ من المصادر المتوفرة بين يدي _ توزّع بين بيتين مفردين وثلاث نتف وثمانية عشرة مقطوعة، وتركّز معظمه في عصر ملوك الطوائف؛ فقليل فيه واحدٌ وخمسون بيتاً توزعت على خمسة شعراء أندلسيين من أصل خمسة عشر شاعراً، وذكر الشعراء الخمسة أسماء الجوّاري الخمس اللاتي حنوا إليهن، فورد في شعر الحنين ثلاثة عشر اسماً من أسماء الجوّاري في الأندلس.

ولم يردع الرجل الأندلسي عن قول شعر الحنين الرقيق أيّ رادع، فقد أحسّ الأمير عبد الرّحمن بن الحكم بألم الحنين والشوق لمحبوبته طرُوب في إحدى غزواته، فلم يملك إلا النحيب في الليل ربّما اتقاءً لعيون المتطفلين، أو لأن الشمس المنيرة _ التي تذكره بطرُوب _ غابت عنه فلا يستطيع النظر إليها كي تؤنسه وتخفّف من حنينه، فإذا غابت الشمس وحلّت عتمة الليل زادت وحدته واستيقظ شوقه لها فلم يجد ما يُسليه عنها يقول: ¹ [المتقارب]

فقدتُ الهوى مُذْ فَقدتُ الحبيبا	فما أقطعُ الليلُ إلا نحيبا
وإمّا بدتُ لي شمسُ النّها	رِ طالعَةٌ ذكّرتُني طروباً
أأقبي بوجهي سُومَ الهجير	إذا كادَ منه الحصى أن يذوبا

وبما أن المصادر الأندلسية حفظت هذه المقطوعة فهذا يعني أن الأمير عبد الرّحمن قالها على الملأ أو أنه لم يكن وحده على الأقل، وما يعني هنا هو أن أمير الأندلس لم ير أيّ حرج في أن يُصرّح بحنينه وبكائه لبُعدّه عن جارية، وهذا يدل على أن المجتمع الأندلسي لم يستنكر حنين الرجال للجوّاري وبالتالي كان يتقبّل علاقة عاطفية تجمع بينهما.

¹ - ابن الأَبَّار، الحُلَّة السَّيراء، 1/114-115.

وأنا أتساءل إذا كان الأمير عبد الرحمن يحنّ لطرُوب هذا الحنين ويكي فراقها فلمَ لم يصطحبها معه في غزواته؟ ربّما لأنه لم يكن من عادة الأندلسيين أن يأخذوا جواريتهم معهم، أو لأن الأمير عبد الرحمن لم يعتد أن يطيل الغياب في غزواته فارتأى أنه لا ضرورة لاصطحابها إلا أن الحنين باغته فلم يكن بيده حيلة غير البكاء، أو لأنه كان من عادة الأمير عبد الرحمن أن يحس بالحنين لطرُوب في كل غزواته سواءً طال غيابه عنها أم قصر؛ فالحنين يبدأ عند فراق المحبوبة بغض النظر عن الأيام و الساعات.

لقد كان حنين الأمير عبد الرحمن لجاريته طرُوب نتيجةً نابعةً من قراره الشخصي بالخروج للغزو، إلا أن الحنين لم يكن خياراً لدى الجميع؛ فقد وصف أبو بكر الزبيدي الإشبيلي¹ حنينه لجاريته سلمى التي تركها في إشبيلية عندما خرج إلى قرطبة كي يؤدب هشام المؤيد، ولما اشتد حنينه إليها طلب من هشام الإذن في العودة، إلا أن هشاماً لم يُعْطه الإذن فزاد حنينه إليها وقال: ² [مخلع البسيط]

ويحك يا سلم لا تراعي	لا بُدَّ للبين من زَماع
لا تحسبيني صبرت إلا	كصبر ميت على النزاع
ما خلق الله من عذاب	أشدَّ من وقفة الوداع
ما بيننا والحمائم فرق	لولا المناجات والنواعي
إن يفترق شامنا وشيكاً	من بعد ما كان ذا اجتماع
فكل شمل إلى افتراق	وكل شغب إلى انصداع
وكل قرب إلى بعاد	وكل وصل إلى انقطاع

¹ - هو أبو بكر محمد بن الحسين الزبيدي الإشبيلي، إمام في النحو واللغة والإعراب والنوادر وشاعر غزير الشعر، كان من بطانة الحكم المُستَصر وأصحابه، وولاه قضاء إشبيلية وشرطتها، توفي 380هـ. انظر الحميدي، جَذوة المُقتبس، 1/85-86، الضبي، بُغية المُلتَمَس، 66-67، ابن خاقان، مطمع الأنفس، 276، عبد الواحد المرآكشي، المُعجِب، 62، ابن خلكان، وَفَيَات الأعميان، 372/4-373، ابن سَعيد، المغرب، 1/255-256، السيوطي، بُغية الوعامة، 34.
² - الحميدي، جَذوة المُقتبس، 1/88، الضبي، بُغية المُلتَمَس، 66، عبد الواحد المرآكشي، المُعجِب، 65، ابن خلكان، وَفَيَات الأعميان، 373/4، ابن سَعيد، المغرب، 1/255-256، المقرئ، النَّفح، 157/5.

يبدو أن أبا بكر الزبيدي عانى من آلام حنين حقيقي، إلا أنه لم يملك الخيار في وقف ألمه ولم يجد غير الرضا بقدر الله والصبر على فراق سلمى، ولكن ماذا عن زوجته وأولاده؟، الواقع أنني لم أجد أي ذكر عن كونه متزوجاً ورزق بأولاد أو غير ذلك، ولكن إن كان رب أسرة فيتوقع منه أن يحن لأهله أيضاً، إلا أنني لم أجد شيئاً من هذا، ربّما لأن سلمى احتلت مكانة مميزة في قلب أبي بكر، أو لأنه اصطحب معه عائلته إلى قرطبة وتركها في إشبيلية، وإن كان تركها في إشبيلية فلم فعل ذلك؟ ومهما كانت أسباب فراقهما أو أسباب منع هشام المؤيد أبا بكر أن يعود إلى إشبيلية، فإن حنينه لسلمى يدل على أن الجارية في الأندلس كان لها دور وأهمية، وأنها أضحت حاجة روحية لا غنى عنها.

ويتضح دور الجارية كرفيقة وسكن عندما يشعر مالکها بالحنين إليها ويذكرها دون غيرها فيشكو لها صروف الدهر؛ وقد حنّ هاشم بن عبد العزيز¹ لجاريته عاج وهو قابع في سجن الأمير محمد بن المنذر، وعلى الرغم من إحساسه بالضيق في سجنه وعلمه أنه هالك لا محالة، إلا إنه لم يقاوم حنينه لعاج فكتب إليها يخبرها عن حنينه وأنه لا يستطيع رؤيتها؛ فهو حبيس سجن منيع وضحية صروف دهر عجيب ملأ نفسه غماً وحنناً، ومنع وصول النوم إلى عينيه فبات ساهراً: ² [الطويل]

وإنني عداني ³ أن أزورك مطبقاً	وباب منيع بالحديد مضرب
فإن تعجبي يا عاج مما أصابني	ففي ريب هذا الدهر ما يتعجب
وفي النفس أشياء أبيت بغمها	كأنني على جمر الغضى أنقلب
تركت رشاد الأمر إذ كنت قادراً	عليه فلاقيت الذي كنت أرهب

¹ - هو أبو خالد هاشم بن عبد العزيز بن هاشم، كان جواداً وفارساً وكاتباً وشاعراً، تزوج حمدونة بنت زرياب، واختاره الأمير محمد بن عبد الرحمن وزيراً لدولته، ولما توفي الأمير محمد أعطاه ابنه الأمير المنذر الحجابة إلا أن حساده أوقعوا بينه وبين الأمير فقتله بعد أشهر من توليه الحجابة في 273هـ. انظر ابن حيان، المقتبس، 159-171، ابن الأبار، التكملة، 242/4، العلة السيرة، 137/1-140، ابن سعيد، المغرب، 94/2.

² - ابن الأبار، العلة السيرة، 140/1-141، ابن عذاري، البيان المغرب، 115/2-116.

³ - عداني: ظلم ظلماً جاوز فيه القدر. ابن منظور، لسان العرب، مادة (عدا) 32/15.

وحنين هاشم لعاج لم يتضمّن العجز عن اللقاء والشكوى من الدهر فحسب، بل شاركها أفكاره وما يدور في رأسه وما قيل له من أحاديث ونصائح وتوصيات مفادها انج بنفسك واهرب إلى أرض الله الواسعة، ووسط عواطف الحنين والشكوى يُقدّم هاشم خلاصة تجربته لعاج فيقول: ¹ [الطويل]

وكمّ قائلٍ قال انج ويحك سالماً	ففي الأرض عنهم مُستراً ومذهبُ
فقلت له إن الفرار مذلةٌ	ونفسي على الأسواءِ أحلى وأطيبُ
سأرضى بحكم الله فيما ينوبني	وما من قضاءٍ الله للمرءٍ مهربُ
فمن يك أمسى شامتاً بي فإنه	سينهل في كاسي وشيكاً ويشربُ

وصادفني حنينٌ غريبٌ وهو ما نظمه سعيد بن جودي في **جيجان** جارية الأمير عبد الله ابن محمد؛ فقد أوقعه صوتها في حباها دون أن يراها، وظلّ قلبه معلقاً بها، ولم يُسله شيء عنها، ولم يعرف حنينه لها نهاية، فاشتاقت أذناه لسماع صوتها ولكن الوصول إليها محال؟ لذا قرر سمعه ألا يحيا دونها وحرّم على نفسه روحه، ولما كان قراره مستحيلاً اعتاض قلبه بلوعة الحزن، وذرفت عيناه الدموع شوقاً وحنيناً إلى **جيجان** التي لم يرها وظلّ يبكيها ويحنّ إليها بقوله: ² [البيسط]

سمعي أبا أن يكونَ الروحُ في بدني	فاعتاضَ قلبِي منه لوعةَ الحزنِ
أعطيتُ جيجانَ روعي عن تذكُّرها	هذا ولم أرها يوماً ولم ترني
كأنني واسمها والدمعُ مُسكبٌ	من مُقلتي راهبٌ صلى إلى وثني

ولا أدري السبب وراء عدم تمكّن ابن جودي من رؤية **جيجان**، فهي ليست كغيرها من الحرائر اللواتي قدّر لهن أن يقضين حياتهن في الخدور ولا يرين الرجال، كما أن الشرع أباح للجواري السفور ومنعهن من الجلّاب³، وقد يعود السبب وراء تستر **جيجان** إلى غيرة الأمير عبد الله بن محمد أو حبه لتملك كل ما هو جميل.

¹ - ابن الأبار، العلة السيرة، 140/1-141، ابن عذاري، البيان المغرب، 115/2-116.

² - ابن الأبار، العلة السيرة، 157-158/1.

³ - انظر ابن عطية الأندلسي، المعرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 116/12.

أما المُعْتَمَد فلم يوارِ الرُّمَيْكِيَّةَ عن الأنظار ولم يمنع أخباره معها من الذبوع والانتشار، فقد نُكِرَ أنه قرَّر يوماً الخروج في نزهة مع ابن عمَّارٍ وعندها أحسَّ بالحنين لاعتِماد، ويبدو أن حنينه لها بدأ من لحظة غيابها عن عينيه وإن كانت مقيمة في قلبه، ومما يُثير الغرابة والدهشة أن المُعْتَمَد لم يصبر على بُعده عنها في أثناء نزهة عابرة ولم يقاوم حنينه فأرسل لها مقطوعة ضمَّن أوائل أبياتها حروف اسمها على الرغم من أنه لم يُطِل الغياب عنها: ¹ [المتقارب]

أغائبة الشخص عن ناظري	وحاضرة في صميم الفؤاد
عليك سلام بقدر الشجون	ودمع الشؤون وقدر السهاد
تملكت مني صعب المرام	وصادفت ودِّي سهل القياد
مرادي لقياك في كل حين	فيا ليت أني أعطى مرادي
أقيمي على العهد ما بيننا	ولا تستحيلي لطلول البعاد
دست اسمك الحلو في طيه	وألفت فيه حروف اعتماد

إن أبياته التي خطَّ فيها حنينه وصدرها بحروف اسم اعتماد تدفعني إلى الشك في أنها مجرد لعبة كلامية ابتدعها المُعْتَمَد للتسلية وشاركه فيها وزيره ابن عمَّار.

وتظهر هذه اللعبة الكلامية في شعر الحنين بشكل أوضح بين ابن السَّراج المألقي² وصاحبه ابن الغليظ³، فعلى الرغم من أن ابن بسام قال إن ابن السَّراج هام بحب الجارية حُسن الورد، وأن أصحابه وعلى رأسهم ابن الغليظ تحينوا الفرص لتذكيره بها وتحفيزه لنظم الشعر فيها؛ إلا أني رأيت أن ما نظموه مجرد مُسابقة شعرية بعيدة عن الحب، والغرض منها ارتجال

¹ - الديوان، 8.

² - هو أبو عبد الله محمد بن السَّراج المألقي، شاعر وأديب، له أشعار في دولة العلويين من بني حمود. انظر الحميدي، جذوة المُقتبس، 106/2، الضبي، بُغية المُلتمس، 81، ابن بسام، الذخيرة، ق 1 م 870/2، ابن سَعِيد، المغرب، 434/1.

³ - هو أبو علي الحسن بن الغليظ المألقي، من شعراء عصر الطوائف وصاحب ابن السَّراج وبينهما مكاتبات كثيرة. انظر الأزدي، بدائع البحانه، 81، ابن سَعِيد، المغرب، 436-435/1، المقرئ، النفع، 270/3.

الشعر وشذ القريحة والتسلية؛ فبينما كان ابن السراج يجلس مع ابن الغليظ في حديقة غناء ذكره الورد المعلق في الأغصان بحسن الورد الهيفاء المشرقة فقال: ¹ [البسيط]

ذَكَرْتُ بِالْوَرْدِ حُسْنَ الْوَرْدِ شِقَّتَهُ حُسْنًا وَطَيِّبًا وَعَهْدًا غَيْرَ مَضْمُونِ
هَيْفَاءُ لَوْ بَعْتُ أَيَّامِي لِرَوَّيْتِهَا بِسَاعَةٍ لَمْ أَكُنْ فِيهَا بِمَغْبُونِ
كَالْبَدْرِ رَكْبَهُ فِي الْغُصْنِ خَالِقَهُ فَمَا تَرَى حِينَ تَبْدُو غَيْرَ مَقْتُونِ
فَأَشْرَبْتُ عَلَى ذِكْرِهَا خَمْرًا كَرِيْقَتِهَا وَخُصَّتِي بِهَوَاهَا حِينَ تَسْقِينِي

ثم تبعه صاحبه ابن الغليظ ونظم شعر حنين في حُسن الورد، فالورد عنده يُلاصقه ذكراها كيف لا وهو جزء من اسمها وقطعة من خدَّها؟، حتى إن خدَّها روضة ورود رائعة الجمال تهيم بها آية روضة ² [الطويل]

ولما تَبَدَّى الْوَرْدُ فَوْقَ غُصُونِهِ وَذَكَرْنِي بِالْوَرْدِ فِي صَفْحَةِ الْخَدِّ
ذَكَرْتُ بِهِ مَنْ خَدُّهُ لِي رَوْضَةٌ تَهِيمٌ بِهَا مِنْ حُسْنِهَا رَوْضَةُ الْوَرْدِ
فَقُلْتُ لِمَنْ عَهْدِي لَهُ مِثْلُ عَهْدِهِ سَقَاكَ الْحَيَا³ مِنْ صَاحِبِ حَافِظِ الْعَهْدِ
وَقُلْتُ اسْقِنِي كَأْسًا عَلَى طَيْبِ ذِكْرِهَا فَإِنِّي مَشْغُوفٌ بِهَا بَيْنَكُمْ وَحَدِي

يبدو أن حنين كل من ابن السراج وابن الغليظ لحسن الورد لم ينبع من حب لها، وإنما من اشتياق لمحاسنها الجسدية ومن الرغبة في وصالها، وبما أن كلا الشعارين يشعران بهذا الحنين فإنهما يتسلیان بنظم الشعر في مجالس الأُنس وهما تحت تأثير الخمر، وأظن أن ابن السراج تعلق بحسن الورد أكثر من ابن الغليظ لذا ظنَّ ابن بسام أن ابن السراج هام بها، وقد يعود السبب إلى أن ابن الغليظ كان دوماً يهيج ابن السراج لذكرها ويهيئ له الجو المناسب كي ينظم الشعر فيها، لذا ظهر ابن السراج وكأنه عاشق يتعذب من بُعد حُسن الورد عنه على الرغم

¹ - الذخيرة، ق 1 م 872/2-873.

² - ابن بسام، الذخيرة، ق 1 م 873/2.

³ - الحيا: المطر. ابن منظور، لسان العرب، مادة (حيا) 215/14.

من أنه لا يشتاق إلا لمحاسن جسد حُسن الورد، وأظن أنه رجل من جمع كبير من الرجال الذين اعتبروا الجارية تسلية ولم يروا فيها غير الجسد.

3- الجوّاري في الرثاء

لم يقتصر القول في الجوّاري على الغزل والحنين؛ فتعدّاه كي ينتهي بالشاعر إلى رثاء جاريته إذا ما توفاهها الله، وهكذا يكون الرثاء آخر غرض يقوله الشاعر في جاريته بعد رحيلها عن الدنيا؛ وربّما كان تعبيراً عن إخلاصه وحبها لها حتى وهي بعيدة عنه في الدار الآخرة، أو أنه ندب نفسه لخسارتها وفراقها.

ورثاء الجوّاري في الأندلس أو رثاء المرأة عموماً ما هو إلا دليل على تحرر الفكر العربي في الأندلس، وعلى الرغم من أن هذه الظاهرة موجودة من قبل في المشرق إلا إنها كانت أوضح وأكبر حجماً في الأندلس، وخير مثال على ذلك رثاء ابن جبير زوجه أم المجد بديوان شعر كامل¹، وتميّز هذا الرثاء بلوعة شديدة وبصدق عاطفي، وذلك لضياح السكن الذي كان الرجل يأوي إليه في حياة سادها القلق والاضطراب²، وسمّى إحسان عباس هذا اللون من الرثاء " البكاء على زوال الرقة والجمال "، وهو يرى أنه لون ذاتي خالص، باح فيه الشاعر بمكونات نفسه دون حرج، وتحدّث فيه عن الجمال وحلاوة العشرة، ومثّل فيه دور المحبّ المشغوف، وذلك لأن الرجل الأندلسي شعر بقيمة المرأة وقدرها، وأحس بحاجته إلى سكن يرجع إليه وكانت المرأة تمثّل هذا السكن لأنها كانت _ في الغالب _ تشاركه صعوبات الحياة³.

ولاحظت أن رثاء الجوّاري في الأندلس يُعبّر عن مشاعر الحزن والفجعة لفقدان الشاعر جاريته الغالية، فهو يُريق الدمع لفراقها، كيف لا وهو لن يراها من جديد ولن ينعم بصحبتها مرة أخرى، حتى إن بعض الشعراء يكاد لا يصدّق أنه نعم بوصل جاريته يوماً أو أنها ملأت أيامه أنساً وفرحاً، فيندب الشاعر نفسه لفقدانه جاريته صاحبة الجمال والدلال، ويشكو

1 - انظر محمد مجيد السعيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين في الأندلس، 51.

2 - انظر سعد شلبي، البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، 456-457.

3 - انظر تاريخ الأدب الأندلسي، مصر الطوائف والمرابطين، 119-120.

لياليه وزمانه ويهبطُ مسرعاً إلى قبر محبوبته فيعانقه، ولا يملك الشاعر إلا أن يرضى بقضاء الله ويُسلم بقدره.

ويتضح في بعض الرثاء أنه لم يجمع بين الشاعر والجارية أية علاقة؛ فابن دراج القسطلي رثى صُبْحَ البشكنسية أم هشام المؤيد، وأثنى على خصالها وأعمالها الخيرة كما أنه عزى المنصور بن أبي عامر فيها بمرثيته التي بلغت أربعة وخمسين بيتاً.

و بلغ شعر الرثاء مائة وعشرة أبيات منها مائة وسبعة أبيات في عصر الطوائف، ونظم ابن دراج أربعة وخمسين بيتاً وابن حمديس خمسة وأربعين بيتاً منها _ من المصادر المتوفرة بين يدي _ ، وتوزع شعر الرثاء بين نثفة وأربع مقطوعات وثلاث قصائد لسته شعراء ذكروا ثلاثة أسماء فقط هي جوهرة و نعم وصُبْحَ البشكنسية.

وكان ابن حمديس من أبرز الشعراء الذين رثوا جواريهم، فبكى جاريته وأراق دمه على فراقها عندما غرقت في البحر بعد خروجها معه إلى إفريقية، ولا يبكي ابن حمديس جاريته فحسب؛ وإنما يذرف الدم من مقلتيه على جمالها ومحاسنها بالإضافة إلى فضائلها التي لخصها في ثلاث: الأخلاق والنفس وصغر السن: ¹ [البسيط]

طَوَاكِ عَنِ عَيْنِي الْمَوْجُ الَّذِي نَثَرَكِ	لا صبرَ عنك وكيف الصبرُ عنك وقد
لا تَلْحِظُ الْعَيْنُ فِيهَا ذَابلاً زَهْرَكَ	هلاً وروضاً ذاك الحسنِ ناضرةً
لَمَّا دَرَى الدَّرُّ مِنْهُ حَاسِداً ثَغْرَكَ	أَمَاتَكَ الْبَحْرُ ذُو الْتِيَارِ مِنْ حَسَدِ
عَمِيمِ خُلُقِكَ أَمْ مَعْنَاكَ أَمْ صِغْرَكَ	أَيِّ الثَّلَاثَةِ أَبْكِي فَقَدَهُ بَدَمِ

ومن الجدير بالذكر أن سعد شلبي _ في دراسته لشعر ابن حمديس - عقد مقارنة بين رثاء ابن حمديس لكل من زوجته وجاريته، فلاحظ أن ابن حمديس بكى الصلاح والتقوى والكرم وأصالة النسب في زوجته، أما جاريته فبكى فيها الجمال والدلال وسماحة الأخلاق ورقة الطباع وصغر السن ².

¹ - ابن حمديس، الديوان، 212.

² - انظر ابن حمديس الصقلي حياته من شعره، 118.

وأظن أن الشاعر لم يتغزل بزوجته ولم يتحدث عن جمالها ودلالها وقدم الحديث عن فضائلها الرئيسية من تقوى وأصالة نسب لكونها زوجته وأم أولاده بالإضافة لكونها امرأة حرة، أما عن جاريته جوهرة فعلى الرغم من كونها جارية كغيرها من الجواري اللواتي اشترهن الأندلسيون للمتعة ولم يعتبروهن عورة، إلا أن صفاتها المذكورة فضائل عامة يرجوها الرجل في الحرة والجارية على حد سواء.

وعلى الرغم من حزن الشاعر على محبوبته وألمه لفراقها، إلا أن هذا لم يمنع الشاعر من نذب نفسه عن طريق التغزل بمحبوبته؛ فذكر حال جاريته القديم وما آل إليه اليوم بعد موتها، فقد حجب الموت بريق وجه محبوبته الغالية جوهرة، واستل روحها من جسدها بعد أن كان حياً ينبض بالحياة: ¹ [البسيط]

يا وَجَّةَ جَوْهَرَةَ المَحْجُوبِ عَنْ بَصْرِيٍّ من ذَا يَقيكَ كُسُوفاً قَدْ عَلا قَمَرَكِ
يا جِسمَهَا كِيفَ أَخلُو مِنْ جَوِيٍّ حَزَنِيٍّ وَأنتَ خَالٍ مِنَ الرُّوحِ الذِّي عَمَرَكَ

وملاً نذب الشعراء لأنفسهم حيزاً واسعاً في رثائهم لجواريهم؛ لذا اعتقد فوزي سعد عيسى أن "رثاء ابن طفيل² لجاريته كغيره من رثاء الجواري؛ فالشاعر لا يهتم بالبكاء على الجارية بقدر اهتمامه بنذب محاسنها والتغزل في جمالها والإشادة بمفاتها الجسدية التي حُرِم منها، فهذا البكاء ما هو إلا حزن على زوال الجمال، وانتهاء دولة الوصل"³ وعلى الرغم من أني أظن أن الدافع الرئيس لاقتناء الجواري وشرائهن هو الجمال والمفاتن الجسدية، وأن العلاقة الأولى التي تجمع السيد والجارية هي العلاقة القائمة على الجمال والمتعة، إلا أن هذا لا يستبعد أن تتطور العلاقة فيقع السيد في حب جاريته، وبهذا تتخذ العلاقة بين السيد والجارية بُعداً آخر فتجمع التعلق العاطفي إلى جانب الانجذاب الجسدي.

¹ - الديوان، 213.

² - هو أبو القاسم بن طفيل سكن مألقة، وكان يكتب عن ولاتها من ملوك بني عبد المؤمن عاصر أبا ابن سعيد. انظر ابن سعيد، المغرب، 84/2.

³ - الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، 235.

ويرى سعد شلبي أن ابن حمديس لم يرفع جاريته جوهرة إلى منزلة زوجته أو إحدى بناته؛ فعلى الرغم من أنه ذكر اسم محبوبته إلا أنه لم يذكر اسم أي من بناته،¹ ولكن الأندلسيين والعرب عامة لم يعتبروا ذكر اسم المرأة مما يُشِينها، فقد ذكر بعض المشاركة أسماء زوجاتهم عندما رثوهنّ ومنهم الفرزدق الذي قال: ² [الطويل]
 يقولون زُر حَدرَاءَ والتُّرْبُ دُونَهَا وَكَيْفَ بِشَيْءٍ وَصَلُهُ قَدْ تَقَطَّعَا

ونظم الوليد بن يزيد بن عبد الملك رثاءً في زوجته سليمة عثمان بن عفان فذكر اسمها قائلاً: ³ [الوافر]
 أَلَمَّا تَعَلَّمَا سَلَمَى أَقَامَت مُضْمَتَةً مِّنَ الصَّحْرَاءِ لَخَدَا

وأعتقد أن ذكر اسم المرأة في الرثاء لا يحطُّ من شأنها، فإن كان أهل المشرق ذكروا أسماء زوجاتهم فكيف بأهل الأندلس الأكثر تحرراً وانفتاحاً، إذن فالأندلسيون وابن حمديس لم يميّزوا بين رثاء جواريتهم وحرانهم.

وأظن أن ابن حمديس عانى من تأنيب الضمير؛ فعلى الرغم من أن ما أصاب جاريته كان قدراً سلّم الشاعر به إلا أنه في الوقت نفسه يذكرها بأنه كاد أن يغرق هو الآخر غير أنه لم يشرب كأس الموت التي شربت منها محبوبته، لذا أراق الشاعر دمه وبكاها وبكى نفسه معها وهو يتحسّر على فقدانها، وكأن ابن حمديس يُحسّ بالذنب لأنه لم يتمكن من إنقاذها ويبرّر لها طول أجله وقصر أجلها فيقول: ⁴ [البسيط]

إِنْ كَانَ أَسْلَمَكَ الْمَضْطَرُّ عَنْ قَدَرٍ فَلَمْ يَخْنُكَ عَلَى حَالٍ وَلَا غَدْرَكَ
 هَلْ كَانَ إِلَّا غَرِيقاً رَافِعاً يَدَهُ نَهَاهُ عَنْ شُرْبِ كَاسٍ مِنْ بَهَا أَمْرَكَ
 وَمَا نَجَوْتُ بِنَفْسِي عَنْكَ رَاغِبَةً وَإِنَّمَا مَدَّ عُمْرِي قَاصِرٌ عُمْرَكَ

¹ - انظر ابن حمديس الصقلي حياته من شعره، 118 - 120

² - الديوان، 422/1.

³ - الأصبهاني، الأغانى، 32/7.

⁴ - الديوان، 212-213.

وظلت ذكرى جوهرة محفورة في قلب الشاعر وعقله؛ فكأنه متأهب لأي محفز يُذكره بها حتى يبكيها من جديد، فقد قال لما رأى صبيّاً يغرق في البحر ويستجد بمن حوله:¹
[البسيط]

وسابح لآعبٍ في بحره مَرَحاً تُشيرُ كَفَّاهُ تعويداً من الغَرَقِ
يدعو ولم يكُ مضطراً خذوا بيدي وعنده الفرقُ بين الأَمْنِ والفرقِ
فإن بكيتُ فإني قد ذَكَرْتُ به مَنْ جُرَّعتُ منه كأسُ الموتِ بالشرقِ
رُدَّتْ على البحر من كَفِّي جَوْهَرَةً ثم انقلبتُ بقلبٍ دائمِ الحُرْقِ

ورثى ابن طفيل جاريته وندب نفسه في رثائها؛ فهو يفتقد مكانها في سريره الذي أضحي فارغاً بعد أن كان عامراً، ويُحسُّ بغيابها عنه فيتساءل إن وجدت أصلاً في حياته وإن قضى معها أوقاتاً سعيدة وضمها إلى صدره، وعندما يحل الليل وظلمته عليه يفتقد ابن طفيل نورها فيقول:² [الكامل]

أمسيتُ أندبُ في الفراشِ مكانَها وكأنَّه ما كانَ منها عامراً
وكأنني لم أجن منها روضةً وكأنني لم أثن غصناً ناضراً
وكأنني والليلُ أرخى سِتْرَهُ لم يبدُ لي منها هلالاً زاهراً

ولم يكتف شعراء الأندلس برثاء جواريمهم فحسب؛ فرثا ابن دراج القسطلي صُبْحَ البَشْكَنَسِيَّةِ في قصيدة طويلة ويبدو أنه وجهها إلى المنصور بن أبي عامر، ومنها قوله يرثيها:³
[المتقارب]

ألم تر كيف استباحَت يَداهُ كَرِيمَ المُلُوكِ وَعَلِقَ السَّنَاءِ
ووافي بِسَيِّدَةِ السَّيِّدِ تِ مَأْوَى البَلَى وَمُنَاخَ الفَنَاءِ
هُوَ الرُّزْءُ أَلْوَى بَعَزَمِ القُلُوبِ مُصَاباً وَأُوْدَى بِحُسْنِ العَزَاءِ
فَمَا في العَوِيلِ لَهُ مِنْ كَفِيءٍ وَلَا في الدُّمُوعِ لَهُ مِنْ شِفَاءِ
فهيئاتِ فِيهِ غِنَاءُ الزَّقْفِيرِ وهيئاتِ مِنْهُ انتِصَارُ البُكَاءِ

1 - الديوان، 324.

2 - ابن سعيد، المغرب، 84/2.

3 - الديوان، 99.

وَأَنْبَى يُدَافِعُ سُقْمَ بِسُقْمٍ وَكَيْفَ يُعَالِجُ دَاءً بِدَاءٍ

وقصيدة ابن دراج من القصائد التي يعدها ابن رشيق صعبة؛ ذلك أنها في رثاء امرأة، وأشد الرثاء صعوبة على الشاعر أن يرثي طفلاً أو امرأة لقلّة الكلام والصفات فيهما¹، كما يصعب عليه الجمع في قصيدته بين التعزية والتهنئة²، وأظن أن قيمة المرأة ومركزها في المجتمع الأندلسي بالإضافة إلى المركز السياسي الذي احتلته السلطانة صُبِح سهلت على ابن دراج تكبّد عناء رثاء امرأة بالإضافة لجمعه بين الرثاء والتهنئة في قصيدة واحدة.

4- الجوّاري في الوصف

أ- وصف السّاقيات

انشغل المسلمون في الأندلس بالجهاد وتقوية دعائم الدولة الإسلاميّة، فكان هدفهم الوحيد هو نشر الإسلام وحماية الثغور وربّما نالوا بعض التسلية والمتعة آنذاك، إلا أن حالهم تغيّر فاكتفوا بالعودة ورضوا بتفكيك الأندلس إلى ممالك صغيرة، فأغرق بعضهم نفسه في مجالس الأُنس واتخذها مكاناً يتردد عليه للتسلية، فكانت السّاقيات جزءاً من الخدمة والتسلية المقدّمة في تلك المجالس، لذا ليس غريباً أن أجد أول شعرٍ يُنظم في وصف السّاقيات في آخر أيام المنصور ابن أبي عامر.

ولم تترك المصادر الأندلسيّة المتوفرة بين يدي الكثير من الشعر في وصف السّاقيات، فقد عثرت على ستة وثلاثين بيتاً شعرياً فقط، توزعت بين بيت مفرد وثنيفة وست مقطوعات شعرية، وانقسمت هذه الأبيات بين عصر الخلافة وملوك الطوائف وعصر المرابطين، ونال عصر ملوك الطوائف واحداً وعشرين بيتاً لثلاثة شعراء من بين خمسة بالإضافة إلى شاعر مجهول لم يُذكر اسمه، ولم يُشر الشعراء إلى أسماء السّاقيات إلا أن ابن شهيد خلد اسم ساقية واحدة، كما ذكر في شعره ساقية غلاميّة هي إحدى الساقيتين الغلاميتين اللتين وُصفتا.

¹ - انظر ابن رشيق، العمدّة، 154/2.

² - انظر ابن رشيق، العمدّة، 155/2.

وكانت السّاقيات من خيرة الجوّاري؛ ويبدو أن الأندلسيين اصطفوهنّ من الجوّاري الشابات ذوات القدود الممشوقة والدل والغنج، كيف لا وهنّ أنيسات مجالس اللهو والطرب ونديمات الشراب والسهر؟ لذا كان وصف الشعراء للساقيات يتنوع ما بين وصف رشاقتهن ومشيتهن ونظرتهن الناعسة، مما يجعلني أرجح أنهنّ كنّ جواري لذة أيضاً.

وحذا ابن حمديس هذا الحذو فوصف ساقيته الحسناء بأنها رشيقة تتمايل في مشيتها حتى إنك تحسبها ستسقط أرضاً، وهي ذات سحر لا يقاوم وعيون ناعسة وحديث عذب، ويبدو أن تأثير السّاقية على الشاربين ازداد بتقديمها الخمر، كما أنّ الخمر أصبح أشد تأثيراً وفتكاً بالهجوم لمجرد أن السّاقية حملتها بأناملها الناعمة: ¹ [الرَّمَل]

أَقْبَلَتْ تَسْعَى بِهَا خُمْصَانَةً ²	عَمَّ مِنْهَا حُسْنُهَا خُلُقاً عَمِيمَ
كَلَّمَا قَامَتْ تَتَثَّى خَلَعَتْ	مَيْلَ التَّيْهِ عَلَى خُوطٍ ³ قَوِيمَ
سِحْرُ هَارُوتَ وَمَارُوتَ بِهَا	فِي فُتُورِ اللَّحْظِ وَاللَّفْظِ الرَّخِيمِ
تُودِعُ الكِفَّ شَهَاباً مُحْرَقاً	كُلَّ شَيْطَانٍ مِنَ الهَمِّ رَجِيمِ
فِي ظِلَامِ بَرَقِ الصُّبْحِ لَهُ	فَتَوَلَّى عَنْهُ إِجْفَالُ الظَّلِيمِ ⁴

وأظن أنه لم تكن كل السّاقيات من الجوّاري الشابات؛ فقد وصف ابن شهيد ساقية ابن المظفر بن المنصور بن أبي عامر⁵، وهي ساقية فتية صغيرة في السن، لفتت انتباه الحاضرين

¹ - الديوان، 449.

² - الخُمْصَانُ و الخُمْصَانُ: الجائع الضامر البطن والأنثى خُمْصَانَةٌ و خُمْصَانَةٌ. ابن منظور، لسان العرب، مادة (خمص) 29/7.

³ - الخُوطُ: العُصْنُ الناعم. ابن منظور، لسان العرب، مادة (خوط) 297/7.

⁴ - الظَّلِيمُ: الذَّكْرُ من النعام، والجمع أَظْلِمَةٌ و ظُلْمَانٌ و ظُلْمَانٌ. ابن منظور، لسان العرب، مادة (ظلم) 379/12.

⁵ - هو أبو عامر بن المظفر بن المنصور بن أبي عامر، عاش في قرطبة إلى أن ثارت بينه وبين هشام المعتد ضعينة فغادرها إلى شاطبة وحمل معه أثنى ما يملك، وأجمل حريمه، وأوفى أعوانه، ثم انتقل إلى الوادي الكبير وظل ينتقل حتى مات. انظر ابن بسام، الذخيرة، ق 1 م 304-305.

بنشاطها وقدرتها على السهر على الرغم من صغر سنها، لذا طلب ابن المظفر من ابن شهيد أن يصفها فقال: ¹ [مخلع البسيط]

أفدي أسيماء من نديم ملازم للـؤوس راتب²
 قد عجبوا في السهاد منها وهي لعمري من العجائب
 قالوا تجافى الرقاد عنها فقلت لا ترقد الكواكب

وأثارت مقطوعة ابن شهيد في تساؤلات عدّة؛ فالمتوقع أن تكون الجوّاري السّاقيات جواري شابات أمّا السّاقية التي وصفها ابن شهيد فهي صغيرة السن كما أن صغر سنّها كان الدافع من وراء وصفها، فهل كانت هناك قوانين تتعلق بعمر السّاقيات ومتى يبدأ عملهن؟ وهل سنّت هذه القوانين في السنوات التي تلت ابن شهيد أم قبله؟ وهل كان ابن المظفر بن المنصور فوق هذه القوانين؟ أظن أن معظم السّاقيات كنّ من الجوّاري الشابات وأن قلّة منهنّ كنّ من صغيرات السنّ، وما يدلّ على هذا بيت شعري آخر لابن شهيد وصف فيه ساقية فقال إنها دون الصبايا، أي أن الصّبا هو العمر الذي تبدأ فيه الجوّاري السّاقيات عملهنّ، يقول: ³ [الرمل]

ظبيّة دون الصبايا قصّصت فأتت غيداء في شكل الصّبي

ومن الجدير بالذكر أن مقطوعة ابن شهيد تدل على أن بيع الجوّاري لم يقتصر على الشّابات منهنّ، بل تعداهنّ إلى الجوّاري الصّغيرات إلا أنني لم أجد أي ذكر عن العمر الذي يبدأ فيه بيع الجوّاري؟ فهل يحق بيع الجوّاري مهما كنّ صغيرات في السن؟ أم أن هؤلاء الجوّاري الصّغيرات كنّ بنات جوارٍ وعبيد وبدأن العمل والسّاقية منذ الصّغر؟ للأسف لم أستطع الإجابة عن هذه الأسئلة لأن المعلومات المتوفرة في المصادر الموجودة لم تقدّم لي صورة كاملة عن السّاقيات.

¹ - ابن بسّام، الخيّرة، ق 1 م 303/1، الأزدي، بدائع البحائنه، 353، المقرّي، النّسخ، 214/4.

² - رتب الشيء يرتب رتوباً و ترتب: ثبت فلم يتحرك. ابن منظور، لسان العرب، مادة (رتب) 409/1.

³ - ابن بسّام، الخيّرة، ق 1 م 211/1.

كما أنّ صورة السّاقيات الغلاميات لم تختلف كثيراً عن بقية السّاقيات؛ فقد وصف الشعراء رشاقتهم وشعرهن وعطرهن، وزادوهنّ وصفاً عندما وصف ابن شهيد ملابس إحداهن وشعرها، فقد لبست ملابس الصبيان وعقربت شعرها حتى يحمي صدغها من كل سوء فقال: ¹

[الرَّمْل]

ورَبِيبٍ قامَ فينا ساقياً كالرَّشَا أُرْضِعَ بينَ الرَّبْرِبِ ²
ظبيّةٌ دونَ الصبايا قُصِّصَتْ فأتتْ غيداءَ في شكلِ الصَّبِيِّ
فُتِحَ الوَرْدُ على صَفْحَتِها وحماءُ صُدغها بِالْعَقْرِبِ

ووصف ابن بليطة ³ زينة السّاقيات الغلاميات، فهنّ _بالإضافة لشعرهن المعقرب_ يزينّ وجوههنّ بخال، وينظفن أسنانهنّ بالمسواك، ويُعطرن ضفائرنّ بالمسك، ويرسمن خطّاً أخضر فوق شاربهن: ⁴ [الطَّويل]

توهمّ عطفُ الصُدغِ نوناً بخدّها فباتتْ بمسكِ الخالِ تتقطّهُ نقطاً
غلاميّة جاءتْ وقد جُعِلَ الدُّجى لخاتمِ فيها فصّ غاليّةٍ خطّاً
فقلتُ أحاجيها بما في جفونِها وما في الشفاهِ اللعسِ من حُسْنِها المُعطى
مُحَيَّرَةُ العَيْنينِ من غيرِ سَكْرَةٍ متى شَرِبْتَ الحَاظِ عَيْنيكِ إسْفِنطاً ⁵

1 - ابن بسّام، الذّخيرة، ق 1 م 211/1.

2 - الرّبرب: القطيعُ من بقرِ الوحش وقيل من الظباء، ابن منظور، لسان العرب، مادة (ررب) 409/1.

3 - هو الأسعد بن إبراهيم بن بليطة، شاعر وناثر تردد في بلاد المغرب، وهو شاعر من شعراء المعتصم بن صمّادح المقرّبين، توفي سنة 440هـ. انظر الحميدي، جذوة المقتبس، 273/1، ابن خاقان، فُلانِد العَقِيان، 894/4، مطمع الأنفس، 341-344، العماد الأصفهاني، الخريجة، ق 4 ج 166/2، الضبّي، بُغِيّة المُلتمس، 243، ابن دحية، المطرِب، 126، ابن خلكان، وَهِيات الأعميان، 42/5، ابن سعيد، المغرب، 17/2، المقرّي، النَّفع، 198/5-200.

4 - ابن خاقان، مطمع الأنفس، 343، ابن بسّام، الذّخيرة، ق 3 م 491/1، ابن خلكان، وَهِيات الأعميان، 43/5، المقرّي، النَّفع، 199/5.

5 - إسْفِنط: الإصْفِنط الخمر بالرومية وهي الإسْفِنط. ابن منظور، لسان العرب، مادة (أصْف) 256/7.

أرى نكهة المسواك في حمرة اللمى وشاربك المضر بالمسك قد خطا
عسى قزح قبّلتِه فإخاله على الشفة الميأ قد جاء مختطاً

ووصف السّاقيات لم يوفر لي صورة كاملة عنهن، فلم يذكر الشعراء شيئاً عن حياتهن اليومية أو كيف مارسن عملهنّ، وما هي طبيعة عملهنّ في الحانات والبيوت؟ وإذا ما عملت ساقية في أحد البيوت هل يقتصر عملها على مجالس الأُنس الليلية أم أنها قامت ببعض الأعمال المنزلية في النهار أيضاً؟

ب- وصف الرّاقصات

كانت الرّاقصات - كأخواتهن السّاقيات - جزءاً من التسلية المقدّمة في مجالس الأُنس أيضاً، إلا أن وصفهن تأخر حتى عصر ملوك الطوائف، وقد يعود السبب وراء تأخر وصف الرّاقصات إلى أن الرقص الأندلسي لم ينشأ في الأندلس أصلاً وانتقل إليها من صقلية كما يذهب بعض الدارسين¹، أو أن ملامح الرقص الأندلسي تطورت حتى نضجت في عصر ملوك الطوائف فلفتت أنظار الشعراء إلى الرّاقصات فوصفوهنّ.

ووجدت في المصادر المتوفرة بين يدي واحداً وأربعين بيتاً شعرياً توزّعت بين بيت مفرد وست نتف وسبع مقطوعات شعرية، وانحصرت هذه الأبيات في عصري ملوك الطوائف والموحدين، إلا أن عصر ملوك الطوائف نال النصيب الأكبر منها؛ فحظي بستة وعشرين بيتاً لثلاثة شعراء من أصل سبعة، وللأسف لم يصرح شاعر باسم أية راقصة عدا ابن كسرى المالقي².

1 - انظر فوزي سعد عيسى، الشعر العربي، في صقلية، 209.

2 - هو أبو علي الحسن بن محمد بن علي الأنصاري، أديب وشاعر، وعالم في اللغة و النحو، عُرف بحسن الخلق وكرم النفس، توفي سنة 603هـ. انظر ابن الأَبَّار، تحفة القاهم، 130، ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 469/1.

وقد يتساءل الدارس إن كانت كل الرأقصات جواري أم انضم إليهن بعض الحرائر؟ ومن حسن الحظ أن رجلاً سأل ابن حمديس الصقلي أن " يصف له راقصة على مذهبهم في رقص قيناتهم"¹، ومقولته هذه تشير إلى أن الرأقصات كنّ من القيان أي الجواري.

ومن الجدير بالذكر أن مذهب راقصات صقلية امتاز بإشارات الجواري إلى كل عضو وما يحلّ به من تعذيب الحب أثناء رقصهن²، ولم أجد شعراً يصف هذه الخاصية إلا في شعر ابن حمديس، كما لاحظت أن كلاً من ابن حمديس وابن الطُّوبى الصقلي³ والبلنوبي الصقلي⁴ وصفوا راقصات يُجِدْنَ الغناء ويسحرن القلوب بأصواتهن، وعلى الرغم من أن جميع الوصّافين من صقلية إلا أن هذا لا يعني أنهم وصفوا راقصات صقلية فحسب؛ فهذا أمر لا أستطيع أن أثبته أو أنفيه، ومن الجدير بالذكر أن كلاً من ابن حمديس وابن أبي الخصال⁵ وصفا راقصات يرقصن رقصاً جماعياً ولم يذكر ذلك شاعر آخر، كما وصف ابن الطُّوبى راقصة غلامية ولم يأت على ذكرها شاعر فيما توفر بين يدي من مصادر.

ومن المثير للغرابة أنني وجدت شعراً لابن أبي الخصال يصف فيه راقصات قبيحات! فالدارس يتوقع أن الجمال هو المعيار الأول للجواري، ولكني لم أجد أي شعر أو نثر يتحدث عن المواصفات المطلوبة في أية راقصة، ولكن الشعر الذي تركه الشعراء الأندلسيون يساعدي

1 - ابن حمديس، الديوان، 133.

2 - ابن حمديس، الديوان، 133.

3 - هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن الطُّوبى، نحوي طبيب عالم بالرسائل وفن الإنشاء، تعلم النحو على يد نفطويه والطب على ابن ماسويه، أقام في صقلية، وله مقامات وإخوانيات. انظر القفطي، إنباه الرواة، 107/3-108.

4 - هو أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن أبي البشائر، كاتب صقلي بليغ. انظر العماد الأصفهاني، الخريجة، ق 4 ج 1/5، القفطي، إنباه الرواة، 290/2.

5 - هو أبو عبد الله محمد بن أبي الخصال، لُقّب بذي الوزارتين وكان كاتباً لعلي بن يوسف ابن تاشفين، وله باع في علم القرآن والحديث وما يتعلق بهذه العلوم، توفي سنة 540هـ. انظر ابن خاقان، فلانك العقيان، 518/2-520، ابن بسّام، الخريجة، ق 3 م 2/784-797، الإستجي، سمط الجمان، 40، ابن دحية، المطرِب، 187، عبد الواحد المرّاكشي، المعجِب، 137/1، ابن سَعِيد، المغرب، 66/2، ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 388/2.

على استخلاص بعض هذه المواصفات ومنها الجمال والرَّشاقة والخفة في أداء حركات الرَّقص التي تسحر المتفرجين.

إلا أن الجمال والخفة والرَّقص الحَسَن لم تدفع أحد واصفي الرَّاقصات أو غيرهم من المتفرجين إلى النهوض لمشاركتهم في الرَّقص كما هو الحال في أيامنا هذه، وقد يعود السبب إلى أن الشعراء أحجموا عن مشاركة الرَّاقصات رقصهن، أو أنهم رقصوا معهن ولم يذكروا ذلك.

1- وصف راقصات جميلات

تركز وصف الرَّاقصات حول رشاقتهن وليونة قدودهن، ونالت حركات أقدامهن وسرعتها اهتمام بعض الوصافين دون وصف حركات الأقدام، إلا أن ابن كسرى المالقي وصف إحدى حركات الرَّاقصة نزهة المعروفة بـ "يخطُّ الشوق"، فهي تنثني جسدها وتبرمه ثم تقف معتدلة، ويبدو أنها تكرر هذه الحركات فتظهر كحرف النون حيناً والألف حيناً أخرى: ¹ [الطويل]

تَخَطُّ يَخَطُّ الشَّوْقَ فِي القَلْبِ شَخْصُهَا	ففي كُلِّ ما تَأْتِيهِ حُسْنٌ وَتَحْسِينُ
وَلَيْسَتْ تُطِيقُ الشَّيْنَ فِي كُلِّ نَطْقِهَا	فمن أَجْلِ بَعْدِ الشَّيْنِ بَاعَدَهَا الشَّيْنَ
إِذَا رَقَصَتْ أَبْصَرَتْ كُلَّ بَدِيعَةٍ	تُرِي أَلْفاً حِيناً وَحِيناً هِيَ النُّونُ
فِي نَزْهَةِ الأَبْصَارِ سُمِّيَتْ نَزْهَةً	لكي يُوضِحَ المعنى بيانٌ وتبيينُ

ووصف ابن حمديس الرَّاقصات _حسب ما توفر لي من مصادر_ أكثر من غيره من أهل الأندلس، ولاحظت أنه لم يكتف بوصف الرَّاقصات بل تخطَّاه ليصف طبيعة رقصهن؛ فأحدى الرَّاقصات اللاتي وصفهن راقصة رشيقة بيضاء البشرة توفَّق بين رقصها وأنغام أغانيها، كما أنها تمثِّل أن عذاب الحب يكويها، وتشير بأناملها وهي تغني وترقص إلى كل عضو وما يعاني من تباريح الهوى كتعبير عن تذلل المحبوب للمحب؛ فتشير إلى عينها إذا

¹ - ابن الأَبَّار، تحفة القاصد، 131.

ماذكرت الدمع، وإذا ما تحدثت عن حبها وما تقاسيه منه أشارت إلى قلبها¹، وعلى الرغم من إشاراتها لما تعانيه من عذاب إلا أن المُعذَّب الحقيقي هو من يشاهدها، وهو ابن حمديس هنا يقول: ² [الطَّويل]

<p>تقيمُ به وزن الغناءِ على حَدِّ كسا معبداً من عزه ذلّة العبدِ بها لَقَطَتْ ما لِلْحونِ من العَدِّ سكوناً وأين الغصنُ من بَره⁴ القَدِّ إلى ما يلاقي كلُّ عضوٍ من الوجدِ وأدمعُ أشواقٍ مُخَدِّدَة الخدِّ</p>	<p>وراقصة بالسَّحرِ في حركاتِها مُنغَمَّةٌ أَلْفاظَها بتـرَنِّمِ تدوسُ قلوبَ السامعينَ برِخْصَة³ بِقَدِّ يموتُ الغصنُ من حركاته وتحسبُها عمّا تشيرُ بأنملِ بنا لا بها ما تشكي من جوى الهوى</p>
---	---

ويبدو أن الرَّاقصات اتفقت على إذابة جميع القلوب وتعذيبها؛ فقدمن رقصات جماعية ضمت أكثر من جارية ربّما لترضي جميع الأذواق، وحفظ لنا ابن حمديس وصف رقصهن، فهنّ يظهرن بصفائهنّ السود ويرحن ويجئن وراء بعضهن، ويرقّصن أقدامهنّ بتوافق وانسجام، وعلى الرغم من أن كل واحدة منهنّ تشير إلى عضو في جسدها كي تعبّر عما تلاقيه من ألم الحب، إلا أن المتفرجين على رقصهن هم من يعانون ذلّ الحب وألم القلب: ⁵ [المتقارب]

وسُودِ الذَّوائِبِ⁶ يـسـحـبـنـها كَسَعِي الأَساودِ⁷ فوق الكَثيبِ⁸

1 - انظر الديوان، 133.

2 - الديوان، 133.

3 - رَخْصَة: الرِّخْصُ: الشيءُ الناعمُ اللَّيِّنُ إن وَصَفَتْ به المرأة فرُخِصَها نَعْمَةً بَشَرَتْها ورِقَّتْها، وكذلك رَخِصَة أناملها لينها. ابن منظور، لسان العرب، مادة (رخص) 40/7 .

4 - البره: البرهرة التي لها بريق من صفائها، وقال غيره هي الرقيقة الجلد كأن الماء يجري فيها من النعمة. ابن منظور، لسان العرب، مادة (بره) 476/13.

5 - الديوان، 13.

6 - الذَّوَابَة: منبت الناصية من الرأس والجمع الذَّوائِب. ابن منظور، لسان العرب، مادة (ذاب) 379/1.

7 - الأَساود: الحيات. ابن منظور، لسان العرب، مادة (سود) 226/3.

8 - الكَثيب: الرَّمْل المستطيل المُحدَوِدِب. ابن منظور، لسان العرب، مادة (كثب) 703/1.

تَوَافِقَ بِالرَّقْصِ أَقْدَامُهُنَّ
يُشْرِنَ إِلَى كُلِّ عَضْوٍ بِمَا
بَسَطْنَا لَهَا وَهِيَ مِثْلُ الْغُصُونِ
عَلَى الْأَرْضِ مِمَّا خَدَوَدَ الْوُجُوهِ
يَطَّأْنَ بِهَا نَعْمَاتِ الذُّنُوبِ
يَحُلُّ بِهِ فِي الْهَوَى مِنْ كُرُوبِ
تَمَيِّسُ بِهَبِّ الصَّبَا وَالْجَنُوبِ
وَبَيْنَ الضُّلُوعِ خُدُودَ الْقُلُوبِ

واتضحت صورة الجوّاري الرّاقصات أكثر لما وصف ابن حمديس راقصات أخريات
فذكر أنهنّ رشيقات بصفائر طويلة يرقصن بانسجام مع الموسيقى، كما أنهنّ يتعطرن بالمسك
ويرتدين ثياباً طويلة تضطرهنّ أن يجررن أذيال أثوابهن وهن يغنين ويرقصن فكأنهن حمام
الأيك في هديلهن أو الطواويس في حسنهن: ¹ [الطويل]

ومن راقصات ساحبات ذيولها
كما جرّرت أذيالها في هديلها
شواد بمسك في العبير تَضَمَّخُ
حمائم أيك أو طواويس تَبَذَّخُ

2- وصف راقصات قبيحات

لم تتساو مواصفات الرّاقصات دوماً؛ فقد كان هناك راقصات حسان رشيقات يُزلن الهمّ
والحزن وأخر قبيحات يُثرن الهمّ والكآبة في نفوس الناظرين، ووصف ابن أبي الخصال
مجموعة راقصات قبيحات أرجح أنه لقيهنّ عند علي بن يوسف بن تاشفين، فصعب عليه مجرد
النظر إليهن لبشاعتهنّ، ويبدو أنه لم يستطع إطالة النظر كثيراً فاكتفى بقوله: ² [مخلع البسيط]

جاءَ عليّ بملهيّاتٍ
لم ياتفت ناظري إليها
للهمّ والقُبْحِ جامعَاتِ
إلا تذكّرتُ سيئاتي

¹ - الديوان، 112.

² - ابن بسّام، الدخيرة، ق 3 م 795/2.

ولم يتوقف حظُّ ابن أبي الخصال العاثر هنا؛ فعانى مرّةً أخرى بمشاهدة راقصات قبيحات، وعلى الرغم من أنه كان بينهنّ راقصةً واحدةً حسنة المظهر إلا أن الثلاث الأخرى أفسدن عليه متعته، فجافاه النوم وأضحت ليلته سنّةً طويلة: ¹ [المنسرح]

وليلةً طولها عليّ سنّةً بات بها الجفن نادباً وسنّة
بأربع بيّنهنّ واحدةً كسيئات وبينها حسنة

ولاحظت أن هذه هي النتفة الوحيدة التي ذكر فيها شاعر أندلسي عدد الرّاقصات اللواتي يشاركن في الرّقص الجماعي، إلا أنني لا أعلم عددهن بأن أقول إن الرّقص الجماعي في الأندلس ضم أربع جوارٍ فقط، فما زال هناك الكثير من الأسئلة التي لا أجد لها جواباً حول الرّاقصات اللواتي رقصن بشكل جماعي، ومنها هل قامت الرّاقصات بإنشاء فرق لهن؟ وأين تعلمن الرّقص؟ وأين رقصن؟

وعلى الرغم من أنه لم يكن هناك تفاصيل عن الرّاقصات أو مواصفاتهن، إلا أنه يتضح من شعر ابن أبي الخصال أن الجمال شرط أساسي لممارسة الجارية الرّقص كيف لا والجواري متعة للعين والنفس، كما أنه لم ينتقد رقصهن أو يُشر إلى حركاتهن فقد أسماهن الملهيات ولم يقل راقصات، وكأنه لا يعترف بكون من رآهن راقصات حقاً، وامتنع عن النظر إليهن وكأن قُبهنّ يؤذي عينه، وأظن أن ابن أبي الخصال شاهد هؤلاء الرّاقصات عند علي بن يوسف بن تاشفين، وعلى الرغم من أن المكان يُحدّد نوعية الرّاقصات فيه؛ فقصور الأغنياء والأمراء تضم خيرة الرّاقصات وأجملهن أما مجالس الأوس العامة فستكتفي بما هو متوفر، إلا أن ابن أبي الخصال لم يعجبه ما رآه في قصر علي، فربّما كان ذا ذوق مختلف أو أنه ابتلي حقاً بجوارٍ قبيحات.

¹ - ابن بسّام، الذخيرة، ق 3 م 795/2، المقرئ، النسخ، 296/5.

3- وصف راقصات غلاميات

لم يكتف الشعراء الأندلسيون بوصف راقصات جميلات وقبيحات فحسب، بل وصفوا بعض الراقصات الغلاميات ومنهم ابن الطُّوبى، ولكن ابن الطُّوبى لم يقدّم ميّزات خاصة بهنّ؛ فهو لم يذكر إن كانت تلبس ملابس الغلمان أم لا، كما إنه لم يتحدّث عن أية ميّزة مختلفة في رقصها أو حركاتها، وكل وصفه للراقصة الغلامية اقتصر على أنها تمتاز بالرشاقة والليونّة، وتلهب النار في نفوس الناظرين، وتثير موسيقى ساحرة برجلها، فيصبح المتفرج أسير سحرها وتمسي هي الداء والدواء له: ¹ [السّريع]

راقصة كالغصن من فوقه	بدرٌ يُنيرُ تحتَ ظمَاءِ
تُلهبُ مثلَ النارِ في رقصها	وهي من النّعمة كالماءِ
كأنّما في رجلها عودها	وزامراً يتبعُ بالنّاءِ
ساحرة الرقص غلامية	منها دوائِي وبها دائِي
إذا بدت ترقص ما بيننا	يرقص قلبي بين أحشائي

وبعد هذا العرض السّريع حاولت أن أرسم صورة متحركة لإحدى الجوّاري الرّاقصات في الأندلس، فرأيتها تتقدم إلى مكان الرّقص وهي ترتدي ثوباً طويلاً وملوناً كذيل الطاووس، وربما رفعت شعرها وزينته كي تصبح صورتها مشابهة للطاووس، وإذا ما بدأت الرّقص تسحر الحاضرين برشاقتها وحركاتها السّريعة الخفيفة، وتتركز حركاتها ورقصها في ثلاث مناطق من جسدها أولها: الخصر فهي تثني خصرها وتصبح ألفاً مرة ولأماً أو نوناً مرة أخرى، أما العضو الرّاقص الثاني فهو الأقدام، فالجارية تقوم بتحريك أقدامها مع الموسيقى، كما أنها تعزف موسيقى مميزة بقدميها وكأن في رجلها عوداً، والأنامل هي العضو الثالث والأخير في الرّقص الأندلسي عامة والصقلي خاصة، فالجارية تشير بأناملها إلى كل عضو في جسمها وما يلقى من عذاب الهوى.

¹ - العماد الأصفهاني، الخريدة، ق 4 ج 1/66-67.

ومن الجدير بالذكر أن الرقص الأندلسي كان أحد الروافد الأساسية لرقص الفلامنجو¹، فالفلامنجو يعتمد على مرونة العجيزة وحركات الأقدام، والنقر بالأقدام، والأصابع الممتدة، ورشاقة الجسد واليدين، واللّفات السريعة التي يقوم بها راقصو الفلامنجو وراقصاته²، ومرونة العجيزة مشابهة لمرونة الخصر الذي يؤدي الحركات الصعبة وأصدق مثال عليها قول ابن كسرى المألقي في إحدى الرقصات: ³ [الطويل]

إذا رقصت أبصرت كل بدية تري ألفاً حيناً وحيناً هي النون

أما حركات الأقدام فعلى الرغم من أنه لا يوجد أي توضيح لهذه الحركات في الرقص الأندلسي، إلا أن انعدام تفاصيل حركات الأقدام لا ينفي وجودها خصوصاً أن ابن حمديس ذكر أن أقدام الرقصات ترافق نغمات الموسيقى بقوله: ⁴ [المتقارب]

توافق بالرقص أقدامهن يطأن بها نغمات الذنوب

كما أن ابن ماء السماء ذكر أن حركات أقدامهن سريعة خفيفة فقال: ⁵ [المنسرح]
تقل أقدامها على عجل كأنما رقصها على سيف

ويبدو النقر بالأقدام في الرقص الأندلسي واضحاً عند ابن الطوبى، فقد رأى أن راقصة تحمل عودها برجلها، أي أنها تعزف موسيقا الرقص بأقدامها وهذه إشارة على أن الجواري الرقصات صنعن أصواتاً وربما حركات ذات نغم موسيقي بأرجلهن، ولا يمكن إصدار أي

¹ - انظر <http://www.red2000.com/spain/flamenco>

<http://www.streetswing.com/homepage.htm>

http://www.centralhome.com/ballroomcountry/flamenco_history.htm

² - انظر

http://www.centralhome.com/ballroomcountry/flamenco_history.htm

³ - ابن الأبار، تحفة القاصد، 131.

⁴ - الديوان، 13.

⁵ - ابن خميس، أدباء مالقة، 289.

صوت بالأرجل إلا عند النقر بالرجل على الأرض، وقول ابن الطُّوبى هو الدليل على أن الجوّاري نقرن بأرجلهن على الأرض بقوله: ¹ [السّريع]

كأنّما في رجليها عودها وزامراً يتبع بالثناء

أما عن توظيف الأصابع في رقص الفلامنجو فلا أظنه مشتركاً في تفاصيله مع الرقص الأندلسي؛ فراقصة الفلامنجو لا تُشير بأصابعها إلى قلبها أو كبدها أو أي جزء من جسدها كدلالة على تعذيب الهوى، وإنما تحرك أصابعها بأشكال انسيابية مختلفة ومتعددة²، إلا أن كلاً من الرقص الأندلسي والفلامنجو يعتمد على الأصابع كعضو أساسي في الرقص.

واشترك كلٌّ من الرقص الأندلسي والفلامنجو في صفة أساسية للراقصة، ألا وهي الرشاقة، وأظن أن جميع أنواع الرقص تحتاج إلى الرشاقة والليونة لأداء حركات الرقص بيسر وسهولة.

أما اللغات السريعة التي تقوم بها راقصات الفلامنجو فلم أجد في الشعر الأندلسي المتوفر بين يدي أي ذكر لها، وافتقار الشعر لتفاصيل كهذه لا يعني أن الرقص الأندلسي خلا منها.

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى إمكانية التشابه بين ملابس الراقصات الأندلسيات وشعرهن وراقصات الفلامنجو، فقد قال ابن حمديس: ³ [الطويل]

ومن راقصات ساحبات ذيولها
كما جررت أذيالها في هديلها
شوادٍ بمسكٍ في العبير تَضَمَّخُ
حمائمٌ أيكٍ أو طواويسُ تَبْذُخُ

ووصف ابن حمديس للراقصات اللاتي شاهدين يدلُّ على أنهن كنَّ يلبسن ملابس لها ذيل ويُشبهن الطاووس، أي أن ملابسهن ملابس طويلة وملونة بألوان عديدة تشابه ألوان ريش

¹ - العماد الأصفهاني، الخريجة، ق 4 ج 1/66.

² - انظر الملحق صورة 1.

³ - الديوان، 112.

الطاووس المختلفة المتناسقة، وهذه الملابس مشابهة لملابس راقصات الفلامنجو فهي ملابس طويلة ومزركشة ومتعددة الألوان¹، وأظن أن ما يضعه بعض راقصات الفلامنجو من تيجان صغيرة² وما يحملنه من مراوح هي لزيادة التشبه بالطواويس³، وربما زينت الراقصات الأندلسيات شعورهن أو وضعن عليها إضافات تجعلهن يشبهن الطواويس، وبهذا يضمن وجهه شبه جديد يجمع بينهما وبين راقصات الفلامنجو.

وربما كان رقص الجوّاري في الأندلس مشابهاً لرقص فتيانها؛ فبعض الجوانب التي وصفها الشعراء في رقص الفتيان مشابهة لرقص الجوّاري، ومنها الرشاقة والليونة التي تحلى بها كل من الفتيان والجوّاري الراقصات، وملك الفتيان القدرة على ثني القوام بسهولة وسرعة، فأضحى المشاهد يرى كل حركة يقوم بها الراقص حرفاً، فإذا استوى الراقص وشدّ قوامه رأى المشاهد عيناً، وإذا انتهى الراقص وحنى ظهره أصبح أمام مشاهديه قلباً، ووصف عبادة بن ماء السماء راقصاً فقال: ⁴ [الطويل]

ألا ربّ ظبي قد تثنّى قوامه إذا يستوي أو ينتهي وهو لاعب
فأخجل في حالاته الغصن الرطباً فطوراً ترى عينا وطوراً ترى قلباً

ونقر الراقصون بأقدامهم كالجوّاري، وكان نقرهم موسيقا كاملة بحدّ ذاتها، فكان قدمي الراقص مزمار وعود يعزفان ليرقص الفتى على أنغامها، وهكذا تمت للمشاهد المتعة بالوجه الحسن والموسيقا الجميلة، وكان ابن الجبار الكموني⁵ ممن نال هذه المتعة فقال يصف راقصاً:⁶

[مجزوء الكامل]

ما إن رأيت كراقص يحكي الغناء برقصه
مستطرف في كل فن كمراقص يحكي المغن

1 - انظر الملحق صورة 2.

2 - انظر الملحق صورة 3.

3 - انظر الملحق صورة 4.

4 - ابن خميس، أدباء مالقة، 289.

5 - هو أبو بكر محمد بن علي ابن الجبار الكموني، لم أجد له ترجمة في المصادر المتوفرة.

6 - العماد الأصفهاني، الخريدة، ق 4 ج 1/122.

رَجُلًا مَزْمَارًا وَعُـو
فَهُوَ السُّرُورُ لِكُلِّ عَيْنٍ
دَفِي نِهَائِيَّةٍ كُلِّ حُسْنٍ
نِ وَالنَّعِيمُ لِكُلِّ أُذُنٍ

5- الجوّاري في الشكوى

قد يسأل سائل كيف لرجل أندلسي أن ينظم شعراً في الشكوى والجارية مُلك يمينه ويستطيع التصرف بها كما يشاء؟ أظن أن هذا يعود إلى أن بعض السادة كانوا عبيداً لجواريتهم بعقد شريعة الحب أو الإعجاب كما كانت الجوّاري ملكية خاصة بعقد بيع وشراء كما ذكرت سابقاً.

ومن الجدير بالذكر أن شكوى الرجل الأندلسي من جاريته كان إما لغضبها منه أو لصدودها وجفائها وقسوتها عليه، وغضب الجارية أو صدودها يُظهر مدى قدرتها على اتخاذ موقف اتجاه سيدها وإن كان ملكاً، وهذا يدل على أنها حظيت بحرية الإرادة والاستقلالية التي افتقرت إليها بعض الحرائر، ومن الطبيعي أن تختلف الاستقلالية من جارية لأخرى تبعاً لشخصيتها وشخصية مالِكها.

وأظن أن شكوى الأندلسي من صدّ جاريته وتجروّ الجارية على الصدّ والهجران ما هو إلا وجه آخر من وجوه العلاقة التي تجمع بين الرجل والجارية، وهذه العلاقة في جوهرها ما هي إلا علاقة رجل بامرأة.

وشكا الأندلسيون جواريتهم في تسعة وخمسين بيتاً _ من المصادر المتوفرة بين يدي _ جاءت في نتفة وثلاث مقطوعات وقصيدتين ذكر فيها شاعران من أصل ثلاثة أسماء ثلاث جوارٍ، ومن الجدير بالذكر أن شعر الشكوى انحصر في عصر ملوك الطوائف؛ وقد يعود هذا للضعف الذي ساد العصر ورجاله مما أدى إلى علو شأن الجوّاري ولمعان نجمهنّ، فأخذن يزدن من دلالهنّ ويتحكمن بهن فشكا السادة مما لم يعتادوا عليه.

وشكا المُعتمَد تماذي غضب جاريتَه **جوهرة** عليه؛ فقد ملأ الهمُّ صدره والدموعُ عينيه
فقال: ¹ [مجزوء الرجز]

جَـوْهَرُ قَدْ عَـذَّبَنِي	مِنْكَ تَمَادِي الْغَضَبِ
فَزَفَرْتِي فِي صَعْدِ	وَعَبَرْتِي فِي صَبَبِ
يَا كوكِبَ الحُسْنِ الَّذِي	أَزْرَى بَزْهَرِ الشُّهْبِ
مَسْكُنِكَ القَلْبُ فَبُـلَا	تَرْضِي لهُ بِالْوَصَبِ

ومن المُثير للغرابة أن **جوهرة** تجرأت وغضبت من سيدها، وكأن غضبها لم يكفها فتبادت وقست أكثر حتى إن المُعتمَد بكى من غضبها عليه ورجاها أن ترضى عنه، ومما زاد الأمر غرابة أن المُعتمَد _ مالك **جوهرة** وملك **إشبيلية** _ يقف عاجزاً أمام غضبها ولا يفرض عليها سلطته كسيد أو ملك، بل إنه يناديها ويدلها قائلاً **جوهراً** وكأنه يرجوها ويمسح على أعتابها، وربما كانت هذه القصة إشارة على أن حواجز الرق والاستعباد بين السيد والجارية في الأندلس زالت أو لم يكن لها وجود أصلاً، فظهرت الجارية وكأنها إنسان مستقل بإرادته على الرغم من فقدانها حرّيتها.

ولم تتوقف استقلالية الجارية بشخصيتها عند الغضب وإنما تعدته إلى اتّخاذ المواقف الصعبة؛ فسحر جارية المُعتمَد اختارت أن تفارق سيدها، وأظن أن فراق السيّد أو الرجل قرار صعب قد لا تجرؤ الحرائر على اتّخاذه، ويبدو من شعر المُعتمَد أن سحر فارقتَه بكامل إرادتها؛ فهي التي اختارت الفراق والهجران، وقد يكون الفراق دائماً أو مؤقتاً يتبعه صلح ومودة، إلا أن ما يهمني هنا هو أنه كان للجارية القدرة على اتّخاذ قرار فيما يتعلق بعلاقتها بسيدها ومالك أمرها يقول: ² [الطويل]

عفا الله عن سحرٍ على كلِّ حالةٍ	ولا حوسبتُ عمّا بها أنا واجدُ
أسحرّ ظلمتِ النفسَ واخترتِ فرقتي	فجمعتِ أحزاني وهنّ شواردُ
وكانتِ شجوني باقترابك نزعاً	فها هنّ لما أن نأيتِ شواهدُ

¹ - الديوان، 3.

² - الديوان، 8.

فإن تستلذي بَرْدَ مائك بعدنا فبعدك ما ندري متى الماء باردُ

ويتبادر إلى الذهن أن المُعتمد أفسد جواريه بالدلال، فخرجن عن طوعه و أغضبه وفارقه، إلا أني أظن أن حال المُعتمد كان كغيره ممن تعلّق بالجواري؛ فقد شُغف التُّطيلي¹ بحب القينة لذيذة التي كُناها بأَم الوفاء وشكا صدودها وهجرانها له، فظهرت متقلبة في حبها له وقاسية معه رغم حبه الكبير لها فقال: ² [الكامل]

يا حبّذا أمّ الوفاءِ وإن جفّت وتغيّرتْ فهَيّ التي لا تسأمُ
وهي التي انفردت بوذي كلّه ولطالما قد كان وهو مقسّم

ويبدو أن لذيذة عذّبتَه في حبّها وصدودها بعد أن سبّت فؤاده، وأظنها حظيت بشخصية قوية وبسلطة كبيرة بلغت مبلغاً كبيراً، فقد بدا لي وكأنه يشكو من هجرانها سراً، وأن الخوف تملكه من أن تسمع أمّ الوفاء شكوته فتعاتبه فقال: ³ [البسيط]

ياربّ قد سَفكتْ أمّ الوفاء دمي وقد تَخوّفتْ يوماً أن تؤاخذ بي
وقد وهبتْ لها قلبي وما خطري حتّى يُعاقبَ ذلكَ الحُسنُ من سَيبي
سبّت فؤادي ذات الخالِ قادرة ولا نصيبَ له منها سوى النَّصبِ

¹ - هو أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن هريرة الأعمى التُّطيلي، أديب بارع عُرف بذكائه وفهمه لبواطن الأمور، وُلد ضريراً فلقّب بالأعمى، عاش في عصر ملوك الطوائف وتوفي في سنة 530هـ. انظر ابن بسّام، الذخيرة، ق 2 م 728/2، العماد الأصفهاني، الخريدة، ق 4 ج 567/2، ابن الأبار، تحفة القاصد، 27، ابن سَعِيد، المغرب، 451/2، المقرئ، أزهار الرياض، 208/2.

² - ابن بسّام، الذخيرة، ق 2 م 739.

³ - ابن بسّام، الذخيرة، ق 2 م 736.

6- الجوّاري في الهجاء

بعد عرض شعر الغزل والحنين والشكوى يصعب على المرء أن يتوقع هجاءً قيل في جارية، ذلك أن الفكرة القائمة هي أن كل الجوّاري راتعات الجمال فاتتات، يُجدن كل صنعة ويُتقن كل فن فكيف يقوم الشعراء بهجائهن؟ إلا أن الجوّاري كغيرهنّ من البشر، كان فيهنّ الجميلة والقييحة، والذكية والبلهاء، كما كان لهنّ معجبون وأعداء، ويبدو أن الأندلسيين كغيرهم من الرجال مالوا إلى الجميلات وابتعدوا عن القبيحات والغيبات، وعندما اضطروا أن يُجالسوا القبيحات والبلهاوات ثاروا وغضبوا وعبروا عن غضبهم بشعر هجوا فيه الجوّاري، ذلك أنهم لم يجدوا ما توقّعوه من جمال ونكاء اعتادوا على ملاقاته في مجالسهم ومجتمعهم.

كما أنهم لم يعتادوا على العداوة ما بينهم وبين الجوّاري، فلما وُلدت العداوة وسنحت الفرصة للهجاء نظموا الهجاء المقذع الذي ملئ بغلٍّ وغضبٍ وسبٍّ وشتم، حتى أصبحت الجارية أداة من أدوات الهجاء الموجه ضد المهجور بغيّة إظهاره كماجن فاسد لا يستحق إلا الهجاء.

وكان هجاء الجوّاري قليلاً؛ فقد هجا سبعة أندلسيين بعض الجوّاري بواحد وثلاثين بيتاً، جاءت في ثلاث نتف وخمس مقطوعات، بدأت من عصر الإمارة مروراً بأيام الخلافة وعصر ملوك الطوائف وانتهاءً بعصر الموحدين، ولم يذكر الشعراء سوى اسم تفتير واعتماد الرميكية وأهملوا أسماء بقية الجوّاري.

وكان القُبْح إحدى الدوافع لنظم شعر الهجاء في الجوّاري؛ ومن سوء حظّ إسماعيل بن بدر¹ أنه لقي جارية قبيحة الشكل والصوت أيضاً؛ فهي صلعاء لا أسنان لها، كما أن صوتها قبيح كصوت الكلاب المتعاركة أو كنفيق الضفادع: ² [الطويل]

¹ - هو أبو بكر إسماعيل بن بدر بن إسماعيل بن زياد، كان مولى نعمة لبني أمية، كان من حظوة الناصر والمقربين إليه وولاه إشبيلية، كان عالماً بالحديث والشعر، إلا أن صناعة الشعر غلبت عليه. انظر الحميدي، جذوة المُقتبس، 250-251، الضبي، بغيّة المُلتَمَس، 230، ابن الفرضي، تاريخ ملء الأندلس، 66/1، ابن الأبار، العلة السيرة، 254/1.

² - الكتاني، التشبيهات، 245.

تنفس لما لاحظ القوم خبزة
فقلنا له إنا شباع فجد لنا
فأسمعنا درداء صلعاء رجعت
فوالله ما أدري كلاب تهارشت
وقطب لما لامسته الأصابع
بعود فما في القوم غيرك جائع
بصوت لها تستك منه المسمع
بحلقومها أم نقنت بي ضفادع

وتبادر إلى ذهني تساؤل عن كيفية وصول هذه الجارية القبيحة إلى مجلس الأنس هذا؟ وأظن أن سيدها الذي بخل على ضيوفه بالطعام بخل عليهم وعلى نفسه بالمتعة الحسية لما اشترى جارية قبيحة، وربما اشترى جارية قبيحة لأن سعرها سيكون أرخص بكثير من غيرها من الجواري الجميلات، وربما لم ينو سيدها أن يشتري جارية قط إلا أن سعرها الزهيد أغراه بشرائها فاعتبرها صفقة رابحة واغتمها.

ولم يهج الشعراء القبح فحسب؛ فقد هجا شاعر مجهول غباء قينة تدعى تفتير، وربما كان محققاً في هجائه لها فهي قبيحة لا تحسن العزف كما أنها حمقاء بلهاء، أي أن صفاتها معاكسة لكل ما يتمنى الرجل في جاريته لذا قال فيها: ¹ [السريع]

وقينة تُدعى بتفتير
تبدو بوجه ما رآه امرؤ
كأنها والعود في حجرها
لكعاء من أحسن حالاتها
وصيدها الأعراد⁴ في خلوة
مفرغة في قالب الزور
إلا تمنى النفخ في الصور
حاسبة تُبني بمجذور²
صافع قفاها بالمساوير³
يُنسيك من صيد السنائر⁵

¹ - الكتاني، التشبيهات، 246.

² - مجذور: المُجذَّر: القصيرُ الغليظُ الشَّنُّ الأُطراف. ابن منظور، لسان العرب، مادة (جذر) 123/4.

³ - المساوير: المسوورُ والمسورة متكاً من أدم وجمعها المساوير. ابن منظور، لسان العرب، مادة (سور) 388/4.

⁴ - الأعراد: العردُ ذَكَرَ الإنسان وقيل هو: الذكر الصلْبُ الشديد وجمعه أعراد. منظور، لسان العرب، مادة (عرد) 287/3.

⁵ - السنائر: السنورُ الهرُّ مشتق منه وجمعه السنائر. ابن منظور، لسان العرب، مادة (سنر) 381/4.

تَبَّأَ لَهَا مِنْ قِينَةٍ عَقْلُهَا أَخْفُفْ مِنْ رِيَشِ الْعَصَافِيرِ

وتعدى بعض الشعراء حدود الهجاء إلى الهجاء المقذع والشتيم والسب، فقد هجا ابن عمَّار المُعتمَد وسبَّ الرُّمَيْكِيَّةَ أم أولاده، وكان هجاؤه نتيجة لعداوة وغيره دامت سنين طويلة، فكانت النتيجة هجاءً وشتماً مسَّ الأعراس؛ فقد اعتبر ابن عمَّار الرُّمَيْكِيَّةَ وضيعة النسب، ولم يكتف بسبها فأساء إلى أولادها، وقال إنهم قصار القدود لثيمو النسب: ¹ [المتقارب]

تَخَيَّرْتَهَا مِنْ بَنَاتِ الْهَجَانِ رُمَيْكِيَّةً مَا تُسَاوِي عَقَالَا
فَجَاءَتْ بِكُلِّ قَاصِرِ الْعِذَارِ لَثِيمِ النَّجَّارِينَ عَمَّأً وَخَالَا
قِصَارِ الْقُدُودِ وَلَكِنَّهُمْ أَقَامُوا عَلَيْهَا قُرُونًا طَوَالَا

ولم تكن الجارية موضع هجاء فحسب، بل اعتبرها بعض الشعراء عنصراً من عناصر الهجاء وأداة من أدواته التي يلجأ إليها الهجاء كي ينال من خصمه فيظهره على أنه رجل فاسد، لذا أضاف محمد بن أحمد الأنصاري ² صوت القيان إلى نغمات الأوتار ورنات المزمار والكؤوس للدلالة على انحلال الزبير المثلث ³ وعلى أنه يستحق الهجاء فقال: ⁴ [الكامل]

عَكَفَ الزَّبِيرُ عَلَى الضَّلَالَةِ جَاهِدًا وَوَزِيرُهُ الْمَشْهُورُ كَلَّبُ النَّارِ
مَا زَالَ يَأْخُذُ سَاجِدَةً فِي سَاجِدَةٍ بَيْنَ الْكُؤُوسِ وَنَغْمَةِ الْأُوتَارِ
فَإِذَا اعْتَرَاهُ السَّهْوُ سَبَّحَ خَلْفَهُ صَوْتُ الْقِيَانِ وَرَنَّةُ الْمِزْمَارِ

¹ - ابن الأثير، العلة السيرة، 63/2، ابن خلكان، وفهيات الأعيان، 428/4، المقرئ، النفع، 348/5.

² - هو أبو بكر محمد بن أحمد الأنصاري الإشبيلي المعروف بالأبيض، أصله من قرية همدان وتأدب بأشبيلية وقرطبة، شاعر مشهور ووشاح، وهجاء متمكن، ولع بهجاء الزبير أمير قرطبة وقتل على يده. انظر ابن سعيد، المغرب، 127/2، المقرئ، النفع، 362/4، 233/9.

³ - هو الزبير بن علي بن يوسف ابن تاشفين، هزم الموحدين وقتل منهم الكثير في لقائه معهم قرب مراكش سنة 517هـ. انظر ابن سعيد، المغرب، 127/2، عبد الواحد المراكشي، المعجب، 260.

⁴ - ابن سعيد، المغرب، 127/2-128.

7- الجوّاري في العتاب

ظهر في شعر الشكوى تذلل بعض السادة لجواريتهم أو تمثيل الضعف عليهن لكسب ودّهن وإنهاء الخصومة بينهم، ويبدو أن بعض الشعراء لم يلجأ إلى الشكوى من جاريتهم واتجه إليها مباشرة يعاتبها عتاباً رقيقاً يدلُّ على سلاسة الرجل وتفهمه لجاريتهم ورغبته في كسب ودّها.

وكان المُعتمَد رجلاً سلساً رقيقاً مع جواريتهم، وأتبع معهنّ العديد من الوسائل الرقيقة لينال رضاهنّ كي يُرضينه؛ ذلك أنه لما حلّ الخصام بينه وبين جاريتهم **جوهرة** كتب إليها يسترضيها فأجابته برسالة لم تُعنونها باسمها فردّ عليها المُعتمَد برسالة أخرى قال فيها:¹

[السريع]

لم تصف لي بعد وإلا فلم	لم أر في عنوانها جوهرة
درت بأني عاشق لاسمها	فلم تُرد للغيب أن تذكره
قلت إذا أبصره ثانيّاً	قبلاً والله لا أبصره

وشعر المُعتمَد يُظهر مدى فهمه واهتمامه بنفسية جاريتهم ومعرفته بشخصيتها، فهو يعرف أنها لم تسامحه بعد، وأنها تريد أن تُغيظه بعدم ذكر اسمها، وكما يعلم أنها تفهمه وتعرف طباعه، وأظنّ أني أمام ثنائي متناغم؛ فكلّ من المُعتمَد و**جوهرة** يفهم شخصية الآخر ويعرف ما يدور في رأسه، وفهم المُعتمَد **جوهرة** يعني أنه يهتم بها ويعنيه أمرها ويفكر بها، ولم يعتبرها غرضاً فحسب، بل هي شخصية إنسانية ذات طبائع وأفكار وعليه التعامل معها بطريقة مناسبة.

ولم يوفر لي شعر المُعتمَد صورة واضحة عن رسائل العتاب والحب والغرام، إلا أنه بيّن لي بوجود هذا النوع من الرسائل بين السادة وجواريتهم دون أي تفاصيل لطريقة الكتابة باستثناء إثبات اسم المرسل.

¹ - الديوان، 14.

أما سعيد بن جودي فقد عاتب جاريته على حركة خجولة قامت بها لا على رسالة مكتوبة؛ فبعد أن حُملت إليه من قُرْبَة وخلا بها أعرضت عنه ونظرت إلى الأرض فعاتبها قائلاً: ¹ [الطَّويل]

أمانلة الألاحظِ عني إلى الأرضِ أهذا الذي تُبدِين ويحك من بُغْضي
فإن كان بُغْضاً لستُ والله أهله ووجهي بذاك اللّحظِ أولى من الأرضِ

8- الجوّاري في موضوعات أخرى

لم يكتف الأندلسيون بنظم الشعر في الجوّاري في الأغراض التقليدية فحسب، بل أبدعوا أشعاراً مختلفة في موضوعات متعددة، وقد جمعت هذه الأشعار فوصل عددها إلى أربعة وثمانين بيتاً من المصادر المتوفرة بين يدي. وانقسمت إلى بيتين مفرد وست نتف وأربع عشرة مقطوعة وقصيدة واحدة وأربع أراجيز لواحد وعشرين شاعراً وذكروا أسماء تسع جوارٍ، وكما هي الحال في معظم الأغراض السابقة نال عصر ملوك الطوائف النصيب الأكبر الذي وصل إلى اثنين وأربعين بيتاً، وأهم تلك الموضوعات هي:

أ- طلب جارية

كانت الجارية أداة للإلهام والمتعة للأندلسيين، ويبدو أنهم سعدوا لوجودها في حياتهم واستمتعوا بالإلهام الذي تمدّهم به، فنظموا أشعاراً مختلفة ومتعددة الأغراض فيها، فلما بعُدت عنهم أو عزّ وجودها في حياتهم، بحثوا عن سبيل لإعادتها إليهم أو تملكها بأية طريقة؛ لذا اقتنص ابن شهيد فرصة رجوع المنصور من الغزو مُحملاً بالجوّاري وأرسل إليه يطلب منه جارية بقوله: ² [الخفيف]

¹ - ابن الأَبَّار، العَلَّة السَّيِّداء، 158/1.

² - ابن خاقان، مطمع الأنفس، 396، ابن بسَّام، الخَخيرَة، ق 4 م 29/1، ابن عِذَّاري، البيانُ المُغربي، 300/2، المُقري، أزهار الرياض، 131/5.

يا بنفسي أقيك كل الرزايا
 ء لمن لم يخب فيه المطايا
 فك وأبعث بها عذاب الثايا
 كان والله آية في البرايا

أنا شيخ والشيخ يهوى الصبايا
 ورسول الإله أسهم في الفي
 فاجعلني فديت أشكر معرو
 هو عرف فإن تحول صهراً

فلم يخب المنصور ظنه وكان كريماً معه، فأرسل إليه جارية رومية جميلة حفها بثلاث
 جوارٍ أخر وكتب إليه قائلاً: ¹ [الخفيف]

في ثلاث من المها أكار
 سلخ الليل عن بياض النهار
 فمن العار كلة المسمار

قد بعثنا بها كشمس النهار
 فاجتهد وانتد فإنك شيخ
 صانك الله عن كلالك² فيها

وبعد أن أسبغ المنصور هذه العطايا وكان له هذه اليد الكريمة، لم يملك ابن شهيد نفسه
 فنظم شعراً يشكر سيده على عطائه، ويقص عليه مغامراته مع هداياه الجديدة، ويخبره أنه ملك
 يمينه وسيف من سيوفه فكتب إليه قائلاً: ³ [الخفيف]

واصطبغنا من النجيع الجاري
 ولهونا بالبدر ثم الدراري
 ذي مضاء غضب الظبي بتار
 واتخذة سيفاً على الكفار

قد فضضنا ختام ذاك السوار
 ونعمنا في ظل أنعم ليل
 وقضى الشيخ ما قضى بحسام
 فاصطنعه فليس يجزيك كُفراً

¹ - ابن خاقان، مطمع الأنفس، 396، ابن بسام، الذخيرة، ق 4 م 29/1، ابن الأبار، العلة
 السيرة، 276/1، ابن عذاري، البيان المغرب، 300/2، المقرئ، أزهار الرياض، 132/5.
² - كلال: كل يكل كلاً و كلاً و كلاً و كلاً الأخيرة عن اللحياني: أعيان. ابن منظور، لسان العرب،
 مادة (كل) 591/11.

³ - ابن خاقان، مطمع الأنفس، 397، ابن بسام، الذخيرة، ق 4 م 30/1، ابن الأبار، العلة
 السيرة، 276/1-277، ابن عذاري، البيان المغرب، 300/2، المقرئ، أزهار الرياض،
 132/5، النفع، 384/1، 121/2.

ويبدو من شعر ابن شهيد أنه طلب عطيةً غالية، ونال هديةً ثمينةً أوجبته إخلاصاً للهادي وعرفاناً أبدياً له.

أمّا لسان الدين بن الخطيب فلم تدفعه الحاجة إلى المتعة والإلهام كي يطلب جارية؛ فقد توفيت زوجته في المغرب وأصبح بحاجة لامرأة تملأ حياته، وتلبي احتياجاته، فكتب رسالة إلى تاشفين الموسوس¹ سلطان المغرب يطلب منه جارية، ويبدو أن لسان الدين بن الخطيب كان بحاجة ماسةً لهذه الجارية وهو يائس لدرجة أنه يطلب أي جارية من الجواري اللاتي يملأن قصر السلطان، كما أنه راضٍ بها مهما كان دينها يقول: ² [الطويل]

قصدتُ إلى المولى أبي عمَر الرضا	غدتُ بالذي يرضى المشيئة جارية
وطوفان هَمِّي قد طغى ليُجيرني	وتركبتني الأوه فوق جارية
وإني لراضٍ بالذي يرتضيه لي	ولو عبَدتُ أبأوها شنتمارية ³
وإن ظنوني في الإمام وفضله	مُحَقَّقةً والله لا مُتَمَارِيه
فراز بما يهواه من فضل ربّه	وأمُّ الذي يهوى له الشرّ هاوية

وأظن أن السبب الرئيسي وراء طلبهما جارية هو الطمع في جارية مجاناً، فكلاهما طلب جارية من ولي أمر تملأ الجواري قصره، وكأنهما واثقان أن طلبهما لن يُرد وأنهما سيفوزان بجارية جميلة تملأ حياتهما دون دفع أي شيء.

¹ - هو السلطان أبو عمر تاشفين الموسوس ابن أبي الحسن المريني، كان فارساً قوياً الساعد إلا أنه كان ناقص العقل لا يملك في حكمه ضراً ولا نفعاً، وكان نقصان عقله بسبب الأسر الذي تعرّض له أيام والده أبي الحسن، وبقي على حاله هذه حتى توفي، وولي الأمر سنة 762 هـ ودام حكمه ثلاثة أشهر ويومين ومات وسنه ستون سنة. انظر الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، م 2 ج 4، 41.

² - الديوان، 781/2.

³ - شنتمارية أو شنت مريّة (Santa Maria de Algavre): مدينة أندلسية قديمة، ومعناها مدينة مريم، وهي من مدن أكشونية، بُنيت على نهر أرغون على مسافة ثلاثة أميال منه. انظر ياقوت، معجم البلدان، 367/3، القزويني، آثار البلاد، 453-542، الحميري، الرّوض المعطار، 347، البغدادي، مراد الأطلاع، 815/2.

ب- الطَّمَعُ فِي الْجَوَارِي

طمع أبو عامر بن يَنَّق¹ في مجلس أنس مميّز تحييه القينة هند، فاستدعاها لزيارة مجلس أنسه كي تتحفه وأصحابه بموسيقا عودها الشادي وأرسل إليها قائلاً: ² [الكامل]

يا هند هل لك في زيارة فتية نبذوا المحارم غير شرب السلسل
سمعوا البلابل قد شدت فتذكروا نغمات عودك في التقيّل الأول

فأجابته هند بالقبول ووعده بالأسراع والحضور لمجلسه، وما يُثير انتباهي هنا هو هذه الدعوة الغريبة؛ فابن يَنَّق يدعو جارية ليست ملك يمينه كي تحضر ويرسل إليها دون خوف من رقيب أو عاذل، فتجيبه دون تردد أو سؤال لمالكها بأنها ستحضر في الحال، ويبدو لي أن المجتمع الأندلسي تقبل هذا النوع من المراسلات والزيارات بين الرجال والجواري، لذا لم يكن هناك حرج أو شبهة فيما جرى، وكأني أمام موظفة تعمل في شركة للأنس والترفيه، وتتخصص في عزف العود، ويصلها طلب بالهاتف كي تذهب وتقوم بعرض فنها، فتلبي نداء العمل وتخرج، لذا أشك في أن بعض الجواري استغلن مواهبهن ومهاراتهن وحولنها إلى صنعة يتقاضين عليها أجراً، وربما ادخرن ما حصلنه لينفعهن في أيامهن المقبلة.

¹ - هو أبو عامر محمد بن يحيى بن محمد بن خليفة بن يَنَّق الشاطبي، طيب شهر بالذكاء وحسن الطباع لولا عجب استهواه، مال إلى الآداب والعروض، وتوفي سنة 547هـ. انظر ابن خاقان، قلائد العقيان، 552/2-554، الإستجي، سمط الجمان، 64، ابن الأبار، التكملة، 13/2-14، ابن سعيد، المغرب، 388/2.

² - ابن الأبار، تحفة القاصم، 239، التكملة، 259/4، المقرئ، النفع، 67/6.

وطمع بعض الرجال في أموال الجواري؛ فقد حفظ لنا عقيل بن عطية¹ حادثة _ ربّما كانت _ نادرة، فقد نظم شعراً في رجل أحب قينة ورثت مالا من مولاها، وكانت تنفق عليه منه، فلما نفذ ماله نفذ حبه لها وتركها، فقال ابن عطية فيهما: ² [السّريع]

لا تَلَحُّهُ أَنْ مَلَّ مِنْ حُبِّهَا فَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْ وَدِّ
لَمَّا رَأَاهَا قَدْ صَافَا مَالَهَا قَالَ صَافَا الْوَجْدُ مَعَ الْوَجْدِ³

ج- في وفاء الجواري وخيانتهم

لم يتنكر كل الأندلسيين لجواريهم؛ فقد انتظر أبو الحسن الحصري جاريته على شاطئ مألقة، ولم يركب السفينة ويتركها، بل ظلّ قابلاً على الشاطئ يفكر فيها وينتظرها، ويتمنى أن تأتي بسرعة وتراه ينتظرها كي تدرك مقدار حبه لها، وشغل نفسه بنظم الشعر فقال: ⁴ [الخفيف]

رَبِّ سَهْلٍ عَلَى فَتَاتِي فَتَاتِي لَتَرَى هَلْ سَلَا فَتَاهَا فَتَاهَا⁵
عَلِمْتَهُ جُفُونُهَا آيَ سِحْرِ مَا تَلَاهَا عَنْ حُبِّهَا مُذْ تَلَاهَا

¹ - هو أبو طالب عقيل بن عطية بن أبي أحمد جعفر القضاعي، ويكنى أبا المجد ولد بمراكش وأصل سلفه من طرطوشة، كان حسن الخط وله باع في الأدب والحديث وروى عن علماء الأندلس، وولي قضاء غرناطة، وفي آخر عمره وولي قضاء سجلماسة وتوفي بها سنة 608هـ. انظر ابن الأبار، التكملة، 33/4، ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 230/4-231، الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، م 1 ج 2، 134.

² - المقرئ، النفع، 178/7، الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، م 1 ج 1، 134.

³ - الوجد والوجد والوجد: اليسار والسعة. ابن منظور، لسان العرب، مادة (وجد) 445/3.

⁴ - ابن الأبار، التكملة، 162/1.

⁵ - فتاها: التوه لغة في التيه وهو الهلاك وقيل الذهاب. ابن منظور، لسان العرب، مادة (توه)

أما الجوّاري فقد وقفن إلى جانب سادتهن في الأوقات الحلوّة والصعبة، ولم يتركهن حين ضاقت الدنيا عليهن، ورأفن بحالهن عندما حلّت بهن بلوى، فسحر جارية المَعتمد لم تتركه أثناء مرضه، وسهرت عليه ترعاه وتعتني به، حتى إنه تمنى دوام المرض كي تبقى سحر إلى جانبه، ويتلذذ باهتمامها به ويرقبها وهي تسهر إلى جانبه يقول: ¹ [الطويل]

سَأَسْأَلُ رَبِّي أَنْ يُدِيمَ بِي الشُّكْوَى	فَقَدْ قَرَّبْتُ مِنْ مُضْجِعِي الرَّشَاءَ الْأَخْوَى
إِذَا عَلَّةٌ كَانَتْ لِقُرْبِكَ عَلَّةً	تَمَنَّيْتُ أَنْ تَبْقَى بَجَسْمِي وَأَنْ تَقْوَى
شُكُوتٌ وَسِحْرٌ قَدْ أَغْبَتَ زِيَارَتِي	فَجَاءَتْ بِهَا النُّعْمَى الَّتِي سُمِّيَتْ بِلَوْى
فِيَا عَلَّتِي دَوْمِي فَأَنْتِ حَبِيبَةٌ	وَيَا رَبِّ سَمِعاً مِنْ نِدَائِي وَالشُّكْوَى

وهناك جوارٍ امتزن بدهاءٍ لم يُدرکه إلا أهل التجربة والخبرة الطويلة في الحياة، أما الشبان فاغترّوا بهن وصدقوهنّ، ومن حُسن حظ محمد بن ميمون ² أن والده عرف أن جارية ابنه داهية، فحذّره منها وأوصاه ببيعها، إلا أنه لم يُصغ لنصحه وأصرّ على الاحتفاظ بها، وبعدها أتاه رجلٌ في منامه وحذّره من جاريته قائلاً: ³ [الكامل]

تَصْبُو إِلَيَّ مَيِّ وَمَيِّ لَا تَتِي	تَزْهُو بِبِلَوَاكِ الَّتِي لَا تَتْقِضِي
وَفَخَارِكَ الْقَوْمُ الْأَلَى مَا مِنْهُمْ	إِلَّا إِمَامٌ أَوْ وَصِيٌّ أَوْ نَبِيٌّ
فَأَنْتِ عِنَانُكَ لِلْهُدَى عَنِ ذِي الْهَوَى	وَخَفِ الْإِلَهَ عَلَيْكَ وَيْحَكَ وَارْعَوِي

فأحسّ ابن ميمون أن الرجل الذي أتاه هو الحسين بن علي بن أبي طالب، فسأل جاريته إن كان لها اسم آخر تسمت به قبل الاسم الذي يعرفه، فأنكرت ثم ذكرت له أنها كانت تُسمى مية، ففزع وباعها في الحال ⁴.

¹ - الديوان، 2.

² - هو أبو عبد الله محمد بن ميمون القرشي الحسيني، فقيه وأديب ونحوي وعالم بالعربية وآدابها ومدرس لها، كان ابن ميمون من أهل سرقسطة، وقيل إنه من ولد الحسين بن علي رضي الله عنهما. انظر ابن الأبار، التكملة، 320/1.

³ - ابن الأبار، التكملة، 320/1، المقرئ، النفع، 258/5.

⁴ - انظر ابن الأبار، التكملة، 320/1، المقرئ، النفع، 258/5-259.

ويبدو لي أن ابن ميمون اعتمد في حياته على أبعاد غير واقعية؛ فهو لم يستمع لنصح والده ولم يتحقق من أمر جاريته بعد أن حاول أبوه إبعاده عنها، ومن ناحية أخرى أُصيب بالهلع والفرع بعد أن رأى رجلاً غريباً في منامه يُنشد شعراً، فبدأ التحقيق مع جاريته ليتأكد من اسمها، وعندما تطابق اسمها القديم مع ما سمعه في منامه باعها على الفور.

الخصائص الفنية

ظهر في شعر الشعراء في الجوّاري خصائص فنيّة عدّة، وكان أهم هذه الخصائص هو سيطرة المقطوعات الشعريّة على شعر الشعراء، وعلى الرغم من أن شعر الشعراء في الجوّاري أظهر استعانتهم بالموروث الثقافي العربي، إلا أنه أبرز الكثير من المظاهر الأندلسية في شعرهم، كما ظهر جلياً استعانة الشعراء بالمحسنات البديعية ومحاولاتهم التجديد في الأخيلة والصور رغم تقليدهم بعض الصور القديمة.

1- سيطرة المقطوعات

سيطرت المقطوعات الشعريّة على الشعراء الذين نظموا أشعاراً متعدّدة الأغراض في الجوّاري في الأندلس؛ فجاء فيهنّ أحد عشر بيتاً مفرداً وخمس وثلاثون نتفة وست وثمانون مقطوعة وسبع عشرة قصيدة وأربع أراجيز وموشّحان، وكان مجموع الأبيات سبعمائة وثلاثة وستين بيتاً لسته وسبعين شاعراً، ويلاحظ من هذه الأرقام مدى شيوع المقطوعات وحتى النتف فيما يتعلّق بشعر الشعراء في الجوّاري، فلماذا أكثر الأندلسيون من المقطوعات وقلّوا من القصائد؟ ولم أجزوا الشعر فيهنّ ولم يُطيلوا؟

قد تكون هذه المقطوعات مظهراً حضارياً وشكلاً من أشكال التجديد التي تتناسب مع طبيعة عصرهم¹، وربّما طمح هؤلاء الشعراء _ الذين نظموا مقطوعات شعريّة في الجوّاري _ أن يتسموا بالبلاغة؛ فقد عرف ابن حزم البلاغة على أنها: "ما فهمه العاميّ كفهّم الخاصي... واستوعب المراد كلّه ولم يزد فيه ما ليس منه ولا حذف ما يحتاج من ذلك المطلوب شيئاً... وسهل عليه حفظه لقصره وسهولة ألفاظه"².

¹ - انظر محمد صبحي أبو حسين، المرأة في الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، ص 164، رسالة دكتوراة، جامعة اليرموك، 2001.

² - ابن حزم، التقريب لحد المنطق، 204.

وبهذا فإنّ أحد كبار نقاد الأندلس يرى أن البلاغة تقتضي الإيجاز غير المُخل، وربّما نظم الشعراء مقطوعاتهم في الجوّاري رغبةً منهم في إدراك شيء من البلاغة، أو أنهم رغبوا في أن تُحفظ أشعارهم وتتداولها الألسن والأسماع؛ فقد أشار ابن رشيق لهذه الجزئية التي شارك فيها السابقين الذين رأوا أن العرب تُوجز ليُحفظ عنها¹.

وأظن أن العوامل السابقة اجتمعت لتدفع الشّاعر الأندلسي أن يُفضّل المقطوعات إذا ما نظم شعراً في الجوّاري، ناهيك أن الأجواء التي جمعت ما بين الشّاعر والجارية لم تُعطه الفرصة أن يجلس ويُفكر وينظم قصائد طويلة؛ فكان نظمه الشعر إما في لقاء أُعجب بها فيه، أو في مجلس أنس سفته ورقصت له، أو أنه حنّ أوشكا إليها فعبر عن مكنونات نفسه، أي أن معظم الشعر كان ارتجالاً نابعاً من تحفيز قريحة الشّاعر، ووليد تجربة شعورية خاطفة، إلا أنها أثرت في نفس الشّاعر فارتجل شعراً مناسباً لهذه الحادثة العابرة فكانت على هيئة مقطوعة شعرية.

2- الموروث الثقافي

وظّف الشعراء الأندلسيون موروثهم الثقافي الذي جمعه من حضارتهم الإسلامية وما أحاط بهم من بيئة لخدمة أسلوبهم وشعرهم، وكان القرآن هو أساس الحضارة العربية الإسلامية، لذا وظّفوا معرفتهم به في أشعارهم، وقد يستبعد أيّ باحث وجود تأثيرات قرآنية في شعر الشعراء في الجوّاري، إلا أنني أعتقد أن هذه التأثيرات جزء لا يتجزأ من نفس أيّ شاعر مسلم يُخرجها في شعره متى شاء.

وظهر تأثير القرآن الكريم كثيراً في أسلوب الأندلسيين عندما نظموا شعراً في الجوّاري ومنها قول ابن سكين²:³ [الكامل]

¹ - انظر ابن رشيق، العُمدة، 186/1 .

² - هو أبو بكر ابن سكين، من أهل شلب، انظر الصفي، الوافي بالوفيات، 232/10 .

³ - ابن الأبار، تحفة القاصد، 63-64 .

فَكَأَنَّهُمَا بَلَقَيْسُ وَأَفْتُ صَرَخَهَا لو أَنهَا كَشَفْتُ لَنَا عَنْ سَاقِيهَا¹

وفي قول ابن حزم: ² [الوافر]

أَرَاكَ نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَسْتُ تُكَلِّمِينَ الْيَوْمَ حَيًّا³

وقول ابن حمديس: ⁴ [الرَّمَل]

سِحْرُ هَارُوتَ وَمَارُوتَ بِهَا فِي فَتُورِ اللَّحْظِ وَاللَّفْظِ الرَّخِيمِ
تُودِعُ الْكَفَّ شَهَابًا مَحْرَقًا كُلُّ شَيْطَانٍ مِّنَ الْهَمِّ رَجِيمٌ⁵

وقول لسان الدين بن الخطيب: ⁶ [الطَّوِيل]

فَفَازَ بِمَا يَهْوَاهُ مِنْ فَضْلِ رَبِّهِ وَأُمُّ الذِّي يَهْوَى لَهُ الشَّرُّ هَاوِيَةٌ⁷

¹ - مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ فَقِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا ﴾ سورة النمل، آية 44.

² - رسائله، 1/ 251.

³ - مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾ سورة مريم، آية 26.

⁴ - الديوان، 449.

⁵ - مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكِينَ بِبَابِلَ هُرُوتَ وَمَرُوتَ ﴾ سورة البقرة، آية 102، و من قوله تعالى: ﴿ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴾ ﴿17﴾ إلا من استترق السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ مَبِينٌ ﴾ سورة الحجر آية 17، 18.

⁶ - الديوان، 781/2.

⁷ - مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمَّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ سورة القارعة، آية 9.

ولم يتأثر الأندلسيون بالقرآن فحسب؛ فتقافتهم اتسعت لتشمل العروض والموسيقا والرقص والشعر المشرقي، ومنها قول ابن الجيّاب¹ متأثراً بتقافته البلاغية: ² [البسيط]

كُنَيْتُ عَنْهَا بِنِزْرِ النِّجْمِ تَوْرِيَةً وَفِي الْكِنَايَاتِ إِجْمَالٌ وَتَفْسِيرٌ

وظهر تأثير الموسيقى على النحلي³ عندما رأى جارية تُحضرُ عودها فقال: ⁴ [الوافر]

إِذَا سَوَّتْ طَرِيقَ الْعُودِ نَقْرًا وَغَنَّتْ فِي مَحَبٍّ أَوْ حَبِيبِ
فِيْمَنَاهَا تَعْدُّ بِهَا فَوَادِي وَيُسْرَاهَا تَعْدُّ بِهَا ذُنُوبِي

أما ابن حمديس فيظهر أنه كان متأثراً بكل ما يختص بالرقص، فقد عرف كيف على الراقصة أن ترقص ولما رأى إحداهن تحسنه قال فيها: ⁵ [الطويل]

وَرَاقِصَةٌ بِالسَّحْرِ فِي حَرَكَاتِهَا تَقِيْمُ بِهِ وَزْنَ الْغِنَاءِ عَلَى حَدِّ
مُنْعَمَةٌ أَلْفَاظَهَا بِتَرْنَمٍ كَسَا مَعْبَدًا مِنْ عَزَّةِ ذَلَّةِ الْعَبْدِ

وظهر تأثير الشعر المشرقي عند ابن حزم لما غنت جارية شعراً على مسامعه فعرف أن صاحب الشعر هو العباس بن الأحنف فقال: ⁶ [الوافر]

¹ - هو أبو الحسن علي بن محمد بن سليمان الأنصاري الغرناطي، كاتب وأديب، وهو شيخ طلبة الأندلس ورئيس كتابها، اختص به ذو الوزارتين أبو عبد الله ابن الخطيب فنال عنده الحظوة، وعلا شأنه حتى أنسى الناس شيخه ابن الخطيب، توفي سنة 749هـ. انظر الحميدي، جَذْوَةُ الْمُقْتَبِسِ، 489/2، ابن الخطيب، الإحاطة فِي أخبار غرناطة، 125/4-128، ابن الأحمر، نثير فرائد الجمال، 55، المقرئ، النفع، 407/7.

² - الديوان، 274.

³ - النحلي: أبو الوليد البطلبيوسي، شاعر مجيد ومتميز رفض التكسب. ابن بسام، الذخيرة، ق 2م 810/2، الأزدي، بدائع البحانه، 113، ابن دحية، المطرِب، 37، المقرئ، النفع، 9/4

⁴ - المقرئ، النفع، 399/4

⁵ - الديوان، 133.

⁶ - رسائله، 1/ 251.

وقد غنيت للعباس شعراً
فلو يلقاك عباس لأضحى
هنيئاً ذا لعباس هنيئاً
لفوز قانيها وبكم شجياً

كما ظهر تأثير الموروث على الشعراء عندما تغنى بعضهم بأسماء نساء تغنى بها الأقدمون كسلمى ومي وعفراء وأشباههن، وربما لم يقنعوا بالأسماء الأندلسية لأنهم ارتأوا أن الأسماء التقليدية خفيفة على اللسان¹، أو لأنهم ارتأوا أنها تتلاءم بشكل أفضل مع أسلوبهم وهذا كقول الزبيدي في سلمى: ² [مخلع البسيط]

ويحك يا سلم لا تراعي
لابد للبين من زماع

وقول ابن ميمون في مي: ³ [الكامل]
تصبو إلى مي ومي لا تتي
تزهو ببواك التي لا تنضي

وقول ابن خفاجة في عفراء: ⁴ [الطويل]

وأقرب عفراء السلام وقل لها
أهل أرى ذاك السها قمرًا تمًا

3- مظاهر أندلسية

على الرغم من أن الحضارة المشرقية أثرت في الأندلسيين وحياتهم وأساليبهم، إلا أن هذا لا يعني أنهم عاشوا في قوالبها، فقد تأثروا بحياتهم الأندلسية وتحدثوا في أشعارهم عنها، وتأثر أسلوبهم بنمط الحياة الجديد؛ فأخذ الشاعر يتحدث عن الموسيقى والغناء والرقص مما تعرضت له سابقاً، كما تأثر الأندلسي ببيئته وما حوته من ورود وعصافير وأنهار وغيرها

¹ - ابن رشيق، العمدة، 121/2-122.

² - الحميدي، جذوة المقتبس، 88/1، الضبي، بغية الملمس، 66، عبد الواحد المرآكشي، المعجب، 65، ابن سعيد، المغرب، 256/1، المقرئ، النفع، 157/5.

³ - ابن الأبار، التكملة، 320/1، المقرئ، النفع، 258/5.

⁴ - ابن بسام، الذخيرة، ق 3 م 577/2.

من مظاهر الحياة الأندلسية فانعكست على شعره، وربما ضمنوها في شعرهم لأنهم ارتأوا أن جمال الجوّاري جمع حوله كلّ جمال في الطبيعة فتوحّد معه وأصبح جسداً واحداً.

وتأثر أسلوب الأمير عبد الرحمن بن الحكم بما أحاط به من رياض وخصرة فنذكر الورد والياسمين والرياح والزهر في بيت شعري واحد: ¹ [الطويل]
تري الورد فوق الياسمين بخدّها كما فوّف الروض المنعم بالزهر

أما المعتمد فقد ذكر البلابل عندما قال: ² [الكامل]
بكرت تلوم وفي الفؤاد بلابل سفهاً وهل يثني الحليم الجاهل

وتأثر أسلوب الأندلسيين بأسلوب الحياة وما فيها من ترف، فبالإضافة إلى ما ذكروه في شعرهم من موسيقى وغناء ورقص، فإنهم لم يهملوا الحديث عن الجوانب الحضارية الأخرى كلباس الرأقعات وتصنيف الشعر وحتى استخدام الندى؛ فقد ذكره أبو الفضل الدارمي ³ عندما ارتجل الشعر قائلاً: ⁴ [الطويل]

إذا ما دُخان الندى من جيبها علا على وجهها أبصرت غيماً على الشمس

وتأثر أسلوب الأندلسيين تبعاً لتغيّر أذواقهم التي عرفت ألواناً جديدة للجمال في المجتمع الأندلسي، فقد مال ابن حزم للشقراوات وصرّح بذلك قوله: ⁵ [الطويل]

¹ - انظر مجهول، أخبار مجموعة، 123، ابن الأبار، اللؤلؤ السيرة، 117/1، ابن عذاري، البيان المغربي، 92/2-93.

² - الديوان، 23.

³ - هو الوزير محمد بن عبد الواحد التميمي الدارمي البغدادي، من بيت علم وأدب، خرج من بغداد رسولاً عن أمير المؤمنين القائم بأمر الله العباسي إلى صاحب إفريقية المعز بن باديس، ثم خرج منها إلى كنف المأمون بن ذي النون بطليطلة وله فيه أمداح كثيرة، توفي بطليطلة سنة 454هـ. انظر الحميدي، جنة المقتبس، 124/1، الضبي، بغية الملتبس، 108، المقرئ، النفع، 97/4-104.

⁴ - ابن بسام، الذخيرة، ق 4م 95-96، المقرئ، النفع، 100/4.

⁵ - رسائله، 133/1.

يعيبونها عندي بشقرة لونها فقلت لهم هذا الذي زانها عندي

وتأثر الأندلسيون بالألوان الجديدة التي حوتها بيئتهم، فلونت حياتهم وملأوا بها شعرهم، حتى أضحت الألوان عنصراً مألوفاً في شعرهم ومنها قول سعيد بن جودي في جاريته عندما مرّت به في غلاتها الحمراء وقال: ¹ [الطويل]

قضيّب من الريحان في ورق حمر

ولم تُنفذه قريحته بأكثر من هذا فلما حضره عبيدس ² أنشده ما نظمه في جاريته فأجابه قبل أن يجلس: ³ [الطويل]

وعهدي بالريحان في ورق خضر

4- المحسنات البديعية

وكما تأثر الأندلسيون بما أحاط بهم من مظاهر حضارية، فقد تأثروا بالتيارات الأدبية التي أتبعها غيرهم من الشعراء في المشرق والمغرب، وكانت المحسنات البديعية من بين التيارات الجديدة التي أثرت في شعر الشعراء في الجوارى بدرجات متفاوتة، فأكثر بعضهم من المحسنات وابتعد عنها آخرون.

¹ - انظر ابن الأبار، اللّعة السّيراء، 1/ 158.

² - هو عبيدس بن محمود السمنتاني، شاعر وأديب انقطع لخدمة لب بن عبيد الله بن أميه المعروف بابن الشالية زمناً طويلاً فأكثر من مديحه ووصف قصوره ومغازيه، ثم وقعت بينهم خصومة فانتقل إلى جانب ابن حفصون. انظر الحميدي، جَذوة المُقتبس، 2/ 469-470 الضبّي، بُغية المُلتمس، 400، ابن الأبار، اللّعة السّيراء، 1/ 230، ابن سعيد، المغرب، 2/ 69.

³ - انظر ابن الأبار، اللّعة السّيراء، 1/ 159.

أ- الجناس

أقبل الشعراء الأندلسيون على الجناس أثناء نظمهم الشعر في الجواري، وأكثروا منه في الغزل والحنين بهنّ، ويبدو أنهم وجدوا أن الجناس في الغزل والحنين وتشابه الألفاظ أو الحروف يُنتج موسيقاً جميلة تسبي قلوب الجواري وتثير عطفهنّ حتى يملنّ إليهم، وربّما رأوا أن الجناس _ وهو حلية العصر _ وسيلة لإثبات مقدرتهم الشعرية وبراعتهم لجواريتهم.

ومن الجناس قول المنذر بن عبد الرّحمن في محظيته طَرَب: ¹ [المنسرح]

ليسَ يُفِيدُ السُّرُورُ وَالطَّرِبُ إنْ لَمْ تُقَابِلْ لَوَاحِظِي طَّرِبُ

وقول المُعْتَمَد: ² [السَّرِيع]

يُرُوعُهَا الْبَرْقُ وَفِي كَفِّهَا بَرْقٌ مِّنَ الْقَهْوَةِ لَمَّاعٌ

ونحو قول ابن محفوظ: ³ [البسيط]

ما القَلْبُ عَنْ حَبِّ ذَاتِ الْخَالِ بِالْخَالِ أَطَعْتُ إِلَّا إِلَى لَمِيَاءِ عِذَالِي

ولم يلجأ الأندلسيون إلى الجناس التام المُماثل الذي جمع بين لفظة وأخرى فحسب، وإنما جانسوا بين الاسم والفعل كقول أبي الحسن الحصري: ⁵ [الخفيف]

1 - المَقْرِي، النَّفْع، 118/5-119.

2 - الدِّيوان، 21.

3 - هو ماجد بن محفوظ بن مرعي بن طرخان بن سيف الشريف الطلحي البكري، من ولد طلحة بن عبد الله بن عبد الرّحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، من أهل بلنسية، و يكنى أبا المعالي وأبا الشرف، كان أديباً وشاعراً مجيداً، توفي بمراكش سنة ثلاث أو أربع وستمائة. انظر ابن الأَبَّار، التَّحْمِلَة، 209/2، تحفة القاهم، 134.

4 - ابن الأَبَّار، تحفة القاهم، 134.

5 - ابن الأَبَّار، التَّحْمِلَة، 162/1.

رَبِّ سَهْلٍ عَلَى فَتَاتِي فَتَاتِي لَتَرَى هَلْ سَلَا فَتَاهَا فَتَاهَا
عَلَّمَتْهُ جُفُونُهَا آيَ سِحْرِ مَا تَلَاهَا عَنْ حُبِّهَا مُذْ تَلَاهَا

كما جانسوا بين الفعل والحرف كقول أبي الفضل الدارمي: ¹ [الطويل]
إِذَا مَا دَخَانَ النَّدِّ مَنْ جَبِينَهَا عَلَا عَلَى وَجْهِهَا أَبْصَرَتْ غِيماً عَلَى الشَّمْسِ

ولم يكن جناسهم تاماً دائماً؛ فقد قال ابن حمديس: ² [الكامل]
فَنَهَضْتُ أَشْرُقُ بِالْدموعِ كَمَا شَرِقَ الفِضَاءُ بِكثرةِ النَّبْلِ

وقال عقيل بن عطية: ³ [السريع]
لَمَّا رَأَاهَا قَدْ صَافَا مَالِهَا قَالَ صَافَا الوَجْدُ مَعَ الوَجْدِ

كما قال الحكم بن هشام: ⁴ [الخفيف]
نَلِيتُ كُلَّ الوِصَالِ بَعْدَ البِعَادِ فَكَأَنِّي مَلَكَتُ كُلَّ العِبَادِ

ويبدو أن بعض الشعراء تأثروا برسم المفردات فبحثوا عن مفردات أخرى تشاركها الحروف أو الموسيقى كما هو حال علي بن أبي الحسين ⁵ عندما قال: ⁶ [البسيط]

أَحِبُّ بِيَدِ عَاةٍ إِذْ أَحَيْتُ بَدَائِعُهَا مَا مَاتَ مَنْ لَهْوِ أَيَّامِي وَأَوْطَارِي

¹ - ابن بسّام، الذخيرة، ق 4 م 95-96، المقرئ، النفع، 100/4.

² - الديوان، 363.

³ - المقرئ، النفع، 178/7.

⁴ - انظر ابن عذاري، البيان المغربي، 79/2.

⁵ - هو أبو الحسن علي بن محمد ابن أبي الحسين ابن بلج الأصبحي القنسري من أهل قنسرين من جند الشام، أخذ عن مشايخ قرطبة، كان شاعراً وأديباً مشهوراً، وعالماً بالنحو واللغات، توفي سنة 430هـ. انظر ابن بشكوال، الصلة، 2 / 412-413، الضبي، بغية الملتمس، 413، ابن

الأبّار، التكملة، 3 / 174، ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، 5 / 1 / 317.

⁶ - الكتاني، التشبيهات، 105.

وكقول ابن السراج: ¹ [الطويل]

رسولُ التي في صوتها سوطٌ لحظها على هائمٍ مثلي بها غيرٍ مقصيرٍ

ولاحظت أن بعض الشعراء عمدوا إلى تكرار الحرف نفسه في البيت الواحد فكأنهم أرادوا بذلك أن يُقيموا جناساً حرفياً وذلك كتكرار أبي الفضل الدارمي لحرف الميم في قوله: ²
[الطويل]

ومخطوطة المتين ³ مهضومة الحشا منعمة الأرداف تدمي من اللمس

وكقول أمية بن عبد العزيز الداني عندما كرر التاء: ⁴ [مخلع البسيط]

تلك تجني التي برتني بالتية والصد والتجني

وكما كرر ابن الوبة ⁵ الهاء في قوله: ⁶ [السريع]

فأنشدته وهي ممّا بها من حزنها في دمعها عائرة

أمّا ابن ماء السماء فلم يكتف بتكرار حرف واحد فكرر حرفي الميم والراء قائلاً: ⁷
[مجزوء البسيط]

¹ - ابن بسّام، الذخيرة، ق 1 م 872/2.

² - ابن بسّام، الذخيرة، ق 4 م 95/1-96، المقرئ، اللّغج، 100/4.

³ - المتنان: والمتنان جنبنا الظهر وجمعها متون. ابن منظور، لسان العرب، مادة (متن) 398/13.

⁴ - العماد الأصفهاني، الخريدة، ق 4 ج 326/1.

⁵ - ابن الوبة: أبو محمد عبد الله بن الوبة المالقي، شاعر مجيد، انظر ابن خميس، أدباء مالقة، 223-224.

⁶ - ابن خميس، أدباء مالقة، 225.

⁷ - ابن بسّام، الذخيرة، ق 1 م 471/1-472، ابن خميس، أدباء مالقة، 288.

مَا مَرَّ يَوْمَ عَلِيٍّ لَمْ أَرَكَ إِلَّا وَطَرَفُ الضَّمِيرِ صَوْرَكَ

كما كرّر ابن زهر¹ الحاء والسين بقوله:²

يَا سِيمَاكَ حَسْبَاكَ أَوْ حَسْبِي
 قَدْ قَضَيْتُ فِي حَبِّكُمْ نَحْبِي
 وَاحْتَسَبْتُ نَفْسِي فِي الْحُبِّ
 إِنَّهَا نَفْسٌ لَذَا الْحُبِّ أَمَّارُهُ وبالـسوءِ أَمَّارُهُ

ب- الطباق

لم يُهمل ناظمو الشعر في الجواري المحسنات المعنوية فجمعوا المعاني المتقابلة في طباقٍ سلسٍ واضح، وأكثروا منه ونوعوه فجمعوا بين لفظين متقابلين كقول ابن الجيّاب:³
 [البسيط]

فَأَطِيبُ الْحُبَّ عِنْدِي مَا تَجَاذَبَهُ وَصَلُّ وَهَجْرٌ وَتَسْكِينٌ وَتَنْفِيرٌ

¹ - هو أبو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر الإيادي الإشبيلي المعروف بالحفيد بن زهر، أخذ عن أبيه أبي مروان وعن جده أبي العلاء علم الطب، وكان له حظ وافر في اللغة والأدب، كما كان من أعلم الناس بمذهب المالكية، نال الحظوة والمكانة العالية لدى المرابطين والموحدين، وتوفي بمراكش سنة 595هـ وهو ابن إحدى وتسعين سنة. انظر ابن بسّام، الذخيرة، ق2 م219/1، الضبي، بغيّة الملتمس، 130، ابن دحية، المطرّب، 203، ابن الأبار، التكملة، 75/2، ابن أبي أصيبعة، ميعون الأنبياء في طبقات الأطباء، 521، المقرّي، النفع، 15/3-16.

² - ابن سعيد، المغرب، 277/1-278.

³ - الديوان، 274-275.

وقول النحوي الزبيدي: ¹ [مخلع البسيط]

فَكُلُّ شَمْلٍ إِلَى افْتِرَاقٍ وَكُلُّ شَعْبٍ إِلَى انْصِدَاعٍ
وَكُلُّ قُرْبٍ إِلَى بَعَادٍ وَكُلُّ وَصَلٍ إِلَى انْقِطَاعٍ

ونحو قول أبي المغيرة: ² [الخفيف]

كَيْفَ كَيْفَ الوَصُولُ لِلأَقْمَارِ بَيْنَ سُمْرِ القَنَا وَبَيْضِ الشَّفَارِ

وقول ابن حزم: ³ [الطويل]

يُبَكِّي لِمَيِّتٍ مَاتَ وَهُوَ مُكْرَمٌ وَاللَّحْيُ أُولَى بِالدُّمُوعِ الذَّوَارِفِ

وكقول المعتمد: ⁴ [المتقارب]

تَمَلَّكَتِ مِنِّي صَعْبَ المَرَامِ وَصَادَفَتِ وُدِّي سَهْلَ القِيَادِ

كما جمعوا بين فعلين متقابلين كقول ابن عبد ربّه: ⁵ [البسيط]

لَوْ أَنَّ أَسْمَاعَ أَهْلِ الأَرْضِ قَاطِبَةٌ أَصْنَعْتُ إِلَى الصَّوْتِ لَمْ يَنْقُصْ وَلَمْ يَزِدْ

وقول ابن حمديس: ⁶ [البسيط]

وَيَا شَوْوَنِي وَشَأَنِي كُلَّهُ حَزَنٌ فَضِّي يَوَاقِيَتَ دَمْعِي وَاحْبِسِي دُرْرِي

ونحو قول لسان الدين بن الخطيب: ⁷ [الطويل]

أَرْوَحُ وَأَغْدُو بَيْنَ كَاسٍ وَقَيْنَةٍ ضَجِيعاً لَهَا أَوْ مِنْ مُدَامَتِهَا مُلْقَى

¹ - الحميدي، جَذْوَةُ المُقْتَبِسِ، 88/1، الضَّبِّي، بُغْيَةُ المُلْتَمَسِ، 67، عبد الواحد المرّاكشي،

المُعْجِبِ، 65، ابن سَعِيدٍ، المَغْرِبِ، 256/1، المَقْرِي، النَّفْعِ، 157/5.

² - المَقْرِي، النَّفْعِ، 617/1.

³ - رسائله، 1/252.

⁴ - الديوان، 8.

⁵ - ابن دحية، المَطْرِبِ، 152.

⁶ - الديوان، 212.

⁷ - الكتّاني، التَّشْبِيهَاتِ، 97.

وكقول ابن الغليظ: ¹ [الخفيف]

يا خليلاً صفاً وكَدَّرَ يوميْ هل إلي الطيبِ في غدٍ من سبيلِ

5- الأخيالة والصُّور

زَيْنُ الشعراء الأندلسيون أشعارهم في الجواري بتشبيهات واستعارات مستمدة من شعر الأقدمين؛ فشكّلوا بها صوراً جميلة جاءت على هيئة صور جزئية، وقد يرجع السبب وراء قلة الصور الكلية في أشعار الشعراء في الجواري إلى أن معظم شعرهم كان مقطوعات شعرية.

أ- الصُّور التقليدية

كانت صورة الغزال والظبي والرثاء إحدى الصور التقليدية التي لجأ إليها الشعراء الأندلسيون في شعرهم في الجواري، فالجارية ظبي شارداً كما صورها الغزال قائلاً: ² [الكامل]

وكأنها في الدارِ حينَ تعرّضت³ ظبيٌّ تدأه بالفلا مرعوبُ

ونحو ما صورها أبو المطرف الزهريُّ فقال: ⁴ [البسيط]

يا ظبيةً نفرتُ والقلبُ مكنسُها خوفاً لختلي⁵ بل عمداً لتعذبي

¹ - ابن بسّام، الذخيرة، ق 1 م 874/2، ابن سَعِيد، المغرب، 435/1.

² - ابن دحية، المطرِب، 149.

³ - تعرّضت: لم تستقم في سيرها. ابن منظور، لسان العرب، مادة (عرض) 169/7.

⁴ - ابن الأَبَّار، تحفة القاصد، 221، المقري، النّبع، 397/4.

⁵ - الختل: تخادع عن غفلة. ابن منظور، لسان العرب، مادة (ختل) 199/11.

وكقول ابن حزم يتغزل بجارية: ¹ [الخفيف]

هل يكون الهلال غير بعيدٍ أو يكون الغزال غير نفورٍ

أمّا المُعتمد فلم يقنع بأن يُصوّر جاريته بالغزال فحسب؛ فصوّرَها ظبيةً سلبت فؤاده وما فؤاده إلا فؤاد هزبر شجاع، أي أنه صورها بالظبية وصوّر نفسه بالأسد فقال: ² [الكامل]

يا ظبيةً سلبت فؤاد محمدٍ أو لم يروّعك الهزبر الباسلُ

وهكذا صور المُعتمد الصراع بين الغزال والأسد، والصراع بينهما أحد الصراعات الطبيعية، فأحدهما فريسة والآخر صياد ماهر، إلا أن ابن بطّال قلب هذه الحقيقة الطبيعية إلى صورة شعرية معهودة؛ فأضحى الغزال صياداً ماهراً أمّا الضحية فهي كلّ من يراه: ³ [المتقارب]

رشاً راش⁴ بالسحر أجفانه أنيسٌ يصيدُ قلوبَ الأناسِ

ولم يتوقف الشعراء عند الصور التقليدية للغزال فحسب، فقد أولعوا بصور القمر والشمس والنجوم، ويبدو أن صورة القمر بدرًا وهلالاً نال الاهتمام الأكبر لديهم، ولم يقتصر استخدام النجوم على الغزل كما قد يخطر بالبال للوهلة الأولى فقد ظهر في معظم الأغراض، وكان المُعتمد ممّن أولعوا باستخدام صور وظفّ فيها القمر فقال في الرميكية: ⁵ [الطويل]

أهجرُ ظيباً في ضلوعي كناسُهُ وبدرَ تمامٍ في جفوني مطالعُهُ

¹ - رسائله، 1 / 251.

² - الديوان، 23.

³ - الكتاني، التشبيهات، 126.

⁴ - راش: كسا. ابن منظور، لسان العرب، مادة (ريش) 310/6.

⁵ - الديوان، 20.

وقال ابن حمديس في جوهرة: ¹ [البسيط]

يا وجه جوهرة المحجوب عن بصري من ذا يقينك كسوفاً قد علا قمرك

ونالت صورة الشمس مكانةً طيبةً في شعر الشعراء في الجواري حتى ظهرت مسيطرة
على صورهم بشكلٍ مساوٍ لصورة القمر؛ كقول ابن الوبة في فتى يُعرف بأبي الدرداء: ²
[السري]

مرّ أبو الدرداء يوماً على جاريةً ماجنةً شاطرة
فراعته منظرها إذ بدت كالشمس في طلعتها الزاهرة

ونحو قول ابن سكين في جارية جميلة: ³ [الكامل]

وعقيلةٌ لاحت بشاطئ نهرها كالشمس طالعةً لدى آفاقها

وكقول ابن حمديس: ⁴ [الكامل]

وكأنها شمسٌ على غصنٍ متريحٍ النقيوم والمييل

واستغل شعراء الأندلس الكواكب في صورهم الشعرية، فذكروا النجوم كقول المعتمد: ⁵
[مجزوء الرجز]

يا كوكب الحُسن الذي أزرى بزهر الرُّشهب

¹ - الديوان، 213.

² - ابن خميس، أدباء مالقة، 224.

³ - ابن الأبار، تحفة القاصد، 63-64.

⁴ - الديوان، 363.

⁵ - الديوان، 3.

وقول سليمان المستعين: ¹ [الكامل]

وتملكت نفسي ثلاثاً كالتمى
ككواكب الظلماء لحن لناظر
زهر الوجوه نواعم الأبدان
من فوق أغصان على كُثبان

وجاءت معظم صور الشعراء في الجواري في موضوع الغزل؛ فصوروا الجارية شمساً مشرقة، كما أنها ظبي شارد قدّها غصن بان، ووجهها كالقمر، ولواظها السيوف البواتر، وريقها مُسكر لكل شارب، ووجهها الياسمين وخدودها كالورد، وفمها كالأقحوان، وأسنانها اللؤلؤ والدر المنظوم وغيرها من التشبيهات والصور والاستعارات التقليدية المعروفة نحو قول يحيى بن حكم الغزال في جاريته لعوب: ² [الكامل]

لم أنس إذ برزت إليّ لعوب
وكأنها في الدار حين تعرّضت
تفتّر³ عن درّ تناسق نظمه
طرباً وحيث قميصها مقلوب
ظبي تدلّ به بالفلا مرعوب
فيه ثناة عذبة وغروب⁴

وكقول ابن سعيد في صبح الرومية: ⁵ [مخلع البسيط]

أوجبه صبح أم الصباح
وتغرّها أم نظيم درّ
وقدّها أم قوام غصن
وافت فأمسى فمي مُداماً
ولحظها أم ظبا الصباح
وريقها أم سُلاف راح
وعرفها أم شذا البطح
وساعداي لها وشاح

¹ - الحميدي، جذوة المقتبس، 51/1، ابن بسام، الخيرة، ق 1 م 47/1، عبد الواحد المرّاكشي، المعجيب، 92، ابن الأبار، اللّعة السّراء، 8/2، ابن عذاري، البيان المغرّب، 118/3، المقرّي، النّفخ، 412/1.

2 - الكتّاني، التّشبيهاة، 149.

3 - تفتّر: وفلان يفتّر و يفتّر فتوراً و فتاراً سكن بعد حدة ولان بعد شدة. ابن منظور، لسان العرب، مادة (فتّر)، 43 / 5.

4 - غروب: وغربُ الفم هو كثرة ريقه وبّلّه، وجمعه غروب. ابن منظور، لسان العرب، مادة (غرب)، 643 / 1.

5 - المقرّي، النّفخ، 74-75/3.

كَأَنَّما بِتُّ بَيْنَ رَوْضٍ وَالْغُصْنِ وَالْوَرْدِ وَالْأَقْحاحِ

وقول ابن الغليظ في حُسن الورد: ¹ [الطَّويل]

ولما تَبَدَّى الوردُ فوقَ غُصونه
ذَكَرتُ به مَنْ خَدُّهُ لِي رَوْضَةٌ
وذكرني بالوردِ في صفحة الخدِّ
تهيمُ بها من حسنِها رَوْضَةٌ الوردِ

ونحو قول ابن الجياب في نجمة: ² [البسيط]

سلطانُ حُسنِ علي الأملِكِ منصورُ
حيَّتْ تحيَّةُ مشتاقٍ وقد بَسَمَتْ
أوجُهها القَمَرُ الوضَّاحُ شمسٌ وضحيٌّ
يا أيها القَمَرانِ اسْتخفيا فلها
سلَّ السِّيوفَ وهُنَّ الأعينُ الحورُ
فاللؤلؤُ الرطبُ منظومٌ ومنثورُ
أم قَدُّها الغَضُّ الميَّادُ ممطورُ
نجمٌ إذا لاحَ يمحي منكما النورُ

ب- الصُّور المبتكرة

ولم يعتمد الشعراء الأندلسيون على خيال أجدادهم العرب وصورهم، وإنما أعملوا خيالهم ورسوموا صورهم الخاصة بهم، ومن الجدير بالذكر أن معظم الصور المبتكرة التي ألفيتها كانت في وصف الشعراء الراقصات والساقيات وفي الغزل بالجواري عامّة، ومن الصور المبتكرة قول البلنوبي في راقصة: ³ [البسيط]

خفيفة الوطء لو جالت بخطوتها
في جفنٍ ذى رمدٍ لم يشتك الوصبا⁴

فالجارية الراقصة رشيقة خفيفة لا تكاد تلمس الأرض، حتى لو أنها خطت بقدميها في جفن مريض لم يشتك ألماً وهذا دلالة على خفتها، فالرمد يصيب العين بألم مبرح دون أي مؤثر

¹ - ابن بسّام، الذخيرة، ق 1 م 873/2.

² - الديوان، 274-275.

³ - العماد الأصفهاني، الخريجة، ق 4 ج 5/1.

⁴ - الوصب: الوجع والمرض. ابن منظور، لسان العرب، مادة (وصب) 797/1.

ورغم أن الراقصة ستصول وتجول بخطواتها وجسدها الرشيق في الجفن المريض إلا إن المريض لن يشعر بأي ألم لخفة الراقصة.

والراقصة التي رسم عبادة بن ماء السماء صورتها كانت راقصة خفيفة الوطاء كما أنها سريعة الحركة، فهي تنتقل من مكان إلى آخر بسرعة وكأنها ترقص على سيف حاد لا تقدر أن تقف عليه لحظة فتقف من فوقه بسرعة لتحط عليه من جديد وتعيد الكرة بخفة وسرعة فائقة، وهكذا رسم ابن ماء السماء صورة هذه الراقصة فقال: ¹ [المنسرح]

راقصةً لأتخسُّ وطأتها	كأنها في الهبوب كالطيف
تقل أقدامها على عجل	كأنما رقصها على سيف

كما رسم صورة متحركة لراقصة أخرى؛ فقد رآها تعتدل كالألف الممدودة، ثم تنتهي لترسم بجسدها حرف اللام وهذه صورة لطيفة: ² [المنسرح]

يُعجبني أن تقوم قداما	تفتل قبل الجفون أكماما
كأنها في اعتدالها ألف	ترجع عند انعطافها لاما

أما الصور المبتكرة التي جاءت في وصف الساقيات فمنها الصورة التي رسمها ابن حمديس في ساقية تسقيه خمراً فيدها التي تسقيه بها فم ينفث السحر في نفوس الشاربين، وعبر عن صورته للساقية بقوله: ³ [الكامل]

وكأنما يدها فم تكلم	بالسحر فيه مقول المضراب
---------------------	-------------------------

كما أن للسان الدين بن الخطيب صورة في إحدى القيان ربما تحتل الصدارة في الصور المبتكرة، فقد صور إحدى الجوارى ممسكة العود وكأنه وليدها الذي ترضعه، وإذا ما لمست

¹ - ابن خميس، أدباء مالقة، 289.

² - ابن الأبار، تحفة القاصد، 131، ابن خميس، أدباء مالقة، 288-289.

³ - الديوان، 21.

أوتاره كي تضبطها فهي كالطبيب الماهر الذي يعرف موضع الألم من مجرد فحص النبض: ¹
[الطويل]

ومرضعة طفلاً من العود تذيها
إذا لمسته بالبنان تخالها
ولا دُرّاً إلا الدُرُّ من أدبٍ محضٍ
طبيباً من الخدّاقِ جسّاً على نبضٍ

وصور ابن بطّال خدود جارية بالورد وشعرها المحيط بصدغها بالعقرب، فكان هذا
العقرب هباً ليمنع أي أحد أن يجني الورد الذي في الخدود، وهذه صورة غير تقليدية جاءت
لتُخلد صورة زينة الجارية وشعرها وهو مظهر أندلسي جميل: ² [الكامل]

ترنو لواظننا لتقطفَ وردَه
فكان عقرباً صُدغِه في خدّه
فتدبُّ عقربُه فتلسعُ من رنا
دببت ل تمنعَ وردَه أن يُجتتِي

وتوجّه بعض الشعراء في شعرهم في الجوّاري إلى التشخيص، وكان القلب والجفن
أكثر ما لاقا رواجاً بين الشعراء في شعرهم في الجوّاري، وتبعت القلب والجفن الآلات
الموسيقية ثم العقارب، وأسبغ الشعراء صفات البشر على القلب فكان فرحاً مبتهجاً حتى إن قلب
ابن الطّوبى يرقص بين أحشائه إذا ما رقصت إحدى الجوّاري: ³ [السريع]

إذا بدت ترقص ما بيننا
يرقص قلبي بين أحشائي

ولم يكن قلب ابن الطّوبى الوحيد الذي فرح ورقص مع الجوّاري الرّاقصات، فكل من
قلب البلنوبي وأصحابه رقصوا لما قامت الجارية الهيفاء بالرقص في مجلس أنسهم وعندها قال
البلنوبي: ⁴ [البسيط]

هيفاء إن رقصت في مجلس رقصت
قلوب من حولها من حذقها طرباً

¹ - الديوان، 638/2.

² - الكتاني، التشبيهات، 126.

³ - العماد الأصفهاني، الخريجة، ق 4 ج 1/66.

⁴ - العماد الأصفهاني، الخريجة، ق 4 ج 1/5.

أما الجفون فقد رآها أبو الحسن البصري على أنها مُعلِّمة تُعلِّم السحر وآياته فإذا ما تعلم التلميذ هذه الآيات وتلاها أصبح كأبي الحسن عندما وصف حاله قائلاً: ¹ [الخفيف]

عَلَّمَتْهُ جُفُونُهَا آيَ سِحْرِ مَا تَلَاهَا عَنْ حُبِّهَا مُذْ تَلَاهَا

ورأى الأمير عبد الرحمن بن الحكم الأذن إنساناً يتحدث فقال: ² [طويل]

إِذَا شَافَهُتَهُ الْأُذُنُ أَدَّى بِسِحْرِهَا إِلَى الْقَلْبِ إِبْدَاعاً فَجَلَّ عَنِ السِّحْرِ

ويبدو أن بعض الجواري العازفات نفخن في آلاتهن الموسيقية فبثتن فيها أرواحهن كي تصبح بشراً، وعندها تغزلت جارية بالعود الوسيم، وقبّلت أخرى المزمار فرآها ابن حمديس فقال: ³ [المتقارب]

فَهَذِي تُغَازِلُ لِي عُوْدَهَا وَتِلْكَ تُقَبِّلُ مِزْمَارَهَا

ولكن بعض الآلات الموسيقية تجاوز أن يكون مفعولاً به، فقد عشق عود الجارية بِدَعَاةٍ وعانى تباريح الحب واشتكى من هذه البلوى بألحانه، فقال فيه علي بن أبي الحسين: ⁴ [البسيط]

كَأَنَّ عُوْدَكَ صَبٌّ يَشْتَكِي أَلَمَ الْبَلْوَى وَأَلْفَاظُهُ تَرْجِيْعُ أُوْتَارِ

¹ - ابن الأَبَّار، التَّحْمِيْلَة، 162/1.

² - انظر مجهول، أخبار مجموعة، 123، ابن الأَبَّار، الحُلَّة السَّيْرَاء، 117/1، ابن عَدَّارِي، البيانُ المُغْرِبِي، 93-92/2.

³ - الدَّيْبَوَان، 182.

⁴ - الكَتَّانِي، التَّشْبِيْهَاتِي، 105.

أما عقارب الشعر فأضحت بشراً حقاً، وهي تنادم بعضها وتعدُّ مجالس أنسها على
الخدود، وتشرب هناك الكؤوس، وإذا ما اقتربت من بعضها تتعانق كالبشر لحظة الوداع وفيها
قال محمد بن أبي الحسين¹:² [الوافر]

بِنَفْسِي عَقْرَبَانِ بِصَحْنِ خَدٍّ بِخَمْرٍ جُفُونِيهِ مُتَنَادِمَانِ
إِذَا التَّقِيَا تَرَى لَهُمَا عِنَاقاً كَأَنَّ لِفِرْقَانِهِ يَتَوَادِعَانِ

6- الموسيقى

كان الشعراء الذين نظموا شعراً في الجواري من مُحبي الجمال والتسلية، فما الجارية
_ في نظر معظمهم _ إلا أداة متعة ومظهر جميل يزينون به بيوتهم وحياتهم ويلونون به
شعرهم، لذا قالوا فيهن شعراً جميلاً، ولكي يكتمل جمال الشعر فلا بد له من موسيقى جميلة
تزيّنه وتُلقي عليه سحراً يناسب اللقاء الذي جمع الشاعر والجارية الجميلة.

وجمع الشعراء في شعرهم بين البحور الطويلة والقصيرة، وجاء شعرهم في اثني عشر
بحراً احتل كلٌّ من بحر الطويل والكامل والبسيط النصيب الأكبر، وإن كان بحر الطويل تفوّق
على البحور الأخرى لما عُرف به من بهاء وقوة³ فتكرّر ست وثلاثون مرة في مائة وخمسة
وثلاثين بيتاً شعرياً، وتلا الطويل بحرُ الكامل الذي تكرر أربعاً وعشرين مرة في مائة وثلاثة
وعشرين بيتاً، كيف لا ومجال الشاعر فيه أفسح منه في غيره⁴، أما البسيط فتبع الكامل بفارق
بسيط وظهر اثنتان وعشرون مرة في مائة وستة وثمانين بيتاً، ومن الجدير بالذكر أن هذه
البحور جاءت في الأغراض كلها التي عرّضت لها ولم يقتصر أيُّ منها على غرض بعينه،
وتبع البحور السابقة كلٌّ من بحر السريع الذي تكرر ثلاث عشرة مرة في خمسين بيتاً شعرياً،

¹ - هو رئيس جليل وعالم باللغة والأدب أيام الحكم المُستنصر، أمره الحكمُ بمقابلة كتاب العين
للخليل مع أبي علي البغدادي. انظر الحميدي، جَذْوَةُ الْمُقْتَبَسِ، 91/1-94، الضبي، بُغْيَةُ
المُلْتَمَسِ، 71.

² - الكتاني، التّشبيهاة، 127.

³ - انظر حازم القرطاجني، منهاج البلغاء، 269.

⁴ - انظر حازم القرطاجني، منهاج البلغاء، 268.

ثم بحر الخفيف الذي تكرر اثنتي عشرة مرة في ثمانية وعشرين بيتاً، ولحقه المتقارب في إحدى عشرة مرة ضمّت سبعة وتسعين بيتاً، وغطى بحر السّريع معظم الأغراض الشعرية بينما اكتفى الخفيف بالغزل والحنين وموضوعات متفرقة، وتبعهما بحر المنسرح الذي تكرر سبع مرات في سبعة وعشرين بيتاً، ولحق به كلّ من بحر الوافر ومخلّع البسيط إلا أن مخلّع البسيط نال بتسعة وثلاثين بيتاً بينما اكتفى بحر الوافر باثني عشر بيتاً، وجاء بعدهما كلّ من بحر الرجز الذي نظم فيه أربع أراجيز والرّمّل الذي تكرر أربع مرات في سبعة عشر بيتاً، أما مجزوء الرّمّل فجاء مرتين في ثمانية أبيات، وتكرر كل من بحر المجتث والمديد ومجزوء الرجز ومجزوء البسيط ومجزوء الكامل مرة واحدة.

أما القافية وهي جزء مهم من الموسيقى الشعرية فما هي إلا عدة أصوات تتكرر في أواخر الأَشطر أو الأبيات من القصيدة¹، ونظم الشعراء شعرهم في الجوّاري على خمسة وعشرين حرفاً من حروف المعجم فاستثنوا منها الذال والزاوي والظاء، ورتبت هذه الحروف حسب كثرتها: كان أولها الراء التي تكررت في تسعة وعشرين قصيدة ومقطوعة ومنتفة وبيت مفرد، ثم الباء التي جاءت في تسع عشرة قصيدة ومقطوعة ومنتفة وبيت مفرد، ثم الدال والنون التي جاءت في ثلاث عشرة قصيدة ومقطوعة ومنتفة وبيت مفرد، وتبعتهما اللام التي تكررت في عشر قصائد ومقطوعات ومنتف، وتلتها الميم والكاف اللتان تكررتا في ثمان قصائد ومقطوعات ومنتف، ولحقتهما القاف التي أتت في سبع مقطوعات وأبيات مفردة، ثم وجه الشعراء اهتمامهم نحو الياء التي استعملوها كحرف روي في ست قصائد ومقطوعات، ثم استعملوا العين في خمس مقطوعات ومنتف، وتبعتهما كل من السين والفاء والضاد التي تكرر كل حرف منها في خمس مقطوعات، وجاء في المرتبة قبل الأخيرة حرف الهزرة والواو والخاء والتاء والجيم والهاء، ونظم على كل حرف منها بالترتيب: قصيدة ومقطوعة، و مقطوعتان، ومنتفتان، ومقطوعة ومنتفة، ومقطوعة ومنتفة، أما أقل حروف المعجم استعمالاً فكانت كل من التاء و الشين والطاء والصاد والغين الذي جاء كل منهما في مقطوعة، أما حرف الحاء فجاء في قصيدة واحدة لابن سَعِيد في الجارية صُبْح.

ولاحظت أن حروف الروي الأكثر استعمالاً في شعر الشعراء في الجوّاري متناسبة مع ما هو شائع ومعروف في الشعر العربي²، ومن الجدير بالذكر أن حرف الكاف والقاف والياء

1 - انظر إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، 246.

2 - إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، 248.

على الرغم من أنها من الحروف المتوسطة الشيوع في الشعر العربي عامة إلا أنها وجدت رواجاً في شعر الشعراء في الجوارى وتغلبت على بعض الحروف الشائعة بين الشعراء العرب نحو حرفى العين والسين، وكما ذكرت سابقاً فإن شعراء الأندلس فى شعرهم فى الجوارى توجهوا إلى جميع حروف الروى باستثناء الذال والطاء وهما حرفان من بين الحروف التى يندر مجيئها رويًا¹.

1 - إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، 248.

الفصل الثاني

شعر الجوارى

موضوعاته وخصائصه

أتاحت الأندلس حرية مميزة لكل من عاش بها أو وفد إليها، فنعم الأدب بشعراء نظموا أشعارهم في كل ما هو جميل، وكانت الجواري من مظاهر الجمال في الأندلس، فأثرى وجودهن في المجتمع الأندلسي الشعر العربي إلا أنهن لم يكتفين بهذا الأثر فنظمن أشعارهن في موضوعات عدة، وأظن أن البيئة الأندلسية حفزت مشاركة الجواري في الشعر؛ فقد عاش أبناء المجتمع الأندلسي وسط أجواء الحرية والانفتاح على الأعراق الأخرى وتقاليدها وكل ما هو جديد، وتمتعت الجواري بهذه الحرية وشاركن في نشرها وأغرقت أنفسهن فيها، كما أن بعض عصور الأندلس اكتظت بمجالس الأناجيد والغناء التي أحيتها الجواري بأشعارهن أو بغناء أشعار غيرهن من الشعراء.

ولم تكن مشاركة الجواري في الشعر الأندلسي ظاهرة طارئة ظهرت فجأة وانحصرت في عصر من العصور ومجموعة من الجواري، بل كانت ظاهرة ممتدة عاشت في معظم عصور الأندلس وكان لها عصور ازدهار وانتكاس، إلا أن المصادر المتوفرة بين يدي لم تحو الكثير من أشعار الجواري على الرغم من أن كثيرات منهن وُصفن بأنهن شاعرات، واجتهد الكثير من الباحثين لمعرفة الأسباب وراء قلة الشعر النسوي فجمعت اجتهاداتهم ولخصتها في الأسباب التالية: إهمال المؤرخين الأندلسيين والمؤرخين القدماء لذكر كامل أشعار النساء، وضياح الكثير من المؤلفات والكتب الأندلسية أو إتلافها على يد الإسبان المتعصبين¹، أو أن رواة الشعر والمؤرخين مالوا إلى الشعر الغريب الحوشي وشعر النساء يكاد يكون خالياً من الغريب، أو أنهم فضلوا عدم ذكره لوجود كتب خاصة في أشعار النساء نحو كتاب "قيان الأندلس" لفتحونة بنت جعفر الأندلسية²، وكتاب "ذهبية المساء في حلي النساء" لمؤلف مجهول³، وكتاب "النساء" لابن مسلمة بن قاسم⁴ وغيرها من الكتب المتخصصة⁵.

1 - انظر محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب الأندلسي التطور والتجديد، 125-126.

2 - انظر ابن الأثير، التكملة، 254/4.

3 - انظر ابن سعيد، المغرب، 143/1.

4 - انظر الضبي، بغية الملتمس، 143.

5 - محمد صبحي أسعد أبو حسين، المرأة في الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، ص 130-131، رسالة دكتوراة، جامعة اليرموك، 2001.

وأظن أنه كان لكل من الأسباب السابقة أثر في فقداننا شعر النساء عامة والجواري خاصة في الأندلس، وربما تكشف الأيام عن كتب متخصصة وغنيّة بشعر الجوّاري والنساء فيعوضنا عن الفجوات التي تقابلنا ولا نستطيع سدّها إلا بالتخمين ووضع فرضيات تعوزها الأدلة، وقد بقي من نظم الجوّاري ثمانون بيتاً غنيّاً منها ثلاثين بيتاً.

موضوعات شعر الجوّاري

1- الغزل

تمتعت الجوّاري كغيرهن من أبناء الأندلس بقدر كبير من الحرّيّة، وتجسدت حرّيتهن في مظاهر حياتهن المختلفة؛ ابتداءً من حرية اللباس مروراً بارتياح الأسواق ومشاركة الرجال مجالس الشراب والغناء، وانتهاءً بنظم الشعر وتأليف الكتب.

وكما لقي الرجل الأندلسي الجارية في البيت والأسواق والطرق ومجالس الأُنس وتحدّث إليها، فقد عرفته سيّداً في البيت، وعابر طريق في الأسواق، وضيّفاً في مجالس الشراب، ومُستمعاً لشعرها وغنائها في مجالس الأُنس، وعاشقاً ينظم شعر الحب والغزل فيها، وقد تلتفت هذه الجارية _ التي تلاقي عديداً من الرجال أينما ذهبت _ لأحدهم وتُعجب به وربما تهيم به، ولكن كيف لها أن تُعبّر له عن حبها له كما يتحدث هو عن عواطفه؟ وكيف لها أن تشكو إليه آلام الحب ولواعج الهوى؟

أظن أن بعض الجوّاري العاشقات كتمن حبّهن ولم يعرف به محبوبهن، وأن بعضهن لجأن إلى التلميح والإشارة ليلفتن نظر محبوبهن أو يوقعنه في حبهن، وربما نجحن أو فشلن، إلا أن بعض الجوّاري لم يرضين بالفشل فتجرأن وبُحن بحبهن شعراً وهكذا كنّ من الرائدات في شعر الغزل، إلا أن غزلهن لم يكن غزلاً فاحشاً باستثناء إشارة مُحيرة لِعُتْبَة جارية ولأدّة بنت المستكفي في ابن زيدون، ومن الجدير بالذكر أن جواري آخر كَأُنس القلوب ومُتَعَة وبزيعَة تحدّثن عن عواطفهن ومشاعرهن حيال محبوبهن وما عانينه من آلام الحب، كما أنهن اتخذن من الشعر المُغنى وسط مجالس الأُنس أداة لعرض حبهن.

أمّا جارية السلطان أبي الحجاج يوسف الثالث بن يوسف الثاني¹ فقد نظمت شعراً على لسان ابن فرُّكُون² تتغزل بنفسها، وكان غزلها بنفسها غزلاً تقليدياً انتحلت خلاله الجارية عيني ابن فرُّكُون فرأت قَدَّها ولحظها، واستعارت قلبه فأحست بما أحس به من شوق وترقّب وانتظار.

وعلى الرغم من جرأتها في نظم الشعر وإنشاده على الملأ إلا أنه ظهر في شعر كل من أنس القلوب ومُنْعَة أن بعض أفراد المجتمع الأندلسي لم يتقبلوا تصريح الجارية بحبها لرجل غير مالِكها؛ فالعادة عند العرب أن الرجل هو المُتغزِّل، أما العجم فالمرأة هي الطالبة والراغبة والمخاطبة³، وأحسست أن شعرهن يُظهِرُ أنهن خائفات من أسيادهن، أو أنهن خلعن عذارهن وابتعدن عن الحياء الذي يراه المجتمع العربي ميّزة رئيسة من ميّزات المرأة، كما أن ردّة فعل سادتهن على نظمهن شعراً غزلياً في رجل آخر غيرهم تدلّ على أنهم لم يتقبّلوا تصريح جواريهن لأن فيه إهانة لكبريائهن أو لأنهم يغارون على جواريهن، إلا أن هذين النموذجين ليسا قاعدة في الأندلس؛ فالمؤرخون الذين أوردوا شعر الجواري في الغزل لم يستنكروا شعرهن، وأوردت المصادر الأندلسية المتوفرة بين يدي سبعة وعشرين بيتاً شعرياً نظمتها جواري الأندلس في التغزل بالرجال، وتوزّعت بين بيتين مفردين وثنيتين ومقطوعتين وقصيدة شعرية انحصرت في عصر ملوك الطوائف الذي قالت فيه أربع جوار عشرة أبيات شعرية، وعصر بني الأحمر الذي نظمت فيه جارية عشرة أبيات في التغزل بنفسها، وعصر الإمارة الذي حاز على سبعة أبيات لجاريتين.

¹ - هو يوسف الثالث ابن السلطان أبي الحجاج يوسف وولي عهده، استولى أخوه محمد السابع على العرش فسجنه، وفي السجن تفجّرت موهبته الشعرية، وعندما توفي محمد السابع خرج ليحكم الأندلس ويرعى أدبائها وشعراءها، توفي وهو لم يتجاوز الأربعين بسبب مرض أصابه. انظر ديوان ابن فرُّكُون، (المقدّمة) ص 19-44.

² - هو أبو الحسين بن أحمد بن سليمان بن هشام القرشي، ورث عن أبيه الذكاء الحاد والنبوغ، ونظم الشعر وهو طالب صغير بالسن، توفي حوالي 718هـ. انظر محمد بن شريفة، ديوان ابن فرُّكُون، 9-12، ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 220/1، الكتبية الكامنة، 305، المقرئ، النفع، 141/10.

³ - انظر ابن رشيق، العمدة، 124/2.

ولم تكن أشعار الجوّاري في الغزل بالرجال مطابقة لأشعار الرجال في الجوّاري أو النساء عامة؛ فالجوّاري لم يتغزلن بقدر الرجل أو شعره وعينيّه ولم يهمن بملاحتّه ومشيتّه، وربّما لم ينظمن في هذا القبيل لأنهن لم يجدن من يقنّفين أثره في وصف معايير الوسامة عند الرجل؛ أي أن الرجال الأندلسيين حذوا حذو أجدادهم، فكانت المرأة الجميلة التي اعتادوا التغزل بها رشيفة القد، ممشوقة القوام، عجزاء هيفاء حوراء، أما الجوّاري الأندلسيات فإنهن لم يجدن شعراً يفصلّ معايير وسامة الرجل من منظور نسائي، وربّما حاول بعضهن ابتكار مقاييس خاصة فيما يتعلق بوسامة الرجل وهيئته الخارجية فنجنح وعجزت الأخريات عن وضع معاييرهن، أو أنهن ارتأين أنه لا ضرورة للحديث عن الرجل الكامل مادام معيار الجمال والوسامة متغيراً من إنسان لآخر، أو أن حياءهن منعهن عن الخوض في مواضيع كهذه، وربّما خفن من ردة فعل بيئتهن أو مجتمعهن عامة، لذا اكتفت بعض الجوّاري بالحديث عن لواعج الهوى وآلام الحب الذي يعانين منه، نحو أنس القلوب جارية المنصور بن أبي عامر التي تجرأت وقالت في الوزير أبي المغيرة بن حزم: ¹ [الخفيف]

قدم الليل عند سَيرِ النهارِ	وبدا البدرُ مثل نصف سوارِ
فكانَ النهارَ صَفْحَةً خَدًّا	وكانَ الظَّلامَ خَطًّا عِذارِ
وكانَ الكؤوسَ جامدُ ماءٍ	وكانَ المُدامَ ذائبُ نارِ
يا لَقومِي تعجَّبوا من غزالِ	جائرٍ في مَحَبَّتِي وهُوَ جاري
لِيتَ لو كانَ لي إِلَيهِ سَيلٌ	فَأَقضي من حُبِّهِ أوطاري

ولا تملك أنس القلوب سوى النظر لمحبوبها وتأنيب ضميرها على هذه النظرات، فهي موجهة لرجل غريب ليست في ملكه، إلا أنها ترغب في لقائه وتتمناه، ومن الجدير بالذكر أن أنس القلوب أشارت في عُبالة إلى صفة ماديّة واحدة رأتها متوفرة في محبوبها؛ ألا وهي أنه وسيم كالغزال، وربّما اعتقدت أن صورة الغزال هي الصورة المثالية التي يجب أن يكون عليها الرجل أو أنها قدّمت وصفاً لما هو عليه حال محبوبها من وسامة فقالت: ² [الخفيف]

يا لَقومِي تعجَّبوا من غزالِ	جائرٍ في مَحَبَّتِي وهُوَ جاري
------------------------------	--------------------------------

¹ - المقرّي، النَّهْج، 151/2.

² - المقرّي، النَّهْج، 151/2.

ولاحظت أنه على الرغم من أن أنس القلوب جمعت في مقطوعتها بين عواطف تُصرِّح فيها بآلام الحب والندم وعتاب الناس المُكرِّين حبها والرغبة في لقاء المحبوب لقضاء الوطر، وقد رأى محمد صبحي أسعد أبو حسين أن بيتها الأخير " يمثِّل أوج الجرأة في إعلان الرغبة بقضاء شهوتها بمعشوقها، وهذا أمر مُستكره من النساء"¹ وقد يكون هذا الرأي صحيحاً إلا أنني لم أجد في هذا البيت ما يقطع في هذه الرغبة؛ فقضاء الوطر في الحب لا يكون بقضاء الرغبات الجسدية، فالوَطْرُ هو " كلُّ حاجة كان لصاحبها فيها همّة فهي وَطْرُهُ"²، وقد تكون هذه الحاجة حاجة إلى اللقاء أو تبادل أطراف الحديث أو التعبير عن مشاعر الحب أو حتى بتبادل النظرات.

وبعد أن سمع المنصور بن أبي عامر شعرها استلَّ سيفه وثارَت ثائرتُه بعد سماعه شعرها، وسألها عن المقصود بشعرها، إلا أنها استطاعت وسط هذا الجو المتوتر المشحون أن تنظم أبياتاً شعرية تستعطف فيها المنصور وتطلب منه السماح فقالت: ³ [المجتث]

أذنبتُ ذنباً عظيماً	فكيفَ منهُ اعتذاري
والله قَدَّرَ هذا	ولم يكُنْ باختياري
والعفو أحسنُ شيء	يكونُ عند اقتدارِ

وربما لم تكن غضبة المنصور لاستنكاره نظم الجارية شعراً غزلياً، وإنما لأن جاريته نظمته في رجل آخر وغنته أمام الملأ وكأنها لا تأبه بهيبة المنصور أو قوته، ولكنه ظنَّ فحسب ولا يعتمد على أي دليل مادي، كما أن المؤرخين الذين أوردوا الخبر لم يدوّنوا أي تعليق عليه؛ فكلُّ من الحميدي وابن خاقان والضبي والمقري لم يستنكروا شعر أنس القلوب كما أنهم لم يُشيدوا به.

¹ - المرأة في الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، ص 142، رسالة دكتوراة، جامعة اليرموك، 2001.

² - ابن منظور، لسان العرب، مادة (وطر) 285/5.

³ - المقري، النفع، 151/2.

ولم يقتصر غزل الجواري على التعبير عن آلام الحب؛ فمحمد صبحي أسعد أبو حسين يرى أن عُتْبَةَ بلغت مرادها من محبوبها ولم تتورع بأن تبوح بحلاوة الوصل واللقاء مع حبيبها¹ فقالت: ² [الطَّوِيل]

أَحَبَّتْنَا إِنْ بَلَغَتْ مُؤْمَلِي وَسَاعَدَنِي دَهْرِي وَوَاصَلَنِي حَبِّي
وَجَاءَ يُهَنِّئُنِي الْبَشِيرُ بِقُرْبِهِ فَأَعْطَيْتُهُ نَفْسِي وَزِدْتُ لَهُ قَلْبِي

ولا أملك أي دليل قاطع إن كان شعر عُتْبَةَ شعراً جريئاً كما يرى محمد صبحي أسعد أبو حسين كما أنني لا أراه شعراً ماجناً، ولكن يبدو أنه لم يكن شعراً ماجناً أو مكشوفاً حسب معايير أهل الأندلس؛ فكل من ابن الأبار والمقري اللذين أوردا الخبر لم يُعَلِّقا على شعرها بالفحش، كما أنهما لم يستتكرا كيف أن جارية أو امرأة تنظم شعراً غزلياً فاحشاً، وربما نظمت الجواري والنساء الكثير من الشعر الغزلي حتى إن المؤرخين لم يعدوه ظاهرة غريبة في مجتمعهم فأوردوه دون تعليق.

ولاحظت أن كلاً من أنس القلوب وعُتْبَةَ ضمّتا رسالة غير مباشرة لأحد السامعين في المجلس، ويبدو أنهن وجدن الشعر أكثر أمناً من الكلام المحكي المباشر الذي قد يوقعهن في مصاعب مع سادتهن، أو أنهن لجأن إلى الشعر لما فيه من جمال لا يتوفر في الكلام المحكي، وربما منعهن حيأوهن من التصريح بعواطفهن فلجأن إلى التلميح.

أما مُتْعَةُ _ جارية زرياب المشرقية _ فعندما أحست بإعجاب الأمير عبد الرحمن الأوسط تجرأت وصارحته بحبها وإعجابها به فقالت: ³ [المجتث]

يَا مَنْ يُغَطِّي هَوَاهُ مَن ذَا يُغَطِّي النَّهَارَا
قَدْ كُنْتُ أَمَّاكَ قَابِي حَتَّى عَاقَبْتُ فَطَارَا
يَا وَيَلْتَا أَتُرَاهُ لِي كَانَ أَوْ مُسْتَعَارَا

¹ - انظر المرأة في الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، 142-143، رسالة دكتوراة، جامعة اليرموك، 2001.

² - ابن بسام، الذخيرة، ق 1 م 431/1.

³ - ابن الأبار، التكملة، 243/4، المقري، النفع، 115/4.

يَا بِيَّ قُرَشِيٍّ خَلَعْتُ فِيهِ الْعِذَارَا

ولما أحسن زرياب بهذا الإعجاب المتبادل بين الأمير وجاريتيه مُتَعَّةً أهداها إليه¹، وأظن أن قصة مُتَعَّة مع الأمير عبد الرَّحمن الأوسط ما هي إلا دلالة على أن المجتمع الأندلسي أتاح الظروف وهياً الأجواء المناسبة لظهور شعر تتغزل فيه الجارية بالرجال، فمُتَعَّة جارية مشرقية عاشت أيام صباها في بغداد وربّما لم تسمع بامرأة مشرقية تتغزل في رجل، وإن تخيلنا أن مُتَعَّة ظلت في المشرق فلا أظن أنها كانت ستجروء على نظم شعر مشابه لما نظّمته في الأندلس، إلا أنها بعد رحيلها إلى الأندلس وجدت أن المجتمع الأندلسي بكل ما فيه من حريات يسمح لها ولغيرها أن ينظمن شعراً غزلياً، وعندما تحركت عاطفتها وأعجبت بالأمير عبد الرَّحمن نظمت شعرها فيه وغنّته على الملأ وعلى مسمع سيدها زرياب، إلا أنها لم تنس أنها قدّمت من مجتمع مشرقى يحتكم إلى الإسلام والعادات العربيّة وأنها نزلت في مجتمع إسلامي عربي، وأن كليهما يوجبان الحياء على المرأة عموماً، فاعترفت أنها خلعت عذارها في حب هذا الأمير القرشيّ، وربّما قصدت أن الحياء وغيره من صفات تهون في سبيل الأمير القرشيّ ذي القوة والبأس والنسب الأصيل، وقد تكون هيبة الأمير وقوته هي الدافع وراء إهداء زرياب جاريتيه له.

إلا أن عواقب تغزل الجوّاري بالرجال لم تكن حميدة دوماً، فلم يُقدّم كلُّ المالكيين جواريهم لمن أحببهم وتغزلن بهم؛ ذلك أن عثمان بن الأمير محمد ضرب جاريتيه بزريعة المعروفة بالإمام بعد أن غنّت أبياتاً غزلية بعد حضور أخيه إبراهيم لزيارته، فقد طلب إبراهيم ما يؤنسه وعندها سأل عثمان جاريتيه بزريعة أن تُقدّم أحسن ما عندها فانطلقت تقول :²

[الطويل]

وَيَزِدَادُ عِنْدِي مَن أَحَبُّكُمْ قُرْبَا وَيَفْرَحُ قَلْبِي أَنْ أَرَى الزَّوْرَ مِنْكُمْ

¹ - انظر ابن الأثير، التَّحْمِيلَة، 242/4-243، المقرّي، النَّفْع، 116/4.

² - ابن القوطية، تاريخ امتتاج الأندلس، 126.

وبعد انصراف الضيوف أخذ عثمان السوط وقال لها: أتغنين " ويفرح قلبي أن أرى
الزور منكم، لست والله أشك أنك تعشقتي" ، وبعد زمن أعاد إبراهيم الزيارة، فطلب عثمان من
بزيعة أن تقدم أحسن ما عندها فقالت: ¹ [البسيط]

لَمَّا رَأَيْتُ وَجُوهَ الطَّيْرِ قُلْتُ لَهَا لَا مَرَحِباً بِغُرَابِ الْبَيْنِ وَالصَّدِّ

وعندما سمعها إبراهيم استنكر قولها، فعزم عثمان أن يضربها خمسمائة سوط، إلا أن
أحد الجالسين قام إلى إبراهيم وأخبره ما نالته المسكينة جزاء شعرها السابق، فغضب إبراهيم
وقال: "وها هنا بلغت بك الغيرة يا أخي علي، لله عهد لا دخلت لك داراً بعدها".²

ومقولة إبراهيم ما هي إلا دليل على أن السبب وراء عقاب الجارية لم يكن الشعر
الغزلي بحد ذاته وإنما هي الغيرة، ذلك أن الأمير عثمان غضب لأن جاريته أعجبت برجل آخر
غيره وهو موجود، كما أنها تغزلت به أمامه، وسواء كانت الغيرة أم لا، فإني أرى أن حديث
إبراهيم لا يدل على استنكار لشعر بزيعة أو أنها قامت بما هو غير مقبول أو مكروه، وكان
شعرها أمر مألوف ولكنه وجّه إلى رجل غير سيدها.

ومن الجدير بالذكر أنه عندما أرسل السلطان أبو الحجاج يوسف الثالث بن يوسف
الثاني جارية لابن فرعون كتب شعراً إليه وطلب من جاريته جواباً على شعره فنظمت شعرها
وكانه على لسان ابن فرعون، وبعد أن مدحت سيدها وأشادت بكرمه وجوده، انتقلت إلى التغزل
بنفسها وكان غزلها بنفسها غزلاً تقليدياً عن القدّ وسحر اللحظ وإشراق الوجه، وما يهمني هنا
أنها ظهرت لي وكأنها تستعير عيني ابن فرعون لترى بهما نفسها فرأت نفسها كما قالت: ³
[الكامل]

مِيَادَةُ الْأَعْطَافِ سَاحِرٌ لَحْظِهَا يَرْمِي بِسَهْمٍ لِلْقُلُوبِ مَفُوقِ
لِمَ لَا يَفُوقُ الشَّهْبَ نَيْرٌ وَجْهَهَا وَسَنَاهُ عَنِ بَدْرِ الْكَمَالِ الْمَشْرِقِ

¹ - ابن القوطية، تاريخ امتتاج الأندلس، 126.

² - ابن القوطية، تاريخ امتتاج الأندلس، 126 - 127.

³ - ابن فرعون، الديوان، 240.

لَمْ لَا يَرُوقُ الْآنَ رَوْضُ مَحَاسِنٍ مِنْهَا بِجُودِ نَدَى يَمِينِكَ قَدْ سُقِي

كما أنها استعارت قلب ابن فرُّكُون؛ فتحدثت عما اعتراه من شوق عندما عرف بقدمها، وكأنها تقمصت شخصيته فرسمت صورة عن شوقه لها وانتظاره وصولها بفؤاد مولع وعين لا تبارح الطريق، وقلب خافق يكاد يخرج من الضلوع فقالت: ¹ [الكامل]

<p>وَأَتَى يُبَشِّرُنِي بِرَائِقَةِ الْحُلَى جَاءَتْ بِهَا الْبُشْرَى فَأَيُّ صَبَابَةٍ قَدْ كِدْتُ أَذْهَبُ لَوْعَةً لَوْ لَمْ تَجِدْ أَنَا فِي الْعَشِيَّةِ بَيْنَ قَلْبِ مُوَلِّعٍ وَالْعَبْدِ يُمَسِّي بَيْنَ فِعْلِ مُرْسَلٍ فَاعْجَبْ لَهُ يَرْتَاخُ تَحْتَ ضُلُوعِهِ فَتَخَالَهُ مِثْلَ الْجَوَادِ لَدَى الْوَعَى</p>	<p>فَطَفَّقْتُ بَيْنَ تَشَوُّفٍ² وَتَشَوُّقٍ تَخْفَى وَأَيُّ جَوَانِحٍ لَمْ تَخْفِقِ بِالْوَعْدِ أَنَا عَنِ قَرِيبٍ نَلْتَقِي فِيهَا وَجَفْنٍ لِلطَّرِيقِ مُحَدَّقٍ فِيهَا وَقَلْبٍ بِالصَّبَابَةِ مُوثِقِ أَوْ فَوْقَهَا بِمُقَيَّدٍ وَبِمُطْلَقِ حِينًا وَحِينًا يَرْتَمِي أَوْ يَرْتَقِي</p>
--	--

وشعر هذه الجارية ما هو إلا دليل على أن جوارى الأندلس نظمن في الموضوعات الشعرية التي كانت حكرًا على الرجال من قبل، فهنّ لم يكتفين بالتغزل بالرجال، والحديث عن عواطفهن ومشاعرهنّ نحو الرجال، بل إنهنّ تمكّن من رؤية أنفسهن بعيون الرجال؛ وهذا يدل على معرفتهنّ بطبيعة الرجل ودرائتهنّ بالشعر العربي، ذلك أني لما قرأت شعر هذه الجارية أحسست أني أقرأ شعر عمر بن أبي ربيعة، فقد تقمصت شخصية ابن فرُّكُون ورأت بعينيه وعاشت ما اعترى صدره فنطقت بلسانه، مثلما عاش عمر بن أبي ربيعة شخصيات نسائية في المشرق، وكما تحدث ابن مسعود في أرجوزته على لسان جاريته في الأندلس.

1 - ابن فرُّكُون، الديوان، 240.

2 - تشوُّف: تشوّفت المرأة تزينت ويقال شيفت الجارية تشافُ شوفاً إذا تزينت. ابن منظور، لسان العرب، مادة (شوف) 185/9.

2- المدح

لم ينحصر شعر الجواري في الأندلس على الغزل؛ فهنّ لم يتغزلن بمحاسن الحبيب الماديّة ويصفن عواطفهنّ وحبهنّ له طوال الوقت، بل ذهب بعضهنّ للحديث عن خصال السيّد النبيلة من كرم وجود وشجاعة وعلوّ شأن في أبيات مدح جميلة، ووجدت ثلاث جوارٍ نظمن في المدح وهنّ قَمَر التي مدحت سيدها إبراهيم بن حجّاج اللخمي، وجارية السلطان يوسف الثالث الذي مدحته وشكرته في قصيدة شعريّة، وهند جارية ابن مسلمة الشاطبي التي مدحت الوزير أبا عامر بن يَنق، ومن الجدير بالذكر أن مجموع شعر المديح الذي حصلت عليه لم يتجاوز عشرة أبيات، وكان نصيب كلّ من قَمَر وهند منه بيتين فقط، أما جارية ملك غرناطة فمدحت سيدها بستة أبيات، ونعتت قَمَر وجارية السلطان يوسف الثالث بمدوحها بالكرم والجود، أما هند فأشادت بمكانة أبي عامر وعلوّ شأنه.

ومدحت قَمَر كرم سيدها إبراهيم بن الحجّاج، كيف لا وهو الكريم حليف الجود، وبيته منزل نعمة لا مثيل له، تقول: ¹ [الكامل]

ما في المغارب من كريم يرتجى
إلا حليف الجود إبراهيم
إني حلّلت لديه منزل نعمة
كل المنازل ما عداه نميم

وربّما يتبادر إلى الذهن أنها نظمت هذه الأبيات لأنها جارية مشرقية متأثرة بالأغراض التقليدية في الشرق، إلا أنني أرجح أنها مدحت سيدها لمعاملته الحسنة لها ولما لاقته من حظوة واهتمام منه؛ فهي لم تتلق المعاملة نفسها من غيره من الأندلسيين، ولاحظت أن شعرها يمدح مولاها بينما يذم غيره؛ فهي لا ترى كريماً يرتجى في المغرب سواه أي أن غيره إما بخيل أو كريم لا يرتجى خيره، ومنزله منزل نعمة أما غيره من المنازل فهو نميم قبيح.

¹ - ابن الأبار، التكملة، 246/4، المقرئ، النفع، 124/4.

ويبدو أن الكرم هو الصفة الأساسية التي رأت جوارى الأندلس أنها تستحق المدح ونظم الشعر في الممدوح، فجارية السلطان أبي الحجاج يوسف الثالث بن يوسف الثاني أشادت بكرمه ومدحته عندما أهداها لابن فرعون فقالت: ¹ [الكامل]

مَوْلى الْمُلُوكِ بِمَغْرِبٍ وَبِمَشْرِقٍ
أَهْدَى إِلَى الْمَمْلُوكِ مِنْ مَنْظُومِهِ
وَإَفَى لِيُعْلِمَنِي بِأَفْضَلِ مَنَحَةٍ
عَنْ شُكْرِ مَا أَوْلَاهُ أَعْجَزَ مَنْطِقِي
دُرّاً وَلَكِنْ مِثْلُهُ لَمْ يَنْسَقِ
جَادَتْ بِهَا كَفُّ الْكَرِيمِ الْمُشْفِقِ

كما أن ممدوحها همام ناصر جواد، يتشرف كل من اختاره وانتقاه، وكانت الجارية من بين المحفوظات اللواتي نلن هذا الشرف فقالت: ² [الكامل]

لَا شَيْءَ أَشْرَفُ فِي الْوُجُودِ مِنَ الْتِي
وَفَقَّتْ لِلشُّكْرِ الْجَمِيلِ وَقَدْ أَتَتْ
لَا زَالَ مَوْلَانَا يَجُودُ لِعَبْدِهِ
يَتَخَيَّرُ الْمَوْلى الْهُمَامُ وَيَنْتَقِي
مِنْ عِنْدِ مَوْلى نَاصِرٍ لِمَوْفَقِ
مِنْ قَصْدِهِ الْأَرْضَى بِمَا هُوَ مُنْتَقِ

أما هند جارية ابن مسلمة الشاطبي فمدحت الوزير أبا عامر بن يئق على ظهر الرسالة التي أرسلها إليها، فقد دعاها إلى مجلس أنس، وأجابت دعوته بأن مدحته وأثنت على مكانته وعلو شأنه بين السادة وعلية القوم، وما إسراعها بالذهاب إليه إلا دليل على ارتفاع مكانته ومدح له فقد قالت: ³ [الكامل]

يَا سَيِّدًا حَازَ الْعُلَا عَنْ سَادَةٍ
حَسْبِي مِنَ الْإِسْرَاعِ نَحْوِكَ أَنْنِي
شُمُّ الْأَنْوْفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ
كُنْتُ الْجَوَابَ مَعَ الرَّسُولِ الْمُقْبَلِ

¹ - ابن فرعون، الديوان، 240.

² - ابن فرعون، الديوان، 240-241.

³ - ابن الأبار، تحفة القاصم، 239، التَّحْمِلَةُ، 259/4، المقرئ، النَّفْعُ، 67/6.

3- الحنين إلى المشرق

انصهرت الجواري بألوانهنّ وأجناسهنّ وثقافاتهنّ في المجتمع الأندلسي، إلا أن بعض الجواري المشرقيّات لم يستطعن نسيان موطنهنّ الأول الذي عشنّ فيه، ولم تنسِ الأندلس وأهلها الجواري المشرقيّات بلادهنّ، ولم تحل قُرطبة أو إشبيلية أو غرناطة محلّ بغداد، فالوطن يحملُ ميّزات لا يحملها أي بلد آخر.

ولم تنس قمر المشرقيّة بغداد والعراق، وظلّت ذكراها حُرقة دائمة، فلا شيء كبغداد وفراتها، ولا نعيم ولا محاسن كنعيمها ومحاسنها، لذا قالت قمر في الحنين إلى المشرق:¹
[الكامل]

أها على بغدادها وعراقها	وظبائها والسحر في أحداقها
ومجالها عند الفرات بأوجبه	تبدو أهلتها على أطواقها
متبخرات في النعيم كأنما	خلق الهوى العذري من أخلاقها
نفس الفداء لها فأي محاسن	في الدهر تشرق من سنا إشراقها

أما الجواري الأخر فلم يُصرحنَ بشوقهن، فظهرت نبرة الشوق والحزن والإحساس بالضياح في شعرهن، وانعكست حيرتهن على كل ما رأينه؛ فرأت جارية مشرقية لأحد وزراء المنصور بن أبي عامر النجوم حائرة ضائعة وربّما كانت في فلك ليس فلكها فقالت:² [البسيط]

ما بال أنجم هذا الليل حائرة	أضلت القصد أم ليست على فلك
عادت سواريه وقفاً لا حراك لها	كأنها جئت صرعى بمعتراك

¹ - ابن الأثير، التكملة، 246/4، المقرئ، النفع، 124/4.

² - إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، مصر سياحة قرطبة، 59، نقلاً عن التجيبي، شرح المختار من شعر بشار، 15-16.

خصائص شعر الجوّاري

ظهر في شعر الجوّاري خصائص فنيّة عدّة، وكان أهم هذه الخصائص سيطرة الأبيات المفردة والنّثف والمقطوعات الشعريّة على شعرهنّ، واعتمدت بعض الشاعرات على الشعر القصصي، وظهر جلياً استعانتهم بالمحسنات البديعية ومحاولات بعضهنّ أن يبتكرن الصور والأخيلة رغم اعتمادهنّ على الصور القديمة، كما كان واضحاً مدى اهتمامهنّ بموسيقا الشعر الذي نظمته .

1- سيطرة الأبيات المفردة والنّثف والمقطوعات

لجأت الجوّاري إلى الأبيات المفردة والنّثف والمقطوعات وقلّلت من نظم القصائد؛ فنظمت ثمان عشرة جارية ثمانين بيتاً جاءت في خمسة أبيات مفردة وإحدى عشرة نثفة وأربع مقطوعات وثلاث قصائد، ومن الجدير بالذكر أن خمساً منهنّ عشن إبان عصر الإمارة وعاشت واحدة منهنّ إبان الخلافة، وشهدت عشر جوار أيام الطوائف، وعاصرت جارية واحدة كلاً من عصري الموحدين وبنو الأحمر.

وقد يظهر أن الجوّاري عانين من قصر النفس وعجزن عن التطويل، إلا أنني أظن أن طبيعة الأندلس وطبيعة المجالس التي نظمت فيها الجوّاري شعرهنّ اجتمعت لتدفع بهنّ أن ينظمن أبياتاً مفردة ونثفاً ومقطّعات، فالجوّاري كغيرهنّ من أهل الأندلس لا يعشن في الصحراء ويرتلن فيها، كما أنهنّ لا يضطررن إلى التنقل ويتركن أطلالهن وراءهن، ولا يعمدن إلى الصيد ليعتشن منه، إذن فهنّ لسن بحاجة إلى نظم القصائد التقليدية الطويلة التي تعبّر عن حياة أخرى بعيدة عن حياتهنّ، بل إنهن بحاجة إلى أشكال شعريّة جديدة قصيرة كي تعبّر عن حياتهنّ المنعمّة ونفوسهنّ المرهفة الراغبة في كل ما هو جميل وظريف.

كما أن الجوّاري أدوات تسلية أولاً وأخيراً، وهدفهنّ الأول هو إمتاع سادتهنّ وإبعاد الملل والسأم عن نفوسهم، وربّما قللن من القصائد كي لا يثرن السأم في المستمعين إليهنّ، خصوصاً أن بعضهن نظمن الشعر كي يغنيهن؛ أي أنه توجّب عليهنّ مراعاة متطلبات الغناء

وظفوس مجالس الغناء والأنس البعيدة عن الملل فنظمن الأبيات المفردة والنتف والمقطوعات لغنائها وقد بلغت واحداً وأربعين بيتاً شعرياً.

ولاحظت أن معظم الأبيات المفردة التي نظمتها الجواري جاءت عند إجازتهن، كما أن معظم النتف نُظمت من أجل الغناء، أي أن طبيعة الموقف دفعت الجواري إلى الارتجال فساعدتهن سرعة بديهتهن وفطنتهن وأدبهن على ارتجال الشعر، ويبدو أنهن لم يرين ضرورة الاستمرار بنظم أبيات أكثر؛ فالإجازة لا تكون بنظم القصائد، كما أن الغناء لا يستدعي قصائد طويلة، ونظم الجواري للأبيات المفردة والنتف والمقطوعات إشارة إلى أنهن فهمن طبيعة مجالس الأنس وعرفن كيف يُبعدن الملل عن نفوس المستمعين إليهن، وربما رغبن أن يتّسم شعرهنّ بالبلاغة؛ فالبلاغة قليل يفهم وكثير لا يُسام¹.

2- الشعر القصصي

ظهر الشعر القصصي عند بعض الجواري، وربما ساعدتهن طبيعتهم كنساء على نظم هذا الشعر، ويرى عبد الله عفيفي أن الشعر النسوي القصصي انتشر في عصر ملوك الطوائف تحديداً²، وكانت بُثينة بنت المُعتمد من رائدات القصة الشعرية³؛ فقد نظمت شعراً قصصياً تحدّثت فيه عن حالها وعن سقوط مملكة بني عباد، وسردت قصتها في قصيدة من أحد عشر بيتاً وأرسلتها لوالدها في أغمات وبدأت قصيدتها بإخبار ذويها أنها وقعت في السبي بعد سقوط ملك بني عباد الذين ولّى عصرهم وانتهت أيام حكمهم فقالت: ⁴ [الكامل]

اسْمَعْ كَلَامِي وَاسْتَمِعْ لِمَقَالَتِي
لَا تُتَكَبَّرُوا أَنِّي سُبَيْتٌ وَأَنْنِي
مُلْكٌ عَظِيمٌ قَدْ تَوَلَّى عَصْرُهُ
فَهِيَ السُّلُوكُ بَدَتْ مِنْ الْأَجْيَادِ
بَنَاتٌ لِمُلْكٍ مِنْ بَنِي عَبَّادِ
وَكَذَا الزَّمَانُ يَوُولُ لِلْإِفْسَادِ

1 - انظر ابن رشيقي، العمدة، 242/1.

2 - المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها، 134/3.

3 - محمد جميل بيهم، المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة، 247.

4- المقرئ، النفع، 59/6.

لَمَّا أَرَادَ اللهُ فُرْقَانَةَ شَمَلْنَا وَأَذَاقْنَا طَعْمَ الْأَسَى مِنْ زَادِ
قَامَ النَّفَاقُ عَلَى أَبِي فِي مَلِكِهِ فَدَنَا الْفِرَاقُ وَلَمْ يَكُنْ بِمُرَادِ

ثم سردت تفاصيل سبيها؛ فبعد خروجها من قصر أبيها هاربة من النهب والسرقة وقعت في السبي، وبيعت لأحد تجار إشبيلية الذي اشتراها ووهبها لابنه على أنها جارية، وعندما أراد ابنه الدخول عليها امتنعت وأخبرته بأصلها وقالت له: "لا أحلُّ لك إلا بعقد النكاح إن رضي أبي بذلك"¹، واقترحت عليه أن ترسل كتاباً لأبيها وتنتظر رده، وفي هذا قالت: ² [الكامل]

فَخَرَجْتُ هَارِبَةً فَحَازَنِي امْرُؤٌ لَمْ يَأْتِ فِي إِعْجَالِهِ بِسَدَادِ
إِذْ بَاعَنِي بَيْعَ الْعَبِيدِ فَضَمَّتِي مَنْ صَانَتْنِي إِلَّا مِنَ الْأَنْكَادِ
وَأَرَادَنِي لِنِكَاحِ نَجْلِ طَاهِرٍ حَسَنِ الْخَلَائِقِ مِنْ بَنِي الْأَنْجَادِ
وَمَضَى إِلَيْكَ يَسُومُ رَأْيِكَ فِي الرِّضَا وَالْأَنْتَ تَنْظُرُ فِي طَرِيقِ رَشَادِي

وعلى الرغم من أن بُثينة أضحت جارية سُبَّيت وبيعت إلا أنها رفضت الرضوخ لحال السبايا وتعاملت بأخلاق الحرائر، فأصرت على إعلام أهلها وانتظار موافقة أبيها ودعاء أمها، وهكذا أعلت شأن أهلها ورفعت قدرهم وهي خاسية لا تتألم إلا حرّة أصيلة فقالت: ³ [الكامل]

فَعَسَاكَ يَا أَبْتِي تُعَرِّفْنِي بِهِ إِنْ كَانَ مِمَّنْ يُرْتَجَى لَوْدَادِ
وَعَسَى رُمَيْكِيَّةُ الْمُلُوكِ بِفَضْلِهَا تَدْعُو لَنَا بِالْيُمْنِ وَالْإِسْعَادِ

كما أنها فخرت _ في قصيدتها _ بنسبها وبملك أهلها رغم سقوط حكمهم، ولم تنس أن تُثني على زوجها المستقبلي فأشادت بدينه وأخلاقه ونسبه، وكأنها تُشير على أبيها بالموافقة،

1 - المقرئ، النفع، 59/6.

2 - المقرئ، النفع، 59/6.

3 - المقرئ، النفع، 59/6.

ويبدو أنها كانت ذات حكمة وحسن تصرف، فقد أخذ أبوها برأيها ووافق على الزواج بأن كتب إليها قائلاً: ¹ [السريـع]

بُنَيْتِي كُونِي بِـهِ بَرَّةً فـَقَدْ قَضَى الدَّهْرُ بِإِسْعَافِهِ

3- المحسنات البديعية

لم تُعَنَ الجوّاري بالمحسنات البديعية اعتناءً كبيراً، حتى إن المحسنات شبه معدومة في شعرهن، وقد يُعزى السبب إلى أن نظمهن الشعر كان على الفطرة وعفو الخاطر، وكانت معظم أشعارهن ارتجالاً ولم يسمح لهنّ الوقت بالتميق أو التكلّف، وربّما لم يُعِرَنَّ المحسنات انتباههنّ ولم يرين حاجة لها؛ فجمالهنّ وسلاسة أشعارهنّ تُعوّض أيّ تميق أو تزيين لأشعارهنّ إلا ما جاء عفو الخاطر، ومن المحسنات التي وجدتها في شعرهنّ:

أ- الطباق

اهتمت الجوّاري في شعرهنّ بالأندلس بالطباق أكثر من اهتمامهنّ بالجناس، وقد يعود هذا لاهتمامهنّ بالمعنى أكثر من الشكل، ومن الجدير بالذكر أن المعاني المتقابلة في أشعارهنّ لم تكن غزيرة كثيرة بل محدودة ومنها قول أنس القلوب: ² [الخفيف]

وكانَ الكؤوس جامدُ ماءٍ وكانَ المُدام ذائبُ نارٍ

وقولها: ³ [الخفيف]

قدم الليلُ عند سَيرِ النهارِ وبدا البدرُ مثل نصف سوارِ

¹ - المقرئ، النفع، 60/6.

² - المقرئ، النفع، 151/2.

³ - المقرئ، النفع، 151/2.

ونحو قول جارية ملك غرناطة: ¹ [الكامل]

مَوْلَى الْمُلُوكِ بِمَغْرِبٍ وَبِمَشْرِقٍ عَن شُكْرِ مَا أَوْلَاهُ أَعْجَزَ مَنْطِقِي

كما أن الجواري جمعن في أشعارهن بين أفعال متقابلة وأكثرن منها _ مقارنة بالألفاظ المتقابلة_ كقول مَرْجَان: ² [مجزوء الرجز]

يَا لَيْلَةً لَوْ أَنَّهَُا تُبَاعُ لِي أَوْ تُشْتَرَى

ب- الجناس

كان الجناس التام معدوماً في شعرهن، إلا أنه ظهر عند بعضهن جناس غير تام تغير فيه حرف واحد كقول جارية ملك غرناطة: ³ [الكامل]

وَأَتَى يُبَشِّرُنِي بِرَائِقَةِ الْحَلَى فَطَفَّقَتْ بَيْنَ تَشَوِّفٍ وَتَشَوِّقِ

كما ظهر في شعرهن جناس غير تام تغير فيه موضع الحرف مع استبدال حرف آخر في الكلمة كقول أنس القلوب: ⁴ [الخفيف]

يَا لَقَوْمِي تَعَجَّبُوا مِنْ غَزَالِ جَائِرٍ فِي مَحَبَّتِي وَهُوَ جَارِي

ونحو قول بُثَيْنَةَ بِنْتِ الْمُعْتَمِدِ: ⁵ [الكامل]

قَامَ النَّفَاقُ عَلَى أَبِي فِي مَلِكِهِ فَدَنَا الْفِرَاقُ وَلَمْ يَكُنْ بِمُرَادِ

1 - ابن فركون، الديوان، 240.

2 - ابن الأبار، التَّحْمِلَةُ، 247/4-248.

3 - ابن فركون، الديوان، 240.

4 - المقرئ، النَّفْع، 151/2.

5 - المقرئ، النَّفْع، 59/6.

وبدا في شعر الجواري مدى اهتمامهنّ بالجناس الحرفي الذي تكررّ فيه الشاعرة حرفاً واحداً بشكل ملفت للانتباه، وكان للنون الحصة الكبرى بين الحروف المكررة، فالياء والميم، ثم الهاء، كتكرار بثينة بنت المعتد النون في قولها: ¹ [الكامل]

لا تُتَكِرُوا أَنِّي سُبَيْتٌ وَأَنَّي بِنْتُ لِمَلِكٍ مِنْ بَنِي عَبَّادٍ

أما تكرار حرف الياء فقد ظهر في قول عتبة: ² [الطويل]

وَجَاءَ يُهَنِّئُنِي الْبَشِيرُ بِقُرْبِهِ فَأَعْطَيْتُهُ نَفْسِي وَزِدْتُ لَهُ قَلْبِي

وفي قول جارية ملك غرناطة: ³ [الكامل]

لَا شَيْءَ أَشْرَفَ فِي الْوُجُودِ مِنَ التِّي يَتَخَيَّرُ الْمَوْلَى الْهَمَامُ وَيَنْتَقِي

وكررت جارية ملك غرناطة الميم في قولها: ⁴ [الكامل]

مَوْلَى الْمُلُوكِ بِمَغْرِبٍ وَبِمَشْرِقٍ عَنْ شُكْرِ مَا أَوْلَاهُ أَعْجَزَ مَنْطِقِي

كما كررته قمر المشرقية في قولها: ⁵ [الكامل]

إِنِّي حَلَلْتُ لَدَيْهِ مَنْزِلَ نِعْمَةٍ كُلُّ الْمَنَازِلِ مَا عَدَاهُ نَمِيمٌ

وكررت الهاء في قولها: ⁶ [الكامل]

أَهَا عَلَى بَغْدَادِهَا وَعِرَاقِهَا وَظَبَائِهَا وَالسَّحْرِ فِي أَحْدَاقِهَا

¹ - المقرئ، النفع، 59/6.

² - ابن بسّام، الذخيرة، ق 1 م 431/1.

³ - ابن فرّكون، الديوان، 241.

⁴ - ابن فرّكون، الديوان، 240.

⁵ - ابن الأبار، التكملة، 246/4، المقرئ، النفع، 124/4.

⁶ - ابن الأبار، التكملة، 246/4، المقرئ، النفع، 124/4.

4- الأخيـلة والصُّور

كانت العاطفة عند الجوّاري هي إحدى المحركات الأساسية لنظم الشعر بحكم كونهن نساءً، ومن المعروف أن العاطفة والخيال هما المكونان الأساسيان لتكوين الصورة الفنّية، ولم تُغفل الجوّاري أهميّة الصورة الشعرية وجمالها، فنهلن من الصور الفنّية التقليديّة المعروفة الشّيء الكثير وأفدن من الموروث العربي.

فالممدوح حليف الجُود، وهديته الدرُّ من منظومه، وحياته هي حياة الأمة، وشجاعته تضاهي شجاعة الأسود، وإذا ما تغزلت الجوّاري لجأ بعضهن إلى الصور التي ألفها غيرهن من الرجال عندما تغزلوا بالنساء، فمحبوبهنّ غزال جائر في الحب، وثغره مُسكر كأقداح النبيذ، والمسك رائحته، والضياء وجهه، أما الجارية فقلبها طائر يطير من الحب، وتخلع عذارها في سبيل حبها لمحبوبتها.

كما أن الجوّاري أظهرن شخصياتهن ووضعن لمساتهن الخاصة في أشعارهن؛ فقمّن ببعض التغيرات على الصور الفنّية التقليديّة وأضفن إليها بعضاً من روحهن، وابتكر بعضهنّ صوراً خاصة بهن، وغلبت الصور الحسية الصور المعنوية التي كادت تكون معدومة في أشعارهن، وظهر التشخيص والتشبيهات المُستمدّة من الطبيعة في شعرهنّ، فامتازت جميع صورهن بالسهولة والوضوح وابتعدت عن التعقيد والإغراب.

وقدمت الجوّاري بأسلوبهن وشخصياتهن الصُّور الفنّية التقليديّة بكل وضوح في أشعارهن، وذلك نحو مدح قَمَرِ المَشْرِقيّة مولاها ابن الحجاج اللخمي، فهو حليف الجود ورفيقه الذي لا يخلف له وعداً، تقول: ¹ [الكامل]

ما في المغاربِ من كَرِيمٍ يُرْتَجَى إلا حَليْفُ الجُودِ إِبْرَاهِيمُ

¹ - ابن الأَبَر، التَّحْمِلَة، 246/4، المَقْرِي، النَّفْع، 124/4.

ولجأت الجارية بزريعة إلى الصور التقليدية فصوّرت الرجل الذي هجته غراباً يُنذر
بالفراق والصدّ وتفريق الأحبة فقالت: ¹ [البسيط]

لَمَّا رَأَيْتُ وَجُوهَ الطَّيْرِ قُلْتُ لَهَا لَا مَرَحِباً بَغُرَابِ الْبَيْنِ وَالصَّدِّ

كما أن أنس القلوب استمدت إحدى صورها من الصور الفنية التقليدية المعروفة، ذلك
أنها في غزلها بأبي المغيرة بن حزم رآته غزالياً جائراً ظالماً كما هو حال النساء في صور
الشعراء: ² [الخفيف]

يَا لِقَوْمِي تَعَجَّبُوا مِنْ غَزَالٍ جَائِرٍ فِي مَحَبَّتِي وَهُوَ جَارِي

وظهر لي أن بعضهن أخذن الصور الفنية التقليدية وقمن بإجراء تغييرات قليلة عليها،
فصبغنها بأسلوبهنّ وجددنها حتى أضحت الصور التقليدية القديمة وكأنها صور أندلسية جديدة،
فجارية وزير المنصور بن أبي عامر أخذت صورة نجوم امرئ القيس المتوقفة التي لا تعرف
الحركة عندما قال: ³ [الطويل]

فِيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ بِكُلِّ مَغَارِ الْفُتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ

فغيّرت حال النجوم الساكنة المتوقفة إلى نجوم تائهة حائرة لا تعرف الطريق فقالت: ⁴

[البسيط]

مَا بَالُ أَنْجُمِ هَذَا اللَّيْلِ حَائِرَةٌ أَضَلَّتِ الْقَصْدَ أَمْ لَيْسَتْ عَلَى فَلَكَ
عَادَتْ سَوَارِيهِ وَقَفًّا لَا حِرَاكَ لَهَا كَأَنَّهَا جُثَّتْ صَرَعَى بِمُعْتَرَاكَ

1 - ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، 126.

2 - المقرئ، النفع، 151/2.

3 - التبريزي، شرح القصائد العشر، 68.

4 - إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، مصر سياحة قُرطبة، 59، نقلاً عن التجيبي، شرح

المختار من شعر بشار، 15-16.

كما أن أنس القلوب لم ترتض أن تنقل الصور المعروفة من الشعر العربي، فلجأت إلى قريحتها ومكنتها الشعرية وابتكرت صورة ظريفة، ذلك أنها رأت البدر كالسوار في لمعانه، والظلام كخط العذار، كما جعلت المدام ذائب نار، وهو تشبيه جميل ذلك أنها انتزعت من أثر الشراب في إطفاء اللوعة أي أنه أضحى كالماء في إطفاء النار¹ فقالت: ² [الخفيف]

قدم الليل عند سائر النهار
فكان النهار صافحة خاد
وكان الكؤوس جامد ماء
وبدا البدر مثل نصف سوار
وكان الظلام خط عذار
وكان المدام ذائب نار

وتوجهت الكثير من الجواري إلى التشبيه والصور، فأضحى الجهل والهوى والمنازل والنفاق والليل إنساناً كاملاً، وأصبح كلُّ منهم يتنفس ويتنقل ويصاحب ويشتتم ويتملك ويجور، كما أن بعض الجواري حولن الأشياء حولهن إلى بشر نيمين أو سعداء أو مفسدين في الأرض، فقد رأت قمر المشرقية الجهل إنساناً سيئاً لا ترضى به أو حتى بصاحبه، فهو إنسان سيء السمعة ينال الكثير من السب والعار لذا قالت: ³ [البسيط]

دعني من الجهل لا أرضى بصاحبه
لا يخلص الجهل من سب ومن عار

وكانت المنازل لقمر المشرقية أناساً نيمين بشعين خالين من النعمة والجمال باستثناء بيت سيدها الكريم ابن الحجاج فقد كان بيت نعمة: ⁴ [الكامل]

إني حلت لديه منزل نعمة
كل المنازل ما عداه نعيم

¹ - انظر محمد صبحي أسعد أبو حسين، المرأة في الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، ص 206، رسالة دكتوراة، جامعة اليرموك، 2001.

² - المقرئ، النفع، 151/2.

³ - ابن عذاري، البيان المغرب، 129/2.

⁴ - ابن الأثير، التكملة، 246/4، المقرئ، النفع، 124/4.

كما كان النفاق ثائراً أنهى ملك المعتد حسب صور بُثينة بنت المعتد، وبحضور
النفاق سحت الفرصة للفراق الذي بدأ يتقدم وإن كان غير مرغوب فيه: ¹ [الكامل]

قام النفاق على أبي في ملكه فدنا الفراق ولم يكن بمُرادٍ

أما أنس القلوب فرأت الليل إنساناً حياً يتحرك ويسير قُدماً فقالت: ² [الخفيف]

قدم الليل عند سائر النهار وبدا البدر مثل نصف سوارٍ

واعتمدت بعض الجواري على الطبيعة كمصدر لصورهن، فاستعنّ بالنهار والأقمار،
كما أنهنّ شبهنّ بعض الأشياء أو الأشخاص ببعض الحيوانات في الطبيعة؛ كالأسود والغزلان
والطيور، إلا أنهنّ لم يُكثرن من التشبيهات المنتزعة من الطبيعة، ومن هذه التشبيهات شعر
متعة للأمير عبد الرحمن الأوسط تسأله ألا يُغطي هواه، فهواه واضح جليّ كالنهار الذي لا
يمكن إخفاؤه: ³ [المجتث]

يا مَنْ يُغَطِّي هَـوَاهُ مَنْ ذَا يُغَطِّي النَّهَارَا

ولجأت أنس القلوب _ عند تغزلها بأبي المغيرة بن حزم _ إلى مظهر واحد في الطبيعة
ألا وهو الغزال فقالت: ⁴ [الخفيف]

يا لقومي تعجّبوا من غزالٍ جائرٍ في محبّتي وهو جاري

¹ - المقرئ، النفع، 59/6.

² - المقرئ، النفع، 151/2.

³ - ابن الأبار، التكملة، 243/4، المقرئ، النفع، 115/4.

⁴ - المقرئ، النفع، 151/2.

ولم تستعن كل الجواري بالحيوانات من الطبيعة، فقد ارتأت بزِيعة أن تُشبه ضيوفها بالطيور كي تهجو مهجوها بالغراب، وبهذا راعت أن يكون وصف المهجو متناسباً مع القوم الذين حضر معهم: ¹ [البسيط]

لَمَّا رَأَيْتُ وَجُوهَ الطَّيْرِ قُلْتُ لَهَا لَا مَرَحِباً بِغُرَابِ الْبَيْنِ وَالصَّدِّ

5- الموسيقا

ليس الشعر إلا كلاماً موسيقياً تتفعل لموسيقاه النفوس وتتأثر بها القلوب²، لذا اهتمت الجواري - كغيرهن من الشعراء - بالموسيقا الشعرية، كيف لا وهن جوارٍ متأدبات عالمات بالشعر؟ كما أن معظمهن جوارٍ مغنيات يُدركن أهمية الموسيقا وأثرها.

ويتلخص اهتمام الجواري بالموسيقا من خلال تكرار الحرف الواحد في البيت الشعري - وقد عرضت له سابقاً - وباختيار البحر العروضي والقافية، ولاحظت أن الجواري ملن إلى البحور الطويلة، وجاء مجموع شعرهن في ثمانية بحور رتبها حسب كثرتها وهي: الكامل الذي تكرر خمس مرات في أربعة وثلاثين بيتاً أي ما يقارب نصف مجموع شعر الجواري في الأندلس، وتبعه بحر البسيط الذي تكرر أربع مرات في ثلاثة عشر بيتاً، وتلاه بحر الخفيف الذي ظهر مرتين بحراً تاماً ومرة مجزوءاً وكان مجموع الأبيات فيهما خمسة عشر بيتاً، ثم جاء المجتث الذي نظم فيه سبعة أبيات لمرتين فقط، وتلاه بحر الطويل الذي ظهر مرتين وكان مجموع ما نظم فيه ثلاثة أبيات فقط، وجاء كل من مجزوء الرجز ومجزوء الرمل في نتفة من بيتين فحسب، أما المتقارب فالعبادية الشاعرة الوحيدة التي نظمت فيه بيتاً واحداً وكان بيتها هذا رداً على شعر للمعتضد، كما نظم بيت واحد على البحر الرمل.

وعلى الرغم من أن بحر الطويل احتل المرتبة الأولى في الشعر العربي ونظم فيه ما يقارب ثلث الشعر العربي¹ إلا أن الجواري لم ينظمن غير ثلاثة أبيات، وشابهن الشعراء العرب

1 - ابن القوطية، تاريخ ائتتاج الأندلس، 126.

2 - إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، 17.

عندما احتل البحر الكامل والبسيط المرتبة الأولى والثانية في شعرهن، كما كان لهما المرتبة الثانية في شعر الشعراء العرب عامة².

ومن الجدير بالذكر أنه لم يرتبط أي موضوع من الموضوعات التي نظمت الجواري الشعر فيها ببحر محدد باستثناء المدح الذي جاء على البحر الطويل فحسب، كما أن الشعر الذي نُظم بغرض الغناء والشعر الذي أنشدته الجواري تساويا في كل البحور.

أما القوافي فقد اعتنت الجواري بقوافيهن، ربّما لأنهن سمعن قول العربي لبنية: " اطلبوا الرماح فإنّها قرون الخيل، وأجيدوا القوافي فإنها حوافر الشعر"³، وهكذا نظمت الجواري شعرهن على اثني عشر حرفاً من حروف المعجم رتبته حسب كثرتها وهي: الراء التي تكررت في خمس قصائد ومقطوعات وأبيات مفردة، ثم الدال التي جاءت في بيتين مفردين ومنتفة وقصيدتين، وتلتها النون التي تكررت في ثلاث نتف، ولحقها كل من القاف واللام والباء التي تكررت كل منها مرتين على هيئة أبيات مفردة ومنتف وقصائد، أما أقل حروف المعجم استعمالاً فكانت الميم والكاف والتاء والياء والشين التي وردت كل منها على هيئة بيت منتفة أو بيت مفرد.

ومن الجدير بالذكر أن كلاً من الراء والميم والدال واللام والباء والنون هي من أكثر حروف الروي شيوعاً في أشعار العرب، أما القاف والكاف والحاء والياء فهي من الحروف المتوسطة الشيوع، والتاء من حروف الروي قليلة الشيوع، أما الشين فهي من الحروف النادرة في مجيئها رويًا⁴.

1 - إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، 191.

2 - إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، 191.

3 - حازم القرطاجني، منهاج البلاغة، 271.

4 - إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، 248.

الفصل الثالث

أثر الجوارى

في

شعر الغناء

انتشر الغناء العربي في الأندلس كما كان حاله في المشرق من قبل، فأقبل عليه الأندلسيون أيام عزهم لينتشوا بشعره وألحانه، ثم لاذوا إليه أيام انكسارهم لينسوا هزيمتهم وما آل إليه حالهم، ومألت مجالس الأندلس على اختلاف عصورها، وكان لابد من حضور الجوّاري ليُرفهن عن قاصدي المجالس، ومن الضروري لهنّ أن يملكن مخزوناً شعرياً كبيراً كي يُلبين جميع الأذواق أو يُعبّرن عن بعض المواقف أو يعكسن عواطفهنّ وشخصياتهنّ من خلال غنائهنّ الشعر.

وتهافت الأندلسيون على الغناء وعقدوا له المجالس، وكان إقبال حكام الأندلس على الغناء ومجالسه من أيام الإمارة الأولى حتى آخر أيام المسلمين في الأندلس، وعلى الرغم من أن المرابطين والموحدين لم يشجعوا الغناء وحاربوه، إلا أن هذا لم يمنع الأندلسيين من ممارسة الغناء وبرزت أعلام الغناء والموسيقا الأندلسية إبان عصر الموحدين، وشارك العامة الخاصة حبّهم الغناء حتى إن مدناً مثل إشبيلية وأبذة¹ ومالقة اشتهرت بحب أهلها للغناء والموسيقا.

واعتمد الأندلسيون في الغناء على المشرق في أيامهم الأولى، وسعوا إلى نقل جميع الآداب والفنون التي عرفوها هناك، كما عمل بعضهم على تقليدها، واتجه آخرون - فيما بعد - إلى نقل الفنون المشرقية وصبغها بصبغة أندلسية، حتى تمكنوا أخيراً من ابتكار فنون وآداب أندلسية خالصة نبتت من بيئتهم وحياتهم، لذا كان للمشرق دورٌ كبيرٌ في نشأة الغناء وتطوره وفي انتقاء المقطوعات الشعرية المغناة وألحانها، وكان للجوّاري الوافدات وزرياب وأبنائه وجواريه دورٌ كبيرٌ في وضع حجر الزاوية للغناء الأندلسي، كما كان هناك تأثيرات أجنبية مثل الأغاني الإسبانية الشعبية التي اندمجت مع التأثيرات العربية المشرقية وصقلت الغناء الأندلسي.

1 - أبذة أو أبدة (Ubeda) مدينة بالأندلس من كورة جيان تعرف بأبذة العرب أو عبادة العرب (Ubbadat al-Arab)، بينها وبين بياسة سبعة أميال، وهي مدينة صغيرة وعلى مقربة من النهر الكبير. انظر ياقوت، معجم البلدان، 64/1، الحميري، الرّوض المعطار، 6.

1- إقبال الأندلسيين على الغناء

أقبل معظم الأندلسيين على الغناء ومجالسه، وفُتتوا بلذاته وجواريه، وربما نبع هذا الإقبال من طبيعة مُركبة في نفوسهم، غذّاه إقبال حكامهم _ على اختلاف أجناسهم وعصورهم_ على الغناء، ورعايتهم للمغنين والجواري المغنّيات، وعقدتهم مجالس الأُنس واللهو.

وبدأ اهتمام حكام الأندلس بالغناء عندما اشترى عبد الرَّحمن الداخل الجارية العجفاء¹، وإن كان من قبل ردّ جارية قُدّمت إليه²، وأرجّح أنه اشتراها بعد أن أمسك بزمام الأمور وثبّت دعائم دولته، وسار معظم أمراء بني أمية على النهج نفسه، فرعوا الفنون والموسيقا والغناء وأقاموا مجالسه، ومنهم من أقام هذه المجالس سرّاً كالحكم بن هشام الذي ملك العديد من الجواري المغنّيات اللواتي كُنَّ يُسمّعه ألوّناً مختلفةً من الشعر، وينظمن شعراً في كل ما يشتهيّه قلبه، ويصنّعن ألحاناً فيما يقترح من أشعار³، أما عبد الرَّحمن بن الحكم فأقام مجالس الغناء دون حَرَج وأنشأ دار المدنّيات⁴، وشجّع زرياباً على دخول الأندلس⁵، لذا كان معظم أمراء البيت الأمويّ رُعاةً للفنون والغناء باستثناء الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرَّحمن الأوسط⁶، " فلم يكن ممّن اشتغل بلذّة أو قارَف شيئاً من الأنبذة في أيام خلافته ولا قبلها " ⁷.

وعند بداية أفول نجم الأمويين كان الغناء حاضراً بهيجاً تحييه مجالس المنصور بن أبي عامر⁸ وملوك الطوائف من بعده، وكتاب الذّخيرة والنّفح وغيرهما من المصادر الأندلسية التي

1 - انظر المَقْرِي، النَّفْع، 125/4.

2 - انظر المَقْرِي، النَّفْع، 35/4.

3 - انظر ابن فضل الله العمري، مسالك الأَبصار، 185/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية.

4 - انظر ابن الأَبّار، التَّكْمِلَة، 241/4، المَقْرِي، النَّفْع، 123/4-124.

5 - انظر المَقْرِي، النَّفْع، 110/4.

6 - انظر إحسان عباس، أخبار الغناء والمغنين في الأندلس، مجلة الأبحاث، 1963، 11.

7 - ابن عَدَارِي، البيان المُغْرِبِي، 153/2.

8 - انظر المَقْرِي، النَّفْع، 229/4.

تناولت مرحلة عصر ملوك الطوائف تزخراً بروايات وأحاديث عن مجالس الغناء، وأشهرها مجالس المُعْتَمَد بن عَبَّاد¹ الذي اجتمع إليه الكثير من الشعراء والأدباء.

أمَّا المُرابِطون فكانوا أهل جهاد ودين، لا أهل دعة ومجالس غناء، وأوضح مثال لهم تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين الذي قيل إنه لم يشرب قطُّ مُسكرًا، ولم يستمع إلى قينة².

وعندما دخل المُوحِّدون الأندلس ظهر للأندلسيين أنَّ المُوحِّدين أكثر ثقافة ومدنية من المُرابِطين، إلا أن موقفهم من الغناء ومجالسه كان مشابهاً لموقف المُرابِطين؛ ولخص ابن طفيل موقفهم من الغناء والموسيقا فقال: " لو نفق عندهم علم الموسيقا لأنفقتهم عندهم " ³، ولكنَّ موقفهم تغير بعد انتهاء حكم الخليفة الثالث منهم⁴ فتتكرروا لمبادئ الدعوة المُوحِّدية التي قامت على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعاشوا حياةً لاهية⁵.

وظهر لي أنَّ جُلَّ حكام الأندلس أحبوا الغناء ومجالسه وقيانه، وكان حال عامة الأندلس كحال حكامهم، حتى إن أهل مدن أندلسية كاملة عرفوا بحبهم للغناء والموسيقا، وكان أهل إشبيلية على رأس الأندلسيين المولعين بالغناء؛ حتى قيل إنه إذا مات مطرب بقُرطبة فأريد بيع آلاته، حُمِلت إلى إشبيلية⁶، وكان أهل إشبيلية يجلسون في واديها يطربون ويشربون، وحاول بعض ولايتها أن يمنعوا أهل المدينة عن عاداتهم هذه إلا أنهم لم يستطيعوا، فأهل إشبيلية معروفون بخفة أرواحهم وإقبالهم على الطرب والفكاهة، وجمع أدوات الطرب والموسيقا⁷.

1 - انظر المقرئ، النَّهْج، 53/6-55.

2 - انظر ابن عذاري، البيانُ المُغرب، 79/4.

3 - عبد الواحد المرآكشي، المُعْجَب، 156.

4 - هو أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، صاحب الأندلس والمغرب، ولي الحكم سنة 580هـ، وهو قائد معركة الأرك التي هُزم فيها أذفونش سنة 591هـ، وحاصر طليطلة ورمها بالمجانيق، إلا أنه رجع عنها بعد أن توسلت إليه أم أذفونش وبناته أن يبقي البلاد عليهن، فرقَّ لحالهنَّ ورجع إلى قرطبة، توفي سنة 585هـ. انظر ابن خلدون، المُقَدِّمَة، 269/1، المقرئ، النَّهْج، 423/1-424.

5 - انظر فوزي سعد عيسى، الشعر الأندلسي في عصر المُوحِّدين، 53.

6 - انظر المقرئ، النَّهْج، 154/1.

7 - انظر المقرئ، النَّهْج، 188/4.

ومن الجدير بالذكر أن أبا القاسم بن محمد بن المليح¹ الزاهد فرَّ إلى إشبيلية بعد أن تهتَّك، فقد كان شيخاً زاهداً ثم نصحه أهله بمخالطة الظُرفاء والأدباء فتهتَّك ورحل إلى إشبيلية وتزوَّج امرأة وصار يضرب معها الدف².

وشارك أهل أُبْدَة أهل إشبيلية حبَّ الغناء، فحوت المدينة أفضل الملاهي وحازت على الرواقص المشهورات الحاذقات³، ونالت مألقة نصيبها من مجالس الغناء؛ فقد ذكر إنه إذا ما جنَّ الليل بمألقة سمعت أصوات أوتار العيدان والطنابير والمعازف من كل ناحية⁴.

وأظن أن إقبال الأندلسيين على الغناء لم يتوقف في أي عصر؛ ففي عصر المرابطين الذين حاربوا الغناء ومنعوه ظهر ابن باجة⁵ وهو إمام الأندلسيين في الألحان والموسيقا، وكان

¹ - هو أبو القاسم أحمد بن محمد بن إسحاق اللخمي، نشأ طاهراً عفيفاً زاهداً، فكان أبوه يلومه على إفراطه في الزُّهد ويحضته على الأدب، إلى أن اشتهر بالخلاعة وفرَّ إلى إشبيلية وتزوَّج عاهراً ترقُص في الأعراس. انظر ابن سَعِيد، المغرب، 384/1، المَقْرِي، النَّفْع، 218/5-219.

² - انظر المَقْرِي، النَّفْع، 218/5-219.

³ - انظر المَقْرِي، النَّفْع، 191/4.

⁴ - انظر إحسان عباس، أخبار الغناء والمغنين في الأندلس، مجلة الأبحاث، 1963، 18، نقلاً عن التجيبي، شرح المختار من شعر بشار، 15-16.

⁵ - هو أبو بكر محمد بن الحسين بن باجة التجيبي السرقُسطي المعروف بابن الصائغ، كان فيلسوف الأندلس وطبيبها وشاعرها وإمامها في الألحان، تميَّز في العربية والأدب، وكان حافظاً للقرآن متقناً لصناعة الموسيقى، جيّد اللعب بالعود، استوزره ابن تيفلويت صاحب سرقُسطة، وبلي بمحن كثيرة، توفي بمدينة فاس سنة 529هـ. انظر ابن أبي أصيبعة، ميعون الأنبياء في طبقات الأطباء، 515/1، ابن خلكان، وَهَيَاتِ الْأَمْيَانِ، 429/4، ابن سَعِيد، المغرب، 119/2، ابن خلدون، الْمُقَدِّمَة، 584/1، المَقْرِي، النَّفْع، 162/4.

يُحيي مجالس ابن تيفلويت¹ صاحب سرقسطة²، فقد ذكر أنه ألقى على بعض قيناته موشحته التي أولها :³

جَرَّرَ الذِّلَّ أَيْمًا جَرًّا وَصَلَّ الشُّكْرَ مِنْكَ بِالشُّكْرِ

وختمها بقوله:⁴

عَقَّدَ اللهُ رَايَةَ النَّصْرِ لِأَمِيرِ الْعُلَا أَبِي بَكْرِ

فصاح ابن تيفلويت: واطرباه، وشق ثيابه، وحلف بالأيمان المغلظة أن لا يمشي ابن باجة إلى داره إلا على الذهب، فاحتال بأن جعل ذهباً في نعله ومشى عليه إلى داره⁵، فإن كان هذا الحال في عصر الموحدين المتزمتين المعارضين للغناء فما بالنا بالعصور الأخرى التي عقد فيها أمراء الأندلس مجالس الغناء واستقطبوا المغنين والمغنيات.

ومن الجدير بالذكر أن إقبال الأندلسيين على الغناء لم يقتصر على سماع الغناء والموسيقا وجلب المغنين والجواري المشاركة وإقامة مجالس الغناء؛ فجلبوا المؤلفات الموسيقية المشرقية إلى الأندلس ونشروها، كرسائل الكندي، وكتاب الموسيقا الكبير، وكتاب إحصاء العلوم

¹ - هو أبو بكر بن إبراهيم المعروف بابن تيفلويت، كان صاحب سرقسطة أيام المرابطين، أكثر ابن باجة من رثائه، توفي سنة 510هـ. انظر ابن سعيد، المغرب، 119/2.

² - سرقسطة (Zaragoza) : بلدة مشهورة بالأندلس تتصل أعمالها بأعمال تطيلة، وهي على ضفة النهر الكبير المسمى أبره الذي ينبع من جبال القلاع وهو نهر كبير يأتي بعضه من بلاد الروم، وسميت المدينة البيضاء لكثرة جصها وجيارها، ومن مدينة سرقسطة إلى وشقة أربعون ميلاً، ومن سرقسطة إلى تطيلة خمسون ميلاً. انظر الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، 554/2، ياقوت، معجم البلدان، 212/3، القزويني، آثار البلاد، 534، الحميري، الروض المعطار، 317.

³ - انظر ابن خلدون، المقدمة، 584/1، المقرئ، أزهار الرياض، 209/2، النفع، 233/9.

⁴ - ابن خلدون، المقدمة، 584/1، المقرئ، أزهار الرياض، 209/2، النفع، 233/9.

⁵ - انظر ابن خلدون، المقدمة، 584/1، المقرئ، أزهار الرياض، 209/2، النفع، 233/9.

للفارابي وغيرها من المؤلفات الموسيقية المشرقية¹، كما أن الأندلسيين ألفوا كتباً في علم الموسيقى ككتب ابن باجة² ورسالة أمية بن عبد العزيز الداني³ في الموسيقى، وأتقن الكثير من الأندلسيين علم الموسيقى ومنهم أبو الفضل بن حسداي⁴ وعباس بن فرناس⁵.

2- دور المشرق في نشأة الغناء الأندلسي وتطوره

جلب الأندلسيون كل ما هو متميز من المشرق من كتب ومؤلفات ودواوين، ولم يكتفوا بالكتب والأغراض فأرسلوا في طلب بعض العلماء، وشجعوهم على اجتياز بحر العدوة ودخول الأندلس، كما أنهم اشتروا الجواري المشرقيات المتميزات المعروفات بعلومهن أو فنونهن، وكان الغناء أحد الفنون التي أجادتها الجواري المشرقيات، ويبدو أن الأندلسيين فضلوا غناءهن المدنيّ على سائر أنواع الغناء، لذا كان للجواري المشرقيات تأثير كبير في نشأة الغناء الأندلسي، ناهيك عن تأثير زرياب وأبنائه وجواريه في الأندلس الذي ظهر وكأنه ثورة غنائية مشرقية اجتاحت أرض الأندلس.

¹ - انظر عباس الجراري، أثر الأندلس على أوروبا في مجال النغم والإيقاع، مجلة عالم الفكر، 1981، 25.

² - انظر المقرئ، النّبع، 4/162.

³ - انظر ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، 1/515.

⁴ - انظر ابن خاقان، قلند العقبان، 2/545-546، ابن بسّام، الخيرة، ق 3 م 457-486،

ابن دحية، المطرّب، 196، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، 1/499،

⁵ - هو عباس بن فرناس حكيم الأندلس وفيلسوفها، كيميائي وأديب وشاعر، وهو أول من اخترع صناعة الزجاج من الحجارة في الأندلس وأول من فكّ بها كتاب العروض للخليل، وأول من فكّ الموسيقى وحاول الطيران، كان كثير الاختراع حتى نسب إليه السحر، وكثر عليه الطعن في دينه، توفي سنة 274هـ. انظر ابن سعيّد، المغرب، 1/333، المقرئ، النّبع، 4/334.

أ- الجوّاري الوافدات

كان للجوّاري الوافدات تأثير كبير في نشأة الغناء الأندلسي، إلا أنني لم أجد ذكراً لأيّ منهنّ _ أو لأيّ جارية أندلسيّة أو بربريّة_ في عصر الولاية، وقد يعود السبب وراء عدم ذكرهنّ أن ولاية الأندلس انشغلوا بالفتوح وبإخماد الفتن فلم يهتموا بالغناء، إلا أنني أرجح أنهم وجدوا وقتاً للتسلية والمتعة وعقد مجالس الأُنس التي تُحبيها الجوّاري بحكم العادة، وأغلب الظنّ أنهم كنّ من الجوّاري المشرقيّات؛ ذلك أن معظم ولاية الأندلس كانوا عرباً ولا أعتقد أنهم اشتروا جوّاري يُغنين أغاني إسبانيّة أو حتى بربريّة، وربّما أهمل المؤرخون ذكر الجوّاري الوافدات وغيرهنّ لاهتمامهم بتدوين أخبار الفتوحات وانتصارات المسلمين، أو أنهم أعرضوا عن ذكرهنّ لعدم وجود جوارٍ متميّزات ذوات تأثير وفتنة، أو أنهم ذكروهنّ ولم تصلنا كتبهم ومؤلفاتهم التي أشارت إلى الجوّاري الوافدات أيام عصر الولاية.

وأول ذكرٍ وجدته لجارية مغنيّة وافدة من المشرق كان للجارية العجفاء التي اشتراها عبد الرّحمن الداخل¹، وذكّرت جارية عراقية أيام المغيرة بن الحكم بن هشام، إلا أن اسمها أهمل ذكره، وما ذكر عنها يدلُّ أنها كانت جارية تحسن الغناء، وتلمّ بمعرفة واسعة في الغناء والموسيقا، وأغلب الظنّ أنها علّمت سليم مولى المغيرة ومغنيه الغناء العراقيّ، فقد قال ابن فضل الله العمري: إنها " كانت تطارحه الغناء حتى برع وجمّع الغناء العراقيّ مع ما جمع"²، وحديث ابن فضل الله العمري عن هذه الجارية ما هو إلا دليل على مساهمة الجوّاري في نشر الغناء من جهة، ونشر الغناء المشرقيّ من جهة أخرى.

وعجّت أيام الأمير عبد الرّحمن الأوسط بوفود المغنيّات والمغنين المشاركة إلى الأندلس، فقد أرسل عبد الرّحمن في شراء مجموعة من الجوّاري المدنيّات، وهنّ فضل المدنيّة وعلم المدنيّة وقلم البشكنسيّة وصواحب أخريات لهن³، ووجود دار المدنيّات بقصر الإمارة ما هو إلا دليل على استكثار الأمير عبد الرّحمن منهنّ، إلا أنني لم أجد معلومات أخرى عن هذه الدار وما آلت إليه في العصور اللاحقة، فهل بقيت تستقبل الجوّاري المشرقيّات والمدنيّات أم

1 - انظر المقرّي، النّفع، 125/4.

2 - مسالك الأبصار، 193/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية.

3 - انظر التّكملة، 241/4، المقرّي، النّفع، 124-123/4.

أنها أهملت؟ أم أن دوراً جديدة افتتحت لهن؟، وذكرت الجارية قمر المشرقية التي اشتراها إبراهيم بن حجاج التائر على الأمير عبد الله بن المنذر¹.

ولم أجد _ فيما توفّر بين يدي من مصادر _ ذكراً لجواري مشرقيات أيام المرابطين أو الموحيدين أو بني الأحمر، ربّما لأن الجواري الأندلسيات أجدن الغناء والموسيقا وأصبحن يُضاهينَ الجواري المشرقيات، وقد يعود السبب إلى أن الغناء في الأندلس صبغ بصبغة أندلسية وأصبح له شخصية مستقلة، بالإضافة إلى ظهور الموشح الذي برع فيه الأندلسيون وتغنوا به ولم يستطع المشاركة منافستهم فيه.

ب- زرياب وأبناؤه وجواريه

تجلّى دور المشرق في نشأة الغناء الأندلسي وتطوّره بدخول زرياب إلى الأندلس، فقد أجرى تغييرات عدّة لم تشمل الغناء فحسب بل شملت حياة الأندلسيين وملابسهم وعاداتهم وحتى طبيخهم.

وحظي أهل الأندلس بقدم زرياب إليهم، كما أنه حظي باستقبالهم له؛ فبعد أن خرج من المشرق إلى المغرب وأرسل إلى الأمير الحكم بن هشام يُعلمه بمكانته ومواهبه الموسيقية ويستأذنه الدخول إلى الأندلس، أذن له الحكم وسرّ بمجيئه، وبعد أن خطت قدم زرياب الجزيرة الخضراء وصله خبر وفاة الحكم، فتردّد في إكمال رحلته، إلا أن خبره وصل الأمير عبد الرحمن بن الحكم فشجّعه على السير إلى قرطبة وكتب إلى عمّاله أن يُحسنوا إليه ويوصلوه قرطبة، وبعد وصوله كتب له الأمير راتباً شهرياً بمائتي دينار وأقطعته ضياعاً وأجرى عليه وعلى أولاده جرايات متعدّدة.²

¹ - انظر ابن الأبار، التكملة، 245/4، ابن عذاري، البيان المغربي، 128/2، المقرئ، النفع، 124/4.

² - انظر المقرئ، النفع، 110/4.

وأدخل زرياب تغييرات عدّة على المجتمع الأندلسي بأسره، وكان من بينها تغيير تصنيف الشعر للرجال والنساء، وابتكار أنواع جديدة من الطيّخ، وتفضيل آنية الزّجاج الرفيع على آنية الذهب والفضّة، وارتداء الملابس البيضاء أيام الصّيف والملابس الملوّنة باقي أيام السنّة، أما ابتكاراته الموسيقيّة المشهورة فتمثّلت بزيادة وتر خامس إلى أوتار العود، واختراع مضراب العود من قوادم النّسر بدلاً من مرهف الخشب، وابتكار مراسيم متعدّدة في الغناء وطريقة افتتاحه، وكيفية اختبار المغنين، وطرق تقوية الصّوت¹، وأضحت موسيقاه هي الموسيقيّة العالية الراقية في الأندلس² وعملت على ترسيخ الطابع الحضاري المشرقي في الأندلس، كما كان لها أثر فيما عُرف بالنّوبة الغنائية³.

ويبدو أن الكثيرين من محبي الغناء توجّهوا لزرياب كي يُعلّمهم، فقليل إنه " كان إذا تناول الإلقاء على تلميذه أمره بالقعود على الوساد المدوّر المعروف بالمسورة.." ⁴ وهذا الحديث دليل على أنه كان له مُريدون، كيف لا والجميع يريد أن يتعلّم مقطوعة من بين عشرة آلاف مقطوعة غنائية حفظها زرياب وعرف ألقابها⁵، وفُتِنَ بعض الأندلسيين بفنون زرياب وغنائه فأرسلوا جوارهم ليأخذوا عنه، وأرسل أبو حفص عمر بن قلهيل جاريته مصابيح لتتعلّم الغناء عند زرياب⁶.

ولم يتوقف تأثير زرياب بوفاة؛ فعند دخوله الأندلس لم يدخل وحيداً وجلب أهله وأبناءه معه، وكان له ثمانية أولاد هم: عبد الرّحمن، وعبيد الله، ويحيى، وجعفر، ومحمد، وقاسم، وأحمد، وحسن، ومن الإناث ثنتان: عليّة، وحمدونة، وأحسن جميعهم الغناء، وكان عبيد الله أعلاهم في صنعة الغناء، وتلاه أخوه عبد الرّحمن إلا أنه لم ينل محبّة أهل الأندلس لغروره

1 - انظر المقرّي، النّفح، 111/4-114.

2 - انظر حسين مؤنس، معاليه تاريخ المغرب والأندلس، 289.

3 - انظر إحسان عباس، أخبار الغناء والمغنين في الأندلس، مجلة الأبحاث، 1963، 9-10.

4 - انظر المقرّي، النّفح، 113/4.

5 - انظر المقرّي، النّفح، 111/4.

6 - انظر ابن الأبار، التّكملة، 243 / 4، المقرّي، النّفح، 116/4.

وعُجبه¹، أما بناته فتقدّمت حمدونة على أختها عليّة في الغناء، وتزوجت الوزير هاشم بن عبد العزيز، أما عليّة فطال بها العمر ولم يبق من أبناء زرياب غيرها².

وأعتقد أن معظم أولاد زرياب وُلدوا في الأندلس ولم يعرفوا المشرق أو فنونه إلا عن طريق أبيهم، ذلك أن المقرئ قال: " وبعد ثلاثة أيام استدعاه وكتب له في كل شهر بمائتي دينار راتباً، وأن يُجرى على بنيه الذين قدموا معه، وكانوا أربعة: عبد الرَّحمن، وجعفر، وعبيد الله، ويحيى عشرون ديناراً لكل واحد منهم كلَّ شهر"³، وربّما كان السبب وراء تميّز عبيد الله وعبد الرَّحمن راجعاً إلى نشأتهم في المشرق، وإطلاعهم على أشكال مشرقية متعدّدة في الفنون، وخبرتهم الموسيقية التي نهلوها من ينبوعها، إلا أن الأخبار لم تُسعني في معرفة أعمارهم عند دخولهم الأندلس، أو الثقافة التي جنوها في بغداد، كما أن المصادر الأندلسية لم تزودني بتفاصيل عن أبناء زرياب وبناته.

وأرجح أن أبناء زرياب وبناته ساروا على دربه في استقبال المريدين والمتعلمين؛ فالمقرئ يذكر أن عمر حمدونة طال، فافتقر الناس إليها وحملوا عنها⁴، وعلى الرغم من أن هذه الرواية لا تدلُّ على أن سائر إخوتها علّموا الأندلسيين وفتحوا لهم أبوابهم، إلا أنها تؤكد أن إحدى بنات زرياب نقلت الغناء الذي تعلّمته من أبيها إلى أهل الأندلس.

ولم يكتفِ زرياب بتعليم أبنائه وبناته، فعلم جواريه الغناء والموسيقا وذكر منهم ثلاث هنّ: غزلان وهنيدة اللتان كان يدعوهما ليطارحهما الغناء والعزف على العود كلّما خطر له صوت وإن كان نائماً⁵، كما اشتهرت جاريته مُتعة التي أدبها وعلمها أحسن أغانيه، ولما أحسن بميلها إلى الأمير عبد الرَّحمن وميله إليها أهداها إليه⁶، ولم يذكر المؤرخون الأندلسيون إن كُنّ وافدات من المشرق مع زرياب أم أنه اشتراهنّ من الأندلس، وإن كُنّ مشرقيات فهنّ جوارٍ مميّزات عن غيرهنّ من جوارى الأندلس، وإن كُنّ جوارٍ أندلسيات فقد حُزن ثقافة عالية من

1 - انظر المقرئ، النّفع، 116/4.

2 - انظر ابن الأبار، التّكملة، 242/4، المقرئ، النّفع، 116/4.

3 - النّفع، 110/4.

4 - انظر ابن الأبار، التّكملة، 242/4، المقرئ، النّفع، 116/4.

5 - انظر المقرئ، النّفع، 111/4.

6 - ابن الأبار، التّكملة، 242/4، المقرئ، النّفع، 115-116/4.

سيدهنّ و نلن تميّزاً خاصاً عن غيرهنّ، لذا فهما كان موطن جوارى زرياب فهنّ جوارٍ نلن منزلة خاصة ويكفيهنّ اقتران أسمائهنّ باسم معلمهنّ.

3- التأثيرات الأجنبية في الغناء الأندلسي

التأثيرات الأجنبية في الغناء الأندلسي هي التأثيرات الإسبانية والبربرية، ومن البدهي أن يتأثر الغناء العربي في الأندلس بغناء أهل البلاد التي فتحوها، وبغناء البربر الذين فتحوا معهم الأندلس، ولكنّ المصادر الأندلسيّة لم تفصّل الحديث في مدى هذا التأثير.

ووجدت روايتين ذكرتا الأثر الأجنبيّ في الغناء الأندلسي، الأولى: رواية التيفاشي الذي قال: إنه لم يكن في الأندلس سوى طريقة حداة العرب وترانيم الكنائس قبل وفود زرياب إليها¹، والثانية: لابن فضل الله العمري عندما ترجم للمغني سليم مولى المغيرة بن الحكم فقال عنه: "أخذ الطرب عن رُسل أتوه من قبل النصارى وأمر بتأخيرهم ووكّل بهم إلى حين مسيرهم، وأنقن الفن وحقّق الظن، ثم أتى المغيرة بجارية عراقية وكانت تطارحه الغناء حتى برع، وجمع الغناء العراقيّ مع ما جمع"².

وأظنّ أن رواية التيفاشي بعيدة عن الدقّة وإن لم تخلُ من فائدة؛ فقد دخل زرياب قرطبة أيام عبد الرّحمن بن الحكم، ولكن سبقه إلى الأندلس جوارٍ ومغنون كثر منهم: الجارية العجفاء أيام عبد الرّحمن الداخل³، وجارية مشرقية للحكم بن هشام بالإضافة إلى جواريه عزيز وبهجة ومهجة وفاتن اللواتي غنّين الكثير من الأشعار المشرقية بألحان مشرقية⁴، كما وفد علون

¹ - انظر عباس الجراري، أثر الأندلس على أوروبا في مجال النغم والإيقاع، مجلة عالم الفكر، 1981، 20، نقلاً عن التيفاشي، فصل الخطاب في مدارك الحواس الخمس لأولي الألباب، (مخطوط) 114.

² - مسالك الأبصار، 193/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية.

³ - انظر المقرّي، النّفع، 125/4.

⁴ - انظر ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 184/10-192، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية.

وزرقون إلى الأندلس أيام الحكم بن هشام ولكن نجم زرياب غطى عليهما¹، ووفدت كل من فضل وعلم وقلم أيام عبد الرحمن بن الحكم²، ومعظم من ذكرتهم وفدن من المشرق، وتلقين علومهن وفنونهن فيه، وعشن أواخر أيام الخلافة الأموية أو في أوائل الخلافة العباسية، وكان الغناء قد استوى على عرشه ونضجت شخصيته وبرزت ملامحه، لذا أعتقد أن غناء الخاصة في الأندلس قبل زرياب لم يكن بطريقة حداة العرب، وإنما كان مشابهاً للغناء المشرقي.

أما رواية ابن فضل الله العمري فأعتقد أنها جمعت كل التأثيرات التي تعرّض لها الغناء الأندلسي وهي التأثير المشرقي المتمثل بالغناء العراقي إضافة إلى التأثير الإسباني الذي جلبه سليم عن طريق رسل أتوه، وربما كان عمل سليم مثلاً لتاريخ الغناء الأندلسي، فهو خليط من تأثيرات مشرقية إلى جانب تأثيرات نصرانية انصهرت في بوتقة واحدة، وخرجت للنور وهي تحمل صفات أندلسية.

وربما شهدت الأندلس في أيامها الأولى نوعين من الغناء: غناء مشرقي خالص انتقل مع الفاتحين واستمروا في طلبه من المشرق، وغناء إسباني شعبي انتشر بين العامة الذين لم يجيدوا اللغة العربية أو يفهموا حضارتها بعد، ومع مرور الوقت وانتشار الحضارة العربية في الجزيرة جرى انصهار بين الغناء المشرقي والإسباني، ولكن الألحان العربية ظلت مسيطرة كألحان جوارى الحكم وألحان زرياب، وأتوقع أن الغناء الأندلسي لم يخل من تأثيرات إسبانية نبعت من المجتمع الأندلسي والجوارى الإسبانيات اللاتي وفدن على الأندلس.

شعر الغناء

الغناء والشعر فنّان متلازمان يسير كل منهما إلى جانب الآخر، وأدرك ابن خلدون أدرك هذه العلاقة فجعل من الشعر جزءاً لا يتجزأ من الغناء وذلك عندما عرف الغناء فقال: "هذه الصناعة هي تلحين الأشعار الموزونة، بتقطيع الأصوات على نسب منتظمة معروفة، يوقع

1 - انظر المقرئ، النفع، 115/4.

2 - انظر ابن الأبار، التكملة، 241/4، المقرئ، النفع، 123/4-124.

على كل صوتٍ منها توقيعاً عند قطعِهِ فيكونُ نَغْمَةً، ثم تَوَلَّفَ تلكَ النغمَ بعضها إلى بعضٍ على نِسْبِ متعارفةٍ فيلذُّ سماعها لأجل ذلك التناصب، وما يحدث عنه من الكيفية في تلك الأصوات" ¹.

ومُنِيَتِ الأندلس بحكام عرفوا أهمية هذه الصناعة، وأجلُّوا الشعر ورعوا الشعراء وشجّعوا على الغناء، وكان على رأسهم الأمير عبد الرحمن بن الحكم الذي استجلب كلاً من عَمِّ وَقَلَمٍ وَفَضْلٍ من المشرق وأسّس دار المدنيّات، كما أنه دعا زرياباً لدخول الأندلس ²، وشجّع جواريه على غناء الشعر سواءً باقتراحاته للشعر الذي سيُغَنِّيه أو بإشعال نار المنافسة بينهم في تلحين بعض النتف والمقطوعات الشعرية، وعلى الرغم من أن هناك الكثير من الحكام الأندلسيين الذين شُغِفوا بسماع الشعر وهاموا بالجواري المغنيات، إلا إنني خَصَّصْتُ الأمير عبد الرحمن بن الحكم بالتميّز لأنني لمست مدى تشجيعه لجواريه على غناء شعر الشعراء.

وحديثي في هذا الفصل مخصّص للأشعار التي غنتها الجواري ولن أضمّ إليه الأشعار التي نظّمها وغنّيتها لأنني تحدّثت عنها في الفصل السابق، ولاحظت أن المصادر الأندلسية لم تسعفني في تحقيق غايتي، فعلى الرغم من أن المصادر الأندلسية مليئة بروايات عن مجالس الأُنس وما فيها من قيان وغناء إلا أنني لم أجد فيها ضالتي، واهتديت إلى شيء منها في مخطوط مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري، وكان الفضل لإحسان عباس الذي أشار إليه في مقالة له نشرها في مجلة الأبحاث، وتمكنت من استخراج مائة وخمسة عشر بيتاً من مسالك الأبصار، وألفت بعض الأبيات الشعرية المنثورة في المصادر الأندلسية فأصبح مجموع ما وجدت من شعر الشعراء الذي غنته الجواري مائة وخمسة وأربعين بيتاً.

ولاحظت أن معظم الشعراء الذين غنت الجواري شعرهم كانوا من المشرق من العصر الإسلامي والعباسي باستثناء شاعر جاهلي واحد هو قيس بن الخطيم، ومن الأندلس المعتمد بن عباد وأبو الفضل بن حسداي وابن الحداد وابن باجة الذي غنت جواريه ابن تيفلويت موشحاً من نظمه، وعلى الرغم من أن إحسان عباس ذكر أنه لم يجد في الأصوات المذكورة في مخطوط مسالك الأبصار شعراً لشاعر أندلسي باستثناء شعر الجواري ³، إلا أن الحظ حالفني فعثرت فيه على نتفتين من شعر المعتمد غنتهما جاريته سَعْدَى.

¹ - العبر، 7/758.

² - انظر المقرئ، التّبع، 4/110.

³ - انظر أخبار الغناء والمغنين في الأندلس، مجلة الأبحاث، 1963، 7.

ويبدو أن الدور الأكبر في اختيار هؤلاء الشعراء ومقطوعاتهم الشعرية كان للجواري، فمن بين إحدى وأربعين ننتة ومقطوعة غنتها الجواري في الأندلس كان هناك ننتة ومقطوعة اقترحها المَعْتَمَد على جاريته سَعْدَى وأربع مقطوعات اقترحها الحكم بن هشام على مَهْجَةَ، وهكذا يظهر دور آخر للجواري في الأندلس ألا وهو نشر الشعر عامة وشعر الشعراء المشاركة تحديداً بالإضافة إلى تلحينهن لهذه الأشعار، وتركز غناء هذه الأشعار أيام الأمير عبد الرحمن ابن الحكم وابنه المغيرة وجاءت ننتف ومقطوعات معدودة أيام عبد الرحمن المستظهر¹ والمَعْتَمَد ابن عباد ثم وجدت موشح ابن باجة الذي نظمه أيام دولة الموحدين، ولكني لم أجد مقطوعات شعرية تقليدية غنتها الجواري في بيوت العامة لذا ظلت خصائص الشعر الذي غنته الجواري عند العامة مجهول الهوية وغائب الملامح في بحثي.

الغناء وأثره في تمكين النماذج الشعرية المشرقية

كان الغناء من بين العوامل التي مكنت للنماذج المشرقية في الأندلس، فقد غنت جواري الأندلس مقطوعات مشرقية متعددة بلغت مائة وعشرين بيتاً شعرياً لشاعر جاهلي واحد وشعراء من العصر الإسلامي والعباسي، ونال شعر ابن الرومي نصيب الأسد من مجموع الشعر الذي غنته الجواري في الأندلس؛ فغنين له خمسة عشر بيتاً شعرياً في ثلاث مقطوعات و ننتة واحدة، وتلاه شعر القطامي الذي غنت منه الجواري اثني عشر بيتاً في مقطوعتين شعريتين، وتبعه شعر العباس بن الأحنف الذي تخيرت منه الجواري أحد عشر بيتاً جاءت في مقطوعتين، كما غنين مقطوعتين من عشر أبيات لجرير، ومقطوعتين من ثمانية أبيات لكل من أبي تمام وذو الرمة، وتخيرن مقطوعة من ستة أبيات لعروة بن حزام، كما غنين مقطوعة من أربعة أبيات لكل من البحتري وتوبة بن الحمير والحطيئة والصنوبري وعمر بن أبي ربيعة وقيس بن

¹ - هو أبو المطرف عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر، كان شاعراً بليغاً فطناً، وكاتباً بليغاً خطاً عدّة رسائل وتوقيعات، بويح يوم خروج البربر من قرطبة بعد زوال ملك بني حمود سنة 414هـ، ثمّ ثار عليه ابن عمه محمد بن عبد الرحمن المستكفي بالله، فقتل في السنة نفسها وهو ابن ثلاث أو اثنتين وعشرين سنة، فكانت خلافته 47 يوماً. انظر ابن الأبار، العلة السيرة، 13-12/2، ابن عذاري، البيان المغرب، 140-135/3، الذهبي، سير أعلام النبلاء، 348-347/17.

الخطيم ونصيب بن رباح وشاعر مجهول، واخترن مقطوعة من ثلاثة أبيات لكل من الفرزدق ومسلم بن الوليد وشاعرين مجهولين، وغنين ننتة شعريّة لكل من ابن الدمينة وأبي دهب الجمحي والصمة القشيري وعمر بن أحمد الباهي، وتركزت معظم المقطوعات المشرقية الشعرية التي غنتها الجواري أيام الحكم بن هشام وابنه المغيرة وعبد الرحمن المستظهر أي في عصر حكم بني أمية، إلا إني وجدت مقطوعات أخرى أيام ملوك الطوائف.

وكان شعر ابن الرومي وقصائده إحدى النماذج المشرقية التي مكنتها الجواري في الأندلس، وأقبلن على شعره أكثر من شعر غيره من الشعراء المشاركة، فغنت شعره كل من مَهْجَة وبَهْجَة وعَزِيز وهنَّ من جواري الحكم بن هشام، وكان مجموع شعره الذي غنينه خمسة عشر بيتاً شعرياً، ومنه ما غنت عَزِيز: ¹ [المجتث]

تَأْمُّ لُ الْعَيْبِ عَيْبُ	وَأَيْسَ فِي الْحَقِّ رَيْبُ
فَكُلُّ خَيْرٍ رَوْشَرُ	دُونَ الْعَوَاقِبِ غَيْبُ
وَأَيْمَانُ كُلِّ شَيْءٍ	شَبِيهَةٌ تُشَمُّ شَيْبُ
لَا تَحَقُّ رَنَّ شُيْبًا	كَمْ جَرَّ نَفْعًا شَيْبُ

وكانت رَدَاح جارية عبد الرحمن المستظهر الجارية الوحيدة التي تخيرت شعراً لشاعر جاهلي هو قيس بن الخطيم، فمكنت لمقطوعة جاهلية في أرض الأندلس، قالت: ² [الطويل]

أَتَعْرِفُ رَسْمًا كَأَطْرَادِ الْمَذَاهِبِ	لَعَمْرَةَ وَحَشًا غَيْرَ مَوْقُوفِ رَاكِبِ
دِيَارِ الَّتِي كَادَتْ وَنَحْنُ عَلَى مَنَى	تَحُلُّ بِنَا لَوْلَا نَجَاءُ ³ الرَّاكِبِ
تَبَدَّى لَنَا كَالشَّمْسِ تَحْتَ غَمَامَةٍ	بَدَا حَاجِبٌ مِنْهَا وَضَنَّتْ بِحَاجِبِ
وَلَمْ أَرَهَا إِلَّا ثَلَاثًا عَلَى مَنَى	وَعَهْدِي بِهَا عَذْرَاءُ ذَاتَ ذَوَائِبِ

¹ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 184/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الديوان، 135/1-136.

² - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 198/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الديوان، 76-80.

³ - النجاء: السرعة في السير. ابن منظور، لسان العرب، مادة (نجا) 305/15.

دور الجوّاري في اختيار أصوات الشعر

قد يتوقّع المرء أن دور الجوّاري في اختيار أصوات الغناء ضئيل للغاية، فما هنّ إلا مملوكات يفعلن ما يؤمرن، ويغنين ما يُطلب منهنّ، ربما كانت هذه هي الحال في أماكن أخرى غير الأندلس، أو أنها حال غير الأندلسيين وغير الجوّاري الأندلسيات، فمهاراتهنّ ومخزونهنّ الشعري وشخصياتهنّ وفرت لهنّ مكانة عالية عند أسيادهنّ وصرن موضع ثقتهنّ، فأوكلوا إليهنّ مهمة اختيار الأصوات، واعتمدوا على أدواقهنّ وسرعة بديهتهنّ في اختيار مقطوعات الغناء، إلا أن ثقة الأندلسيين بأدواق جواريمهم لم تمنعهم أن يطلبوا منهنّ أن يغنين مقطوعات شعرية يرغبون في سماعها.

واقترح كلُّ من الحكم بن هشام والمُعتمد وابن باجة على الجوّاري خمس مقطوعات ونبقة وموشحين، أمّا الجوّاري فاخترن وغنين اثنتي عشرة نبقة ومقطوعة وقصيدة واحدة وموشحاً، كما أنهنّ غنين من نظمهنّ بيتين مفردين وأربع نبقة ومقطوعتين شعريتين، وهناك مقطوعات شعرية أظنّها من اقتراح الجوّاري ولكن لا يمكنني القطع بأنها من اقتراحهنّ؛ فابن فضل الله العمري ذكر لسبع جوارٍ تسع عشرة نبقة ومقطوعة عنون كلاً منها بقوله " من أصواتها"¹، ولم تكن كلُّ الأصوات الشعرية التي غنّتها الجوّاري من اقتراح سادتهنّ أو اقتراحهنّ؛ فهناك مقطوعتان لم يُذكر من غنّتهما أو من اقتراحهما، وكان هناك إشارة إلى أن هاتين المقطوعتين يُغنى بهما في الأندلس والمقطوعتان للمُعتمد² وابن الحدّاد³.

وكان الحكم بن هشام أكثر السادة الذين اقترحوا الشعر، فاقترح أربع مقطوعات لكل من جرير وذي الرمة والفرزدق وأبي تمام وكانت مُهجة هي الجارية التي تأخذ اقتراحاته لأنه

¹ - انظر ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 10/194-202، رقم المخطوط 3423،

ميكروفيلم الجامعة الأردنية.

² - انظر الديوان، 20.

³ - انظر المقرئ، النفع، 5/50.

يقترح الصوت عليها شخصياً، وأحياناً لأنها أسرع الجواري في صياغة الصوت الذي يطلبه؛
فبعد أن فارقت الحكم إحدى جواريه أنشد قول ذي الرمة: ¹ [الطويل]

أفي الدار تبكي أن تحمّل أهلها وأنت امرؤ قد حكمتك العشائر

وقال إن من تسبق الأخباريات إلى عمل لحن في هذا البيت وما يضم إليه فلها ما تطلبه
وتشتهيه، فبادرته مهجة وقالت: ² [الطويل]

أفي الدار تبكي أن تحمّل أهلها
فلا ضير أن تستعبر العين إنني
وأن لا يني يا ممي من دون صحتي
وأن لا ينال الركب تهويم وقعة
وأنت امرؤ قد حكمتك العشائر
على ذلك إلا جولة الدمع صابر
لك الدهر من أحوثة النفس ذاكراً
من الليل إلا اعتادني منك زائر

أما المعتمد فبعد أن ودّع بعض حظاياها وأرسلهن إلى بلد آخر، نظم شعراً ثم أرسله إلى
سعدى وأمرها أن تغني فيه صوتاً فغنّته: ³ [الكامل]

سأيرتهم والليل غفل ثوبه
فوقفت ثم مودعاً وتسلمت
حتى تبدى للنواظر مكلماً
مني يد الإصباح تلك الأنجماً

وتخيّرت الجواري بعض المقطوعات الشعرية في مجالس الأُنس وغنّتها، ويبدو أن
بعض هذه المجالس ضمّ مغنيات عدّة وضيوفاً كثر، فقد نكر ابن حزم قصة جارية مغنية

¹ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطار، 188/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم
الجامعة الأردنية، الديوان، 1012/2-1015.

² - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطار، 189-188/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم
الجامعة الأردنية، الديوان، 1012/2-1015.

³ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطار، 200/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم
الجامعة الأردنية، الديوان، 26.

انتظرت دورها بعد العديد من الجواري المغنيات في مجلس يجمع أكابر القوم، واختارت بنفسها شعراً يفضح محبوبها فضيحة مستورة، فغنت له مقطوعة لشاعر قديم وقالت: ¹ [الوافر]

غزالٌ قد حَكَى بَدْرَ التَّمَامِ كَشَمْسٍ قَدْ تَجَلَّتْ مِنْ غَمَامِ
سَبَى قَلْبِي بِالْحَاظِ مِرَاضِ وَقَدَّ الْغُصْنِ فِي حُسْنِ الْقَوَامِ
خَضَعْتُ خُضُوعَ صَبٍّ مُسْتَكِينِ لَهَا وَذَلَّلْتُ ذَلَّةَ مُسْتَهَامِ
فَصَلِّني يَا فَديُّكَ فِي حَلالِ فَمَا أَهْوَى وَصَالاً فِي حَرَامِ

ومن الجدير بالذكر أن مجالس الغناء لم تجمع بين الرجال والجواري فحسب، وضمت بعض المجالس جواري ونساء أندلسيات حرائر؛ فقد ذكر ابن حزم مجلساً اجتمعت فيه بعض قريباته وطلبن من جارية أن تطربهن بغنائها فاختارت مقطوعة للعباس بن الأحنف وغنتها ومنها: ² [البسيط]

إني طرِبْتُ إلى شَمْسٍ إذا غرَبَتْ كَانَتْ مَغَارِبُهَا جَوْفَ الْمَقَاصِيرِ ³
شَمْسٌ مُمَثَّلَةٌ فِي خَلْقِ جَارِيَةٍ كَأَنَّ أَعْطَافَهَا طَيُّ الطَّوَامِيرِ

وجاءت معظم اقتراحات الجواري للأصوات الشعرية خارج مجالس الغناء، واخترن أصواتهن وغنينها إما للتعبير عن مشاعرهن أو للتخفيف عن سادتهن، ومن الأصوات التي اختارتها الجواري للتعبير عن مشاعرهن شعر لعمر بن أحمد الباهي غنته رَدَّاح عندما خرجت لوداع عبد الرحمن المستظهر فقالت وهي تبكي: ⁴ [الطويل]

إذا ما كَتَمْنَا الحُبَّ نَمَّتْ عُيُونُنَا عَلَيْنَا وَأَبْدَتُهُ العُيُونُ السَّوَاكِبُ

¹ - رسائله، 135/1.

² - رسائله، 249/1-251.

³ - مقاصير: إذا كانت دار واسعة محصنة الحيطان فكل ناحية منها على حياها مقصورة وجمعها مقاصير ومقاصير. ابن منظور، لسان العرب، مادة (قصر) 100/5.

⁴ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 198/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية.

وإن نحن أخفينا ضمائر حُبنا أشارت بتسليم علينا الحواجبُ

وغنت رداح صوتاً لتوبة بن الحمير كي تخفف عن سيدها عبد الرحمن المستظهر بعد
أن حُجبت عنه جارية أحبها وهي في ملك امرأة حرة، فقالت: ¹ [الطويل]

تَمَسَّكَ بِحُبِّ الْأَخِيَّيَّةِ وَاطَّرَحَ عَدَا النَّاسُ فِيهَا وَالْوَشَاةُ الْأَدَانِيَا
فَإِنْ يَمْنَعُوا لَيْلِي وَحُسْنَ حَدِيثِهَا فَلَمْ يَمْنَعُوا مِنِّي الْبُكَاءَ وَالْقَوَافِيَا
يَلُومُوكَ فِيهَا اللَّائِمُونَ فَصَاحَةً فَلَيْتَ الْهَوَى بِاللَّائِمِينَ مَكَانِيَا
لَوْ أَنَّ الْهَوَى فِي حُبِّ لَيْلِي أَطَاعَنِي أَطَعْتُ وَلَكِنَّ الْهَوَى قَدْ عَصَانِيَا

كما شعرت بهجة بمصاب سيدها الحكم عندما اشتاق لإحدى جواريه بعد أن خرجت
للتنزه، فاخترت له صوتاً من شعر البحثري وغنت: ² [الطويل]

أَحْبَابَنَا قَدْ أَنْجَزَ الْبَيْنُ وَعَدَهُ وَشِيكاً وَلَمْ يُنَجِّرْ لَنَا مِنْكُمْ وَعَدُ
أَطْلَالَ دَارِ الْعَامِرِيَّةِ بِاللَّوَى سَقَتْ رَبْعَكَ الْأَنْوَاءُ مَا فَعَلَتْ هِنْدُ

وغنت الجارية عزيز صوتاً من شعر نصيب بن رباح عندما رأت الحكم حزينا
لإعراض إحدى جواريه عنه فقالت: ³ [الطويل]

بَزِينَبَ أَلِمَّ قَبْلَ أَنْ يَرْحَلَ الرَّكْبُ وَقُلْ إِنْ تَمَّيْنَا فَمَا مَلَأَ الْقَلْبُ

¹ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 198/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم
الجامعة الأردنية.

² - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 187/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم
الجامعة الأردنية، الديوان، 741-740/2.

³ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 186/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم
الجامعة الأردنية، الديوان، 60.

وَقُلْ إِن أَنْلَ بِالْحُبِّ مِنْهَا مَوَدَّةً
وَقُلْ فِي تَجَنُّبِهَا لَكَ الذَّنْبُ إِنَّمَا
فَمَنْ شَاءَ رَامَ الْوَصْلَ أَوْ قَالَ ظَالِمًا

فَمَا فَوْقَ مَا لَاقَيْتُ مِنْ حُبِّكُمْ حُبُّ
عَتَابِكُ إِن عَاتَبْتُ فِيمَا لَهُ عَتَبُ
لِذِي وَدَّ ذَنْبًا وَلَيْسَ لَهُ ذَنْبُ

ولم ينته دور الجواري عند اختيار المقطوعات الشعرية فقامت بعضهن بتأليف الألبان للمقطوعات الشعرية، وابن فضل الله العمري هو المؤرخ الوحيد _ بالاعتماد على المصادر المتوفرة بين يدي _ الذي أشار إلى أن بعض الجواري وضعن ألباناً للمقطوعات الشعرية التي غنيتها، فقال إن جوارى الحكم صنعن ألباناً عدّة للفوز بمسابقة عقدها الحكم، وفازت فيها الجارية بهجة التي صنعت لحناً في شعر لعروة بن حزام¹، كما صنعت مهجة لحناً للحكم في شعر أبي تمام².

كما استخدم ابن فضل الله العمري كلمة صوت للدلالة على اللحن، فقال في رداح جارية عبد الرحمن المستظهر عندما صاغت لحناً في شعر لتوبة بن الحمير أنها: "صنعت صوتاً وجودته ثم دخلت عليه وهي تُغني به"³، وقال عنها في موضع آخر "ثم اندفعت في صوت صنعته تُغني"⁴، كما قال إن مهجة صنعت صوتاً في شعر أبي تمام⁵، أي أن مجموع ما قامت الجواري بتلحينه هو أربع مقطوعات ومنتفة قامت كل من بهجة ومهجة ورداح بتلحينها، ولا أظن أن هذه المقطوعات والمنتفة هي كل ما لحنته الجواري ولكن هذا هو كل ما توفر لي في المصادر التي تمكنت من الحصول عليها.

¹ - انظر ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 187/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية.

² - انظر ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 189/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية.

³ - انظر ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 198/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية.

⁴ - انظر ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 198/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية.

⁵ - انظر ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 187/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية.

موضوعات شعر الغناء

1- الغزل

لم تَفَنَّعَ الجوّاري في الأندلس بأن يتغنّى بهنّ الشعراء ويتغزلوا بهنّ وينظموا فيهنّ المقطوعات القصيرة والقصائد الطويلة، فتخطين كلّ ما سبق ووظفن شاعريتهنّ وعلمهنّ بالشعر كي يُغنّين شعر الغزل ويصنّغن فيه الألحان.

وعلى الرغم من أن أحمد أمين يرى أن الأندلسيين استعانوا على الغزل بالغناء والموسيقا¹، إلا إنني أرى أنّ الجوّاري استعنّ بكلّ من الغزل والغناء على الآخر؛ فشعر الغزل ومشاعر الحب ينتشران بطريقة أسرع وأسهل عن طريق الغناء، كما أن الغناء يلقي رواجاً بين الناس إذا ما كان عن الحب والغزل، ولما كان كلّ من الغناء وشعر الغزل والحب فناً تميل إليه النفوس فقد تحققت في اجتماعهما لذّة كبيرة تآقت إليها نفوس الأندلسيين، وقد حققت لهم الجوّاري هذه اللذّة بمهارتهنّ وأدبهنّ؛ فوظفن أصواتهنّ وعلمهنّ بالموسيقا مع معرفتهنّ بالشعر.

وغنّت الجوّاري شعراً غزلياً تقليدياً توجّهنّ في معظمه إلى مقدمات القصائد المشرقيّة التي تناولت الأطلال والوقوف على الديار، وقدّمن هذه الأشعار البدوية القديمة ببراعة وتناسق مع البيئة الأندلسيّة المترفة، فوجدن لكلّ موقف يعشّنه ما يوافقه من الغزل التقليدي، وبهذا فقد مكّنت للشعر العربي ونشرته في الأندلس من جهة، وأبدعن في التعبير عن مجريات حياتهنّ اليومية من جهة أخرى، كما أنهنّ أرضين أذواق سادتهنّ المفتونين بالشعر القديم والمتمسكين به وبأصولهم المشرقيّة.

كما غنّين أبياتاً شعرية في الغزل العذري وحركن مشاعر سادتهنّ وتملكن قلوبهم ليستأثرن بهم ويحققن مطالبهنّ، ولم يكن غناء شعر الغزل العذري حاجةً عند الجوّاري فحسب، فقد شجع بعض الأندلسيين أمثال الأمير عبد الرّحمن بن الحكم والمُعتمد بن عبّاد جواربهم على

¹ - انظر ظهر الإسلام، 33/2.

غناء شعر الغزل العُذري وعقدوا المسابقات الشعرية بينهم أو اقترحوا عليهن غزلاً عُذرياً، وبهذا حاز السادة على المتعة ومكنوا الثقافة العربية في الأندلس.

ويبدو أن وجود الجواري اللواتي غنّين الشعر لم يقتصر على قصور الأمراء، وإنما تعدّاه إلى بيوت الخاصة والعامة، وما انتشر شعر الغناء في الأندلس إلا دليل على حب الأندلسيين للشعر والغناء والجواري المغنيات، فقد غنّت إحدى عشرة جارية في كل من عصر الإمارة وعصر ملوك الطوائف مائة وستة أبيات في الغزل مابين مقطوعة ونتفة شعرية، وكان بينهم خمس جوارٍ للأمير عبد الرحمن بن الحكم وابنه المغيرة، وقد غنت الجواري الخمس تسعة وستين بيتاً شعرياً، كما ذكرت جميع أسماء جواري الحكم وابنه، ويتضح أن صاحب مسالك الأبصار ركّز على شعر الغناء في عصر الإمارة وأعطى تفاصيل عن الجواري فيه وعن أسمائهن؛ فوصف شكل بعض الجواري ومحاسنهن، وتحدّث عن صفات وعلوم جوار أخريات، وأورد قصصاً عن أحوالهن مع سادتهن، وبعض الأشعار التي غنّيتها أو عملن فيها أصواتاً، ولكنه لم يُعط الاهتمام نفسه لعصر ملوك الطوائف.

وكان للغزل التقليدي النصيب الأكبر من الشعر الذي غنّته الجواري في الأندلس، ويبدو أنهم ملن إلى اختيار أشعار حول أطلال المحبوبة وبكاء ديارها، وكان معظم الغزل العُذري من المقدمات الطلّية لقصائد طويلة، ومنها الشعر الذي غنّته فاتن وهو من شعر الحطيئة تقول: ¹
[الطويل]

أَمِنْ رَسْمِ كَلْدٍ ² مَرَبَعٍ وَمَصِيفُ	بِعَيْنَيْكَ مِنْ مَاءِ الشُّؤْنِ وَكَيْفُ ³
تَذَكَّرْتُ فِيهَا الْجَهْلَ حَتَّى تَبَادَرْتُ	دُمُوعِي وَأَصْحَابِي عَلَيَّ وَقُوفُ
يَقُولُونَ هَلْ تَبْكِي مِنَ الشُّوقِ حَازِمُ	وَإِنْ بَانَ حُبُّ بَالِنُورِ وَأَلَيْفُ

¹ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 191/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الديوان، 166-168.

² - الكلد والكندى: المكان الصلّب من غير حصي. ابن منظور، لسان العرب، مادة (كلد) 380/3.

³ - وكيف: وكف الدمع والماء وكفاً ووكيفاً ووكوفاً ووكاناً: سال، ووكتت العين الدمع وكفاً ووكيفاً: أسألته. ابن منظور، لسان العرب، مادة (وكف) 362/9.

فَلأَيَّأَ أَرَا حَتَّ عِلَّتِي ذَاتُ مَنْسَمٍ نَكَيْبٍ تَغَالَى فِي الزَّمَامِ خُنُوفٌ¹

ولم يكن اختيارهنَّ شعر الغزل التقليديّ مفصلاً عن واقعهنَّ؛ أي أن بعضهنَّ ربطنَّ بين الغزل التقليدي ومُجريات الحياة اليومية وأحداثها؛ فبِهَجَّةٍ عندما رأت سيدها الأمير عبد الرَّحْمَنَ مهموماً حزيناً لفراق إحدى جواريه التي خرجت لتتنزه غنَّت له قول البحتري:²

[الطويل]

أَحْبَابَنَا قَدْ أَنْجَزَ الْبَيْنُ وَعَدَّةَ وَشَيْكاً وَلَمْ يُنْجِزْ لَنَا مِنْكُمْ وَعَدُ
أَطْلَالَ دَارِ الْعَامِرِيَّةِ بِاللَّوَى سَقَتْ رَبْعَكَ الْأَنْوَاءُ مَا فَعَلَتْ هِنْدُ
بِنَفْسِي مَنْ عَذَّبْتُ نَفْسِي مَحَبَّةً وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ وَصَالٌ وَلَا وُدُّ
حَبِيبٌ مِنَ الْأَحْبَابِ شَطَّتْ بِهِ النَّوَى وَأَيُّ حَبِيبٍ مَا أَتَى دُونَهُ الْبُعْدُ

وعلى الرغم من أن الشعر الذي اختارته بهجة كان عن الأطلال وسقايتها، إلا أن الأبيات المنتقاة _ من قصيدة طويلة _ كانت ملائمة للحالة التي عاشها سيدها، كما أنها تتحدث عن فراق المحبوبة وهو ما يعانيه عبد الرَّحْمَنُ بن الحكم.

وربما توجَّهت الجواري إلى غناء الغزل التقليدي لأنهنَّ توقعنَّ أن سادتهنَّ يميلون إلى هذا النوع من الشعر، خصوصاً أن الجواري اللاتي غنينَّ شعر الغزل التقليدي _ الذي وجدته _ كُنَّ للأمير عبد الرَّحْمَنُ بن الحكم وابنه المغيرة، وقد كان كلُّ منهما من مُحبي الثقافة المشرقيَّة³

¹ - خُنُوفٌ: الناقة التي إذا سارت قلبت خُفَّ يدها إلى وحشيِّه من خارج. ابن منظور، لسان العرب، مادة (خنف) 97/9.

² - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 187/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الديوان، 740/2-741.

³ - انظر ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 194/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية.

التي يمتدُّ إليها أصلهما الأمويّ، ومما يؤكد ميل هؤلاء السادة الأمويين إلى الغزل التقليدي هو أنه لما ابتلي الأمير عبد الرحمن بفراق إحدى محظياته طفق يُكرّر قول ذي الرّمّة: ¹ [الطويل]
أفي الدّارِ تَبْكِي أَنْ تَحْمَلَ أَهْلَهَا وَأَنْتَ أَمْرٌ قَدْ حَكَمْتَكَ الْعَشَائِرُ

ثمّ قال لجواريه: " أبتكنّ سبقت إلى عمل لحن في هذا البيت وما يضم إليه فلها حكمها " فسبقت
مُهَجَّةَ الجوّاري الأخرى وصنعت لحناً، وغنت قائلة: ² [الطويل]

أفي الدّارِ تَبْكِي أَنْ تَحْمَلَ أَهْلَهَا وَأَنْتَ أَمْرٌ قَدْ حَكَمْتَكَ الْعَشَائِرُ³
فَلَا ضَيْرَ أَنْ تَسْتَعْبِرَ الْعَيْنُ إِنِّي عَلَى ذَلِكَ إِلَّا جَوْلَةَ الدَّمْعِ صَابِرُ
وَأَنْ لَا يَنِي يَا مَيِّ مِنْ دُونَ صُحْبَتِي لَكَ الدَّهْرُ مِنْ أُحْدُوثَةِ النَّفْسِ ذَاكِرُ
وَأَنْ لَا يَنَالَ الرِّكْبُ تَهْوِيمٌ⁴ وَقَعَةٌ مِنْ اللَّيْلِ إِلَّا اعْتَادَنِي مِنْكَ زَائِرُ

وكان الغزل العذري من الأبواب التي طرفتها الجوّاري كي يجذب المستمعين الأندلسيين إليهنّ ويسكرنهم بألحانهنّ أو يؤثرن عليهم ويحققن مرادهنّ، وهذا ما فعلته ردّاح مع الأمير عبد الرحمن بن الحكم؛ ذلك أنه لما عقد العزم على الخروج للنزهة خرجت ردّاح مع بقية الجوّاري لوداعه، فوقفت وقفة المتعني وبكت وغنت صوتاً من شعر شاعر مجهول، تقول:
⁵ [الطويل]

إِذَا مَا كَتَمْنَا الحُبَّ نَمَّتْ عِيُونُنَا عَلَيْنَا وَأَبْدَتْهُ العُيُونُ السَّوَاكِبُ
وَإِنْ نَحْنُ أَخْفَيْنَا ضَمَائِرَ حُبِّنَا أَشَارَتْ بِتَسْلِيمِ عَلَيْنَا الحَوَاجِبُ

¹ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 188/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الديوان، 1012/2-1015.

² - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 188/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الديوان، 1012/2-1015.

³ - الديوان، 1012/2.

أفي الدّارِ تَبْكِي أَنْ تَفَرِّقَ أَهْلَهَا وَأَنْتَ أَمْرٌ قَدْ حَكَمْتَكَ الْعَشَائِرُ

⁴ - التّهويم: النوم الخفيف. ابن منظور، لسان العرب، مادة (هوم) 624/12.

⁵ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 198/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية.

فلما سمعها الأمير عبد الرحمن بكى لبكائها وضمّمها، وسأل بقية جواريه إن كان بينهم من يستطيع أن تفعل ما فعلت ردّاح فلم تستطع أيّ منهم، وعندها أمر ردّاح أن تأتي معه فسألته أن تأتي معها بقية الجواري فوافق الأمير على طلبها¹.

ولم يكن غناء الجواري الشعر العذري لتلبية حاجة في نفوسهن؛ فقد طلب بعض السادة من جواريه أن يُغنين شعراً عذرياً ومن بينهم الأمير عبد الرحمن بن الحكم الذي دخل يوماً على جواريه وقال لهن: إنه سيكافئ أفضل من تصنع لحناً في شعر من أشعار عشاق العرب، فصنعت كلّ منهن لحناً في شعر تخيرته، إلا أنه فضل ما غنّته جاريتها بهجةً وكان شعراً لعروة ابن حزام العذري تقول: ² [الطويل]

وإنّي لتعروني لذكراك هزّة	لها بين جدي والعظام ديب
وما هو إلا أن أراها فجاءة	فأبّهت حتى ما أكاد أجيب
وأطرف عن رأيي الذي كنت أرتأي	وأنسى الذي أعددت حين تغيب
ويظهر قلبي عذرها ويعينها	عليّ فما لي في الفؤاد نصيب
وقد علمت نفسي مكان شفاها	قريباً وهل ما لا يُنال قريب
لئن كان برد الماء أبيض صافياً	إليّ حبيباً إنّها لحبيب

ويظهر لي من الرواية السابقة أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم تعمّد خلق منافسة شعرية موسيقية غنائية بين جواريه؛ فقد كان على كلّ منهن أن تُفتش في مخزونها الشعري عن شعرٍ متميّز لشاعرٍ متميّز، وتُلحّنه بلحن مناسب، ثم تقوم بغناء الشعر المختار حسب اللحن المصنوع، وهكذا يفوز الأمير عبد الرحمن بلذة معنوية، وينشر الثقافة العربية في قصره، ويُخلّد شعر الغزل العربي القديم وشعره، ويفتح الباب على مصراعية أمام إبداع جواريه.

¹ - انظر ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 198/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية.

² - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 187/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الأصبهاني، الأثنايي، 310/23.

أما المُعتمد بن عباد ففضلّ تأريخ حادثة له مع إحدى جواريه، كما أنه خلد جزءاً من مخزونه الشعريّ، وعكس حبّه للشعر الغزليّ المشرقيّ الممزوج بالغناء؛ فبعد أن رأى إحدى جواريه مُصفرةً من الحمّى اقترح على جاريته سُعدى أن تصنع لحناً في قول العباس بن الأحنف: ¹ [السريع]

عَاوَدَهَا مِنْ سُقْمِهَا نُكْسُ	إِنَّ التّي هَامَتْ بِهَا النَفْسُ
أَبْرَأَهُ مِنْ كَفِّهَا اللَّمْسُ	كَانَتْ إِذَا مَا جَاءَهَا الْمُبْتَلَى
قَدْ عَشَقَّتْهُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ	وَإِ بِأَبِي الْوَجْهَ الْمَلِيحِ الَّذِي
فَرَبَّمَا تَتَكَّ سِفُ الشَّمْسُ	إِنْ تَكُنِ الْحُمَى أَضَرَّتْ بِهِ

ولم أجد في الشعر الذي _ توفر لي _ وغنّته الجوّاري ألفاظاً بديئة أو فاحشة، لكنّ هذا لا يدلّ على أن شعر الغناء في الأندلس كان شعراً نقيّاً طاهراً، ولا يثبت أن جميع الجوّاري تخيّر شعراً ملائماً لمجتمعهنّ.

وعلى الرغم من أن الأمثلة السابقة كانت عن جوارٍ غنين شعراً في قصور حكام الأندلس، إلا أن غناء الشعر لم يبق رهين قصور الحكام، فامتد إلى قصور الخاصّة وبيوت العامة؛ فقد ذكر ابن حزم أن جارية وفتى كانا يتحابان فلما طلبها في ما لا يحلّ فضحته فضيحةً مستورة لم يفهما غيرهما، وكان ذلك أثناء جلوسهما في مجلس لبعض أكابر الملوك وأركان الدولة وأجلّ رجال الخلافة، وكانت فضيحتها إياه بأبيات قديمة مجهولة القائل، فغنّتها قائلة: ² [الوافر]

كَشَمَسَ قَدْ تَجَلَّتْ مِنْ غَمَامِ	غَزَالَ قَدْ حَكَى بَدْرَ التَّمَامِ
وَقَدْ الْغُصْنِ فِي حُسْنِ الْقَوَامِ	سَبَى قَلْبِي بِالْحَاظِ مِرَاضِ
لَهُ وَذَلَّلْتُ ذَلَّةَ مُسْتَهَامِ	خَضَعْتُ خُضُوعَ صَبِّ مُسْتَكِينِ
فَمَا أَهْوَى وَصَالاً فِي حَرَامِ	فَصَلِّني يَا فَدَيْتُكَ فِي حَلَالِ

¹ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطار، 200/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم

الجامعة الأردنية، الديوان، 160-161.

² - رسائله، 135/1.

ونالت بعض بيوت العامة نصيبها من شعر الغناء الذي لاقى رواجاً في الأندلس؛ فقد ذكر إنه إذا ما جنَّ الليل بمالقة سُمعت أصوات أوتار العيدان والطنابير والمعازف من كل ناحية¹، ولا بدَّ أن الجواري كان لهنَّ نصيب من هذا العزف المرفق بغناء لأشعار متعددة الموضوعات، وإن كان هذا حال مالقة فما بالك بحال إشبيلية عاصمة الغناء والموسيقا في الأندلس؟².

وواضحٌ جليٌّ أن شعر الغزل الذي غنَّته الجواري كان لشعراء مشاركة، ولكن هناك جارية غنَّت شعراً غزلياً لم يُشر أيُّ من الرواة الذين ذكروه إلى صاحبه، لذا هناك إمكانية في أن يكون صاحب الشعر المُغنى شاعراً أندلسياً، وقد سمع القاضي محمد بن أبي عيسى³ هذه الجارية التي غنَّت فقالت: ⁴ [الكامل]

طَابَتْ بِطَيْبِ لِنَاتِكَ الْأَقْدَاخُ	وَزَهَتْ بِحَمْرَةِ خَدِكَ التَّقَاخُ
وَإِذَا الرَّيْبُ تَسَمَّتْ أرواحُهُ	طَابَتْ بِطَيْبِ نَسِيمِكَ الْأرواحُ
وَإِذَا الْحَنَادِسُ ⁵ أَلْبَسَتْ ظِلْمَاءَهَا	فَضِيَاءُ وَجْهِكَ فِي الدُّجَى الْمِصْبَاخُ

¹ - انظر إحسان عباس، أخبار الغناء والمغنين في الأندلس، مجلة الأبحاث، 1963، 18، نقلاً عن التجيبي، شرح المختار من شعر بشار، 15-16.

² - انظر المقرئ، النفع، 1/154.

³ - هو أبو عبد الله محمد بن أبي عيسى من بني يحيى بن يحيى الليثي، كان فقيهاً عالماً أديباً وشاعراً، وُلِّي قضاء الجماعة بقُرطبة بعد عودته من رحلة إلى المشرق، كان قد جمع فيها الأخبار والروايات وحجَّ، كان يُكثِر من الخروج إلى الثغور ليُصلِح ما وَهَى منها، فاعتلَّ في آخر خرجاته، وتوفي في بعض الحصون المجاورة لطليطلة سنة 337هـ. انظر الحميدي، جَذْوَةُ الْمُقْتَبِسِ، 1/126-127، ابن خاقان، مطمع الأنفس، 261-264، الضبِّي، بُغْيَةُ الْمُتَمَسِّ، 145، المقرئ، النفع، 2/233-235.

⁴ - الحميدي، جَذْوَةُ الْمُقْتَبِسِ، 1/126، ابن خاقان، مطمع الأنفس، 261-262، الضبِّي، بُغْيَةُ الْمُتَمَسِّ، 111، المقرئ، النفع، 2/233، 5/106-107.

⁵ - الحنادس: ليلة حنيسة وليل حنيس مظلم، والحنادس ثلاث ليالٍ من الشهر لظلمتهنَّ ويُقال دحامس. ابن منظور، لسان العرب، مادة (حنيس) 6/58.

ويبدو أنه أعجب كثيراً بهذا الشعر حتى إنه كتب الأبيات في ظهر يده، ولم يتحرّج أن يخرج بعدها إلى صلاة الجنازة والأبيات مكتوبة في ظهر يده¹.

2- الشكوى

كان الهدف الرئيس من شراء الجوّاري هو المتعة والتسلية ونشر أجواء المرح والسعادة، فكيف تُعني الجوّاري شعراً يُثير الحزن ويبعث الشجن في النفوس؟ وكيف استطعن انتقاء الشعر في الشكوى وغناؤه وهنّ لم ينظمن أي شعرٍ يشتكين فيه من حالهنّ؟ حتى إن الأرجوزة اليتيمة التي وصفت معاناة إحدى الجوّاري وشكواها من حالها وسيدها لم تكن من نظم الجارية وإنما نظمها سيدها ابن مسعود.

وأظن أن غناء الجوّاري شعراً في الشكوى ربّما كان لإثارة نوع جديد من مشاعر المستمعين، فلا بدّ أن بينهم من له همّ يشكو منه أو حبيباً فارقه أو حبّاً يعذّبه، وربّما غنّت الجوّاري شعر الشكوى كي يُعبّرن عن حالهنّ ومشاعرهنّ؛ أي أنهنّ عبّرن عن أنفسهنّ بشعر غيرهنّ وبطريقة غير مباشرة، ومن الطبيعي أن تذوق إحداهنّ طعم الهجران فتشكو من الفراق، أو أن تحس بالآلام الحب وعذاباته فتشكو منه، أو أن يتركها أحدهم فتتذكر خيبات أملها السابقة وكلّ من تركها من رجال.

وربّما لاقى هذا الغرض الشعري رواجاً بين أهل الأندلس، فقد حلّ في المرتبة الثانية بعد الغزل _ حسب المصادر المتوفرة بين يدي _ وغنّت فيه الجوّاري أربعة عشر بيتاً شعرياً، وكان كلّ هذا الشعر في عصر الأمير عبد الرّحمن وابنه المغيرة باستثناء نفقة واحدة للجارية ردّاح في عصر ملوك الطوائف.

وكان معظم شعر الشكوى الذي انتقته الجوّاري كي يغنيهن لشعراء يشكون من هجران المحبوبة وبُعدها عنهم، سواءً أكان البُعد خيار المحبوبة أم أنه قضاء الله الذي قدره على

1- انظر الحميدي، جَذْوَةُ الْمُقْتَبِس، 126/1، ابن خاقان، مطمع الأنفس، 262، الضبّي، بُغْيَةُ الْمُتَمَس، 111، المقري، النَّفْع، 233/2، 106/5-107.

الشاعر، وقد يعود السبب وراء غناء مُهَجَّة لشعر ابن الدمينة _ وهو يشكو من الهجران _ إلى أنها كانت تعاني من الفراق هي الأخرى أو أنها استنكرت محبوباً فارقها، كيف لا وهي تقابل رجالاً عدّة في مجالس الأُنس وقد تُحبُّ أحدهم فلا تستطيع لقاءه أو وصله، فما هي إلا جارية سلبية الإرادة ولا خيار أمامها غير الصبر، قالت: ¹ [الطَّويل]

لَقَدْ كَانَ فِي الْهَجْرَانِ أَجْرٌ لَقَدْ مَضَى لِي الْأَجْرُ فِي الْهَجْرَانِ مِنْذُ زَمَانِ
فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي أَكُلُّ ذَوِي الْهَوَى عَلَى مَا بَنَا أَمْ نَحْنُ مُبْتَلِيَانِ

وغنّت الجوّاري شعراً شكّا فيه ناظموه من آلام الحب وما يرافقه من أرق ودموع وتفكير في المحبوبة مثل غناء رغد لصوت في شعر الصّتوبري فقالت: ² [المنسرح]

لَا النَّوْمُ أَذْرِي بِهِ وَلَا الْأَرْقُ يَذْرِي بِهِذِينَ مَنْ بِهِ رَمَقُ
إِنَّ دَمَوْعِي مِنْ طَوْلٍ مَا اسْتَبَقَتْ كَلَّتْ فَمَا تَسْتَطِيعُ تَسْتَبِقُ
وَلِي مَا يَكُ لَمْ تَبْدُ صَوْرَتُهُ مُذْ كَانَ إِلَّا صَلَّتْ لَهَا الْحَدَقُ
نَوَيْتُ تَقْبِيلَ نَارٍ وَجَنَّتِيهِ وَخَفِيتُ أَدْنُو مِنْهَا فَأَحْتَرِقُ

ويبدو أن رغد لم تشكّ من عذابات الحب فحسب، بل إنها أخذت تُعدّد كل من هجرها واستعانت على ألمها هذا بغناء شعر لجريير كان قد عدّد فيه أسماء محبوباته السابقات فقال: ³ [الطَّويل]

¹ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأَبصار، 190/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية.

² - ابن فضل الله العمري، مسالك الأَبصار، 193/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الديوان، 369.

³ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأَبصار، 192/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الديوان، 834-835.

لقد هاج هذا القلبُ عينا مريضةً
صحا القلبُ عن سلمي وقد برحت به
إذا سايرت أسماء يوماً ظعائناً
تقول سلمي ليس للبين راحة

أجالت قذى ظلت به العينُ تمرح¹
وما كان يلقى من تماضير أبرح
فأسماء من تلك الطعائن أملك
بلى إن بعض البين أشفى وأروح

3- الفخر

لم تحفظ المصادر المتوفرة الكثير من شعر الفخر الذي غنته الجواري، وربما كان هذا لعدم إقبال سادتهن على الاستماع لهذا الغرض من الشعر أو لأنهن لم يملن إلى شعر الفخر، ومن الجدير بالذكر أن المقطوعات الثلاث التي جاءت في الفخر غنتها مَهْجَةٌ وعَزِيْزٌ جاريتا الأمير عبد الرحمن بن الحكم المعروف بحبه للثقافة والشعر المشرقي _ كما ذكرت سابقاً، وربما عمدتا إلى شعر الفخر كي ترضيا سيدهما خصوصاً أنه طلب من مَهْجَةٌ أن تصوغ صوتاً في شعر لأبي تمام يفخر فيه بقومه وهو قوله: ² [الطويل]

أنا ابنُ الذين استرضع المجدُ فيهم
مَضَوْا وكان المكرّمات لديهم
فأيُّ يدٍ في المجدِ مُدَّتْ فلم تكن
هُم استودعوا المعروفَ محفوظاً مالنا

وسُمِّيَ فيهم وهو كهلٌ ويافع
لكثرة ما أوصوا بهن شرايع
لها راحة في مجدهم وأصابع
فضاع وما ضاعت لدينا الصنائع

وربما أحست مَهْجَةٌ بإعجاب سيدها بهذا اللون من الشعر، فعادت الكرة وغنت له مقطوعة أخرى من فخر أبي تمام بقومه فقالت: ³ [الطويل]

¹ - تمرح: مَرِحَتِ العَيْنُ مَرَحَاناً اشْتَدَّ سِيلَانُهَا. ابن منظور، لسان العرب، مادة (مرح) 592/2.
² - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 187/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، شرح ديوان أبي تمام، 958-959.
³ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 189/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، شرح ديوان أبي تمام، 952.

جَرَى حَاتِمٌ فِي حَلْبَةِ مَنْهُ لَوْ جَرَى
فَتَى دَخَرَ الدُّنْيَا أَنْاسٌ وَلَمْ يَزَلْ
فَمَنْ شَاءَ فَلْيَفْخَرْ بِمَا شَاءَ مِنْ نَدَى
جَمَعْنَا الْعُلَى بِالْجُودِ بَعْدَ افْتِرَاقِهَا
بِهَا الْقَطْرُ قَالَ النَّاسُ أَيُّهُمَا الْقَطْرُ
لَهَا بَازِلًا فَاَنْظُرْ لِمَنْ بَقِيَ الذُّخْرُ
فَلَيْسَ لِحَيٍّ غَيْرِنَا ذَلِكَ الْفَخْرُ
إِنِّي كَمَا الْإَيَّامُ يَجْمَعُهَا الشَّهْرُ

أما عزيز فغنت مقطوعة لمسلم بن الوليد، ولم تكن الأبيات التي غنتها عن الفخر
بالأنساب والأمجاد والجود والكرم، بل كانت عن الفخر بالشرف والعرض حيث يقول مسلم بن
الوليد: ¹ [الطويل]

وإني لأستحيي القنوع ومذهبي
وما كان مثلي يعتريك رجاءه
وإني وإشرافي عليك بهمتي
فسيح وآبى الشح إلا على عرض
ولكن أساءت شيمة من فتى مخض
لكالمبتغي زبداً من الماء بالمخض

4- ندب الشباب

لم تذكر المصادر الأندلسية أو ابن فضل الله العمري تحديداً عُمر أي من الجواري
اللاتي تحدث عنهن، إلا أنها لم تهمل _ غالباً _ وصف شخصياتهن وعلمهن وعلاقتن مع
سادتتهن، وظهر في الروايات الأندلسية مدى جمال الجواري وخفتن، كما بدا واضحاً جلياً أنهن
يملكن قلوب سادتتهن، ومن الطبيعي أن الصفات السابقة لن تتوفر في جارية مُسنّة، وأرجح أن
معظم الجواري اللواتي جاء ذكرهن في المصادر الأندلسية كنّ في سن الشباب، ولكن سنهن
الصغيرة هذه لم تمنعهن من أن يعرفن لوعة التقدّم في السن والعجز أمام الشيب الذي يجتاح
الرأس، كما أنهن يعرفن أنهن مجرد أدوات للتسلية واللذة وأن زوال شبابهن يعني انقضاء أيام

¹ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطار، 189/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم
الجامعة الأردنية، الديوان، 45.

عزهن ونفوذهن، وربما كان هذا هاجس بعضهن ومنهنّ عزيز التي اختارت مقطوعات معبرة عن بكاء الشباب وتمكّنت من صناعة صوت في شعر لابن الروميّ فقالت: ¹ [الخفيف]

يا شَبَابُ وَأَيْنَ مَنِّي شَبَابِي	أَذَنْتِي أَيَّامُهُ بَانِقِضَابِ
وَمُعَزٌّ عَنِ الشَّبَابِ مُؤَسٌّ	بِمَشْيِبِ اللَّذَاتِ وَالْأَصْحَابِ
قُلْتُ لَمَّا انْتَحَى يَعْدُ أَسَاهُ	مِنْ مُصَابِ شَبَابِهِ فَمُصَابِ
لَيْسَ تَأْسُو كُلُّوْمٌ غَيْرِي كُلُّوْمِي	مَا بِهِ مَا بِهِ وَمَا بي مَا بي

ومن الجدير بالذكر أن المقطوعتين الشعريتين اللتين غُنيتا في الأندلس _ فيما بين يدي من مصادر_ كانت من نصيب الجارية عزيز التي اختارت أن تصنع ألقانها في أشعار ابن الروميّ فحسب، ويبدو أنها كانت تُكثر من التفكير في مستقبلها وتخاف من أيامها القادمة وما ستحمله لها، إلا أنها كانت تعلم أن التقدّم في السن ما هو إلا نتيجة حتمية، لذا صاغت صوتاً آخر في شعر لابن الروميّ فقالت: ² [المجتث]

فَكُلُّ خَيْرٍ رَوْشَرٍّ	دُونَ الْعَوَاقِبِ غَيْبٍ
وَأَنَّ مَا كُلُّ شَيْءٍ	شَبَابِيَّةٌ ثُمَّ شَبَابِيَّةٌ
لَا تَحْقِرَنَّ شَبَابِيَّةً	كَمْ جَرَّ نَفْعاً شَبَابِيَّةً

¹ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأَبصار، 184/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الديوان، 388-389.

² - ابن فضل الله العمري، مسالك الأَبصار، 184/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الديوان، 135-136.

خصائص شعر الغناء

ظهر في شعر الغناء الذي تَخَيَّرته الجوّاري لمجالسهنّ أنهنّ اعتمدن على النُتف والمقطوعات الشعريّة المناسبة للغناء ومجالس اللّهُو، كما أنهنّ أولين عناية خاصّة للمحسنات البديعيّة التي أضفت نغماً خاصاً على شعر الغناء الذي أنشدنه، وغناؤهنّ الشعر لم يمنعهنّ من تخيّر الأخيّلة والصور التي سيُغنينها فجاء في غنائهنّ صور وأخيّلة عدّة، وأرجّح أن اهتمامهنّ انصب على الموسيقى بما حوته من بحورٍ وقوافٍ كي تناسب الغناء والموسيقا المعزوفة.

1- سيطرة النُتف والمقطوعات

غنّت الجوّاري أشعار شعراء مشاركة نظموا قصائد طويلة على طريقة أجدادهم والتزموا فيها بنظام القصيدة العربيّة؛ كما أن بعضهم تحرّروا من قيود القصيدة العربيّة فصنعوا مقطوعات شعريّة قصيرة، ويبدو أن الجوّاري ملن إلى الاتجاه الجديد ورأين في النُتف والمقطوعات الشعريّة مظهراً حضارياً يناسب الحياة الأندلسيّة المترفة من جهة ويتلاءم مع طبيعة الغناء الذي لا يُحبذ القصائد الطوال من جهة أخرى.

وغنّت الجوّاري في الأندلس تسع نُتف وتسعاً وعشرين مقطوعة شعريّة وقصيدة وثلاثة موشحات، وعلى الرغم من أن الجوّاري لم يغنين قصائد طويلة وغنين نثفاً ومقطوعات قصيرة، إلا أن هذه النُتف والمقطوعات ماهي إلا بضعة أبيات من قصائد طوال أعمل فيها أصحابها عقولهم وبذلوا فيها جهداً كبيراً، وأعتقد أن الجوّاري قمن بمعادلة صعبة، ألا وهي: اختيار أبيات شعريّة متناسقة ومنسجمة مع بعضها من قصائد طويلة، وغناؤها على أنها مقطوعات شعريّة تألّف معظمها من أربعة أبيات، وهنّ بهذا لم يهملن القصائد فغنينّ أبياتاً منها كما شجّعن على نظم المقطوعات وغنائها.

ولم تكثف الجوّاري باختيار أبيات من القصائد الطوال، فقمن بتغيير ترتيب بعض الأبيات ووضعن بيتاً مكان الآخر، ولكن هذه الظاهرة لم تنتشر عند معظم الجوّاري، فرغد وبهجة الجاريتان الوحيدتان اللتان غيرتا ترتيب أبيات الشعر التي غنينها، وخصتا شعر

القطامي بالتغيير، فلم تجرّياً أي تغيير على شعر شاعر آخر عند غنائهما شعره، فقد غنّت رعد
شعر القطامي فقالت: ¹ [البسيط]

أمستُ عُلْيَةَ يَرتاحُ الفؤادُ لها وللرّواسِمِ فيها بيننا عمَلُ
والعَيشُ لا عَيشَ إلا ما تَقَرُّ بِهِ عَينٌ ولا حالَةٌ إلا سَتَتَنقَلُ

إلا أن هذه الأبيات كانت على نحو آخر في الديوان، فقد قال القطامي: ² [البسيط]

والعَيشُ لا عَيشَ إلا ما تَقَرُّ بِهِ عَينٌ ولا حالَةٌ إلا سَتَتَنقَلُ
أمستُ عُلْيَةَ يَرتاحُ الفؤادُ لها وللرّواسِمِ فيها بيننا عمَلُ

كما أن بعضهنّ غيّرن صدور وأعجاز وألفاظ الشعر الذي غنّينه، فقد غيرت عزيز
صدر بيت غنّته من شعر عباس بن الأحنف فقالت: ³ [المنسرح]
كانَ رَحِيلِي مِـنْ أَرْضِـكُمْ عَجَباً وحادثاً من حوادث الزمّنِ

بدلاً من أن تقول كما جاء في ديوانه: ⁴ [المنسرح]

كانَ خُروجِي مِـنْ عِندِكُمْ قَدِراً وحادثاً من حوادث الزمّنِ

وغيرت فاتن عجز بيت من شعر الحطيئة فقالت: ⁵ [الطويل]

¹ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطار، 193/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم
الجامعة الأردنية، الديوان، 24-25.

² - الديوان، 24-25.

³ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطار، 186/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم
الجامعة الأردنية، الديوان، 264.

⁴ - 264.

⁵ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطار، 191/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم
الجامعة الأردنية، الديوان، 168.

يقولون هل تبكي من الشوقِ حازمٌ وإن بان حُبُّ بالنوى وأليفٌ

بدلاً من أن تقول: ¹ [الطويل]

يقولون هل يبكي من الشوقِ حازمٌ تخلّي إلى ذاتِ الإلهِ حنيفٌ

وعملت كثير من الجواري على تغيير بعض الألفاظ كـرغد التي غيرت كلمة "خاطف" إلى "طائف" عندما غنت شعراً لعمر بن أبي ربيعة فقالت: ² [الطويل]

فأتبعتهنَّ الطَّرفَ مُتَّبِلَ الهوى كأنني يُعانيني من الجنِّ طائفٌ

وقد يرجع السبب في هذا التغيير إلى أن الجارية _ عندما اختارت المقطوعة الشعرية أو اقترحتها أحدهم عليها _ صدمت بإحدى الألفاظ التي لم يحرص الشاعر على صقلها لتتسجم مع أخواتها، إما لسرعته أو لعدم اهتمامه بتهديب شعره، لذا ارتأت الجارية أن تضع لفظة أخرى تتسجم مع سائر الألفاظ في البيت³، أو لأنها اختارت لفظة أيسر على لسانها وأقرب إلى ذوقها الشخصي وشخصيتها الفنية، وربما تمت هذه التغييرات على يد الرواة وارتأت الجواري أن يأخذن الرواية الأسهل على ألسنتهن.

ومن الجدير بالذكر أن أغراض وموضوعات النثف والمقطوعات التي غنتها الجواري لم تكن هي الأغراض نفسها التي نظم فيها الشعراء شعرهم، فالمقطوعة الغزلية التي غنتها بهجة للبحثري كانت من قصيدة طويلها نظمها في وصف الذئب ولقائه إياه، والمقطوعة الغزلية التي غنتها مهجة للفرزدق كانت من قصيدة له في مدح الخليفة هشام بن عبد الملك، ومقطوعة ذي الرمة التي غنتها فاتن في الغزل نظمها في هجاء بني امرئ القيس.

¹ - الديوان، 168.

² - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبحار، 192/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الديوان، 133.

³ - انظر ناصر الدين الأسد، القيان والغناء في العصر الجاهلي، 212.

2- المحسنات البديعية

قد يُظنُّ أنّ الجوّاري غيرُ مسؤولات عن المحسنات البديعية والنواحي الجمالية في شعر الغناء إذ إنه شعر ليس من نظمهنّ، إلاّ إنه من اختيارهنّ وانعكاس لأذواقهنّ الشعرية والغنائية أيضاً، ذلك أنّهنّ وجدن أن هذه المقطوعة أو تلك النُتفة هي الأكثر ملاءمة للمناسبة أو الغرض الذي غنينه، والأقرب لشخصياتهنّ وذوقهنّ الشعريّ، ويبدو أنّهن أدركن _ بحسّهن الموسيقي _ ما في بعض المحسنات البديعية من تأثيرات موسيقية على الشعر، وبهذا يتأتّى لهنّ صنْع الألحان وغناؤها بما يتناسب مع الموسيقى التي تُضفيها بعض المحسنات البديعية.

أ- الطباق

ظهر الطباق بوضوح أكبر من الجناس في الشعر الذي غنّته الجوّاري في الأندلس، كما أن الألفاظ المتقابلة في الشعر الذي غنّينه كانت أكثر منه في نظمهنّ، ومن الجدير بالذكر أن الألفاظ المتقابلة في شعر الشعراء الذي غنّينه _ على عكس نظمهنّ _ طغت على الأفعال المتقابلة.

ومن الألفاظ المتقابلة في الشعر الذي غنّته الجوّاري قول رعد في شعر الصّتوبري:¹

[المنسرح]

لا النَّوْمُ أدري بِهِ ولا الأرقُ يدري بهذين مَنْ بِهِ رَمَقُ

وكقول مُهْجَة في شعر أبي تَمَّام: ² [الطَّويل]

أنا ابنُ الذين استرُضِعَ المجدُ فيهمُ وسُمِّيَ فيهمُ وهو كهلٌ ويافعُ

¹ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 193/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الديوان، 369.

² - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 187/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، شرح ديوان أبي تَمَّام، 958-959.

وقولها في شعر جرير: ¹ [الوافر]

فَلا بُخِلَ فَيُؤَسُّ مِنْكَ بَخْلٌ ولا جُودٌ فَيَنْفَعُ مِنْكَ جُودٌ

وكغناء بهجة في شعر القطامي: ² [البسيط]

بَانُوا فَكَانَتْ حَيَاتِي فِي اجْتِمَاعِهِمْ وفي تَفَرُّقِهِمْ مَوْتِي وإِقْصَادِي

أما الأفعال المتقابلة في الشعر الذي غنته الجواري فكان كقول فاتن في شعر ذي الرمة:

³ [الطويل]

أَخُطُّ وَأَمْخُو الْخَطَّ ثُمَّ أَعِيدُهُ بكفِّي والغربان في الدارِ وَقِعُ

وكقول رباح في شعر توبة ابن الحمير، تقول: ⁴ [الطويل]

لَوْ أَنَّ الْهَوَى فِي حُبِّ لَيْلَى أَطَاعَنِي أَطَعْتُ وَلَكِنَّ الْهَوَى قَدْ عَصَانِيَا

وقولها في المقطوعة نفسها: ⁵ [الطويل]

تَمَسَّكَ بِحُبِّ الْأَخْيَالِيَّةِ وَأَطْرَحَ عَدَا النَّاسُ فِيهَا وَالْوَشَاةُ الْأَدَانِيَا

¹ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطار، 187/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الديوان، 318-319.

² - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطار، 187/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الديوان، 80-81.

³ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطار، 190/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الديوان، 720-721.

⁴ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطار، 198/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية.

⁵ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطار، 198/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية.

ب- الجناس

أعتقد أن الجناس عنصر مهم من العناصر المؤثرة في الشعر وخصوصاً الشعر المُنغى، وذلك لما فيه من تماثل للألفاظ وحروفها ولما يحمله هذا التشابه من موسيقى جميلة، إلا أنني لم أجد أي مثال على الجناس التام في المقطوعات والنتف الشعرية التي غنتها الجوّاري في الأندلس.

وبدا واضحاً أنّ الجوّاري أولين عناية كبرى للجناس الحرفي في شعر الشعراء الذي تخيرنه لغنائهم، حتى إن عنايتهم بالجناس الحرفي في الشعر الذي غنينه أكبر منها في الشعر الذي نظمته، ولكنهم ركّزوا على تكرار الحروف نفسها في أشعارهم والأشعار التي غنيتها على حدّ سواء؛ فكانت النون في طليعة الحروف المكررة، فالياء، ثم اللام، وتلتها الميم فالتاء، وجاء كلٌّ من الباء والهاء والراء في آخر قائمة الحروف التي تكررت في الشعر الذي غنّته الجوّاري.

ومن الأشعار التي غنّتها الجوّاري وتكرّر فيها حرف النون شعر لعمر بن أبي ربيعة غنّته الجارية فاتن، فقالت: ¹ [الطويل]

فَأَتَّبَعْتُهُنَّ الطَّرْفَ مُتَّبِلَ الْهَوَى كَأَنِّي يُعَانِيَنِي مِنَ الْجَنِّ طَائِفٌ

وكغناء بهجة شعر القطامي الذي كرّر فيه النون، تقول: ² [البسيط]

وَهُنَّ يَنْبِزْنَ مِنْ قَوْلٍ يُصْبِنُ بِهِ مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْغَلَّةِ الصَّادِي

¹ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 192/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الديوان، 133.

² - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 187/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الديوان، 80-81.

أما رَدَّاح فاختارت شعر توبة ابن الحمير الذي أكثر من تكرار الياء في مقطوعته،
فقال: ¹ [الطَّويل]

فإنَّ يَمْنَعُوا ليلي وَحُسْنَ حَدِيثِهَا فلمْ يَمْنَعُوا مِنِّي البُكا والقوافيا
يلومُكَ فيها اللائمونَ فصاحةً فليتَ الهوى باللائمينَ مكانيا

كما اختارت بهجة شعراً لعروة بن حزام العذري أكثر فيه من تكرار الياء، فقالت: ²
[الطَّويل]

وأطرفُ عن رأيي الذي كنتُ أرتأي وأنسى الذي أعددتُ حينَ تغيَّبُ

أما عزيز فاختارت شعر نصيب بن رباح الذي كرر فيه اللام، تقول: ³ [الطَّويل]

بزَيْنَبَ أَلِمَ قَبْلَ أَنْ يَرَحَلَ الرِّكْبُ وَقُلْ إِنْ تَمَلَّيْنَا فَمَا مَأَكُ القَلْبُ

وحدت بهجة حذوها فغنت شعراً لأبي دَهْبَل الجُمحي، قالت: ⁴ [الطَّويل]

فَلَمَّا التَّقَيْنَا لَجَجَتْ فِي حَدِيثِهَا وَمِنْ آيَةِ الهَجْرِ الحَدِيثِ المُجَلِّجِ

¹ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 198/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم
الجامعة الأردنية.

² - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 187/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم
الجامعة الأردنية، الأصبهاني، الأغاني، 310/23.

³ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 186/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم
الجامعة الأردنية، الديوان، 60.

⁴ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 187/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم
الجامعة الأردنية، الديوان، 56-57.

وغنت مُهْجَةً شعراً للفرزدق كرّر فيه الميم، تقول: ¹ [الوافر]

أَكْفَفُ عَبْرَةَ الْعَيْنَيْنِ مِنِّي وَمَا بَعْدَ الْمَدَامِ مِنْ مَلَامِ

كما تَخَيَّرت مُهْجَةً شعراً لابن الرومي كرّر فيه التاء، فقالت: ² [الطّويل]

وَصَلَّتْ فَلَمْ تَبْخَلْ عَلَيَّ بِوَصْلِهَا وَقَدْ بَخَلْتُ بِالْوَصْلِ تَكْنِي ³ وَتَكْتُمُ

وغنت مُهْجَةً شعراً لجرير كرّر فيه الهاء، فقالت: ⁴ [الوافر]

هَوَىٰ بِتَهَامَةٍ وَهَوَىٰ بِنَجْدٍ فَبَلَّتْ نِيَّ التَّهَامِ وَالنُّجُودُ

أما رَدَّاح فاختارت شعراً لقيس بن الخطيم _ الشَّاعر الجاهلي الوحيد الذي غنن له _
كرّر فيه الراء، تقول: ⁵ [الطّويل]

أَتَعْرِفُ رَسْمًا كَأَطْرَادِ الْمَذَاهِبِ لَعْمَرَةَ وَخَشًا غَيْرَ مَوْقُوفٍ رَاكِبِ

واختارت بِهْجَةً شعراً لعروة بن حزام كرّر فيه الباء، فقالت: ⁶ [الطّويل]

لئن كان بردُ الماءِ أبيضَ صافياً إِلَيَّ حَبِيباً إِنَّهَا لَحَبِيبٌ

¹ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 189/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الديوان، 290/2.

² - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 188/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية.

³ - تكني: كنى عن الأمر بغيره يَكْنِي كناية يعني إذا تكلم بغيره بما يُسْتَدَلُّ عليه. ابن منظور، لسان العرب، مادة (كني) 233/15.

⁴ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 187/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الديوان، 318-319.

⁵ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 198 /10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الديوان، 76-80.

⁶ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 187/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الأصبهاني، الأتاني، 310/23.

3- الأخيـلة والصُّور

اعتمد الشعراء الذين غنت الجوّاري شعرهم على أخيلة الشعراء الأقدمين وصورهم؛ وهم بهذا لم يشذوا عن شعراء عصرهم الذين نهلوا من الصور الفنية التقليدية رغم محاولات التجديد والابتكار عند بعضهم، ولم تظهر في المقطوعات الشعرية التي غنتها الجوّاري صور كئيبة شاملة وجاءت بعض الصور الجزئية؛ كيف لا ومعظم المقطوعات الشعرية مُنتقاة من قصائد طويلة لم تغنّ الجوّاري أبياتها بالتسلسل أو الترتيب الذي وضعه الشاعر وتخيّره في قصيدته.

لذا ظهر في شعر الشعراء الذي غنته الجوّاري الصور التقليدية المعروفة وتركزت في الغزل؛ ومنها صورة المحبوبة المشرقة كالشمس، والرشيقة كالغزال الشارد الذي يسبي القلوب بنظراته، ذات الجمال منقطع النظير، البهية كالبدر، المضيئة كالنجوم.

ومن هذه الصور صورة محبوبة العباس بن الأحنف ذات الوجه المُنير والجسد الممتلئ، والرائحة الزكية، والخطوة الرشيقة، وقد غنت هذه المقطوعة جارية أندلسية فقالت: ¹ [البسيط]

إني طرّبتُ إلى شمسٍ إذا غربتْ	كانت مغارِبُها جَوْفَ المقاصيرِ
شمسٌ ممّثلةٌ في خلقٍ جارية	كانَ أَعْطافُها طَيِّ الطَّواميرِ
ليستَ منَ الإنسِ إلا في مُناسِبة	ولا منَ الجنِّ إلا في التَّصاويرِ
فالوجهُ جَوْهَرَةٌ والجِسمُ عِبْهَرَةٌ	والرَّيحُ عَنبَرَةٌ والكُلُّ من نورِ
كانَها حينَ تخطُو في مَجاسِدِها	تخطُو على البيضِ أو حدَّ القواريرِ

وكررت سَعدي صورةً مشابهةً للشاعر نفسه، رأى فيها جمال وجه محبوبته منقطع النظير حتى إنَّ كلاً من الإنس والجن وقعا في غرامه، كيف لا ووجها المليح شمس منيرة يخاف عليه الشاعر من أي كسوف، قالت: ² [السريع]

¹ - رسائله، 249/1-251.

² - ابن فضل الله العمري، مسالك الأَبصار، 200/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الديوان، 160-161.

وا بِأَبِيِ الْوَجْهَةِ الْمَآيِحِ الَّذِي قَدْ عَشَقَّتَهُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ
إِنْ تَكُنِ الْحُمَّى أَضَرَّتْ بِهِ فَرَبَّمَا تَتَكَبَّرُ السُّفُ الشَّمْسُ

وظهر في الشعر الذي غنّته جارية أندلسية _ لشاعر مجهول _ الصورة التقليدية للمحبوبة ألا وهي الغزال الشارد الذي يسبي القلوب بألحاظه المراض وقدّه الرشيق، كما أنها بدر مضيء وشمس مشرقة لا يُحيطها أي غمام: ¹ [الوافر]

غزالٌ قَدْ حَكَى بَدْرَ التَّمَامِ كَشَمْسٍ قَدْ تَجَلَّتْ مِنْ غَمَامِ
سَبَى قَلْبِي بِالْحَاظِ مِرَاضٍ وَقَدْ الْغُصْنِ فِي حُسْنِ الْقَوَامِ

كما جاء في الننتفة الشعرية التي غنّتها بهجة من شعر ابن الرومي، صورة تقليدية معروفة شبّه فيها الشاعر محبوبته بالبدر في حُسنها وصعوبة الوصول إليها، قالت: ² [مجزوء الرَّمَل]

يَا شَبِيهَةَ الْبَدْرِ فِي الْحُسْنِ مِنْ وَفِي بُعْدِ الْمَنَالِ
جُذُوقٌ فَتَفَجَّرُ الصَّخْرُ رُةً بِالْمَاءِ الزُّلَالِ

أما المُعْتَمِدُ فَبَعْدُ وَدَاعِهِ جَوَارِيهِ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ نَظْمَ شِعْرًا صَوَّرَهُنَّ عَلَى أَنَّهُنَّ نَجُومٌ تُبَدِّدُ
عَتَمَةَ اللَّيْلِ وَظِلْمَاتِهِ، فَغَنَّتْ سَعْدَى شِعْرَهُ، قَالَتْ: ³ [الكامل]

سَايَرْتُهُمْ وَاللَّيْلُ غُفْلٌ ثَوْبُهُ حَتَّى تَبَدَّى لِلنَّوَاطِرِ مُكَلَّمَا
فَوَقَفْتَ ثُمَّ مَوْدَعَاءً وَتَسَلَّمْتَ مَنِّي يَدُ الْإِصْبَاحِ تَلْكَ الْأَنْجُمَا

¹ - رسائله، 1/135.

² - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 10/186، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الديوان، 5/97.

³ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 10/200، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الديوان، 26.

ولم تكن الشمس والقمر والنجوم هي المصدر الوحيد للتشبيهات التقليدية في الغزل؛ فقد غنت جارية سمعها محمد بن أبي عيسى شعراً لشاعر مجهول شبه ثغر المحبوبة بأقداح الخمر وخطودها بالتفاح الأحمر، فقالت: ¹ [الكامل]

طَابَتْ بِطَيْبِ لِنَاتِكَ الْأَقْدَاحُ وَزَهَتْ بِحَمْرَةِ خَدِكَ التَّقَاحُ

ولاحظت أن بعض الشعراء لجأوا إلى التشخيص، فأضحى القلب والبين والدموع والهوى والمجد بشراً يولدون ويتنفسون ويرتدون ملابسهم، ويعانون كما يعاني غيرهم من البشر، ويوفون بوعودهم، ويخلصون لأصحابهم أو يعصونهم، ومن الجدير بالذكر أن التشخيص _ وإن كان قليلاً _ لم يقتصر على غرض واحد كما هي حال الأخيلة والصور التي تركّزت في الغزل؛ فقد غنت مُهَجَّةً شعراً لأبي تمام فخر فيه بقومه حتى جعل المجد طفلاً رضيعاً في قومه، يأخذ منهم أصول مكارم الأخلاق والمروءة ويعيش بينهم وهو شاب وكهل كبير، نقول: ² [الطويل]

أنا ابنُ الَّذِينَ اسْتَرَضِعَ الْمَجْدُ فِيهِمْ وَسُمِّيَ فِيهِمْ وَهُوَ كَهْلٌ وَيَافِعُ

أما الربيع فقد رآه شاعر مجهول إنساناً كاملاً يتنفس ويعيش وتحلو أنسامه، ويبدو أنه رأى عتمة الليل أنثى تكثر تبديل ثيابها، فإذا ما جنَّ الليل يحين موعد ثوبها الأسود، وغنت جارية أندلسية هذا الشعر فقالت: ³ [الكامل]

وَإِذَا الرَّبِيعُ تَتَسَمَّتْ أرواحُهُ طَابَتْ بِطَيْبِ نَسِيمِكَ الأرواحُ

1- الحميدي، جَذْوَةُ الْمُقْتَبَسِ، 126/1، ابن خاقان، مطمع الأنفس، 261، الضبي، بُغْيَةُ الْمُلتَمَسِ، 111، المقرئ، النَّهْجُ، 233/2، 106/5.

2- ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 187/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، شرح حيوان أبي تمام، 958-959.

3- الحميدي، جَذْوَةُ الْمُقْتَبَسِ، 126/1، ابن خاقان، مطمع الأنفس، 262، الضبي، بُغْيَةُ الْمُلتَمَسِ، 111، المقرئ، النَّهْجُ، 233/2، 107/5.

وإذا الحنّادسُ ألبستُ ظلماءَهَا فضيأُ وجهك في الدُّجى المِصباحُ

وأضحى قلب جرير إنساناً يصحو من غفلته ليجد نفسه مبرحاً من آلام الحب التي سببتها له سلمى، فنظم مقطوعة له غنتها رغد تقول: ¹ [الطويل]

صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلْمَى وَقَدْ بَرَّحَتْ بِهِ وَمَا كَانَ يَلْقَى مِنْ تُمَاضِيرِ أُبْرَحُ

أما دموع الصنوبري فهي إنسانة تعب مرهقة كلت من طول البكاء والمعاناة، وغنت رغد هذه المقطوعة فقالت: ² [المنسرح]

إِنَّ دَمُوعِي مِنْ طَوْلِ مَا اسْتَبَقْتُ كَلَّتْ فَمَا تَسْتَطِيعُ تَسْتَبِقُ

وظهر البين للبحثري إنساناً صارماً يفي بوعوده ويعمل على تنفيذها بأسرع وقت، فلا ينتظر الآخرين كي ينفذوا وعدهم وإنما يسبقهم لتنفيذ وعده، وغنت بهجة شعر البحثري فقالت: ³ [الطويل]

أَحْبَابِنَا قَدْ أَنْجَزَ الْبَيْنُ وَعَدَهُ وَشِيكاً وَلَمْ يُنْجِزْ لَنَا مِنْكُمْ وَعْدُ

كما ظهرت الكأس وفيّة لابن الرّوميّ مخلصه له وإن كان قد تقدّم في السنّ وملاً الشيب رأسه، فكأسه كريمة تصل وأصلها ولا تبخل عليه مهما تغيّر الزمان: ⁴ [الطويل]

فإني رأيت الكأس يا سلم خلّة وفّت لي ورأسي بالمشيب معمم

¹ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطار، 192/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الديوان، 834/2-835.

² - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطار، 193/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الديوان، 369.

³ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطار، 187/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الديوان، 740/2-741.

⁴ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطار، 188/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية.

وَصَلَّتْ فَلَمْ تَبْخَلْ عَلَيَّ بِوَصْلِهَا وَقَدْ بَخَلْتُ بِالْوَصْلِ تَكْنَى وَتَكْتُمُ

ولم يكن هوى توبة بن الحمير وفيماً مهادناً ككأس ابن الرُّوميّ، فقد كان هواه عاصياً
متمرداً لا يقبل أي صفقة، وغنت ردّاح شعره فقالت: ¹ [الطّويل]

لَوْ أَنَّ الْهَوَى فِي حُبِّ لَيْلَى أَطَاعَنِي أَطَعْتُ وَلَكِنَّ الْهَوَى قَدْ عَصَانِيَا

4- الموسيقا

لعبت موسيقا الشعر دوراً مهماً في اختيار الجارية للمقطوعة أو الننفة الشعرية التي ستلحنها وتغنيها بصوتها، فموسيقا الشعر الذي ستنتقيه سيُسَهّل عليها عملها أو سيُصعّبُه، ومن المُرجّح أن الجوّاري لم يجدن صعوبة في اختيار الشعر ذي الموسيقا الشعرية الملائمة لغنائهنّ وهنّ العالمات بالشعر وتلحين الأنغام وغناء المقطوعات الجميلة.

ومن الجدير بالذكر أن بعض الأشعار التي لحنّتها وغنّتها الجوّاري في الأندلس لحنّها المغنون وغنوها في المشرق من قبل، إلا أن الأندلسيين غيروا القاعدة الموسيقية في بعضها ²، كما أن الجوّاري لم يخترن الأوزان الخفيفة ومجزوءاتها ومجزوءات الأوزان الطويلة التي سيطرت على شعر الغناء في المشرق ³، بل جاء معظم الشعر الذي غنّينه على الأوزان الطويلة، وكان نصيب الأسد لبحر الطّويل ثم البسيط فالبحر الكامل، وبهذا تنسجم موسيقى شعر الغناء مع موسيقى الشعر العربي عامّة ⁴، كيف لا والشعر العربي بجميع بحوره شعر غناء ⁵.

¹ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطار، 198/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية.

² - انظر إحسان عباس، أخبار الغناء والمغنين في الأندلس، مجلة الأبحاث، 1963، 7.

³ - انظر شوقي ضيف، العصر الإسلامي، 347-348.

⁴ - انظر إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، 191.

⁵ - انظر ناصر الدين الأسد، القيان والغناء في العصر الجاهلي، 191.

ولاحظت أن كلاً من شعر الجوّاري وشعر الشعراء الذي غنّينه جاء في تسعة بحور، إلا إنها لم تكن البحور نفسها؛ وكما سيطر بحر الكامل على ما يقارب من نصف مجموع شعر الجوّاري فقد سيطر بحر الطويل على تسعة وستين بيتاً شعرياً أي ما يقارب نصف مجموع شعر الشعراء وتكرّر في تسع عشرة نثفة ومقطوعة شعرية.

وتلا بحرُ البسيط بحر الطويل بفارق كبير؛ فقد تكرّر ست مرات في ستة وثلاثين بيتاً، ولحق به بحر الوافر الذي تكرّر ثلاث مرات في ثلاثة عشر بيتاً، وتبعه بحر الكامل الذي تكرّر ثلاث مرات في ثمانية أبيات شعرية، أما المنسرح فظهر مرتين في ستة أبيات، وجاء المجتث في مقطوعة واحدة تألفت من خمسة أبيات، كما ظهر كل من بحر الخفيف والسريع مرة واحدة ومجموع ما نُظِم في كل منهما أربعة أبيات، وغنت بهجة النثفة الشعرية الوحيدة التي نُظِمَت على مجزوء الرمل.

أما القوافي التي تكمل موسيقى الشعر فجاءت على أربعة عشر حرفاً من حروف المعجم رتبها حسب كثرتها وهي: الباء والراء فتكررت كل منهما ست مرات وجاءتا على هيئة نثف ومقطوعات، وجاء خمسة وعشرون بيتاً على قافية الباء بينما ظهرت قافية الراء في ثمانية عشر بيتاً فحسب، وتلتها الميم التي تكررت في نثفة وثلاث مقطوعات، ولحقتها كل من الدال والعين واللام اللواتي تكررت كل منهن في ثلاث مقطوعات ونثف، ثم تلتهم كل من الفاء والسين والحاء والنون عندما تكررت كل قافية منهم مرتين على هيئة مقطوعتين أو نثفة ومقطوعة، وجاء كل من القاف والياء والضاد والجيم في آخر قائمة الحروف التي وظفها الشعراء كقوافي لهم، فجاء كل حرف منها قافية لمرة واحدة فحسب.

الخاتمة

تناولت في هذه الدراسة الجوّاري وأثره في الشعر العربي في الأندلس، وقد كشفت هذه الدراسة عدداً من النتائج، وأهمها:

- 1- اكتفى المؤرخون بذكر المشهورات من الجوّاري في الأدب والسياسية، وأهملوا السواد الأعظم منهنّ، ولم أجد أية ترجمة تفصيلية لأية جارية مهما علا شأنها، وربما أورد المؤرخون تراجم تفصيلية للجوّاري إلا أنها ضاعت مع ما ضاع من الكتب الأندلسية.
- 2- كانت العلاقة بين الجوّاري أنفسهنّ وديّة يسودها بعض المنافسة أحياناً، وعلاقتهنّ مع الحرائر غامضة المعالم، أما علاقتهنّ مع الرجال فساد معظمها إعجاب مادي، وعلى الرغم من أن المؤرخين والشعراء ذكروا لنا الكثير عن العلاقة الخاصة التي جمعت الرجال بجوّاريهم.
- 3- ساهمت الجوّاري في نشر الأدب والعلوم والغناء، وكان للجوّاري المشرقيات الوافدات على الأندلس نصيب الأسد في تأسيس حركة الغناء في الأندلس، وتركز تأثيرهنّ في عصر الإمارة ثم بدأ التراجع حتى لم أجد لهنّ ذكراً أيام عصر المرابطين وماتلاهم.
- 4- اهتم بنو أمية بإرسال بعض الجوّاري المميّزات إلى المشرق كي يُحصلن العلم هناك، وربما اشترى بعض المشاركة جوّاري أندلسيات وأكلمن حياتهنّ في المشرق.
- 5- اختارت بعض الجوّاري من أمهات الأولاد رجلاً قوياً في الدولة كي يساعدهنّ على صرف ولاية العهد لأبنائهنّ، وتمّ لهنّ هذا بعد أن اتّسع نفوذهنّ أيام بعض حكام بني أمية وعصر ملوك الطوائف، ثم انحسر نفوذهنّ في عصر المرابطين والموحدين لسيطرة المرابطيات على الحكم وإقصاء الموحدين الجوّاري عن الساحة السياسية، ثمّ استعادت الجوّاري نفوذهنّ في آخر أيام بني الأحمر.
- 6- انتشر الجوّاري وكثرتهنّ أدى إلى رفع المعايير التي طلبها الأندلسيون عند شراء الجوّاري؛ فطلبوا الجمال الباهر، والعلم الواسع، والمواهب المتميّزة، ولم يكن شراؤهنّ بالعملية السهلة فقد وجب عليهما أن يُحضرا كاتب عقود كي يُدوّن عقد

- الشراء ويكتب الأسباب التي طُلبت الجارية من أجلها، وعلى الرغم من كثرتهم أيام الفتوحات والحروب إلا أن الأندلس عاشت أزمة رقيق أيام الطوائف.
- 7- كان للجواري جرايات وأملاك وثروات استثمرتها في خدمة المجتمع الأندلسي وفي بعض أعمال الخير.
- 8- أظهر الشعر في الجواري أن معظم العلاقات بهنّ كانت علاقات مادية باستثناء بعض الشعراء، وبلغ مجموع ما نظمه الشعراء في الجواري سبعمائة وثلاثة وستين بيتاً شعرياً.
- 9- كان شعر الشعراء في وصف الجواري الرّاقصات والسّاقيات من مظاهر التجديد في الشعر الأندلسي، وأظهر شعر الشعراء في الجواري الأندلسيات أن رقصهنّ يشبه رقص راقصات الفلامنجو الإسباني اليوم.
- 10- معظم شعر الشعراء في الجواري كان من نظم الأمراء أو الخاصة، وقلما نظم رجال من العامة شعراً في جارية، وجلّ الأخبار المذكورة عنهنّ تتناول قصصهنّ مع الخاصة لا العامة، كما أن معظم الأخبار والشعر الذي وصل إلينا يختصّ جواري اللذة ويُهمل جواري الخدمة.
- 11- تركّز شعر الشعراء في الجواري وشعرهنّ وأخبارهنّ في عصر إمارة بني أمية، وعصر ملوك الطوائف، وظهر قليل منه في عصري المرابطين والموحدين، وشحّ في عصر بني الأحمر.
- 12- كان المعتمد بن عباد من أبرز المفتونين بالجواري، فله العديد من الأخبار معهنّ، كما أنه نظم شعراً كثيراً فيهنّ وأرسل لبعضهنّ شعراً له ليغنيه.
- 13- وُصفت الكثير من الجواري بالأدب وبأنهنّ شاعرات ولهنّ أخبار، ولكن لم يبقَ لهنّ شعر غزير أو دواوين وكل ما بقي لهنّ لا يزيد على كونه أبياتاً مفردة ونتاجاً ومقطوعات قصيرة، ومجموع ما بقي من شعر الجواري لا يزيد على ثمانين بيتاً شعرياً.
- 14- لم يُشر معظم المؤرخين إلى الشعر الذي غنّته الجواري وربما ضاع الشعر الذي غنّينه؛ فمجالس الغناء والأنس انتشرت في الأندلس _ في معظم العصور _ وهذا يعني أن شعراً كثيراً تم غناؤه في تلك المجالس لكنه ضاع.
- 15- على الرغم من أن الموشح فن غنائي قامت بغناء معظمه الجواري في الأندلس، إلا أن المصادر الأندلسية خلت من الإشارة إلى دورهنّ فيه ولم يُشر المؤرّخون إلى أن الجارية فلانة صنعت موشحاً أو غنت أي موشح باستثناء الجواري اللواتي غنين موشح ابن باجة.

- 16- سيطر الشعر المشرقي على غناء الجواري في عصر الإمارة، ثم ظهر في عصر الطوائف ميلٌ إلى غناء الشعر الأندلسي إلى جانب المشرقي، وتطور غناء الشعر في الأندلس فظهرت الموشحات.
- 17- لم تذكر المصادر الأندلسية أخباراً عن حركة الغناء في عصر الولاة، كما ظل الغناء الشعبي الأندلسي غير مكتمل الصورة، ولا يمكن القطع إن كان الغناء الشعبي الأندلسي أيام عصر الولاة والإمارة مشابهاً للغناء الذي صدح في قصور الأمراء والحكام، فربما كان غناءً مشابهاً للغناء البربري أو النصراني.
- 18- غنّت الجواري في الأندلس مائة وخمسة وأربعين بيتاً شعرياً، ذكر ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار مائة وخمسة عشر بيتاً منها.

الملاحق

ملحق شعر الشعراء في الجواني

ملحق شعر الجواني

ملحق شعر الغناء

ملحق الصور

ملحق شِعْر الشُّعْرَاء فِي الجواري

شعر أحمد بن نعيم

(1)

قال أحمد بن نعيم¹ في جارية: ² [السَّرِيح]

كَأَنَّ كَاتِبًا صَفَحَتِي وَجَهَّهَا رُكِّبَتَا مِن كُوبَتِي³ نَافِخِ
لَوْ كُنْتَ نَبَاتًا كُنْتَ مِنْ حَرْمَلٍ⁴ أَوْ أَكُلًا كُنْتَ مِنَ الْكَامِخِ⁵

شعر إسماعيل بن بدر

(1)

قال في جارية: ⁶ [الطَّوِيل]

تَنَفَّسَ لَمَّا لَاحَظَ الْقَوْمَ خَبِزَهُ وَقَطَّبَ لَمَّا لَامَسَتْهُ الْأَصَابِعُ
فَقَلْنَا لَهُ إِنَّا شَبَاعٌ فَجُدْنَا بَعُودٍ فَمَا فِي الْقَوْمِ غَيْرُكَ جَائِعُ
فَأَسْمَعَنَا دَرْدَاءَ صَالِعَاءَ رَجَعَتْ بِصَوْتٍ لَهَا تَسْتَكُّ مِنْهُ الْمَسَامِعُ
فَوَاللَّهِ مَا أُدْرِي كِلَابًا تَهَارَشَتْ بِحَلْقُومِهَا أَمْ نَقَنَقَتْ بِي ضَفَادِعُ

¹ - لم أجد له ترجمة في المصادر المتوفرة.

² - الكتاني، التشبيهات، 246.

³ - كُوبَة: كُوبَة العَرُطَبَة بالفتح والضم: العود وقيل الطُّنْبُور. ابن منظور، لسان العرب، مادة (عرطب) 594/1.

⁴ - الحَرْمَل: حَبُّ كَالسَّمْسَمِ. ابن منظور، لسان العرب، مادة (حرملة) 150/11.

⁵ - الْكَامِخ: نَوْعٌ مِنَ الْأُدْمِ مُعَرَّبٌ وَقُرَّبٌ إِلَى أَعْرَابِي خَبِزٍ وَكَامِخٌ فَلَمْ يَعْرِفْهُ. ابن منظور، لسان العرب، مادة (كمخ) 49/3.

⁶ - الكتاني، التشبيهات، 245.

شعر الأعمى التطيلي

(1)

قال في قينة تسمى لذيدة: ¹ [البسيط]

ما من تحب وإن تحرص بمقترب
وراكب الهول محمول على العطب
منه ضروب منى أحلى من الضرب
دعاك داعي الهوى إلا إلى الشجب
تدعو عليك بطول الويل والحرب
عني لعيني في اللذات من أرب
تفديك أمي من صرف الردى وأبي
والعين في لجة من دمعها السرب
وقد تخوفت يوماً أن تؤاخذ بي
حتى يعاقب ذلك الحسن من سني
على مراقبة من أعين الرقب
وغابت الشمس أو كادت ولم تغب
وأدعني بين منهل ومنسكب
بمن أراك أسير الوجد والطرب
كتمت سري لم أكتمك كيف سبي
ظناً أجمل هذا من ذوي الأدب
 والمرء وقف على الأرزاء والنوب
ولا نصيب له منها سوى النصب
شتان والله بين الجد واللعب
رمته أخرى إذن لا شك لم تصب
ترهب فلن تبلغ الآمال بالرهب

يا قلب ذب من أسى أو لا فلا تذب
ركبت هول الهوى من غير تجربة
قد صاب طعم الهوى من بعدما وضحت
لبيت داعيه لما أن دعاك وما
حتى إذا نلت من تلك المنى جعلت
أيا لذيد ولا والله منذ حجبت
تركنتي يا حياتي للردى غرضاً
يصلني فوادي سعيراً من صبابته
يارب قد سفت أم الوفاء دمي
وقد وهبت لها قلبي وما خطري
نسيت إلا تدانينا وموقفنا
لما التقينا وقد قيل المساء دنا
وأضاعي بين منقذ ومنقصف
تأمتني أخت المجد قائله
فقلت قلبي مسبي وإنك لو
فأعرضت ثم قالت قد أسأت بنا
فقلت إني امرؤ لما لقيتكم
سبت فوادي ذات الخال قادرة
أشقى بها وهي عني في بلهنية²
أصابت القلب لما أن رمته ولو
فقلت أشك إليها ما لقيت ولا

¹ - ابن بسام، الذخيرة، ق 2 م 735/2-737، والأبيات موجودة في الحيوان، 247 (2، 7،

(19-22)

² - بلهنية: البلهنية والرفهنية سعة العيش وكذلك الرفغنية. ابن منظور، لسان العرب، مادة

(بلهن) 58/13.

وقَدْ يَكُونُ الْهَوَى أَعْدَى مِنَ الْجَرَبِ
إِلَّا أَشَارَ إِلَى الْمَوْتِ مِنْ كَثْبِ
فَقَدْ أَوْلَّفُ بَيْنَ الْمَاءِ وَاللَّهَبِ
لَا زِلْتِ فِي غِبْطَةٍ مُتَدَّةِ الطَّنْبِ
يَهْفُو إِلَيْكَ وَأُضْحَى جِدًّا مُكْتَتِبِ
خَيْرٌ مِنَ الْجَهْدِ فِي جِدِّ وَفِي تَعَبِ
مِنْهَا حَنَانَ الرِّضَى أَوْ جَفْوَةَ الْغَضَبِ
وَالْقَلْبُ مَهْمَا أَرُمْتَ تَسْكِينَهُ يَجِبُ
إِلَى تَضْحَاكَ بَيْنَ الْعُجْبِ وَالْعَجَبِ
إِذَا اجْتَمَعْنَا وَلَمْ نَأْتُمْ وَلَمْ نَحِبْ
مِنَ الْمَعَالِي وَأَنَاهَا¹ عَنِ الرِّيبِ
فَلَمْ يَدْعُنِي لَهُ دِينِي وَلَا حَسْبِي

عَسَى هَوَاكَ سَأْيُهَا فَيَعْطِفُهَا
فَقُلْتُ أُعْظِمُهَا بَلْ مَا أَكَلَمَهَا
قَالَتْ أَنَا أَتَوَلَّى ذَاكَ فِي لُطْفِ
فَقُلْتُ مِثْلَكَ مَنْ يُرْجَى لِمَعْضَلَةٍ
قَالَتْ لَهَا يَا لَذِيذِ الْحُسْنِ صَاحِبِنَا
صَلِيهِ أَوْ فَاقْتُلِيهِ فَالْحَمَامُ لَهُ
فَلَوْ تَرَانِي قَدْ اسْتَسَلَّمْتُ مُرْتَقِبًا
حَتَّى إِذَا مَا الْأَنْتِ تَلْكَ جَانِبَهَا
طَفَقَتْ أَلْثَمُ كَفَيْهَا وَقَدْ جَنَحَتْ
ثُمَّ افْتَرَقْنَا وَمَا سَاءَتْ حَفَائِظُنَا
لِلَّهِ مِثْلِي مَا أَدْنَى سَجِيئَةٍ
كَمْ مَا أَتَمُّ مُسْتَلَذٌّ قَدْ هَمَمْتُ بِهِ

(2)

و قال في القينة لذيذة: ² [البسيط]

إِنْ كُنْتَ تَجْهَدُ فِي نَقْصِي فَلَا تَزِدْ
بِالْقَلْبِ ذِكْرَكَ إِلَّا بَتُّ فِي عَضِدِ
وَقَدْ حَلَلْتَ مَحَلَّ الرُّوحِ مِنْ جَسَدِي
شَوْقًا نَفْسِي جَلْدِي لَا بَلَّ سَبَى خَلْدِي
أَنْبَى وَوَجَدِي بِكُمْ بَاقٍ عَلَى الْأَبْدِ
وَالنَّاسُ قَدْ فَتُّوا بِالْمَالِ وَالْوَالِدِ
لَمْ يَخْلُ قَلْبِي مِنْ خَبْلٍ وَمِنْ كَبَدِ
إِلَّا عَلَى مُفْنِيئِهَا التَّمْعِ وَالسُّهْدِ
بِي أَنَّهُ نَفَثَتْ بِالسَّحْرِ فِي الْعَقْدِ
وَلَا سَبِيلَ إِلَى عَقْلِ وَلَا قَوْدِ

يَا حُبَّ لَذَّةٍ قَدْ أَدْنَفْتُ فَاتَّئِدْ
وَيَا لَذِيذَةَ لَا وَاللَّهِ مَا خَطَرْتُ
أَتَحْسِبِينَ فَوَادِي عَنكَ مُنْصَرَفًا
بِنْتُمْ فَخَلَّدَ عِنْدِي وَشَاكَ بَيْنَكُمْ
هِيَهَاتَ يَسْأَلُو فَوَادِي عَنكُمْ أَبَدًا
أَمْ الْوَفَاءَ لِحَيْثِي مَا فَتَّتْ بِكُمْ
اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي مُذْ عَرَفْتَكُمْ
وَلَا اتَّكَالَ لِعَيْنِي بَعْدَ فُرْقَتِكُمْ
تَرَى جُفُونَكَ أَرْضَاهَا الَّذِي صَنَعْتُ
أَتَتْرُكُ النَّاسَ صَرَعَى لَا حَرَاكَ بِهِمْ

¹ - أَنَاهَا: نَأَى عَنْهُ وَنَاءَ وَنَاهُ يَنَأَى نَأْيًا وَانْتَأَى وَأَنَائِيَّتُهُ أَنَا فَاانْتَأَى: أَبْعَدْتُهُ فَبَعُدَ. ابن منظور، لسان

العربية، مادة (نأى) 300/15.

² - ابن بسام، الخَيْرَةُ، ق 2 م 737/2-738، والأبيات موجودة في الحيوان، 248 (4، 18،

25، 28-30).

فإنه في فمي أحلى من الشهد
وما بعطفك من عطف ومن أود
بالشوق مُرتَهِنِ بالحزنِ مُنفَرِدِ
رمتُه منها بسهمِ عنه لم يحد
فما يبوحُ به يوماً إلى أحدٍ
غيرِ اختيارٍ ولكنْ عادةَ الكمدِ
عاينتُ عذبَ الحيا يجري على البردِ
بلحظِ أخوى رهيفِ القدِّ ذي غيدِ
فظلتُ حيرانَ لم أضدُرْ ولم أريدِ
به يخوضُ الردى في مُنتقى كبدِ
أصيحُ لداعي تنائينا غداة غدِ
فلم ينلْ أحدٌ ما نلتُ في الأحدِ
بنا وقد ماتَ صرفُ الدهرِ من حسدِ
لعادَ حياً كأنْ لم يردْ يومَ ردي
ما حرَّكتُ حركَ الأوتارِ في كيدي
وأنتِ سُؤلي في قُربٍ وفي بُعدِ
أسكنتِ منه الأسى في السهلِ والجدِ
أنْ أسْتَطارَ فلمْ أبدئْ ولمْ أعدِ
إلا وضعتُ عليه أنْ يذوبَ يدي

من كان يقطعُ طعمُ الموتِ في فمه
بما بلحظك من غنجٍ ومن حورٍ
حني على هائمٍ بالحُبِّ مختبِلِ
أضحى أسيرَ صُدودِ بل قَتيلِ نوى
يخشى على حُبِّك الحُسادَ تفضحه
وإن بكى فبدا لعاذليهِ فعن
أما كفى حزناً أنْ قد ظميتُ وقد
قد أرهفتُ دونه سَيفانِ من دَعَجِ
وردٌ شهى حماءُ الموتِ مُصَلِّتاً
وما عجوزٌ لها ابنٌ واحدٌ بصرتُ
يوماً بأجزع مني يومَ قولهمُ
أضحتُ على الأجدِ الأقوادِ باكيةً
لقيتُ فعلةً واللذاتُ قد زهيتُ
غنتُ لو أنْ ميتاً كان يسمعها
فهل يُسكنُ عذالي وإن جهدوا
يا لذُّ مالكِ في قتلي بلا سببِ
رفقاً بقلبي يا قلبي فإنك قد
لم تنطقي قط إلا ظلتُ أفرقُ من
ولا مددتُ يداً للعودِ عامدةً

(3)

و قال في القينة لذيذة: ¹ [الكامل]

مَنْ ذَا يَنَامُ وَقَلْبُهُ يَتَضَرَّمُ
رَنَقٌ² وَوَجْهُ الدَّهْرِ جَهْمٌ مُظْلِمٌ
وَالوَجْدُ يُنَجِدُ فِي الفَوَادِ وَيَتَهَمُ
ظُلْمًا وَقَلْتُمْ مَا لَهُ لَا يَكْتُمُ

النَّوْمُ بَعْدَكُمْ عَلَيَّ مُحَرَّمٌ
مَاءُ الحَيَاةِ وَقَدْ نَأَيْتُمْ آسَنُ
قَدْ بَانَ عَنِّي الصَّبْرُ لِمَا بِنْتُمْ
أَجْرَيْتُمْ دَمْعِي تَمًّا لِفِرَاقِكُمْ

¹ - ابن بسام، الذخيرة، ق 2 م 738/2-739، والأبيات موجودة في الديوان، 247 (1، 4، 7،

(9).

² - رنق: ماء رنق بالتسكين أي كدر. ابن منظور، لسان العرب، مادة (رنق) 127/10.

تَكَفَّ الدُّمُوعُ كَأَنَّهَا هِيَ عِنْدُمُ¹
 تَذَكَرْكُمْ فَاضْتِ دُمُوعِي تَسْجُمُ
 تَهَلُّ إِلَّا قَالَهُ هَذَا مُغْرَمُ
 تَتَبَّيَّنُوا أَلَمَ الْحَنِينِ فَتَرْحَمُوا
 لَقَدْ اسْتَطَلْتُمْ إِذْ قَدَرْتُمْ فَارْحَمُوا
 وَمِنَ الْعَجَائِبِ ظَالِمٌ مُتَظَلِّمٌ
 فَعَصَيْتُمْ وَوَصَّيْتُمْ فَهَجَرْتُمْ
 أَقْوَى عَلَيْهِ مِنَ السَّلَامَةِ سُلَّمٌ
 فَضَعَفْتُ عَنْهُ فَاغْلُوا مَا شِئْتُمْ
 وَلَكُمْ هَوَايَ دَنُوتُمْ أَوْ بِنْتُمْ
 وَتَغَيَّرْتُ فَهِيَ التِّي لَا تَسَامُ
 وَلِطَالَمَا قَدْ كَانَ وَهُوَ مُقَسَّمٌ

مَا كَانَ أَكْتَمَنِي لِسْرِي قَبْلَ أَنْ
 فَإِذَا شَهِدْتُ جَمَاعَةً وَاعْتَادَنِي
 فَبِحَقِّكُمْ مَنْ ذَا يُعَايِنُ أَدْمُعِي
 حَمَلْتُمُونِي تَقَلَّ بَيْنَكُمْ أَلَمٌ
 عَاقَبْتُمُونِي فِي الْهَوَى بِذُنُوبِكُمْ
 أَنْظَلْمُونَ وَتَنْظَلْمُونَ مُحِبِّكُمْ
 أَعْتَبْتُمْ فَعَتَبْتُمْ وَأَطَعْتُمْ
 قَدْ كَانَ لِي فِي هَجْرِكُمْ لَوْ أَنَّي
 وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّي قَدْ رُمْتُهُ
 أَنْتُمْ مُنَايَ وَفَيْتُمْ أَوْ خُنْتُمْ
 يَا حَبِّذَا أُمَّ الْوَفَاءِ وَإِنْ جَفَّتْ
 وَهِيَ التِّي انْفَرَدَتْ بِوَدِّي كُلِّهِ

شعر أمية بن عبد العزيز الداني

(1)

قال في جارية: ² [مجزوء الرمل]
 بِأَبِي خَوْدٍ³ شَمُوعٍ⁴
 فَالتَّقَى نورهما واخو
 وَمَسِيرُ الشَّمْسِ يَسْتَه

أَقْبَابًا تَحْمَلُ شَمْعَةً
 تَلْفًا قَدْ ذُرًّا وَرَفْعَةً
 دِي بِضَوْءِ النَّجْمِ بَدْعَةً

1 - عِنْدُمُ: دم الأخوين وقيل هو الأيدع. ابن منظور، لسان العرب، مادة (عندم) 430/12.

2 - المَقْرِي، النَّفْع، 32/5.

3 - خَوْدٌ: الفتاة الحسنة الخلق الشابة ما لم تصر نصفاً وقيل الجارية الناعمة والجمع خَوْدَات، ابن منظور، لسان العرب، مادة (خود) 165/3 .

4 - شَمُوعٌ: الجارية اللعوب الضحوك الأنسة، وقيل: هي المزاحة الطيبة الحديث التي تُقْبَلُك ولا تُطَاوَعُك على سوى ذلك، وقيل: الشَّمُوعُ اللعوب الضحوك فقط. ابن منظور، لسان العرب، مادة (شمع) 186/8.

(2)

وقال في جارية سوداء اسمها عزة: ¹ [السَّريع]

يا عَزُّ عَزِّ الْوَجْدِ صَبْرِي بِمَا
 مَا أَنْتِ إِلَّا لَعِبَةٌ مَا بَدَتْ
 وَقَدْ أَفَدْتِ الْمَسْكَ فَخِرًا بَأَنْ
 لَا شَأْنُكَ إِذْ لَوْنُكُمْ مَا وَاحِدٌ
 أَنْصَبَتْ مِنْ حُسْنِكَ تُبْدِينَهُ
 لِلْمَرْءِ إِلَّا أَفْسَدَتْ دِينَهُ
 أَنْصَبَحَ يَحْكِيكَ وَتَحْكِينَهُ
 أَنْكَمَا فِي الْأَصْلِ مِنْ طِينَهُ

(3)

وقال في الجارية تجني: ² [مَخْلَعُ الْبَسِيطِ]

لِللَّهِ هَيْفَاءُ قَدَّ مِنْهَا
 إِشْرَاقُهَا وَالضِّيَاءُ مِنْهَا
 جَاءَتْ بِهَا سَطَاعٌ سَنَاها
 تَلَاكَ تَجْنِي التِّي بَرَّتْني
 هَيْفَاءُ كَالْغُصْنِ فِي التَّنْثِي
 وَحَرْهُهَا وَالذُّمُوعُ مِنْني
 يَرْفَعُ سَجْفٌ ³ الظَّلَامَ عني
 بِالتَّيِّبِ وَالصَّدِّ وَالتَّجْنِي

شعر ابن بسام

(1)

قال في جارية: ⁴ [الرَّمْلِ]

صَاغَتْ الْجِوَزَاءُ قِرْطِينَ عَلِي
 وَاسْتَجَادَتْ مِنْ سَمَاها حَلًّا
 مَسْمَعِيها وَالثَّرِيما دُمْلُجا
 فَكَسَاها قُزَحَ ما نَسجا

1 - العماد الأصفهاني، الخريجة، ق 4 ج 1/324-325.

2 - العماد الأصفهاني، الخريجة، ق 4 ج 1/326.

3 - سَجْفٌ: ستر. ابن منظور، لسان العرب، مادة (سجف) 9/144.

4 - الدَّخِيرَةُ، ق 3 م 1/491.

(2)

قال في الجارية حُسنُ الورد : ¹ [الطَّويل]

يُذَكِّرُنِي مَنَ إِسْمُهُ ² حُسْنُ الْوَرْدِ
وَرَشْفَ رُضَابِ طَعْمِهِ حَسَنُ الْوَرْدِ
فَلَوْ كُنْتَ تَدْرِي لَمْ تُلْمَنِي عَلَى وَجْدِي

بدا الوردُ في أغصانه متعرِّضاً
يُذَكِّرُ أَياماً نَعَمِنَا بِطَيْبِهَا
فَدَعَنِي وَلَا تَلْحَ عَلَى الْخُبِّ أَهْلَهُ

(3)

قال في الجارية أزهر: ³ [الطَّويل]

خَيْرُ دُمُوعِي عِنْدَ رُؤْيَةِ أَزْهَرِ
بِأَطْرَافِ فَتَّانٍ وَالْحَاظِ جُوْدِرِ

شَرَبْنَا عَلَى مَاءِ كَأَنَّ خَيْرَهُ
حَلَفْتُ بِعَيْنَيْهَا لَقَدْ سَفَكَتْ دَمِي

شعر ابن بطال

(1)

قال في جارية: ⁴ [المتقارب]

أَنْبَسٌ يَصِيدُ قُلُوبَ الْأَنْبَسِ
فَكُفَّ بِتَوْرِيدِ وَجْهِ الْغَبَسِ⁵
فَصَارَ عَلَى الْخَدِّ مِنْهُ حَبَسٌ

رَشَاءً رَاشٍ بِالسَّحْرِ أَجْفَانَهُ
كَلِيلٌ أَرَادَ يُمُدُّ الظُّلَامَ
وَأَشْفَقَ أَنْ يَنْجَلِي صُبْحَهُ

¹ - ابن بسام، الخيّرة، ق 1 م 873/2.

² - قُطعت همزة الوصل للضرورة الشعرية.

³ - ابن بسام، الخيّرة، ق 1 م 872/2.

⁴ - الكتاني، التشبيهات، 126.

⁵ - الغبس و الغبسة: لون الرماد وهو بياض فيه كدرة. ابن منظور، لسان العرب، مادة (غبس)

(2)

وقال في جارية: ¹ [الكامل]

ترنو لواظننا لتقطفَ وردَه
فكأن عقرباً صُدغِه في خدّه
فتدبُّ عقربُه فتلسعُ من رنا
دبَّت لتمنعَ وردَه أن يُجتتى

شعر أبي بكر الزبيديّ الإشبيليّ

(1)

قال في جاريته سلمى: ² [مخلع البسيط]

ويحك يا سلمُ لا تراعي
لا تخسبيني صببرتُ إلا
ما خلق الله من عذاب
ما بيننا والحمائم فرق
إن يفترق شملنا وشيكاً
فكل شمل إلى افتراق
وكل قرب إلى بعاد
لا بُدَّ للبين من زماع
كصبر ميت على النزاع
أشدَّ من وقفة الوداع
لولا المناحات والنواعي
من بعد ما كان ذا اجتماع
وكل شغب إلى انصداع
وكل وصل إلى انقطاع

¹ - الكتاني، التشبيهات، 126.

² - الحميدي، جذوة المقتبس، 88/1، الضبي، بغية الملتمس، 66، عبد الواحد المرآكشي، المعجبة، 65، ابن خلكان، وفيات الأعيان، 373/4، ابن سعيد، المغرب، 255/1-256، المقرئ، النفع، 157/5.

شعر أبي بكر بن نصر الإشبيلي

(1)

شبهه أبو بكر بن نصر¹ الرياض بالجواري فقال: ² [الكامل]

وكأنما تلك الرياض عرائسٌ ملبوسهنَّ معصفر³ ومزعفر⁴
أو كالقيان لبسن موشى الحلي فلهنَّ في وشي اللباس تبخترُ

شعر البنوبي

(1)

قال البنوبي في راقصة: ⁵ [البسيط]

هيفاء إن رقصت في مجلس رقصت قلوب من حولها من حذقها طربا
خفيفة الوطاء لو جالت بخطوتها في جفن ذي رمم لم يشتك الوصبا

¹ - هو أبو بكر محمد بن نصر الإشبيلي، ذكر له مقطوعات شعرية في النّفح والبديع في فصل الربيع، انظر المقرئ، النّفح، 33/5، الحميري، البديع في فصل الربيع، 27.

² - الضبي، بغيّة الملتمس، 520، المقرئ، النّفح، 33/5.

³ - العصفور: هذا الذي يصبغ به منه، ربيّي ومنه برّي وكلاهما نبت بأرض العرب، وقد عصّرت الثوب فتعصّفر. ابن منظور، لسان العرب، مادة (عصفر) 581/4.

⁴ - الزعفران: هذا الصبغ المعروف وهو من الطيب. ابن منظور، لسان العرب، مادة (زعفر)

324/4.

⁵ - العماد الأصفهاني، الخريدة، ق 4 ج 5/1.

شعر ابن بليطة

(1)

قال في جارية: ¹ [الطويل]

توهم عطف الصدغ نوناً بخدّها
 غلاميّة جاءت وقد جعل الدجى
 فقلت أحاجيها بما في جفونها
 محيرة العينين من غير سكرة
 أرى نكهة المسواك في حمرة اللمي
 عسى قزح قبّلتِه فإخاله

فباتت بمسك الخال تنقطه نقطاً
 لخاتم فيها فصّ غاليّة خطّاً
 وما في الشفاه اللعس من حُسْنِهَا الْمُعْطَى
 متى شربت الحافظ عينيك إسْفَنطاً
 وشارك المخضرب بالمسك قد خطّاً
 على الشفة اللمياء قد جاء مُخْتَطّاً

شعر ابن جبير

(1)

قال في جارية: ² [مخلع البسيط]

طول اغتراب وبَرْحُ شوقٍ
 إليك أشكو الذي ألقى
 ولبي بغرناطة حبيباً
 ودعته وهو في دلالٍ
 فلو ترى طل نرجسيه
 أبصرت ذراً على عقبي

لا صبرَ والله لي عليه
 يا خيرَ مَنْ يُشْتَكى إليه
 قد غلق الرهن في يديه
 يظهر لي بعض ما لديه
 ينهل في ورد صفتيه
 من دمه فوق وجنتيه

¹ - ابن خلكان، وفتايات الأعميان، 43/5، والأبيات موجودة في ابن خاقان، مطمع الأنفس، 343

(6-2)، ابن بسّام، الذخيرة، ق3م491/1 (3-6)، المقرئ، النفع، 199/5 (2-6).

² - ابن سعيد، المغرب، 385-384/2، المقرئ، النفع، 142/3.

شعر ابن الجيَّاب

(1)

قال في الجارية نجمة: ¹ [البسيط]
 سلطان حُسنٍ على الأملاك منصورُ
 فبايع القلبَ عن طوعٍ وما هو في
 وهبٍ منه على نفسي فمنعها
 ما للفرود الذي راعت مهابتته
 تملكته فتاة غادة رتعت
 حيث تحية مشتاقٍ وقد بسمت
 أوجهها القمر الوضاح شمسٍ وضحي
 يا أيها القمران استخفيا فلها
 أقسمت ما أبصرت عيني لها شبا
 أرعى النجوم وما بي غير نسبتها
 كنيبت عنها بذكر النجم تورية
 تيهي بملك جمال عز ناصره
 فأنت مملوكتي رقاً ومالكتي
 فإن تسيئي فإن الذنب مغنفر
 فأطيب الحب عندي ما تجاذبه
 فيا لقلب به الأضداد قد جمعت
 أطيعها وهي ملكي إن ذا عجب
 لا أنس ليلة وصل قد سمحت بها
 قضيت فيها حقوق الحب وافية
 يا ليلة الوصل عودي دائماً أبداً

سل السيوف وهن الأعين الحور
 ملك الإيالة² منهى ومأمور
 روح به الروح محبو ومحبور³
 عرباً وعجماً فكل منه مذعور
 في دولة الحسن غراً فهو منشور
 فاللؤلؤ الرطب منظوم ومنشور
 أم قدها الغض المياد ممطور
 نجم إذا لاح يمحي منكما النور
 حقيقة لا أقول الطرف مسحور
 والشيء بالشيء مرعي ومذكور
 وفي الكنايات إجمال وتفسير
 ومن عصاه فمطروء ومدحور
 بشرع حب وما للشرع تغيير
 لدي أو تحسني فالفضل مشكور
 وصل وهجر وتسكين وتنفير
 فمجبور بجنون الحب مجبور
 ملك القلوب له حكم وتدبير
 فكل ذنب بها للدهر مغفور
 فكل ما أمّلته النفس ميسور
 وأحسني لي فجار الإحسان مكفور⁴

1 - الديوان، 274-275.

2 - الإيالة: السياسة. ابن منظور، لسان العرب، مادة (أول) 36/11.

3 - الحبر والحبرة: النعمة. ابن منظور، لسان العرب، مادة (حبر) 4/158.

4 - حصل كسر في التفعلية السابعة والثامنة.

شعر ابن حزم الأندلسي

(1)

قال يرثي جاريته نُعم: ¹ [الطَّويل]

كأنِّي لم أنسْ بألفاظِك التي
ولم أتحمم في الأمانِي كأنني
ويُبدن إعراضاً وهُنَّ أوالفُ

على عَقْد الألبابِ هنَّ نوافثُ
لإفراطِ ما حُكِّمتُ فيهنَّ عابثُ
ويُقَسِّمَن في هَجْرِي وهُنَّ حوانثُ

(2)

وقال في جارية: ² [الخفيف]

لأتلمها على النَّفارِ ومنع الـ
هل يكونُ الهلالُ غيرَ بعيدِ

— ووصل ما هذا لها بنكيرِ
أو يكونُ الغزالُ غيرَ نفورِ

(3)

وقال في جارية: ³ [الطَّويل]

يُبَكِّي لِمَيِّتِ ماتَ وهو مكرمٌ
فيا عجباً من آسفٍ لامرئٍ ثوى

وللحَيِّ أُولى بالدموعِ الذَّوارفِ
وما هو للمقتولِ ظلماً بأسفِ

(4)

وقال يرثي جاريته نُعم: ⁴ [الطَّويل]

مهذبَةٌ بيضاء كالشمسِ إن بدتْ
أطارَ هواها القلبَ عن مُستقرِّه

وسائرُ ربَّاتِ الحجالِ نجومُ
فبعدَ وقوعِ ظلِّ وهو يحومُ

¹ - رسائله، 1/224.

² - رسائله، 1/251.

³ - رسائله، 1/252.

⁴ - رسائله، 1/223-224.

(5)

وقال في جارية: ¹ [الوافر]

مَنَعْتَ جَمَالَ وَجْهِكَ مَقْلَتِيَا
أرَاكَ نَذَرْتَ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا
وَقَدْ غَنَيْتِ لِلْعَبَّاسِ شِعْرًا
فَلَوْ يَلْقَاكَ عَبَّاسٌ لِأُضْحَى

وَلَفْظُكَ قَدْ ضَنَّتِ بِهِ عَلَيَا
فَلَسْتَ تُكَلِّمِينَ الْيَوْمَ حَيًّا
هَنِيئًا ذَا لِعَبَّاسٍ هَنِيئًا
لَفُوزِ قَانِيَا وَبِكُمْ شَجِيًّا

شعر أبي الحسن الحصري

(1)

قال في جارية بيضاء: ² [الكامل]

خَضِبَتْ يَدِيهَا لَوْنَ فَاحِمِهَا فَمَا
مَا بِالْشَيْبِيِّ تَتَكْرِينِ خِضَابَهُ
قَالَتْ نَجِيعُكَ ³ فِي يَدِي وَإِنَّمَا

نَقَصَ الْبِياضُ مَلَاخَةً بَلْ زَادَا
وَأرَاكَ خَاضِبَةَ الْبِياضِ سَوَادَا
بَدَّلْتُهُ أَسْفَاً عَلَيْكَ حَدَادَا

(2)

وقال في جاريته: ⁴ [الخفيف]

رَبِّ سَهْلٍ عَلَيَّ فَتَاتِي فَتَاتِي
عَلَّمْتُهُ جُفُونَهَا آيَ سِحْرِ

لَتَرِي هَلْ سَلَا فَتَاهَا فَتَاهَا
مَا تَلَاهَا عَنْ حُبِّهَا مُذْ تَلَاهَا

¹ - رسائله، 1/ 251.² - ابن دحية، المطرِبج، 79.³ - النجيع: الدم وقيل: هو دم الجوف خاصة وقيل: هو الطري منه وقيل: ما كان إلى السواد.

ابن منظور، لسان العرب، مادة (نجع) 8/ 348.

⁴ - ابن الأثير، التَّحْمَلَة، 1/ 162.

شعر الحكم بن هشام الرِّبْضِيّ

(1)

وقال في جواريه: ¹ [الخفيف]

نلت كل الوصال بعد العباد
وتتاهى السرور إذ نلت ما لم
فكأنني ملكت كل العباد
يُغْنِنِ فِيهِ تَكَاثُفُ الْأَجْنَادِ

(2)

وقال في جواريه: ² [الخفيف]

ظلم من فرط حبه مملوكا
إن بكى أو شكا الهوى زيد ظلماً
تركته جأزر القصر صاباً
يجعل الخدّ واضعاً فوق ترّب
ولقد كان قبل ذلك مليكاً
بعباد أذنى حماماً وشيكاً
مُستهماً على الصَّعِيدِ تَرِيكاً
للذي يجعل الحريّر أريكاً
— إذا كان في الهوى مملوكاً
هكذا يحسن التذلل للحرّ

(3)

قال في جواريه: ³ [البسيط]

أعرضن عني وقد أزمعن هجراني
— هجران حتى خلا منهن هيماني
للحبّ ذلّ أسير مؤثّق عاني
غصبني في الهوى عزّي وسلطاني
قضب من البان ماست فوق كُثبان
ناشدتهنّ بحقي فاعتزمن على الـ
ملكنتني ملك من ذلت عزيمته
من لي بمغتصبات الروح من بدني

¹ - ابن عذاري، البيان المغربي، 79/2.

² - مجهول، أخبار مجموعة، 121-122، ابن الأبار، اللّعة السّيراء، 1/49، ابن عذاري، البيان المغربي، 80/2.

³ - مجهول، أخبار مجموعة، 121، ابن الأبار، اللّعة السّيراء، 1/50، ابن عذاري، البيان المغربي، 79/2، والأبيات موجودة في المقرئ، النّفح، 330/1 (1، 4).

شعر ابن حمديس

(1)

قال يصف ساقية: ¹ [الكامل]

بعروسٍ راحٍ في عقودِ حبابٍ²
طلعتُ على فُلكٍ من العُبابِ
تتبي الهمومَ بها على الأعقابِ
مُلئتُ بأرواحٍ من الإطرابِ
بالسحر فيه مَقولُ المضرابِ

يا حُسْنَ ساقيةٍ تُمُدُّ أناملًا
تسقيك شمسَ سِلافةٍ³ عنبيَّة
ومُنْبَهٍ في حِجرٍ من شَدواتها
وكأنما الأجسامُ من إحسانها
وكأنما يَدُها فمٌّ متكلم

(2)

وقال في رواقص: ⁴ [المتقارب]

تُغْمُّها لسُرورِ الكَثيبِ
من الدُرِّ أغصانَ كَفِّ خَضيبِ
رِ تَغري الأُكفَ بشقِّ الجُيوبِ
شَرِبنا عليها كَووسَ الذُّنوبِ
كَسَعي الأَساودِ فوقَ الكَثيبِ
يَطانُ بها نَعَماتِ الذُّنوبِ
يَحُلُّ بهِ في الهوى من كُرُوبِ
تَميسُ بهبِّ الصَّبَا والجنوبِ
وبَيْنَ الضُّلُوعِ خُدودَ القُلوبِ

وغنيدٍ لطائفُ ألحانها
فكُلُّ مَقَمَّعةٍ بالعقيقِ
تُتَبَّهُ مطرِقةً في الحجو
إذا أسَمعتُ حَسَناتِ الغِناءِ
وسُودِ الذَّوائبِ يَسحبُها
تَوافِقُ بالرقصِ أقدامهنَّ
يُشِرْنَ إلى كُلِّ عَضوٍ بما
بَسَطنا لها وهَيَ مثلُ الغُصونِ
على الأرضِ مِنَّا خُدودَ الوُجُوهِ

1 - الديوان، 21.

2 - حباب: حباب الرَّمْل و حَببِه طرائقه وكذلك هما في النييد. ابن منظور، لسان العرب، مادة حباب (حباب) 295/1.

3 - سِلافة: سِلاف الخمر سِلافتها أوَّل ما يُعصر منها. ابن منظور، لسان العرب، مادة (سلف) 159/9.

4 - الديوان، 13.

(3)

وقال في رواقص: ¹ [الطويل]

ومن راقصات ساحبات ذيولها
كما جررت أذيالها في هديلها

شواد بمسك في العبير تَضَمَّخُ
حمائمُ أَيْكٍ أو طواويسُ تَبْذُخُ

(4)

وقال يصف راقصة: ² [الطويل]

وراقصة بالسحر في حركاتها
منعمّة ألفاظها بتـرنم
تدوس قلوب السامعين برخصة
بقد يموت الغصن من حركاته
وتحسبها عمّا تشير بأنمل
بنا لا بها ما تشكي من جوى الهوى

تقيمُ به وزن الغناء على حدّ
كسا معبداً من عزه ذلّة العبد
بها لقطت ما للحنون من العدّ
سكوناً وأين الغصن من بره القدّ
إلى ما يلاقي كل عضو من الوجد
وأدمع أشواقٍ مُخدّدة الخدّ

(5)

وقال في ساقية: ³ [المتقارب]

وساقية زررت كفها
تدير بياقوتة ذرة
وقد سكنت حركات الأسى
فهذي تعانق لي عودها
وراقصة لقطت رجلها

على عنق الظبي أزرارها
فتغمس في مائها نارها
قيان تحرك أوتارها
وتلك تقبّل مزمارها
حساب يد نقرت طارها

(6)

وقال في جاريته جوهرة: ⁴ [البسيط]

وسابح لالعاب في بحر مراحاً

تُشير كفاء تعويداً من الغرق

1 - الديوان، 112.

2 - الديوان، 133.

3 - الديوان ، 181-182.

4 - الديوان، 324.

وعنده الفرق بين الأمن والفرق
من جرعت منه كأس الموت بالشرق
ثم انقلبت بقلب دائم الحرق

يدعو ولم يك مضطراً خذوا بيدي
فإن بكيته فإني قد ذكرت به
ردت على البحر من كفي جوهرة

(7)

وقال يرثي جاريتة جوهرة: ¹ [البسيط]

ويا تألف نظم الشمل من نثرك
فضي يواقيت دمعني واحبسي ذررك
إلا جناح قطاة في اعتقال شرك
طواك عن عيني الموج الذي نثرك
لا تلحظ العين فيها ذابلاً زهرك
لما درى الدر منه حاسداً ثغرك
قد كاد يغمرني منه الذي غمرك
عميم خلقك أم معنك أم صغرك
والحسن في كل فن يقتفي أثرك
منها ولو ربح الدنيا الذي خسرك
وقد أطلت لحيتي في البلى سفرك
تهدي لعيني من ذلك السكون حرك
عليك لو كنت فيه عالماً خبرك
جنادلاً وتراباً لأصقا بشرك
ما كدر العيش إلا شرئها كدرك
من ثغر لمياء لولا ضعفها أسرك
إني لأعجب منه كيف ما سحرك
من ذا يقيك كسوفاً قد علا قمرك
وأنت خال من الروح الذي عمرك
علي من كان بالأفراح قد قصرك

أيا رشاقة غصن البان ما هصرك
ويا شووني وشأني كله حزن
ما خلت قلبي وتبريحي يقلبته
لا صبر عنك وكيف الصبر عنك وقد
هلاً وروضة ذاك الحسن ناضرة
أما تك البحر ذو التيار من حسد
وقعت في الدمع إذ أغرقت في لجج
أي الثلاثة أبكي فقدته بدم
من أين يقبح أن أفنى عليك أسي
كنت الشبيبة إذ ولت ولا عوض
ما كنت عنك مطيلاً بالهوى سفري
هل واصلني منك إلا طيف ميته
أعانق القبر شوقاً وهو مشتمل
وددت يا نور عيني لو وقى بصري
أقول للبحر إذ أغشيت نظري
هلاً كفت أجاجاً منك عن أشر²
هلاً نظرت إلى تفتير مقلتها
يا وجه جوهرة المحجوب عن بصري
يا جسمها كيف أخلو من جوى حزني
ليلي أطالك بالأحزان معبته

¹ - الديوان، 212-213.

² - الأشر: أشر الأسنان وأشرها التحزير الذي فيها يكون خلقة ومستملاً والجمع أشور. ابن منظور، لسان العرب، مادة (أشر) 21/4 .

عما يُلاقي من التبريح مَنْ سَهْرِكِ
فالقلبُ يقرأ في صُحْفِ الأسي سَمْرِكِ
فإنّ نفسي منها ربُّها فطركِ
فلمْ يَخْنِكِ على حالٍ ولا غَدْرِكِ
نهاهُ عن شُرْبِ كاسٍ من بها أَمْرِكِ
ينسِيه نكـر.....¹
فكيفَ أطمعَ فيك النفسَ وانتظركِ
تبرجّ فهو يبكي بالأسى خَفْرِكِ
وإنما مدّ عُمري قاصراً عُمْرِكِ

ما أغفلَ النَّائمَ المرموسَ في جدثِ
يا دُولَةَ الوصلِ إن وليتِ عن بصري
لئن وجدتكِ عني غيرَ نايبةٍ
إن كانَ أسلمكِ المضطربُ عن قَدْرِ
هل كانَ إلا غريقاً رافعاً يَدَهُ
وارحمتا لو لُوعٍ بالبكاءِ فما
أما عَدَاكِ حِمَامٍ عن زيارته
إن كانَ للدمعِ في أرجاءِ وجنته
وما نجوتُ بنفسي عنكِ راغبةً

(8)

وقال في جارية: ² [الكامل]

رَقِي بِحُسْنِ مَقَالِهَا وَيَلِي
مَنْ فَرَعَهَا ذِيلاً عَلَى الذِيلِ
مُتَرَجِّحِ التَّقْوِيمِ وَالْمَيْلِ
لِمَ زُرْتَنَا فِي آخِرِ اللَّيْلِ
هَذَا أَوْانُ إِغَارَةِ الْخَيْلِ
كَالتَّاجِ فَوْقَ مَفَارِقِ الْقَيْلِ
عَنِّي قِلَادَةَ سَاعِدِ غَيْلِ
شَرِقَ الْفِضَاءِ بِكَثْرَةِ السَّيْلِ

ويلي على مملوكةٍ ملكتُ
غيداءُ تحسبُ كلما انعطفتُ
وكانها شمسٌ على غُصْنِ
قالتُ وقد عانقتها سَحْرًا
فأجبتُها وغمرتُها قُبْلًا
حتى إذا بزغتُ شبيبتها
نزعَتُ كَنَزِعِ الرُّوحِ من جسدي
فنهضتُ أشرقُ بالدموعِ كما

(9)

وقال في ساقية: ³ [الرَّمَل]

عمّ منها حُسْنُهَا خُلُقًا عَمِيمِ
مَيْلِ التَّيْهِ عَلَى خُوطِ قَوِيمِ
فِي فُتُورِ اللَّحْظِ وَاللَّفْظِ الرَّخِيمِ
كُلِّ شَيْطَانٍ مِنَ الْهَمِّ رَجِيمِ

أقبلتُ تسعى بها خُمُصَانَةً
كَلِّمَا قَامَتُ تَتَّي خَلَعَتُ
سَحْرُ هَارُوتَ وَمَارُوتَ بِهَا
تُودِعُ الْكُفَّ شِهَابًا مُحْرَقًا

¹ - بياض في الأصل، انظر الديوان (الهامش) ، 363.

² - الديوان ، 363.

³ - الديوان ، 449.

فتولى عنه إجمال الظليم
بنطاق شدّ في خصر هضم
شارب في الغرب للشرب مديم

في ظلام برق الصبح له
وحكّت جـوزاؤه ساقيةً
وكان الشهب كاسات لها

(10)

وقال يرثي جاريتَه جوهرة: ¹ [المنسرح]

فأبي حيّ مخلصاً فيها
فهني نفوس ردت عواريهما
أسودها بيننا دواهيها
أيامنا حاربت ليايها
يميتني نكرها ويحييها
كانني للأسى أجاريها
من كنت لا للبياع أغليها
لها أقيها به وأحميها
وبت في ساحليك أكيها
وصبغة الكحل في مآقيها
عن ضمة فاض روحها فيها
أحكام ضدين حكما فيها
كيف من العنصرين أفديها

يهدم دار الحياة بانيتها
وإن تردت من قبلنا أمم
أما تراها كأنها أجم
إن سألت وهي لا تسالنا
واوحشتنا من فراق مؤنسة
أذكرها والدموع تسبقتني
يا بحر أرخصت غير مكترث
جوهرة كان خاطري صدفاً
أبتها في حشاك مغرقة
ونفحة الطيب في ذائبها
عانفها الموج ثم فارقها
ويلي من الماء والتراب ومن
أماتها ذا وذاك غيرها

شعر ابن أبي الخصال

(1)

قال في راقصات: ² [مخلع البسيط]

للهم والقبح جامعات

جاء عليّ بملهيات

¹ - الديوان، 517-518.

² - ابن بسام، الخيرة، ق 3 م 795/2.

إلا تـذكرتُ سـيأتي

لم ياتفت ناظري إليها

(2)

وقال في قينة: ¹ [البسيط]

لصحتُ واحرَّ ما ألقاه من دنفٍ
على الفؤاد فلم يعدل ولم يصف
لاستعبدته وأبدي ذلَّ معترف
وما أحسُّ له إقبالاً منصرف
وأبي حُسنٍ عليها اليوم لم يقف

لولا المشيب وما أخشاه من فندٍ
رمت فؤادي بسهم صبَّ من أذني
لو ساجت معبداً في بُعد رتبته
أما الفؤاد ففي آثار نعمتها
وقد وقفت على تفصيل صنعها

(3)

وقال في راقصات: ² [المنسرح]

بات بها الجفن نادباً وسنة
كسيئات وبينها حسنة

وليلة طولها علي سنة
بأربع بينهن واحدة

شعر ابن خفاجة

(1)

قال في الجارية جوهرة: ³ [البسيط]

عن مرتقى رتبة قد سنّها الأول
إن الجواهر تحت الختم تحتمل

قالت وقد حطت العنوان جوهرة
لا غرو أن صرت تحت الختم واقعة

1 - ابن خاقان، فلان العقيان، 520/2.

2 - ابن بسام، الذخيرة، ق 3 م 795/2، المقرئ، النفع، 296/5.

3 - ابن بسام، الذخيرة، ق 3 م 635/2.

(2)

وقال في الجارية عَفْرَاء: ¹ [الطَّوِيل]

كَفَيْتُ بِأَنْفَاسِ الشَّمَالِ لَهُ شَمًّا
 أَلَا حَيٌّ عَنِّي ذَلِكَ الرَّبْعَ وَالرَّسْمَا
 عَلَى النَّأْيِ حُبًّا لَوْ جَزَوْنِي بِهِ جَمًّا
 أَلَا هَلْ أَرَى ذَاكَ السَّهَاءَ قَمْرًا تَمًّا
 بَجَرَعَا وَهَلْ أَلْوِي مِعَاطِفَهُ ضَمًّا
 فَأَكْلُهُ عَضًّا وَأَشْرَبُهُ لَثْمًا
 كَأَنِّي وَقَدْ وُلِّتُ أَرَيْتُ بِهَا حَلْمًا
 فَأَحْظَى بِهَا سَهْمًا وَأَبَى ² بِهَا قِسْمَا
 فَلَمْ أَدْعُهَا بِنْتًا وَلَمْ تَدْعُنِي عَمَّا

أَرَقْتُ لَذِكْرِي مَنْزِلَ شَطِّ نَازِحِ
 فَكَلَّتْ لِبَرْقِ يَصْدَعُ اللَّيْلَ لَائِحِ
 وَبَلَغَ قَطِينِ الدَّارِ أَنِّي أَحَبَّهُمْ
 وَأَقْرَى عَفْرَاءَ السَّلَامِ وَقُلْ لَهَا
 وَهَلْ يَتَنَّى ذَلِكَ الْغُصْنُ نَضْرَةً
 وَمَنْ لِي بِذَلِكَ الْحَشْفِ مِنْ مُتَقَنَّصِ
 وَدُونَ الصَّبَا إِحْدَى وَخَمْسُونَ حِجَّةً
 فَيَا لَيْتَ طَيْرَ السَّعْدِ يَسْنُحُ بِالْمُنَى
 وَيَا لَيْتَنِي كُنْتُ ابْنَ عَشْرِ وَأَرْبَعِ

شعر ابن درّاج القسطلي

(1)

قال في رثاء الجارية صُبْحَ البَشْكَنَسِيَّةِ: ³ [المتقارب]

وَقِصْرُ التَّدَانِي وَشَيْئُكَ التَّتَائِي
 وَقَدْ حَانَ مَنْ عُمُرُهُ لَانْتِهَاءِ
 أَمْ الْعِزُّ يَصْرَفُ صَرْفَ الْقَضَاءِ
 وَيَكْسُو الرُّبُوعَ ثِيَابَ الْعَقَاءِ
 وَيَلْقَى النُّفُوسَ بِدَاءِ عِيَاءِ
 كَرِيمِ الْمُلُوكِ وَعَلِقَ السَّنَاءِ
 تِ مَأْوَى الْبَلِي وَمُنَاخَ الْفَنَاءِ

بِقَاءِ الْخَلَائِقِ رَهْنُ الْفَنَاءِ
 لَقَدْ حَلَّ مَنْ يَوْمُهُ لَاقْتِرَابِ
 هَلِ الْمُلُوكُ يَمْلِكُ رَيْبَ الْمَنُونِ
 هُوَ الْمَوْتُ يَصْدَعُ شَمْلَ الْجَمِيعِ
 يَبْزُ الْحَيَاةَ بِبَطْشِ شَدِيدِ
 أَلَمْ تَرَ كَيْفَ اسْتَبَاحَتْ يَدَاهُ
 وَوَأْفَى بِسَيِّدَةِ السَّيِّدَا

¹ - ابن بسّام، الذخيرة، ق 3 م 577/2.

² - أبى: الباءة مثل الباعة والباء: النكاح، وسُمي النكاح بباءة وباء من المباءة لأن الرجل يتبواً

من أهله أي يستمكن من أهله كما يتبواً من داره. ابن منظور، لسان العرب، مادة (بوا) 36/1.

³ - الديوان، 98-102.

مُصَابًا وَأُودَى بِحُسْنِ الْعِزَاءِ
 وَلَا فِي الدُّمُوعِ لَهُ مِنْ شِفَاءِ
 وَهِيهَاتَ مِنْهُ انْتِصَارُ الْبُكَاءِ
 وَكَيْفَ يُعَالَجُ دَاءٌ بِدَاءِ
 مُفَجَّرَةٍ مِنْ قُلُوبِ ظِمَاءِ
 وَلَا جَفْنَ إِلَّا غَرِيْقٌ بِمَاءِ
 وَيُضْرِمُ نَارَ الْأَسَى فِي الْهَوَاءِ
 وَشَجُوَ النَّحِيبِ وَلَهْفُ النَّدَاءِ
 وَمِنْ وَجَنَةٍ شَرِقَتْ بِالدَّمَاءِ
 وَنَابِذَةٍ صَبَرَهَا بِالْعِرَاءِ
 دِحْمَرَ الْبِنُودِ وَبِيضَ الْمُلَاءِ
 وَضَافِي الشُّعُورِ بُلْبُسِ سَوَاءِ
 لَتَبَّكَ عَلَيْكَ نَجُومُ السَّمَاءِ
 عَوِيْلُ الرَّجَالِ وَلَدَمٌ³ النَّسَاءِ
 تَمَسَّكَ وَجْهَهُ الضُّحَى بِالضِّيَاءِ
 عَلَيْهِ الصَّبَاحُ بِثُوبِ الْمَسَاءِ
 تَعَوَّضُ مِنْهَا بِعِزِّ الْعِزَاءِ
 وَتَرْحُ الْقُصُورِ لِرَبِّعِ خَلَاءِ
 لَضَاقَ الْأَنَامُ لَهَا عَنْ فِدَاءِ
 وَمِنْ قَبْلِ فِي شُرُفَاتِ الْعَلَاءِ
 وَبَذَلَ الْإِلَهَى⁴ مَالَهَا مِنْ خَفَاءِ

هُوَ الرُّزْءُ أَلْوَى بِعِزْمِ الْقُلُوبِ
 فَمَا فِي الْعَوِيْلِ لَهُ مِنْ كَفِيءِ
 فَهِيهَاتَ فِيهِ غِنَاءُ الزَّفِيرِ
 وَأَنْتَى يُدَافِعُ سُقْمَ بِسُقْمِ
 فَتَأْتِيكَ مَأْقَى جُفُونِ رِوَاءِ
 فَلَا صَدْرَ إِلَّا حَرِيْقٌ بِنَارِ
 فَقَدْ كَادَ يَصْدَعُ صُمَّ السَّلَامِ¹
 وَجَيْبُ الْقُلُوبِ وَشَقُّ الْجُيُوبِ
 فَمِنْ مُقَلَّةٍ شَرِقَتْ بِالدُّمُوعِ
 وَسَافِرَةٍ مِنْ قِنَاعِ الْحِيَاءِ
 وَبِيضِ صَبْغِنِ بِلُونِ الْحِدَا
 نَوَاشِحَ فِي سَابِغَاتِ الْمُسُوحِ²
 أَنْجَمًا هَوَى فِي سَمَاءِ الْمَعَالِي
 فَحَاشَى لِرِزْءِكَ أَنْ يَقْتَضِيهِ
 لِبِيضِ أَيْدِيكَ فِي الصَّالِحَاتِ
 وَقَوْلِ لَفَقْدِكَ أَنْ يَحْتَبِي
 فَيَا أَسْفَ الْمُلْكَ مِنْ ذَاتِ عِزِّ
 وَرُوحِ الْقُبُورِ لِمَجْدِ مُقِيمِ
 وَلَوْ قَبِلَ الْمَوْتَ مِنْهَا الْفِدَاءِ
 لَبُنَّ حُجَبَاتٌ تَحْتَ رَدَمِ اللُّحُودِ
 فَتَأْتِيكَ مَأْتَرُهَا فِي التَّقَى

1 - السَّلَام: جماعة الحجارة الصغيرة منها والكبير لا يوجدونها. ابن منظور، لسان العرب، مادة (سلم) 297/12.

2 - الْمُسُوح: المسحُ الكساء من الشعر والجمع القليل أمساح... والكثير مُسُوح. ابن منظور، لسان العرب، مادة (مسح) 596/2.

3 - لَدَم: اللدْم ضرب المرأة صدرها. ابن منظور، لسان العرب، مادة (لدم) 539/12.

4 - الْإِلَهَى: واللَّهُوة واللَّهُية الأخيرة على المُعاقبة: العَطِيَّة، وقيل: أفضل العطايا وأجزلها، ويقال: إنه لمعطاء لِّلها إذا كان جواداً يعطي الشيء الكثير. ابن منظور، لسان العرب، مادة (لها) 261/15.

تِ خَيْرُ الْمُجَازِينَ خَيْرَ الْجَزَاءِ
 نَسِيمَ النَّعِيمِ وَطَيْبَ الثَّوَابِ
 مَنْ أَبْضَعْتَ فَابْتَعْتَهَا بِالْعَلَاءِ
 فَأَمْسَى وَقَدْ رَشُّتَهُ بِالْعَطَاءِ
 سَمِعْتَ لَوْجَهُ سَمِيعَ الدُّعَاءِ
 سَنَحْتَ لَهُ بِسَجَالِ الْجِبَاءِ
 رَمَاكَ بِيَوْمٍ كِيَوْمِ الْبَرَاءِ
 وَدَاعَ نَوَى مَالَهَا مِنْ لِقَاءِ
 سَةِ مِنْ سَلَفِي خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ
 بَحْرِي الْجَنَابِ وَعِزُّ الْفَنَاءِ
 وَقَصْرُ رَفِيعِ مَشِيدِ الْبِنَاءِ
 وَجَمْعِ الْخُشُودِ بِمِلْءِ الْفَضَاءِ
 وَكُلِّ أَمِيرٍ مُنِيفِ اللَّوَاءِ
 فَأَبْلَاهُ فِي الصَّنْعِ خَيْرَ الْبَلَاءِ
 تَبَلَّجَ عَنْهُ الضُّحَى عَنْ نُكْأِ
 بَرَاهِمِهَا لِتَخْلِيدِ حُرِّ الثَّوَابِ
 وَأَحْبَسَهَا فِي سَبِيلِ السَّوَابِ
 وَأَغْنَى عَنِ الْمُلْكِ حَقَّ الْغَنَاءِ
 وَسَدَّ عَنِ الشَّرْكِ بَابَ النِّجَاءِ
 بِطَارِ الْعُدَاةِ بِهِ كَالْهَبَاءِ
 وَتَوَجَّهَ الصَّبْرُ تَجَاحِ الْبَهَاءِ
 لِنَادَاهُ يَا صَفْوَةَ الْأَوْلِيَاءِ
 يَدَاهُ كَفِيَّائِي حَيَاةِ الرَّجَاءِ
 سُمْ مَا إِنْ سِوَاكَ لَهَا مِنْ عَزَاءِ
 وَمَدَّ لَكَ اللَّهُ طَوْلَ الْبَقَاءِ

جَزَاكَ بِأَعْمَالِكَ الزَّاكِيَا
 وَلُقِّيتَ فِي ضَنْكَ ذَاكَ الضَّرِيحِ
 فَيَا رَبَّ زُلْفَى لَدَى الْمَشْرِيقِ
 وَعَارِي الْجَنَاحِينَ نُبِّتَ عَنْهُ
 وَدَعْوَةَ عَانَ بِأَقْصَى الدُّرُوبِ
 وَذِي حُبُوعٍ بِفِنَاءِ الْمَقَامِ
 فَلَلَّهُ مِنْ طَارِقِ اللَّيَالِي
 فَوَدَّعْتَ فِيهِ إِمَامَ الْهُدَى
 نَجِييَكَ وَالْمُصْطَفَى لِلْخَلْفَى
 وَمَا رَدَّ عَنْكَ سِيَهَامَ الْحِمَامِ
 وَدَهْرٍ مُطِيعٍ وَسُورٍ مَنِيْعٍ
 وَزَارِ الْأَسْوَدِ وَخَفَقِ الْبُنُودِ
 بِكُلِّ كَمِيٍّ¹ جَرِيءِ الْجَنَانِ
 وَوَالِ رَعَى اللَّهِ مَا قَدْ رَعَاهُ
 تَبَلَّجَ عَنْهُ سَنَا يَعْرُبِ
 فَتَى قَارِضِ اللَّهِ عَنْ نَفْسِ حُرِّ
 وَأَقْحَمَهَا مُخْطِرَاتِ الْخُرُوبِ
 وَجَاهِدَ فِي اللَّهِ حَقَّ الْجِهَادِ
 وَشَدَّ عَلَى الدِّينِ سُورَ الْأَمَانِ
 وَسَيِّفٌ إِذَا لِأَلَّتْهُ الْخُرُوبُ
 وَالْبَسَهُ النَّصْرُ ثُوبَ الْجَلَالِ
 فَلَوْ أَفْصَحَ الدَّهْرُ عَمَّا يُكِنُّ
 هُوَ الْمَلِكُ الْعَامِرِيُّ الْمُسَمَّى
 عَزَاءً إِمَامَ الْهُدَى فَالْنُفُوسِ
 وَعَوَّضَتْ مِنْهَا جَزِيلَ الثَّوَابِ

1 - الكمي: الشجاع المتكمي في سلاحه لأنه كمي نفسه أي سترها بالدرع والبيضة والجمع الكمأة. ابن منظور، لسان العرب، مادة (كمي) 232/15.

(2)

وقال في رثاء الجارية صُبْحَ البَشْكَسِيَّةِ والمظفر عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر

على لسان جارية: ¹ [البسيط]

من سَنِي سَيْبِكَ مَمَّا أَنْبَتَتْ نَعْمَكَ
حَتَّى أَتَيْتُكَ طَيْباً طَابَ مَرْتَعُهُ
أَوْ كوكباً من نجومِ الحَسَنِ مَطْعُهُ
من رِيْقَتِي المِسْكَ بَلْ رِيَاهِ من أَرَجِي
والغُصْنُ يَسْرِقُ من قَدِّي تَشْيِيهُ
أَقُولُ لِلصُّبْحِ والدُّنْيَا تُتِيرُ بِهِ
وكم دَعَوْتُ وَجَنَحَ اللّيلِ مُنْسَدِلِ
ورُبَّ بَرَقٍ خَبَأَ لَمَّا هَنَفَتْ بِهِ
بدائعُ تَقْتَضِي حَقِّي لَدَيْكَ وَقَدْ
لَعَلَّ عَطْفَكَ يَا مَوْلَايَ يَأْذُنُ لِي
وَتَبْلُؤَ السَّرِّ من قَوْلٍ يُرَدِّدُهُ
مَا شَيْدَ الكُفْرِ حِصْنًا من بلادِهِمْ
ولا تَعْذِرْ من طَالِبَتِ مُهْجَتَهُ
ولا تَتَسَمَّ من عَادَاكَ مَنَفَسَهُ

من دُرِّ بَحْرِكَ مَمَّا عَمَّهُ كَرْمُكَ
وَسَطَ الرِّيَاضِ التي جَادَتْ لَهَا دِيْمُكَ
جَوْ السَّمَاءِ التي مِنْ فَوْقِهَا هِمْمُكَ
كَأَنَّمَا صَافَحْتَنِي بِالضُّحَى شِيْمُكَ
رَقصاً وحاشي له مَمِّنْ غَذَتْ نَعْمَكَ
يا صُبْحُ مَنْ يَرِ وَجْهِي فَهُوَ مَتَّهِمُكَ
يا لَيْلُ شَعْرِي يُغْشِي اللّيلَ أَمْ ظَلَمُكَ
هِيهَاتَ من مَبْسَمِي يا بَرَقُ مَبْتَسْمُكَ
رَأَيْتَ آمَالَ أَهْلِ الأَرْضِ تَقْتَسِمُكَ
في وَضْعِ خَدِّي حَيْثُ اسْتَوَطَّاتُ قَدَمُكَ
إِلَيْكَ قَلْبِي لا يَعْيا بِهِ فَهَمُّكَ
إِلَّا لِيخْفِقَ فِي أَبْرَاجِهِ عِلْمُكَ
ولا تَمْنَعِ إِلَّا من حَمَّتْ نَمْمُكَ
حَتَّى تَحِلَّ بأَقْصَى دارِهِ نَقْمُكَ

شعر الرَّماديِّ

(1)

قال في جارية: ² [المديد]

تَلْتِمُ الأوتارُ منها بَناناً
تَسْبِقُ الأَبصارَ من وَحْيِ صوتِ
مِثْلَما طارَ الجفونُ اختلاجاً

يَعْدِلُ الأفواةَ إِلَّا الرُّضابا
تَحْسَبُ التَّرْجِيحَ مِنْهُ انْتِهابا
أو كما شَقَّتْ بِرُوقِ سَحابا

1 - الديوان، 395.

2 - الكتاني، التشبيهات، 104 .

(2)

وقال في جارية: ¹ [الرَّمْل]

تَغْرِهِ الْأَصْغَرَ وَالْخَدَّ الْأَجْلُ
تَحْتَ صُدُغٍ فَوْقَ صُبْحٍ قَدْ رَحَلَ
رَجَعَ الصُّدُغُ إِلَيْهِ فَا نَسَدَلُ
ثَارَةً فَهُوَ عَلَيْهِ مُشْتَمَلُ
جَاءَ مَنْ عِنْدَ أَخِيهِ لِلْقَبْلِ
غَلَبَ الرَّوْعُ عَلَيْهِ فَمَثَلُ

مُعْجَمُ الْحُسْنِ بِخَالِيْنَ عَلِي
فَالَّذِي فِي الْخَدِّ طَوْرًا أَفْلُ
يَتَجَافِي فَإِذَا لَاحَظَتْهُ
فَكَأَنَّ الصُّدُغَ يَخْشَى عَابَثًا
وَكَأَنَّ الْمُعْتَلِيَّ مَبْسُومًا
فَسَعَى حَتَّى إِذَا مَا اشْتَمَّهُ

(3)

وقال في الجارية خَلْوَةَ: ² [الطَّوِيل]

عَلَى بَكَائِي فِي الرُّسُومِ الطَّوَائِمِ ³
وَالْأَغْرِيْقَاءِ فِي الدُّمُوعِ السَّوَائِمِ
بَكَائِي فَلْيَفْزِعِ لِلْوَمِّ الْحَمَائِمِ
إِذَا نَزَلَتْ بِالنَّاسِ أَوْ بِالْبَهَائِمِ
مَتَى كَانَ مَنِّي النَّوْمُ ضَرْبَةً لَازِمِ

قَفُّوا تَشْهَدُوا بَثِّي وَإِنْكَارِ لَاعِي
أَيَّامَنْ أَنْ يَغْدُو حَرِيْقُ تَنْفُّسِي
فَهَذَا حَمَامُ الْأَيْكَ يَبْكِي هَدِيْلَهُ
وَمَا هِيَ إِلَّا فَرْقَةٌ تَبْعَتْ الْأَسَى
خَلَا نَاطِرِي مِنْ نَوْمِهِ بَعْدَ خَلْوَةِ

شعر ابن زيدون

(1)

قال في جارية أحببت فتى قرشياً: ⁴ [البسيط]

ظُلْمًا وَصِيْرَتَ مِنْ لُحْفِ الضَّنْيِ فُرْشِي
بِالسَّحْرِ مِنْكَ وَخَدًّا بِالْجَمَالِ وَشِي

كَسَوْتَنِي مِنْ ثِيَابِ السُّقْمِ أَسْبَغَهَا
أَنْنِي بِصَرْفِ الْهَوَى عَنْ مَقْلَةٍ كُحِلَّتْ

¹ - الكتاني، التشبيهات، 126-127.

² - ابن سعيد، المغرب، 393/1.

³ - حصل كسر في التفعيلة السادسة.

⁴ - المقرئ، النفع، 255/4 .

أرى التشاكلَ بينَ الرُّومِ والحَبَشِ
كالعُربانِ انثنى منْ خَوْفِ مُحترِشِ
والأفُقُ يختالُ في ثوبِ من الغَبَشِ
جفا المَنامَ وصاحَ الليلُ يا قُرَشِي
قد كان قَتَلِي في تلكِ الجُفونِ حُشي

لَمَّا بَدَا الصُّدُغُ مُسَوِّدًا بأحمرِهِ
أوفى إلى الخدِّ ثم انصاعَ مُعَطِفًا
لو شئتَ زُرْتَ وسلكُ اللَّيْلِ منتظِمًا
صبًّا إذا التذتَ الأَجفانُ طَعَمَ كَرِي
هذا وإن تَلَفَّتْ نَفْسِي فلا عَجَبٌ

شعر ابن السراج المالقي

(1)

قال في الجارية أزهَر: ¹ [الطَّويل]

بكاءُ مُحِبِّ بانِ عنه حبيبُ
فإني مَشغوفٌ بهِ وكئيبُ

شربنا على ماءٍ كأنَّ خَيرَةَ
فَمَن كان مَشغوفًا كئيبًا بإلفه

(2)

وقال في الجارية أزهَر: ² [الطَّويل]

علينا شفاءً من هَوَى مُتَسعِّرِ
على هائمٍ مثلي بها غيرِ مُقصرِ
به فيه والمَشْتاقُ حِلْفُ تَذَكِّرِ
على شرطٍ أن أسقاهُ من كَفِّ أزهَرِ

خليلي في ريح الصَّبَا لو تَسَمَّتْ
رسولُ التي في صَوْتِها سَوَطُ لَحْظِها
تَذَكَّرْتُ بالوادي زماناً لَقِيْتُها
فلو صُبَّ في كأسِي أذَى لَشَرِبْتُهُ

(3)

كتب ابن السراج المالقي في الجارية حُسن الوَرْدِ: ³ [الخفيف]

لَمْ يَكُنْ لي بترَكِهِ مِنْ سَبِيلِ

يا صديقي شُغِلْتُ عنكَ بِخَطْبِ

¹ - ابن بسَّام، الذَّخِيرَةُ، ق 1 م 872/2، المَقْرِي، النَّبْع، 238/4.

² - ابن بسَّام، الذَّخِيرَةُ، ق 1 م 872/2.

³ - ابن بسَّام، الذَّخِيرَةُ، ق 1 م 871/2.

مُزَّةٌ¹ فِي حَرَارَةِ الزَّجْبِيلِ
حُسْنِ الْوَرْدِ فَوْقَ رِدْفِ تَقِيلِ
بِجُفُونِ نُجْلِ وَوَجْهِ جَمِيلِ
يَوْمَ أَبْصَرْتُهَا بِطَرْفِ كَحِيلِ
نَاكَ مِنْ سَادَةِ الْأَخْلَاءِ سُؤْلِي
نُورَ عَيْنِي سَنَا وَتَشْفِي غَلِيلِي

وَعَدَا نَأْتِي عَلَيْهَا سُؤْلًا
أَثَقَّتْ هَوَىَّ بِقَدِّ خَفِيفِ
سَأَبْتُ صَبْرِي الْجَمِيلِ وَقَلْبِي
كَحَلَّتْ بِالسُّهَادِ وَالِدَمْعِ طَرْفِي
هِيَ سُؤْلِي مِنَ الْمَلَحِ كَمَا أَنْ
لَا عَدَّتِي زِيَارَةً مِنْكَ تُذَكِّي

(4)

قال في مجموعة جوار: ² [الطويل]

وَنَحْنُ عَلَى مَاءٍ يُذَكِّرُنَا عَدْنَا
عَوَانٌ وَلَكِنْ نُورُهُ عَزَّ أَنْ يُجْنِي
فَقُلْنَا وَأَيُّ الْفُؤُولِ تَرُغِبُهُ مِنَّا
جَهَلْتِ وَلَمْ تَفْهَمْ مَقَالَتَنَا عَنَّا
وَصَالُ مَلَحٍ فُتِنَ شَمْسَ الضُّحَا حُسْنَا
مِنَ الْإِنْسِ شَمْسًا تَحْمَلُ الدَّعْصَ وَالْغُصْنَا

وَسِرْبِ مَلَحٍ مَرَّبِي وَبِصَاحِبِي
وَيَحْمَلُنَ فَوَلًا عِنْدَهُنَّ نَظِيرُهُ
فَقُلْتُ عَسَى مِنْ فَوَلِكِنَّ بَقِيَّةُ
فَقُلْتُ الَّذِي تَحْتَ السَّرَاوِيلِ قَلْنِ لِي
حَرَامٌ عَلَى مَنْ كَانَ شَيْخًا مَشُوَهَا
وَفِيهِنَّ نَشَوَى الطَّرْفِ لَمْ أَرِ قَبْلَهَا

(5)

قال في الجارية حُسنِ الورد: ³ [البسيط]

حُسْنَا وَطِيْبًا وَعَهْدًا غَيْرَ مَضْمُونِ
بِسَاعَةٍ لَمْ أَكُنْ فِيهَا بِمَغْبُونِ
فَمَا تَرَى حِينَ تَبْدُو غَيْرَ مَقْتُونِ
وَأُصْنِي بِهَوَاهَا حِينَ تَسْقِينِي

ذَكَرْتُ بِالْوَرْدِ حُسْنَ الْوَرْدِ شِقَّتَهُ
هَيْفَاءُ لَوْ بَعْتُ أَيَّامِي لَرَوَيْتَهَا
كَالْبَدْرِ رَكْبَهُ فِي الْغُصْنِ خَالِقَهُ
فَاشْرَبْ عَلَى ذِكْرِهَا خَمْرًا كَرِيْقَتَهَا

¹ - مُزَّة: الخمر التي فيها حُموضة. ابن منظور، لسان العرب، مادة (مزر) 409/5.

² - ابن بسّام، الذخيرة، ق 1 م 881/2.

³ - ابن بسّام، الذخيرة، ق 1 م 872/2-873.

شعر سعيد بن جودي

(1)

قال في جارية: ¹ [الطويل]

قضيّب من الريحان في ورقِ حُمُرِ

فأجابه عبيدس: ²

وعهدي بالريحان في ورقِ خُضُرِ

(2)

وقال في جارية: ³ [الطويل]أمائلة الأحاظِ عني إلى الأرضِ
فإن كان بغضاً لستُ والله أهلهأهذا الذي تُبدن ويحك من بُغضي
ووجهي بذاك اللحظِ أولى من الأرضِ

(3)

وقال في الجارية جيجان: ⁴ [البسيط]سمعي أبي أن يكونَ الروحُ في بدني
أعطيتُ جيجانَ رُوحِي عن تذكُّرِها
كأنني واسمُها والدمعُ مُنسكبٌفاعتاضَ قلبي منه لوعةَ الحزنِ
هذا ولم أرها يوماً ولم ترني
من مقلتي راهبٌ صلى إلى وثني

1 - ابن الأَبَّار، العُلَّة السَّيراء، 1/ 158.

2 - ابن الأَبَّار، العُلَّة السَّيراء، 1/ 159.

3 - ابن الأَبَّار، العُلَّة السَّيراء، 1/ 158.

4 - ابن الأَبَّار، العُلَّة السَّيراء، 1/ 157-158.

شعر ابن سعيد المغربي

(1)

قال في الجارية صُبْح: ¹ [مخلع البسيط]

أَوْجُهُ صُبْحٍ أَمْ الصَّبَّاحِ
وَتَغْرُهُهَا أَمْ نَظْمٌ دُرٌّ
وَقَدْهَا أَمْ قِوَامٌ غُصْنِ
يَا حَبَّذَا زُورَةٌ تَأْتَتْ
فَلَمْ أَصَدِّقْ بِهَا سُرُوراً
أَمَا مَنَعَتْ السَّلَامَ دَهْرًا
قَالَتْ أَلَا فَنَسَ مَا تَقَضَى
يَا حَبَّذَاهَا وَقَدْ تَأْتَتْ
زَارَتْ وَمِنْ نُورِهَا دَلِيلٌ
أَخْفَتْ سَرَاهَا فَبَاحَ نَشْرٌ
وَأَفْتَتْ فَأَمْسَى فَمِي مُدَاماً
كَأَنَّهَا بِيَّتْ بَيْنَ رَوْضِ
فَبَيْنَمَا السَّمْلُ فِي انْتِظَامِ
فَغَادَرْتَنِي فَقَلَّتْ غَدْرًا
وَلَّتْ وَمَا خَلَّتْ مِنْ صَبَاحِ

وَلَحْظُهَا أَمْ ظَبَا الصَّبَّاحِ
وَرِيقُهَا أَمْ سُكْلُ رَاحِ
وَعُرْفُهَا أَمْ شَذَا البَطَّاحِ
مِنْهَا عَلَى غَفْلَةِ اللُّوَاخِ
وَوَلَّتْ نَشْوَانَ دُونَ رَاحِ
وَلَا رَسُولَ سَوَى الرِّيَّاحِ
فَمَنْ يَدَعُ مَا مَضَى اسْتِرَاحِ
مَنْ دُونَ وَعْدٍ وَلَا اقْتِرَاحِ
وَاللَّيْلُ قَدْ أَسْبَلَ الجَنَاحِ
لَهَا بَعْرَفٍ فَشَا وَفَاحِ
وَسَاعِدَايَ لَهَا وَشَاحِ
وَالْغُصْنِ وَالْوَرْدِ وَالْأَقْوَاحِ
إِذْ سَمِعْتُ دَاعِيَ الفَلَاحِ
قَالَتْ أَمَا تَحْذَرُ افْتِرَاحِ
يَبْدُو عَلَى إِثْرِهِ صَبَاحِ

شعر ابن سكين

(1)

قال ابن سكين في جارية: ² [الكامل]

وعقيلةٍ لاحت بشاطئ نهرها
كالمشمس طالعةً لدى آفاقها

¹ - المقرئ، النفع، 75-74/3.

² - ابن الأبار، تحفة القاصم، 64-63.

لو أنها كشفت لنا عن ساقها
ليس الجفا والصد من أخلاقها

فكانها بلقىيس وأفت صرحها
حوريّة قمرية بدويّة

شعر سليمان بن المستعين

(1)

قال في جواريه: ¹ [الكامل]

وأهاب لَحْظَ فَوَاتِرِ الْأَجْفَانِ
منها سوى الإعراض والهجرانِ
زُهرُ الوجوه نواعمُ الأبدانِ
من فوق أغصانِ على كُثبانِ
حُسنًا وهذي أُختُ غُصنِ البانِ
فقضى بسُلطانِ على سلطاني
في عزِّ ملكي كالأسير العاني
ذلُّ الهوى عزٌّ وملكٌ ثاني
وبنو الزمانِ وهنَّ من عبداني
كَلْفًا بهنَّ فلستُ من مروانِ
خَطَبَ القلي وحوادثِ السلوانِ
عاش الهوى في غبطةٍ وأمانِ

عجباً يهابُ اللَّيْثُ حَدَّ سِنَانِي
وأقارِعُ الأهلِ والْمُتَهَيِّبِ
وتملّكتُ نفسي ثلاثُ كالْمُثْمِي
ككواكبِ الظلماءِ لُحْنِ لِنَاظِرِي
هذي الهلالُ وتلكُ بنتُ الْمُشْتَرِي
حاكمتُ فيهنَّ السُّلُوَ إلى الصِّبَا
فأبحنَّ من قلبي المنى وثينيني
لا تعذلوا ملكاً تذلُّ للهوى
ما ضرَّ أني عبْدُهِنَّ صَبَابَةٌ
إن لم أطعْ فيهنَّ سلطانَ الهوى
وإذا الكريمُ أحبُّ أمَّنِ الْفَهْ
وإذا تجارى في الهوى أهلُ الهوى

¹ - الحميدي، جَزْوَةُ الْمُقْتَبَسِ، 51/1، ابن حزم، رسائله، 198/2-199، ابن بسّام، الذخيرة،
ق 1 م 47/1، عبد الواحد المرآكشي، المُعْجِبِ، 92، ابن الأَبَّار، الخَلَّةُ السَّيْرَاءُ، 9/2، والأبيات
موجودة في ابن عذاري، البيانُ المُغْرِبِ، 118/3، ابن فضل الله العمري، مسالك الأَبصار،
491/24، المقرئ، النَّفْعُ، 412/1 (1-10).

شعر ابن شريف النَّفري

(1)

قال ابن شريف النَّفري¹ في جارية: ² [الطَّويل]

وغانية يُعني عن العودِ صَوْتُها وجارية تَسقي ساقيةً تجري

شعر ابن شهيد

(1)

قال في الساقية أسيماء: ³ [مخَلع البسيط]

أفدي أسيماءَ من نديم ما لازم للكـؤوسِ راتبُ
قد عجبوا في السُّهاد منها وهي لعمري من العجائبُ
قالوا تجافى الرِّقادُ عنها فقلت لا ترقد الكواكبُ

(2)

وقال في ساقية غلامية: ⁴ [الرَّمَل]

أذن الـديك فثوب أو ثوب وانضح القلب بماء العنب
وتأمل آيةً معجزةً ما قرأنا مثلها في الكتب
ركع الإبريق من طاعته وبكى فابتل ثوب الأثوب
ولول المزهر ينفي كربى وتطربت فأعيا طربي
وريب قام فينا ساقياً كالرشا أرضع بين الربرب

1 - هو أبو الطيب صالح بن يزيد بن علي بن شريف النَّفري، من ذوي الفضل والدين، شاعر مُجيد في المدح والغزل، له باع في الحساب والفقہ ومقامات في أغراض شتى، قيل إنه خاتمة الأدباء بالأندلس، توفي سنة 684هـ. انظر ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 360/3.

2 - ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 370/3.

3 - ابن بسام، الذخيرة، ق 1 م 303/1، الأزدي، بدائع البحانه، 353، المقرئ، النفع، 214/4.

4 - ابن بسام، الذخيرة، ق 1 م 210-211.

ظبيّةٌ دونَ الصَّبَايا قُصِّصَتْ
فُتِّحَ الوَرْدُ على صَفْحَتِهَا
فَمَشَتْ نَحْوِي وَقَدِ مَلَّكْتُهَا
فَأَتَتْ غِيْدَاءَ فِي شَكْلِ الصَّبِي
وَحَمَاهُ صُدَّغُهَا بِالعُقْرَبِ
مِشِيَّةَ العُصْفُورِ نَحْوِ الثَّلَابِ

(3)

شكر ابن شهيد المنصور بن أبي عامر على جارية قائلاً: ¹ [الخفيف]

قَدْ فَضَضْنَا خِتَامَ ذَاكَ السَّوَارِ
وَنَعِمْنَا فِي ظِلِّ أَنْعَمِ لَيْلِ
وَقَضَى الشَّيْخُ مَا قَضَى بِحُسَامِ
فَاصْطَنَعَهُ فَلَيْسَ يُجْزِيكَ كُفْرًا
وَاصْطَبَعْنَا مِنَ النَّجِيعِ الجَارِي
وَلَهَوْنَا بِالبَدْرِ ثَمَّ الدَّرَارِي
ذِي مَضَاءٍ عَضْبِ الطُّبَى بَتَّارِ
وَاتَّخِذْهُ سَيْفًا عَلَى الكُفَّارِ

(4)

طلب ابن شهيد من المنصور بن أبي عامر جارية فقال: ² [الخفيف]

أَنَا شَيْخٌ وَالشَّيْخُ يَهْوَى الصَّبَايَا
وَرَسُولُ الإِلَهِ أَسْهَمَ فِي الفِي
فَاجْعَلْنِي فُديتَ أَشْكَرُ مَعْرُو
هُوَ عُرْفٌ فَإِنْ تَحَوَّلَ صِهْرًا
يَا بِنْفَسِي أَقِيكَ كُلَّ الرِّزَايَا
ءَ لِمَنْ لَمْ يُخِبْ فِيهِ المَطَايَا
فَاكْ وَابْعَثْ بِهَا عَذَابَ الثَّنَايَا
كَانَ وَاللَّهِ آيَةً فِي البَرَايَا ³

¹ - ابن خاقان، مطمع الأنفس، 397، ابن بسام، الذخيرة، ق 4 م 30/1، ابن الأبار، الخلة السيرة، 276/1-277، ابن عذاري، البيان المغربي، 300/2، المقرئ، أزهار الرياض، 132/5، النفع، 384/1، 121/2.

² - ابن خاقان، مطمع الأنفس، 396، والأبيات موجودة في ابن بسام، الذخيرة، ق 4 م 29/1 (2-1)، ابن عذاري، البيان المغربي، 300/2 (1-4)، المقرئ، أزهار الرياض، 131/5 (1-3) النفع، 121/2 (1-3)، النفع، 383/1 (1-2).

³ - ابن عذاري، البيان المغربي، 300/2.

شعر ابن طفيل

(1)

قال في رثاء جارية: ¹ [الكامل]

أمسيتُ أندبُ في الفراشِ مكانها
وكأنني لم أجن منها روضةً
وكأنني والليل أرخى ستره

وكأنه ما كان منها عامراً
وكأنني لم أثن غصناً ناضراً
لم يبذل لي منها هلالاً زاهراً

شعر ابن الطوبى

(1)

قال في راقصة: ² [السريع]

راقصة كالغصن من فوقه
تلهب مثل النار في رقصها
كأنما في رجليها عودها
ساحرة الرقص غلامية
إذا بدت ترقص ما بيننا

بدرٌ يُنيرُ تحت ظلماءِ
وهي من النعمة كالماءِ
وزامرٌ يتبعُ بالنساءِ
منها دوائِي وبها دائِي
يرقصُ قلبي بين أحشائي

(2)

وقال في ساقية: ³ [الكامل]

ياحبُّذا كأسٌ يكون بها
باتت تعلاني بها وبه
هاتيك كالدينا فلا أحد

ريقٌ كأن ختامه مسكٌ
حساءٌ ما في حُسْنها شكٌ
إلا لها بفؤاده فتاكٌ

¹ - ابن سعيد، المغرب، 84/2.

² - العماد الأصفهاني، الخريدة، ق 4 ج 1/66-67.

³ - العماد الأصفهاني، الخريدة، ق 4 ج 1/85.

شعر أبو عامر بن يَنَّق

(1)

دعا الجارية هند فقال : ¹ [الكامل]

يا هند هل لك في زيارة فتية
سَمِعُوا البَلابِلَ قَدْ شَدَّتْ فَتَذَكَّرُوا

نَبَذُوا المَحَارِمَ غَيْرَ شُرْبِ السُّسْلِ
نَغْمَاتِ عودِكِ فِي التَّقِيلِ الأوَّلِ

شعر عبادة بن ماء السماء

(1)

وقال في راقصة: ² [المنسرح]

تَتَّبَعُ الدَسْتُ ³ لَا تُخَالِفُهُ
وَتَلْتَوِي ثُمَّ تَسْتَوِي فَتَرَى
لَوْ وَطِئَتْ مَقْلَةً بوقطتها ⁴

فِي رَفْعِهَا تَارَةً وَفِي الخَفْضِ
غُصْنًا مَرُوحًا مِنْهَا عَلَى الأَرْضِ
لَمْ تَمْتَعْ خِفَّةً مِنْ الغَمْضِ

(2)

وقال في راقصة: ⁵ [المنسرح]

رَاقِصَةٌ لِأُتْحَاسٍ وَطَأْتِهَا
تَتَّقِلُ أَقْدَامَهَا عَلَى عَجَلٍ

كَأَنَّهَا فِي الهُبُوبِ كَالطَيْفِ
كَأَنَّهَا رَقِصُهَا عَلَى سَيْفِ

¹ - ابن الأثير، تعفة القاصم، 239، التكملة، 259/4، المقرئ، النفع، 67/6.

² - ابن خميس، أدباء مالقة، 289.

³ - الدست: لم أجد معناها.

⁴ - الوقيطة: حفرة في غلظ أو جبل يجتمع فيها ماء السماء. ابن منظور، لسان العرب، مادة

(وقط) 433/7.

⁵ - ابن خميس، أدباء مالقة، 289.

(3)

وقال في جارية: ¹ [المنسرح]

إِلَّا وَطَّرَفُ الضَّمِيرِ صَوْرًا
إِلَّا مَبِيتِ القَطَاةِ فِي الشَّرْكَ
غُضِّي بِفَضْلِ النَّقَابِ مَحْجَرًا
وَأَنْتِ خَوْفُ الرَّقِيبِ غَيْرِي

مَا مَرَّ يَوْمٌ عَلَيَّ لَمْ أَرَكَ
مَا مُنِّيَّتِي وَ أَنْتِ لَسْتِ مَعِي
يَا ظَنِّيَّةً أُولَعْتَ بِسَفْكَ دَمِي
أَمَا أَنَا فَالْبِعَادُ غَيْرِي

(4)

وقال في راقصة: ² [المنسرح]

تَفْتَلُ قَبْلَ الجُفُونِ أَكْمَامًا
تَرْجِعُ عِنْدَ انْعِطَافِهَا لَامًا

يُعْجِبُنِي أَنْ تَقُومَ قَدَّامًا
كَأَنَّهَا فِي اعْتِدَالِهَا أَلْفٌ

شعر ابن عبد البر

(1)

قال ابن عبد البر ³ في رثاء بعض حظاياها: ⁴ [السريع]

¹ - ابن خميس، أدياء مألقة، 288، والأبيات موجودة في ابن بسام، الذخيرة، ق 1 م 471/1-472 (3-1).

² - ابن الأبار، تعفة القاحم، 131، ابن خميس، أدياء مألقة، 288-289.

³ - هو أبو محمد عبد الله بن الفقيه أبي عمر يوسف بن عبد البر النمري، كاتب مشهور عاش في كنف المعتضد، له رسائل كثيرة في المعتضد بهرت معاصريه، تنقل بين ملوك الطوائف فحنق عليه المعتضد وكاد أن يفتك به لولا أن توسل إليه أبوه فنجا، توفي سنة 474هـ. انظر ابن خاقان، فلاند العقيان، 538/2-539، ابن بسام، الذخيرة، ق 3 م 125/1-126، الضبي، بغية الملتمس، 354، العماد الأصفهاني، الخريجة، ق 4 ج 13/2، ابن سعيد، المغرب، 402/2-403.

⁴ - ابن خاقان، فلاند العقيان، 544/2، ابن بسام، الذخيرة، ق 3 م 130/1.

تَعَدُّ مِنْكَ النَّفْسُ بِالنَّفْسِ
مِنْ نَاطِرٍ صَارَ إِلَى الرَّمْسِ
عَدَّتْ يَدُ الدَّهْرِ عَلَى الْغَرَسِ

بِعَضِّكَ بَلْ كُتُّكَ فِي الرَّمْسِ¹
يَا فَجَعَةً مَا مِثْلَهَا فَجَعَةً
غَرَسٌ نَمَا حَتَّى إِذَا مَا اسْتَوَى

شعر ابن عبد ربّه

(1)

قال في الجارية مصابيح: ² [البسيط]

ما كنتُ أحسبُ هذا الضنَّ من أحدٍ
أصغتُ إلى الصَّوتِ لم ينقُصْ ولم يزدِ
بناره لاسترقتُ السَّمْعَ من بُعدٍ
لمات من حسدٍ أو ذابَ من كمدٍ
صوتاً يجول محالَّ الرُّوحِ في الجسدِ
ولست آتيك إلا كسرتي بيدي

يا مَنْ يَضِنُّ بصوتِ الطائرِ الغرِدِ
لو أنَّ أسماعَ أهلِ الأرضِ قاطبةً
لولا اتقائي شهاباً منك يحرقني
لو كان زريابُ حيّاً ثم أُسمِعهُ
فلا تضنَّ على أذني تقرّطها³
أمّا الشَّرابُ فإني لستُ أقربُهُ

(2)

وقال في جارية: ⁴ [الخفيف]

ما يرى سلكةً سوى الأذانِ
ل ولا سحرَ مثلُ سحرِ البيانِ

رَجُعُ صَوْتٍ كَأَنَّهُ نَظْمٌ دَرٌّ
تَفَثُ السَّحَرِ بِالْبَيَانِ مِنَ الْقَوِ

1 - الرَّمْسُ: يُقالُ لما يُحْتَمَى مِنَ التُّرابِ عَلَى القَبْرِ: رَمْسٌ، والقَبْرُ نَفْسُهُ رَمْسٌ. ابن منظور،

لسان العرب، مادة (رمس) 101/6.

2 - ابن دحية، المطرِب، 152، والأبيات موجودة في المقرئ، النفع، 116/4 (1-2)،

المقرئ، النفع، 276/9 (1-2، 6).

3 - قرط: قرط عليه أعطاه قليلاً. ابن منظور، لسان العرب، مادة (قرط) 375/7.

4 - الكتاني، التشبيهات، 104.

شعر عبد الرحمن بن الحكم

(1)

قال يحن إلى جاريته طروب¹ [المتقارب]

فقدتُ الهوى مُذْ فَقدتُ الحبيبا
 وإمّا بدتُ لِي شمسُ النَّها
 يا طولَ شوقي إلي وجهها
 ويا أحسنَ الخلقِ في مقلتي
 لئن حالَ دونك بُعدَ المزا
 لقد أورتَ الشوقُ جسي الضنى
 عَداني عنك مزارُ العدا
 كمايُنْ تخطيتُ من سبب³
 ألقى بي وجهي حرَّ الهجيرِ
 وأدرعُ النقعَ حتى لبيسُ
 أريدُ بذلكَ ثوابَ الإلهِ
 أنا ابنُ الهشامينِ من غالبِ
 بي أداركَ الله دينَ الهدي
 سموتُ إلى الشركِ في جحفلِ

فما أقطعُ الليلَ إلا نحيبا
 رِ طالعَةً ذكَّرتُني طروبا
 ويا كَبِداً أورتَها نُدوبا
 وأوفرهمُ في فؤادي نصيبا
 رِ من بُعد أن كنت مني قريبا
 وأضرمَ في القلبِ مني لهيبا
 وقوذي إليهم لهُمّا² لهيبا
 وجَاوزتُ بُعدَ دُرُوبِ دُرُوبا
 إذا كادَ منه الحصى أن يذوبا
 ت من بعدِ نضرةِ وجهي شحوبا
 ومن غيرةِ أبتغيه مئيبا
 أشبُّ حرُوبا وأطفي حرُوبا
 فأحيتُهُ واصنطلمتُ⁴ الصليبيا
 مَلأتُ الحُزونَ بهِ والسهُوبا

¹ - ابن الأبار، العلة السيرة، 114/1-115، والأبيات موجودة في ابن عذاري، البيان المغربي، 85/2-86 (7-14).

² - اللُّهَام: الجيش الكثير كأنه يلتهم كلَّ شيء. ابن منظور، لسان العرب، مادة (لهم) 554/12.

³ - السَّبَب: الأرض القفر البعيدة مستوية وغير مستوية وغليلة وغير غليظة لا ماء بها ولا أنيس ابن منظور، لسان العرب، مادة (سبب) 460/1.

⁴ - الاصطلام: الاستئصال. ابن منظور، لسان العرب، مادة (صل) 340/12.

(2)

وقال في جاريته طرُوب: ¹ [السَّرِيع]

شاقك من قُرْطُبة السَّاري في الليل لم يَدْرِ به الدَّاري

(3)

وقال في جاريته طرُوب: ² [طويل]

قريضك يا ابن الشَّمْر عَفَى على الشَّعرِ
 إذا شَافَهَتْهُ الأذنُ أدَى بسَحْرِها
 وهل بَرَأَ الرَّحْمَنُ من كلِّ ما بَرَأَ
 ترى الوردَ فوقَ الياسمينِ بخدِّها
 فلو أنني مُلِّكتُ قَلْبِي ونَاطِرِي
 وجلَّ عن الأوهامِ والذهنِ والفكرِ
 إلى القلبِ إبداعاً فجَلَّ عن السَّحرِ
 أقرَّ لَعَيْنٍ مِنْ مُنْعَمَةٍ بِكُرِ
 كما فَوَّضَ الرِّوَضُ المُنْعَمُ بالزَّهرِ
 نظَّمَتْهُما منها على الجِيدِ والنَّخرِ

شعر عبد الله بن الشَّمْر

(1)

أجاز عبد الله بن الشَّمْر الأميرَ عبد الرَّحْمَن في جاريته طرُوب فقال: ³ [السَّرِيع]

زارَ فحياً في ظلامِ الدُّجى أَحْبَبَ بِهِ مِنْ زَائِرِ ساري

(2)

وقال في طرُوب: ⁴ [الطَّويل]

1 - المَقْرِي، النَّعْج، 150/5 .

2 - مجهول، أخبار مجموعة، 123، ابن الأَبَّار، الحَلَّة السَّيراء، 117/1، ابن عِدَّاري، البيانُ المُغْرِبِي، 92/2.

3 - المَقْرِي، النَّعْج، 150/5.

4 - مجهول، أخبار مجموعة، 123، ابن الأَبَّار، الحَلَّة السَّيراء، 117/1، ابن عِدَّاري، البيانُ المُغْرِبِي، 92/2.

بِمَنْ يَتَعَالَى عَنِ سَنَا الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ
وَلَمْ يَكُ شَيْئاً غَيْرَهُ أَحَداً يَبْرِي
تَضَاعَلْ عَنْهُ جَوْهَرُ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
وَمَا فَوْقَ أَرْضَيْهِ وَمَكَّنَ فِي الْأَمْرِ

أَنْتُقِرْنَ حَصْبَاءَ الْيَوَاقِيْتِ وَالشَّدْرِ¹
بِمَنْ قَدْ بَرَّتْ قَدَمًا يَدُ اللَّهِ خَلْقَهُ
فَأَكْرَمَ بِهِ مِنْ صَيْغَةِ اللَّهِ جَوْهَرًا
لَهُ خَلَقَ الرَّحْمَنُ مَا فِي سَمَائِهِ

شعر عبد الله بن الوبة

(1)

قال في جارية: ² [السريخ]

جَارِيَةٌ مَاجِنَةٌ شَاطِرَةٌ
كَالشَّمْسِ فِي طَلْعَتِهَا الزَّاهِرَةُ
مَقَاتِلِي أَلْحَاطُوكِ السَّاحِرَةُ
مِنْ هَاهُنَا وَقْتَ الْعِشَاءِ سَائِرَةٌ
مَهْذَبًا أَرْدَانُهُ عَاطِرَةٌ
يَحْتَاجُ مِنْ أَسْبَابِهِ يَاسِرَةٌ
بِهَيْبَةٍ زَاهِيَةٍ فَاتِرَةٌ
مُظْلَمَةٌ أَرْسُومُهَا دَائِرَةٌ
تَدَاوَلَتْهُ الْأُمَمُ الْغَابِرَةُ
حَلَّتْ بِمَنْ يَدْخُلُهَا فَاقِرَةٌ
عُرْيَانَةٌ الْجِسْمِ بِلا سَائِرَةٍ
نَاعِيَةٌ بَاكِيَةٌ سَاهِرَةٌ
وَلَيْلُهَا فِي الطُّولِ كَالْآخِرَةِ
قَامَتْ إِلَى مَنْزِلِهَا سَائِرَةٌ

مَرَّ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَوْمًا عَلَيَّ
فَرَأَعَهُ مَنْظَرُهَا إِذْ بَدَتْ
قَالَ لَهَا سَيِّدَتِي أَنْفَذَتْ
عَسَاكَ يَا سَيِّدَتِي أَنْ تُرِي
تَلْقِي فَتَى أَيُّ فَتَى فِي الْوَرَى
وَعِنْدَهُ رَاحٌ وَنَقْلٌ وَمَا
فَعَرَّهَا أَنْ أَبْصَرَتْ طَلْعَةَ
جَاءَ بِهَا الْبَيْنُ إِلَى غُرْفَةٍ
حَاصِرُهَا مِنْ عَهْدِ عَادٍ وَقَدْ
لَيْسَ سِوَى الْبَقِّ بِهَا مَوْئِسٌ
فَبَاتَتْ الْمَرْأَةُ فِي مَحَنَةٍ
جِيْعَانَةٍ لِلْبَعْلِ مُشْتَاقَةٌ
تُرَاقِبُ اللَّيْلَ مَتَى يَنْجَلِي
حَتَّى إِذَا الصُّبْحُ بَدَا سَافِرًا

¹ - الشذر: قطع من الذهب يُلقط من المعدن من غير إذابة الحجارة ومما يصاغ من الذهب فرائد يفصل بها اللؤلؤ والجوهر، والشذر أيضاً صغار اللؤلؤ شبهها بالشذر لبياضها. ابن منظور، لسان العرب، مادة (شذر) 399/4.

² - ابن خميس، أدباء مالقة، 224.

قال لها هل لك من عودة
فأنشدته وهي ممّا بها
إن عادت العُربُ عُدنا لها
أو هل تُرينَ ها هنا خاطرةً
من حُزنها في دمعها عائرةً
وكانت النعلُ لها حاضرةً

شعر ابن عبد المنعم الصقليّ

(1)

قال ابن عبد المنعم الصقليّ¹ في جارية مصفرة اللون: ² [الكامل]

فَصَحَّ الهَوَى دَمْعِي وَعَيْلَ تَصْبُرِي
صَفْرَاءُ تُدَلِّعُ⁴ بِالْبَيَاضِ لِبَاسَهَا
فَكَأَنَّهُ فِي دِرْعِهَا وَخِمَارِهَا الـ
يَاقوتَةٌ كُوسِيَّتٌ صَافِيحَةٌ فِضَّةٌ
بَخْرِيْدَةٌ³ تَرْنُو بِعَيْنِي جُوْدِرِ
وَخِمَارِهَا بِمَعْصَفَاتِ الْأَخْمُرِ
مُبْيِضٌ وَالْمُحْمَرُّ عِنْدَ الْمَنْظَرِ
وَتَتَوَجَّتْ صَفْحَ الْعَيْقِ الْأَحْمَرِ

¹ - هو أبو موسى عيسى بن عبد المنعم الصقلي، شاعر رفيع الشأن، صاحب حجة وبرهان، سُمِّي فقيه الأمة. انظر العماد الأصفهاني، الخريجة، ق 4 ج 29/1.

² - العماد الأصفهاني، الخريجة، ق 4 ج 30/1-31.

³ - الخريجة: والخريد و الخرود من النساء: البكر التي لم تُمسس قط، وقيل هي الحبيبة الطويلة السكوت الخافضة الصوت الخفرة المتسترة قد جاوزت الإغصار ولم تعنس. ابن منظور، لسان العرب، مادة (خرد) 162/3.

⁴ - تدلّع: دلّع الرجل لسانه يدلّعه دلّعا فاندلّع و أدلّعه أخرجه. ابن منظور، لسان العرب، مادة (دلّع) 90/8.

شعر عبد المولى اللوشي

(1)

قال عندما أُمر له بجارية: ¹ [المجتث]

تبعـدَ طـولِ زواج
يمـرُّ فـي غـيرِ حـاج
ءَ قابـلٍ للـنتـاج
مـن حـنـتـم² لـزجـاج
فأصـبـت كـالـسـراج

قُلْ لِلْعُمَيَّرَةِ طَلَّقًا
قَدْ كَانَ مَائِي ضِياعًا
حَتَّى حَبَانِي بِحَسَنًا
فَكَانَ نَاقِلَ خَمَرٍ
كَانَتْ تَمُرُّ ضِياعًا

شعر أبي عثمان السرقسطي

(1)

قال في جارية: ³ [الكامل]

تَشْدُو عَلَى وَتَرٍ فَصِيحِ الْثَغِ
فِي جِيءٍ بَيْنَ مُمْلَأٍ وَمُفْرَغِ
ذَهَبٍ أُسَيْلٍ عَلَى لُجَيْنِ مُفْرَغِ
نَادَيْتَ يَا قَمَرِ السَّمَا لَا تَبْزُغِ

لَا عَيْشَ إِلَّا فِي الْمَدَامِ وَقِينَةَ
تُعْنَى بِتَقْدِيرِ الزَّمَانِ وَمَسْحَهُ
وَكَأَنَّهَا نِعْمَاتُهَا فِي لَفْظِهَا
وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى مَحَاسِنِ وَجْهِهَا

¹ - المقرئ، النفع، 59/5.

² - الحنتم: جرارٌ خُضِرَ تضرب إلى الحُمرة. ابن منظور، لسان العرب، مادة (حنتم) 159/12.

³ - الكتاني، التشبيهات، 105.

شعر عقيل بن عطية

(1)

قال في جارية: ¹ [السريـع]

لا تَلَحَّهْ أَنْ مَلَّ مِنْ حُبِّهَا
لَمَّا رَأَاهَا قَدْ صَفَا مَالُهَا

فَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْ وَدِّ
قَالَ صَفَا الْوَجْدُ مَعَ الْوَجْدِ

شعر علي بن أبي الحسين

(1)

قال في الجارية بدعة: ² [البسيط]

أَحِبُّ بِبِدْعَةٍ إِذْ أَحَيْتُ بِدَائِعُهَا
كَأَنَّ عَوْدَكَ صَبُّ يَشْتَكِي أَلَمَ الـ
مَضْرَابُهُ بَاحِثٌ عَنْ شَجُونَا أَبَدًا
كَأَنَّه قَلَمٌ فِي كَفِّ ذِي أَدَبٍ

مَا مَاتَ مِنْ لَهْوِ أَيَّامِي وَأَوْطَارِي
بَلَوَى وَالْفَاطِظُ تَرْجِيْعُ أَوْتَارِ
بَحَثَ الْعَوَازِلِ عَنْ مَكْتُومِ أَسْرَارِ
يُوَاصِلُ الضَّبْطَ فِي تَقْيِيدِ أَشْعَارِ

(2)

وقال في جارية: ³ [المنسرح]

وَاهَا لَذَاكَ الْغِنَاءِ مِنْكَ لَقَدْ
تَاهَ بِالْحَانِهِ عَلَى الْبَصْرِ السُّـ
كَأَنَّه وَالْقَلْبُوبُ تَأَلَّفَهُ

أَبَاحَ لِلْقَلْبِ مِنْكَ مَا خَافَا
سَمِعُ وَهَزَّ السُّرُورُ أَعْطَافَا
أَلَّفَ مِنْهَا فَسَرَ أَضْعَافَا

¹ - المقري، النفع، 178/7، الناصري، الاستنطاق لأخبار دول المغرب الأقصى، م 2 ج 2، 134.

² - الكتاني، التشبيهات، 105.

³ - الكتاني، التشبيهات، 104.

شعر ابن عمّار الأندلسي

(1)

كتب في المعتمد وجاريتيه اعتماد: ¹ [الطويل]
تَجَهَّم وَجْهَ الْأَفْقِ وَاعْتَلَّتِ النَّفْسُ لِأَنَّ لَمْ تَلَحِ لِلْعَيْنِ أَنْتَ وَلَا الشَّمْسُ

(2)

وقال في الجارية نُعمى: ² [الكامل]
نَفْسِي وَإِنْ عَذَّبْتَهَا تَهْوَاكِ عَجَبًا لِهَذَا الْوَصْلِ أَصْبَحَ بَيْنَنَا
مَا بَالُ قَلْبِي حِينَ رَامَكَ لَمْ يَنْلُ اللَّهُ أَعْلَمُ مَا أَزُورُ لِحَاجَةٍ
لَيْتَ الرَّقِيبَ إِذَا التَّقِينَا لَمْ يَكُنْ مَنْتَزَهًا فِي رَوْضِ خَدِّكَ شَارِبًا
حَكَتِ الْغُصُونُ جَمَالَ قَدِّكَ فَانْتَشَتْ لَا تَعْزُبِي ³ يَا رَوْضَةً مَمْطُورَةً
ويَهْزُهَا طَرِبٌ إِلَى لُقْيَاكِ مُتَعَذِّرًا وَمُنْأَيَ فِيهِ مُنَاكِ
وَلَقَدْ تَرَوَمَكَ مُقْلَتِي فَتَرَاكِ ذَاكَ الْمَحَلَّ لِغَيْرِ أَنْ أَلْقَاكِ
فَأَنَالَ رِيًّا مَنْ لَذِيذِ لَمَاكِ كَأَسَ الْفُتُورِ تُدِيرُهَا عَيْنَاكِ
وَالْفَضْلُ لِلْمَحْكِيِّ لَا لِلْحَاكِي حَتَّى أَمَدَّ يَدِي إِلَى مَجْتَاكِ

(3)

وقال مُعرّضاً باعتماد الرُّمَيْكِيَّة: ⁴ [المتقارب]
أَلَا حَيٌّ بِالْغَرْبِ حَيًّا جَلَالًا أَنَاخُوا جَمَالًا وَحَازُوا جَمَالًا

1 - ديوان المُعْتَمَدِ بْنِ مَحْبَدٍ، 19.

2 - ابن الأَبَّارِ، اللَّحْلَةُ السَّيْرَاءُ، 164/2.

3 - تعزُّبي: عَزَبَ عَنِّي فَلَانَ يَعْزُبُ وَيَعْزُبُ عَزُوبًا غَابَ وَبَعْدَ. ابن منظور، لسان العرب، مادة (عزب) 597/1.

4 - المقرئ، النَّعْمُ، 348/5، والأبيات موجودة في ابن الأَبَّارِ، اللَّحْلَةُ السَّيْرَاءُ، 63/2، 158 (7،1)، ابن خلكان، وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ، 428/4 (2-1).

وَنِمَّ فَعَسَى أَنْ تَرَاهَا خِيَالًا
رُمِيكَيْتَةً مَا تُسَاوِي عَقَالًا
لَتَسِيمِ النَّجَّارِينَ عَمَّاءَ وَخَالًا
أَقَامُوا عَلَيْهَا قُرُونًا طَوَالًا
وَأَنْتَ إِذَا لُحِيتَ كُنْتَ الْهَلَالًا
وَأُرْشِفُ مِنْ فَيْكِ مَاءَ زُلَالًا
فَتَقْسِمُ جَهْدَكَ أَنْ لَا حَالًا
وَأَكْشِفُ سِتْرَكَ حَالًا فَحَالًا

وعرج بيومين¹ أم القرى
تخيرتها من بنات الهجان
فجاءت بكل قصير العذار
قصار القود ولكنهم
أتذكر أيامنا بالصبا
أعانق منك القضيبي الرطيب
وأقتنع منك بدون الحرام
سأهتك عرضك شيئاً فشيئاً

شعر ابن الغليظ

(1)

قال في الجارية حسن الورد: ² [الطويل]

وذكرني بالورد في صفحة الخدِّ
تهيمُ بها من حسنها روضة الوردِ
سقاك الحيا من صاحب حافظ العهدِ
فإني مشغوفٌ بها بينكم وحدي

ولما تبدي الورد فوق غصونه
ذكرتُ به من خدِّه لي روضةً
فقلتُ لمن عهدي له مثلُ عهده
وقلتُ اسقني كأساً على طيب ذكرها

(2)

وقال في الجارية حسن الورد: ³ [الخفيف]

هل إلي الطيب في غدٍ من سبيل
دِ بعينيك بالجناب الظليل

يا خليلاً صفا وكدر يومي
لتمنيت أن ترى حسن الورد

¹ - يومين: قرية بإشبيلية منها أولية بني عباد. انظر ابن الأبار، العلة السيرة، 158/2، المقرئ، النفع، 348/5.

² - ابن بسام، الذخيرة، ق 1 م 873/2.

³ - ابن بسام، الذخيرة، ق 1 م 871/2، ابن سعيد، المغرب، 435/1.

يا خَلِيلاً مِثَالَهُ نَصَبُ عَيْنِي لوُ خَلَوْنَا إِذْنَ شَفَيْتُ غَلِيبي

شعر فرحون

(1)

أهدى فرحون¹ للرمادي جارية وكتب إليه قائلاً: ² [مجزوء الرَّمَل]

وقليلاً لـك مـولى	يا أخـي أنـت ومـولى
فـاهـجـرن وجـه المـصلى	قـذ بعثنا بفـراش
ء كـبـدر يتجـلى	ووصنا لناه بغـدا
لا عـدمت الـدهر فـضلاً	فـنـفـضـل بـقـول
سـتـرى فـضلاً وفـضلاً	وورا ذلـك منـي

شعر أبي الفضل الدارمي

(1)

قال في جارية: ³ [الطويل]

مُنْعَمَةُ الأرداف تَدْمَى من اللّمسِ	ومخطوطة المتتين مهضومة الحشا
على وجهها أبصرت غيماً على الشمسِ	إذا ما دُخان النَّدْم من جيبها علا

¹ - هو ابن الويلة محمد بن عبد الله بن عبد الواحد المعروف بفرحون، كان والياً على شنترين بغرب الأندلس أيام الحكم المُستنصر بالله أو ابنه هشام المؤيد بالله. انظر ابن الأبار، العُلَّة السَّيراء، 1/ 280.

² - ابن الأبار، العُلَّة السَّيراء، 1/ 281-282.

³ - ابن بسّام، الخَيرة، ق 4 م 95-96، المَقري، النَّفع، 4/ 100.

شعر قُند

(1)

قال قُند مولى نجم بن طرفة¹ في الجارية جُوذِر: ² [الوافر]

إذا قابلت شَرَحَ أَبِي عَيْدٍ وَغَيْبَ كُلِّ فَتَى حَسَدٍ وَكَيْدٍ³
وللزجاج قابلت المعاني فلا تغفل نصيبها من قنيد⁴

شعر ابن كسرى المألقي

(1)

قال في راقصة اسمها نزهة وتُعرف بِخُطِّ الشَّوقِ: ⁵ [الطَّويل]

تَخُطُّ يَخُطُّ الشَّوقَ فِي الْقَلْبِ شَخْصُهَا فِي كُلِّ مَا تَأْتِيهِ حُسْنٌ وَتَحْسِينُ
وَلَيْسَتْ تُطِيقُ الشَّيْنَ فِي كُلِّ نَطْقِهَا فَمَنْ أَجَلَ بَعْدِ الشَّيْنِ بَاعَدَهَا الشَّيْنُ
إِذَا رَقَصَتْ أَبْصَرَتْ كُلَّ بَدِيعَةٍ تُرَى أَلْفًا حِينًا وَحِينًا هِيَ النُّونُ
فِيَا نَزْهَةَ الْأَبْصَارِ سُمِّيَتْ نَزْهَةً لَكِي يُوضِحَ الْمَعْنَى بَيَانٌ وَتَبْيِينُ

1 - هو أبو القاسم قُند بن نجم من أهل قُرْطُبَة، وهو عالم بعلوم الأوائل. انظر ابن الأَبَّار، التَّكْمَلَة، 82/4.

2 - ابن الأَبَّار، التَّكْمَلَة، 246/4.

3 - حصل كسر في التفعيلة الخامسة.

4 - حصل كسر في التفعيلة الخامسة.

5 - ابن الأَبَّار، تحفة القاصم، 131.

شعر لسان الدين بن الخطيب

(1)

قال في قينة: ¹ [الطويل]

ولا دُرٌّ إلا الدُرُّ من أدبٍ مَحْضٍ
بما جاده النيسانُ من ورده الغَضُّ
فَيَبْتَرُّ من تلك الدِّراهمِ بالفَرَضِ
طبيباً من الحُدَّاقِ جسَّ على نَبْضِ

ومُرْضِعةٍ طفلاً من العودِ ثَدِيها
كانَ أباهُ الدَّوْحَ ورَدَّ خَدَّها
وتَطَلَّبُ أحياناً بِفَرَضِ رِضاعِهِ
إذا لَمَسَتْهُ بالبَنانِ تخالها

(2)

وقال: ² [الطويل]

نجوماً كسوناها غلائلها الزُّرقا
ضرامَ شهابٍ ليس يشكو له حرِّقا
ضحجياً لها أو من مُدامتها مَلقى

ليالي تبدو الراحُ في أفقِ راحنا
إذا شجَّها الساقِي رأيت بكفِّه
أروحُ وأغدو بين كاسٍ وقينةٍ

(3)

طلب لسان الدين بن الخطيب من تاشفين الموسوس جارية فقال: ³ [الطويل]

غدتُ بالذي يَرْضَى المشيئةَ جاريه
وتركبتني الأوهُ فوق جاريه
ولو عبَدتُ أبواها شنتماريه
مُحَقَّقةً والله لا مُتَماريه
وأُمُّ الذي يَهْوَى له الشرَّ هاويه

قصدتُ إلى المولى أبي عمَر الرضا
وطوفانُ همِّي قد طغى ليُجيرني
وإني لراضٍ بالذي يَرْتَضيه لي
وإن ظنوني في الإمامِ وفَضله
فهاز بما يهواه من فضلِ ربِّه

1 - الديوان، 638/2.

2 - الكتاني، التشبيهاة، 97.

3 - الديوان، 781/2.

شعر مجهول

(1)

قال في الجارية تفتير: ¹ [السريع]
 وقينة تُدعى بتفتير
 تبدو بوجه ما رآه امرؤ
 كأنها والعود في حجرها
 لكعاء من أحسن حالاتها
 وصيدها الأعراد في خلوة
 تبالها من قينة عقلها

مُفرغة في قلب الزور
 إلا تمنى النفخ في الصور
 حاسبة تُبني بمجذور
 صفع قفاهها بالمساوير
 يُنسيك من صيد السنانير
 أخف من ريش العصفير

شعر مجهول

(1)

قال في جارية: ² [السريع]
 نديمي جارية ساقية

ونزهتي ساقية جارية

¹ - الكتاني، التشبيهات، 246.

² - ابن بسام، الخيرة، ق 4 م 232/1.

شعر ابن محفوظ

(1)

قال في جارية: ¹ [البسيط]

ما القلبُ عن حُبِّ ذاتِ الخالِ بالخالِ
أهيمُ منها على شَحَطٍ² بجاريةٍ
كالصُبْحِ في بَلَجٍ والرَّوْضِ في أَرَجٍ
غاديةً من غَوادي المُونِ⁴ سائلةً
تُجَبِّرُ الغَيْلَ⁵ في بِيءِ مَجْهَلَةٍ
حتى تغادرَ أَعْفَالَ⁸ التَّلَاعِ⁹ بها
أَطَعْتُ إِلَّا إِلَى لِمِيَاءِ عُدَّالِي
حوراءَ تعطو بجيدٍ غيرِ مِعْطَالٍ³
والرَّقْصِ في مائسِ الأَعْطافِ مِيَالٍ
بكلِّ وبلِّ كَرِيمِ الودقِ هَطَّالٍ
وتُنَبَّتُ الغَيْلَ في خِبراءِ⁶ مِمْحَالٍ⁷
من واصلبٍ¹⁰ مُعَلِّماتٍ غيرَ أَعْفَالٍ

1 - ابن الأَبَّار، تَعَفُّفُ الْقَاحِمِ، 134.

2 - الشَّحَطُ وَالشَّحَطُ: البُعْدُ فِي كُلِّ الْحَالَاتِ. ابن منظور، لسان العرب، مادة (ضحط) 327/7.

3 - جِدِّ مِعْطَالٍ: لَا حَلِيَّ عَلَيْهِ. ابن منظور، لسان العرب، مادة (عطل) 454/11.

4 - المُونُ: مَانَةٌ يَمُونُهُ مَوْنًا إِذَا احْتَمَلَ مَوْنَتَهُ وَقَامَ بِكِفَايَتِهِ فَهُوَ رَجُلٌ مَمُونٌ. ابن منظور، لسان العرب، مادة (مون) 425/13.

5 - الغَيْلُ: المَاءُ الجَارِي عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ. ابن منظور، لسان العرب، مادة (غيل) 511/11.

6 - خِبْرَاءُ: مَنَّقَعُ المَاءِ وَخَصَّ بَعْضُهُمْ بِهِ مَنَّقَعُ المَاءِ فِي أَصُولِ السِّدْرِ. ابن منظور، لسان العرب، مادة (خبر) 227/4.

7 - مِمْحَالٍ: أَرْضٌ مَحَلَّةٌ وَمَحَلٌّ وَمَحُولٌ وَمَحْوَلَةٌ أَيْضًا بِالْهَاءِ: لَا مَرَعَى بِهَا وَلَا كَلًّا. ابن منظور، لسان العرب، مادة (محل) 617/11.

8 - أَعْفَالُ الأَرْضِ أَي المَجْهُولَةُ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا أَثَرٌ يَعْرِفُ. ابن منظور، لسان العرب، مادة (غفل) 498/11.

9 - التَّلَاعُ: مَجْرَى المَاءِ مِنْ أَعْلَى الوَادِي إِلَى بَطُونِ الأَرْضِ وَالجَمْعُ التَّلَاعُ. ابن منظور، لسان العرب، مادة (تلع) 36/8.

10 - واصلبٍ: دَائِمٌ ثَابِتٌ، ابن منظور، لسان العرب، مادة (وصب) 797/1.

شعر محمد بن أبي الحسين

(1)

قال في جارية: ¹ [الوافر]

بِخَمْرِ جُفُونِهِ مُتَّادِمَانِ
كَأَنَّ لِفِرْقَةٍ يَتَوَادِعَانِ

بِنَفْسِي عَقْرَبَانِ بِصَحْنِ خَدِّ
إِذَا التَّقِيَا تَرَى لُهُمَا عِنَاقاً

شعر محمد بن ميمون

(1)

قال في جاريته مية: ² [الكامل]

تَزْهُو بِبِلْوَاكَ التِّي لَا تَنْقُضِي
إِلَّا إِمَاماً أَوْ وَصِيّاً أَوْ نَبِيّاً
وَخَفِ الْإِلَهَ عَلَيْكَ وَيْحَكَ وَارْعَوِي

تَصْبُو إِلَيَّ مَيِّ وَمَيِّ لَا تَتِّي
وَفَخَارِكَ الْقَوْمُ الْأَلَى مَا مِنْهُمْ
فَإِنَّ عِنَانَكَ لِلْهُدَى عَنِ ذِي الْهَوَى

شعر أبي المطرف الزهري

(1)

قال في جارية: ³ [البسيط]

خَوْفًا لَخْتَلِي بِلْ عَمْدًا لَتَعْذِيبي

يَا ظَبِيَّةً نَفَرْتُ وَالْقَلْبُ مَكْنَسُهَا

¹ - الكتاني، التشبيهات، 127.

² - ابن الأبار، التكملة، 320/1، المقرئ، النفع، 258/5-259.

³ - ابن الأبار، تحفة القاصم، 221، المقرئ، النفع، 397/4.

لَتَأْمَنِي فابن عبد الحق الحفنا
عدلاً يؤلف بين الظبي والذئب

شعر المعتصم بن صمّاح

(1)

قال لجاريتته وهو يحتضر:¹ [المتقارب]

تَرْفَقُ بِدَمْعِكَ لَا تُفْنِيهِ
فَبَيْنَ يَدَيْكَ بُكَاءٌ طَوِيلٌ

(2)

وقال في جارية:² [البسيط]

لَمَّا غَدَا الْقَلْبُ مَفْجُوعاً بِأَسْوَدِهِ
رَكِبَتْ ظَهَرَ جَوَادِي كِي أُسْلِيئُهُ
وَفُضَّ كُلُّ خِتَامٍ مِنْ عَزَائِمِهِ
وَقَلْتُ لِلسَّيْفِ كُنْ لِي مِنْ تَمَائِمِهِ

شعر المعتضد بن عباد

(1)

سهر عباد ليلةً لأمر حزبه والعبادية نائمة فقال:³ [المتقارب]

تَتَامُ وَمُـدْنُهَا يَسْهَرُ
وتصبرُ عنه ولا يصبرُ

¹ - ابن خاقان، فلاندا العقيان، 148/1، ابن سعيد، المغرب، 196/2.

² - ابن خاقان، فلاندا العقيان، 150/1، الأبار، العلة السيرة، 84/2.

³ - ابن الأبار، التكملة، 252/4، العلة السيرة، 48/2، ابن عبد الملك المرآكشي، الذيل والتكملة، 494/2/8، المقرئ، النفع، 58/6.

شعر المُعتمد بن عباد

(1)

قال في جاريته جوهرة: ¹ [مجزوء الرجز]

جَـوهرٌ قَـدْ عَـذَّبَنِي
فَزَفَرْتَنِي فِي صَـعْدِ
يَا كوكبَ الحُسنِ الذي
مَسَكَنَكَ القَلبُ فِـلا
مِنْكَ تَمَّـادِي الغَـضَبِ
وَعَبَرْتَنِي فِي صَـبَبِ
أزرى بزُهَرِ الشُّهْبِ
تَرْضَى لِيـهُ بالوَصَبِ

(2)

وقال في جاريته سحر: ² [الطويل]

عفا الله عن سحرٍ على كلِّ حالةٍ
أسحَرَ ظَلَمَتِ النَّفْسَ واختَرَتِ فُرقتي
وكانت شُجوني باقترابِكِ نُرْحاً
فإن تَسْتَلْذي بَرْدَ مائِكِ بعدنا
ولا حُوسِبَتْ عَمَّا بها أنا واجدُ
فجمَّعتِ أحزاني وهُنَّ شِوارِدُ
فها هُنَّ لَمَّا أن نأيتِ شِواهدُ
فبعدي ما ندري متى الماءُ باردُ

(3)

وقال في جاريته اعتماد: ³ [المقارب]

أغائبة الشَّخصِ عن ناظري
عليك سلامٌ بقدرِ الشُّجونِ
تملَّكتِ مِنِّي صَعبَ المَرامِ
مرادي لُقياك في كلِّ حينِ
أقيمي على العَهْدِ ما بيننا
دَسَّستُ اسمك الحُلُوفِ في طيِّه
وحاضرةً في صَمِيمِ الفُؤادِ
ودمعِ الشُّؤونِ وقَدْرِ السُّهادِ
وصادفتِ وُدِّي سَهْلَ القِيادِ
فيا ليتَ أنِّي أُعْطِيَ مُرادِي
ولا تَسْتَحِيلِي لِطولِ البِعادِ
وألَّفتِ فيه حروفَ اعْتِمادِ

1- الديوان، 3.

2- الديوان، 8.

3- الديوان، 8.

(4)

وقال في جاريته اعتماد: ¹ [الطويل]

وكم عَقَّتِي عن دار أهَيْفٍ أغيَدِ
كُماة³ الأعادي في النَّسيجِ المُسرَدِ⁴
مُرادي وعزماً مثلَ حَدِّ المَهْنَدِ
محلَّ اعْتِمادٍ من فؤادِ محمَّدِ
وتُصمِّي بلا قَتْلِ وترمي بلا يَدِ

أدار النَّوى كم طال فيك تَلدُّدي²
حلفتُ به لو قد تعرَّضَ دونَه
لجَرَدتُ للضربِ المَهْنَدِ فانقَضِي
فما حلَّ خِلٌّ من فؤادِ خَليلِه
ولكنَّها الأقدارُ تُردِّي بلا ظباً

(5)

وقال في جاريته جوهرة: ⁵ [السريع]

لَمْ أرَ في عُنوانها جوهرة
فلم تُردِّ للغَيْظِ أن تذكرَه
قَبَّاهِ والله لا أبصِرَه

لم تصفُ لي بعدُ وإلا فَلِمَ
درتُ بِأني عاشقٌ لاسمها
قالَت إذا أبصرَه ثانيها

(6)

وقال في جارية: ⁶ [الكامل]

تَخْتالُ بينَ أسِنَّةٍ وبِواتِرِ

عُقَّتْ جائِلَةٌ⁷ الوشاحِ غريرةً

(7)

وقال في جارية: ⁸ [البسيط]

¹ - الديوان، 9-10.

² - تلدُّد: يتلدَّدون أي يتلبَّثون. ابن منظور، لسان العرب، مادة (لدد) 390/3.

³ - الكمي: الشجاع المتكمي في سلاحه لأنه كمي نفسه أي سترها بالدرع والبيضة والجمع الكُماة. ابن منظور، لسان العرب، مادة (كمي) 232/15.

⁴ - المُسرَد: المُسرَد والمُسرَد هو المُنتَقَب. ابن منظور، لسان العرب، مادة (سرد) 211/3.

⁵ - الديوان، 14.

⁶ - الديوان، 14.

⁷ - جائل: الزائل عن مكانه. ابن منظور، لسان العرب، مادة (جول) 132/11.

⁸ - الديوان، 15.

عَنْ نَاطِرِي حُجِبَتْ عَنْ نَاطِرِ الْغَيْرِ
هَلْ تَحْجِبُ الشَّمْسَ إِلَّا صَفْحَةُ الْقَمَرِ

قَامَتْ لِتَحْجِبَ ضَوْءَ الشَّمْسِ قَامَتَهَا
عِلْمًا لِعَمْرُكَ مِنْهَا أَنَّهَا قَمَرٌ

(8)

وقال في جاريته اعتماد: ¹ [الطويل]

إِذَا لَمْ أَغِبْ إِلَّا لِتَحْضُرِنِي الشَّمْسُ
إِذَا أَبْصَرْتَهَا الْعَيْنُ هَشَّتْ لَهَا النَّفْسُ
وَإِنْ غَبْتَمَا أُمَّ الرَّبِيعِ هِيَ الْأَنْسُ

خَلِيلِي قَوْلَا هَلْ عَلِيٍّ مَلَامَةٌ
وَأَهْدَى بِأَكْوَاسِ الْمُدَامِ كَوَاكِبًا
سَلَامٌ سَلَامٌ أَنْتَمَا الْأَنْسُ كُلُّهُ

(9)

وقال في جاريته جوهرة: ² [السريع]

وَالْعَيْشُ لَا صَافٍ وَلَا خَالِصُ
وَغَبَّتِ فَهَوَ الْأَقْلُ النَّاكِصُ
مِثْلُكَ لَا يُدْرِكُهُ غَائِصُ

سُرُورُنَا دُونَكُمْ نَاقِصُ
وَالسَّعْدُ إِنْ طَالَعْنَا نَجْمُهُ
سَمَّوْكَ بِالْجَوْهَرِ مَظْلُومَةً

(10)

وقال في جارية: ³ [السريع]

بَارِقٌ مِنَ الْقَهْوَةِ لَمَّاعُ
كَيْفَ مِنَ الْأَنْوَارِ تَرْتَاعُ

رِيَعَتْ مِنَ الْبَارِقِ وَفِي كَفِّهَا
يَالَيْتَ شِعْرِي وَهِيَ شَمْسُ الضُّحَى

(11)

وقال في جاريته اعتماد: ⁴ [الطويل]

أَلَا غَفَرَ الرَّحْمَنُ ذَنْبًا تَوَاقَعَهُ
وَبَدَرَ تَمَامٍ فِي جُفُونِي مَطَالَعَهُ
مَنْ الظَّلَمِ لَمْ تُحْظَرْ عَلَيَّ شَرَائِعَهُ

تَظُنُّ بِنَا أُمَّ الرَّبِيعِ سَامَةً
أَأَهْجُرُ ظَبِيًّا فِي ضُلُوعِي كِنَاسُهُ
وَرَوْضَةً حُسْنٍ أَجْتَبَيْهَا وَبَارِدًا

¹ - الدِّيوان، 19.

² - الدِّيوان، 19.

³ - الدِّيوان، 21.

⁴ - الدِّيوان، 20.

على مُعْتَفِيهَا أَوْ عَدَوًا تُقَارِعُهُ

إِذَا عَدِمْتُ كَفِّي نَوَالًا تَفِيضُهُ

(12)

وقال في جاريته وداد: ¹ [الخفيف]

اشْرَبِ الكَأْسَ فِي وِدَادِ وِدَادِكَ
قَمَرَ غَابَ عَن جُفُونِكَ مَرًّا

وَتَأْنَسُ بِذِكْرِهَا فِي انْفِرَادِكَ
ه وَسَكَنَاهُ فِي سَوَادِ فُؤَادِكَ

(13)

وقال في جارية: ² [مجزوء الكامل]

أَنَا فِي عَذَابٍ مِّنْ فِرَاقِكَ
صَبَّبُ الفُؤَادِ إِلَى لِقَا
لَا تَحْسَبِي أَنِّي سَأَلُو
هَذَا جُفُونِي أَقْسَمْتُ
فَصَلِّيْ جَمِيلَ الظَّنِّ بِي

نَشْوَانُ مِّنْ خَمْرِ اشْتِيَاقِكَ
ئِيكَ وَارْتِشَافِكَ وَاعْتِنَاقِكَ
تُ لِمَا تَوَالِي مِّنْ فِرَاقِكَ
لَا تَلْتَقِي مَا لَمْ تُلَاقِكَ
وَتَقِي فِقَابِي فِي وَتَاقِكَ

(14)

وقال في جاريته اعتماد: ³ [الكامل]

بَكَرْتُ تَلُومُ وَفِي الفُؤَادِ بِلَابِلُ
يَا هَذِهِ كُفِّي فَإِنِّي عَاشِقُ
حُبُّ اعْتِمَادٍ فِي الجَوَانِحِ سَاكِنُ
يَا ظَبِيَّةً سَلَبْتُ فُؤَادَ مُحَمَّدٍ
مِن شَكِّ أَنِّي هَائِمٌ بِكَ مَغْرَمٌ
لَوْنٌ كَسْتُهُ صُفْرَةٌ وَمَدَامَعُ

سَفَهَاً وَهَلْ يَتَّي الحَلِيمَ الجَاهِلُ
مَنْ لَا يَرُدُّ هَوَايَ عَنْهَا عَاذِلُ
لَا القَلْبُ ضَاقَ بِهِ وَلَا هُوَ رَا حِلُ
أَوْ لَمْ يُرَوِّعْكَ الهِزْبُ البَاسِلُ
فَعَلَى هَوَاكَ لِي عَلَيَّ دَلَائِلُ
هَطَلْتُ سَحَابُهَا وَجِسْمٌ نَاحِلُ

¹ - الدِّيوان، 10.

² - الدِّيوان، 22.

³ - الدِّيوان، 23.

(15)

وقال في جواريه: ¹ [الكامل]

وأبى لسانُ دُموعه فتكلمَا
ماءُ الشُّجون مُصرِحاً ومُجمِماً
حتى تراءى للنَّواظر مُعلماً
منِّي يدُ الإصباح تلك الأنجُما

دارى الغرامَ ورامَ أن يتكتمَا
رحلوا وأخفى وجده فأذاعه
سائرتهُم والليل غُفلُ ثوبه
فوقفت ثمَّ محيراً وتسلبت

(16)

وقال في جاريته وداد: ² [الطويل]

وكم لك ما بين الجوانح من كلم
ألا رحمة تُثبِّك يوماً إلى سلمي

لك الله كم أودعت قلبي من أسى
لحاظك طول الدهر حرب لمهجتى

(17)

وقال في جاريته سحر: ³ [الطويل]

فقد قرَّبت من مضجعي الرشاً الأحوى
تمنَّيت أن تبقى بجسمي وأن تقوى
فجاءت بها النعمى التي سُميت بلوى
ويا ربَّ سمعاً من ندائي والشكوى

سأسأل ربِّي أن يُديم بي الشكوى
إذا علةً كانت لقربك علةً
شكوتُ وسحرٌ قد أغبت زيارتي
فيا عتني دومي فأنت حبيبة

1 - الديوان، 26.

2 - الديوان، 26.

3 - الديوان، 2.

شعر أبي المغيرة بن حزم

(1)

قال في الجارية أنس القلوب: ¹ [الخفيف]

كيف كيف الوصول للأقمار
لو علمنا بأن حُبَّك حَقٌّ
وإذا ما الكرام همَّوا بشيء
بين سُمُر القنا وبيض الشفار
لطلبنا الحياة منك بثار
خاطروا بالنفوس في الأخطار

شعر ابن المنخل

(1)

رد ابن المنخل ² على ابن سكين فقال: ³ [الكامل]

ما ضرَّها وهي الجمال بأسره
لو أنها زُفَّت إلى عشاقها

¹ - المقرئ، النَّفْع، 151/2.

² - هو أبو بكر محمد بن إبراهيم بن عبد الله المنخل المهري، أديب من أهل شلب، أحد الأدباء المتقدمين والمجودين، كان شاعراً حسن الخط وله مشاركة في علم الكلام، وذكر أنه كان له ديوان شعر، توفي في حدود 560 هـ. انظر ابن الأبار، التَّكْمَلَة، 27/2-28، ابن سعيد، المغرب، 387/1-388، ابن الجزار، زاد المسافر، 129، المقرئ، النَّفْع، 66/5-67.

³ - ابن الأبار، تحفة القاصد، 64.

شعر المنذر بن عبد الرحمن

(1)

قال في جاريته طرب: ¹ [المنسرح]

ليس يُفِيدُ السُّرُورُ والطُّرْبُ
أَبْهَتُ فِي الكَأْسِ لستُ أَشْرِبُهَا
يعجبُ مني معاشِرٌ جَهْلُوا
إِنْ لَمْ تُقَابِلْ لَوَاحِظِي طُرْبُ
والفِكْرُ بَيْنَ الضُّلُوعِ يَلْتَهِبُ
وَلَوْ رَأَوْا حُسْنَهَا لَمَّا عَجِبُوا

شعر المنصور بن أبي عامر

(1)

أرسل المنصور بن أبي عامر عقيلة من عقائل الروم يکنفها ثلاث جوارٍ لابن شهيد،
وكتب إليه: ² [الخفيف]

قد بَعَثْنَا بِهَا كَشْمَسِ النَّهَارِ
وَأَمْتَحَنَّا بِعِذْرَةِ الْبَكْرِ إِنْ كُنْ—
فَاجْتَهِيْذِي وَأَتْتِيْذِي فَإِنَّكَ شَيْخٌ
صَانَكَ اللهُ عَنْ كَلَالِكَ فِيهَا
فِي ثَلَاثٍ مِنَ الْمَهَا أَبْكَارِ
سَلَخَ اللَّيْلَ عَنْ بِيَاضِ النَّهَارِ
فَمَنْ الْعَارِ كَلَّةُ الْمِسْمَارِ

¹ - المقري، النفع، 118/5-119.

² - ابن بسام، الخيرة، ق 4 م 29/1، والأبيات موجودة في ابن خاقان، مطمع الأنفس، 396
(1، 3، 4)، ابن الأبار، العلة السيرة، 276/1، ابن عذاري، البيان المغربي، 300/2،
المقري، أزهار الرياض، 132/5، النفع، 121/2 (1، 3، 4)، النفع، 384/1 (1-4).

شعر هاشم بن عبد العزيز

(1)

قال في جاريته عاج: ¹ [الطويل]

وإنني عَداني أن أزوركِ مطَّبَقٌ
فإن تعجبي يا عاجُ مما أصابني
وفي النفس أشياء أبيتُ بغمِّها
تركتُ رَشَادَ الأمرِ إذ كنتُ قادراً
وكم قائلٍ قال أنجُ ويحكِ سالماً
فقلتُ له إن الفرار مذلةٌ
سأرضى بحكم الله فيما ينوبني
فمن يك أمسى شامتاً بي فإنه

وبابٍ منيعٍ بالحديد مُضَبَّبُ
ففي ريبِ هذا الدهرِ ما يُتَعَجَّبُ
كأنني على جَمْرِ الغَضِي أنقلَّبُ
عليه فلاقيتُ الذي كنتُ أرهبُ
ففي الأرضِ عنهم مُستِراذٌ ومذهبُ
ونفسي على الأسواءِ أحلى وأطيبُ
وما من قضاءِ الله للمرءِ مهْرَبُ
سينهلُ في كاسي وشيكاً ويشربُ

شعر ابن همشك

(1)

قال في الجارية نسيم: ² [الطويل]

تبارك باري الخلقِ إذ صورَ الخلقا
وأودعَ في الأجفانِ سحراً مُضاعفاً
وذكرني من كنتُ أعهدُ أنسهُ
خليلي عيدُ الفطرِ وافى فهاجني
ولما رأيتُ الحُسنَ بالطَّاقِ طالعاً
صبوتُ وقد يصبو الحليمُ لمثلها

وأتقنهم صنعا وأطلعهم ألقا
يُعَلِّمُني التَّهْيَامَ والوَجْدَ والعشقا
مقيماً ولما بانَ أورتني شوقا
غراماً وتهياماً وزادَ الحشا خفقا
لمحتُ ثناياها وقد لَمَعَتُ برقاً
يرقُ وكم صبَّ لغانيةٍ رقاً

¹ - ابن الأثير، اللؤلؤ السيرة، 140/1-141، ابن عذاري، البيان المغرب، 116/2.

² - ابن سعيد، اختصار القدر، 99.

شعر أبي الوليد البطليوسي النحلي

(1)

قال في قينة: ¹ [الوافر]

ولاعبة الوشاح كغصن بان
إذا سوت طريق العود نقراً
فيمنهاها تقدُّ بها فوادي
لها أثر بتقطيع القلوب
وغنت في محبٍّ أو حبيب
ويُسراها تعدُّ بها ذنوبي

(2)

قال في جارية المعتمد: ² [الكامل]

راقبت محاسنها ورق أديمها
وتمايلت كالغصن في دعص ³ النقا
يندى بماء الورد مُسبلُ شعرها
تزهى برونقها وعز جمالها
ملك تضاءلت الملوكة لقدره
وإذا لمحت جبينه ويمينه

فتكاد تُبصرُ باطناً من ظاهر
والتف في ورق الشباب الناضر
كالطل يسقط من جناح الطائر
زهو المؤيد ⁴ بالثناء العاطر
وعناله صرف الزمان الجائر
أبصرت بدرأ فوق بحر زاخر

1 - المقرئ، النفع، 399/4.

2 - المقرئ، النفع، 206-205/4.

3 - الدعص: قور من الرمل مجتمع... والدعاء أرض سهلة فيها رملة تحمي عليها الشمس فتكون رمضاؤها أشد من غيرها. ابن منظور، لسان العرب، مادة (دعص) 36-35/7.

4 - المؤيد: من ألقاب المعتمد. انظر ابن الأبار، الحلة السيرة، 53/2.

شعر ابن وهبُون

(1)

قال ابن وهبُون¹ في جارية: ² [البسيط]

إِنِّي لَأَسْمَعُ شِدْوًا لَا أَحَقِّقُهُ وَرَبَّمَا كَذَبْتُ فِي سَمْعِهَا الْأُذُنُ
مَتَى رَأَى أَحَدٌ قَبْلِي مُطَوَّقَةً إِذَا تَغَنَّتْ بِلَكْنِ جَاوِبِ الْفَنَنِ

شعر يحيى بن حكم الغزال

(1)

قال في جاريته لُعُوب: ³ [الكامل]

لَمْ أُنْسَ إِذْ بَرَزْتَ إِلَيَّ لُعُوبٌ طَرَبًا وَحَيْثُ قَمِيصُهَا مَقْلُوبٌ
وَكَأَنَّهَا فِي الدَّارِ حِينَ تَعَرَّضْتُ ظَبِيٌّ تَدَأُّهُ بِالْفَلَا مَرْعُوبٌ
تَفْتَرُّ عَن دَرِّ تَنَاسُقِ نَظْمِهِ فِيهِ لَثَاةٌ عَذِيبَةٌ وَغُرُوبٌ
حَاوَلْتُ مِنْهَا رَشْفَةً فَكَأَنَّهَا عَسَلٌ بِمَاءِ سَحَابَةٍ مَقْطُوبٌ⁴
وَدَعَيْتُكَ دَاعِيَةَ الصَّبَا فَتَطَرَّبْتُ نَفْسٌ إِلَى دَاعِيِ الضَّلَالِ طَرُوبٌ
وَظَنَنْتَ عَهْدَكَ عَهْدَهَا فِي الدَّهْرِ إِذْ فَيَنَانُ غُصْنِكَ بِالشَّبَابِ رَطِيبٌ

¹ - هو أبو محمد عبد الجليل بن وهبون المرسي، من شعراء المعتد، كان شاعراً لطيفاً
المأخذ، دقيق المعاني، توفي سنة 480هـ. انظر ابن خاقان، فُلَانِدُ الْعَقِيَّانِ، 767/4-775، ابن
بَسَّام، الذَّخِيرَةُ، ق 2 م 473-519، ابن دحية، المَطْرِبِ، 118، عبد الواحد المرَّاكِشي،
المُعْجِبِ، 102/1، المَقْرِي، النَّفْعِ، 188/2.

² - العماد الأصفهاني، الخَريجة، ق 4 ج 97/2.

³ - ابن دحية، المَطْرِبِ، 149-150.

⁴ - مقطوب: قَطَبَ الشَّرَابَ يَقْطِبُهُ قَطْبًا وَ قَطَّبَهُ وَ أَقْطَبَهُ كُلُّهُ: مَزَجَهُ. ابن منظور، لسان العرب،
مادة (قطب)، 681/1.

وزَعَتِكَ عَنْهُ كَبْرَةٌ وَمَشِيبٌ
تَدْعُوهُ مَهْمَا شِئْتَهُ فَيُجِيبُ
فَالآنَ أَحْدَاثُ الزَّمَانِ تَتُوبُ
سَمَحَتْ فَمَالَ عَلَى الْكَثِيبِ قَضِيبُ
كَالْفَجْرِ يعلوه دُجَىٌّ غَرِيبٌ³
رَابِي المَجَسَّة⁴ لَوْنُهُ حُلْبُوبٌ⁵
لِيَسْتَ لِأُخْرَى وَالْأَدْيِبِ أَرِيبُ
لَأَكَادُ مِنْ فَرَطِ الْحِيَاءِ أَدُوبُ
أَخْزَى بِهَا وَالْوَرْدُ مِنْهُ قَرِيبُ
كِيَرٌ تَقَادِمَ عَهْدِهِ مَتَقُوبُ

فَجَرَيْتَ فِي سَنَنِ الصَّبَا شَأوًا¹ وَقَدْ
وَحَسِبْتَ صَاحِبَكَ الَّذِي هُوَ ذَاكَ إِذْ
قَدْ كَانَ لَا يَنْبُو إِذَا جَرَّبْتَهُ
لَمَّا رَأَتْ ذَاكَ الَّذِي تَنَحُّو لَه
وَتَأوَدَّتْ خُمْصَانَةً بَهَانَةً²
فَقَبَضَتْ مِلاءَ يَدِي عَلَى مُسْتَهْدَفِ
بِيَدِي الشَّمَالِ وَالشَّمَالِ لَطَافَةً
فَتَقَاعَسَ الْمَلْعُونَ عَنْهُ وَإِنِّي
وَأَبِي كَعِيرِ السَّوِّءِ إِلَّا وَقْفَةً
فَكَأَنَّهُ مَمَّا تَشَنَّجَ جِلْدُهُ

(2)

وقال في جارية: ⁶ [البسيط]

إِلَّا لِسَانًا مُلْحًا بِالْمَلَامَاتِ
عَنْ صَلَعَةٍ لَيْسَ فِيهَا خَمْسُ شَعْرَاتِ
بِالْمَأْزِقِ الضَّنْكَ بَيْنَ الْمَشْرِفِيَّاتِ
كَقِسْمَةِ الْأَرْضِ حِيَزَتْ بِالتَّخُومَاتِ
طُولُ السَّقَارِ وَالْحَاخُ الْقَتُودَاتِ⁷

جَرْدَاءُ صَلَعَاءٌ لَمْ يُبْقِ الزَّمَانُ لَهَا
لَطْمَتُهَا لَطْمَةً طَارَتْ عَمَامَتُهَا
كَأَنَّهَا بِيَضَةُ الشَّارِي إِذَا بَرَقَتْ
لَهَا حُرُوفٌ نَوَاتٍ فِي جَوَانِبِهَا
وَكَاهِلٌ كَسَنَامِ الْعَيْسِ جَرْدَةٌ

1 - شَأوًا: الشَّوُّ الغاية والأمد. ابن منظور، لسان العرب، مادة (شأى)، 417/14.

2 - البهانة: الضحَّابة المتهللة. ابن منظور، لسان العرب، مادة (بهنن)، 61-60 / 13.

3 - غريبٌ: شديد السواد. ابن منظور، لسان العرب، مادة (غرب)، 647-646 / 1.

4 - المَجَسَّة: الموضع الذي تقع عليه يده إذا جسَّه. ابن منظور، لسان العرب، مادة (جسس)، 38/6.

5 - الحُلْبُوب: اللون الأسود. ابن منظور، لسان العرب، مادة (حلب)، 335 / 1.

6 - الكَتَانِي، التَّشْبِيهَاتِ، 245.

7 - القَتُودَات: خشب الرَّحْلِ وقيل القَنْدُ من أدوات الرَّحْلِ وقيل جميع أدواته والجمع أَقْتَادُ و أَقْتَدُ و قُتُود. ابن منظور، لسان العرب، مادة (قتد) 342/3.

شعر يوسف بن نصر ملك غرناطة

(1)

وجه السلطان يوسف بن نصر جارية رومية لابن فركون، وكتب إليه قبل أن تصله: ¹

[الكامل]

يا طالباً غرّ الجياد السُّبقِ	شَمَّرَ لها عن ساقِ جَدِّكَ والْحَقِ
فإليكَها نجلاءَ رائقةَ الحُلَى	والْحَسَنُ بين مَدْمَلِجٍ ومُنْطَقِ
مهَّد لها أكنافَ بِرِّكَ إنني	أثرتُكمُ منها بروضِ مُونِقِ
والوعدُ منّا عاجلاً فتأهبنُ	بَعْدَ العِشاءِ تحلُّ دَارِكُ فالتَّقِ

(2)

ونوع السلطان يوسف بن نصر في قطعه الشعرية السابقة _على سبيل المداعبة_

فكتب: ² [الكامل]

ياطالباً فعَل الجِعَالِ المُونِقِ	شَمَّرَ له عَن راسِ فَعَلِكَ وارتَقِ
وإليكَها لَفَاءٌ ³ رَبَّةٌ قَعْنَبٌ ⁴	معتادةً طعن الكُلَى بالمَفْرِقِ
فأقم لها حيثُ الذَّوابِلُ تَنْثِي	عَجْرَاءٌ ⁵ لاتخشى احتدامَ المَارِقِ
والوعدُ منّا عاجلاً فتأهبنُ	وذر السَّرَاوِلِ خلف بابك والتَّقِ

¹ - ابن فركون، الديوان، 239.

² - ابن فركون، الديوان، 240.

³ - لفاء: امرأة لفاء ملتفة الفخذين وفي الصحاح ضخمة الفخذين مكتنزة. ابن منظور، لسان العرب، مادة (لف) 318/9.

⁴ - القعنبة: اعوجاج في الأنف. ابن منظور، لسان العرب، مادة (قعنب) 684/1.

⁵ - العجر بالتحريك: الحجم والنتوء يقال رجل أعجر بين العجر أي عظيم البطن. ابن منظور، لسان العرب، مادة (عجر) 542/4.

أرجوزة أبي عبد الله بن مسعود

(1)

قال أرجوزة على لسان جارية: ¹

إِنِّي بِبِئْسَ لَوِزِيرٍ
 وَهَبْتَنِي لِأَوْحَدٍ مُنْقَطِعِ
 وَلَمْ يُبَيِّنْ لِي بِهَذَا الْعَيْبِ
 عَيْبَانِ فِي الدَّرْهِمِ نَقْصٍ وَرَدِي
 جَعَلْتَنِي أَسِيرَةً مَمْلُوكَةً
 يُعْزِي عَلَى الْفَالِ إِلَى مَسْعُودِ
 كَمَا يُكْنَى بِأَبِي الْبَيْضَاءِ
 وَكُنْتُ أَرْجُو مَعَهُ لِلرَّاحَةِ
 إِذَا بِهِ أَدْخَلَنِي فِي شُغْلٍ
 وَقَالَ لِي إِنْ كُنْتَ تَهْوِينِ التَّحْفَ
 فَانْتَبِهِي وَحَكْمِي الْأَصَابِعِ
 أَلَا وَهَبْتَنِي لِشَخْصٍ تَاجِرِ
 أَوْ لِيْتَنِي كُنْتُ لِبَعْضِ الْجُنْدِ
 يَضْرِبُ بِالسَّيْفِ وَلَا يُقَاسِي
 قَدْ كَسَدَتْ آدَابُهُ وَالشَّعْرُ
 أَلْحَنُ فِي أَشْعَارِهِ مِنْ تَيْسِ
 وَلَوْ تَرَاهُ سَائِرًا لِلسُّوقِ
 مُشْمَرًا فِي الطَّيْنِ عَنِ سَاقِيهِ
 يَأْخُذُ فِي التَّعْيِيرِ وَالْإِزْهَادِ
 فَمَرَّةً يُعْطَى وَالْفَأْ يُمْنَعُ
 قَطْعَةً لِبُنْدِ دَارِسِ الْأَثَارِ

أَذْفَعُ مَا حَلَّ مِنَ الْمُحْذُورِ
 فِي الْقُبْحِ وَالْفَقْرِ خَفِي الْمَوْضِعِ
 مِنْ فَقْرِهِ حَتَّى دَهَى بِالشَّيْبِ
 وَوَاحِدٌ قَدْ كَانَ يَكْفِي لَوْ قَدْ
 لَطَّلَعَتْ حَائِلَةً صُغْلُوكَةً
 وَهُوَ شَقِيٌّ لَيْسَ بِالْمَحْمُودِ
 أَسْوَدٌ كَالسَّرْوَةِ فِي الظُّلْمَاءِ
 إِذْ لَمْ يُفْزِ بِطَائِلِ الْمَلَاخَةِ
 لَفَرَطِ الْإِلْمَامِ بِسُوقِ الْغَزْلِ
 وَالْأَكْلِ وَالشَّرْبِ وَحُلَّةِ الطُّرْفِ
 وَاطَّرَحِي عَنِ نَفْسِكَ الْمَطَامِعِ
 وَلَمْ أَكُنْ عِنْدَ فَقِيرٍ فَاجِرِ
 فَرَبَّمَا حَازَ نَفْسَ الْمَجْدِ
 خُطَّةَ خَسْفِ بِسُؤَالِ النَّاسِ
 فَمَا لَهُ عِنْدَ الْبِرَايَا قَدْرُ
 أَعْجَزُ فِي الْبَيْتِ مِنَ الضَّرِيْسِ
 إِذَا بَدَأَ فِي كُسُوفِ الْغُرْنُوقِ
 مُدَاوِلًا عَصَاهُ فِي كَفِّهِ
 مُنْكَمِشًا فِي طَلْعَةِ الصِّيَادِ
 وَمَرَّةً يَمْشِي وَعَشْرًا يَقَعُ
 قَدْ طَرِحَتْ حَوْلَ مَكَانِ النَّارِ

¹ - ابن بسام، الخيرة، ق 1 م 553-555.

لَمْ يَكُ فِيهَا قَطُّ غَيْرُ الْبَقْلِ
 أُودِعُ فِيهِ فِي الدُّجَى مَغَازِلِي
 كَأَنَّنا مِنْ أَعْبَادِ الْعَبَّادِ
 وَتَوَقَّنا أَيْضاً إِلَى مِنْدِيلِ
 بِلَا دَقِيقٍ يُرْتَجَى وَزَيْتِ
 إِنْ كَانَ عِنْدِي مِنْ ثِيَابِ الْأَرْضِ
 فَبِنْتُ قَبْلَ اللَّيْلِ مِنْهُ طَالِقَةٌ
 فَقَدْ كَفَّانِي عَدَمِي لِلْبُرِّ
 أَنَّنِي حُبَّالِي مُقَرَّبٌ بِنُطْفَةٍ
 لَكِي يَحُوزَ قُرَّةَ الْعَيْنَيْنِ
 يَا لَيْتَهُ لَوْ أَنَّهُ قَبَّون³
 يَعُدُّ سُلْطَانَ الْهَوَى مِنْ ظَرْفِهِ

إِلَى قُدُورٍ هِيَ أَقْصَى عَقْلِ
 وَقُدْسٍ مُعَلَّقٍ مُقَابِلِي
 وَطُوبَىةً بِمَوْضِعِ الرُّقَادِ
 يَا شَوْقَنَا فِيهِ إِلَى قُنْدِيلِ
 هَذَا جَمِيعُ كُلِّ مَا فِي الْبَيْتِ
 وَقَدْ شَكَا مِنْهُ لِبَعْضِ بَعْضِي
 غَيْرُ الَّذِي كَسَوْتَنِي بِمَالِقَةٍ
 فَلَا تَدْعَنِي غَرَضاً لِلْقُرِّ¹
 لَا سَيِّمًا زِيَادَةً فِي التَّحْقَةِ
 وَرَبَّمَا جئْت لَه بِاثْنَيْنِ
 بِذَا وَذَا تَتَطْبَخُ الشَّشُونِ²
 كَيْسُ الْفَقِيرِ كُلُّهُ فِي طَرْفِهِ

1 - قُرَّة: قُرٌّ، برد. دوزي، تكملة المعاجم العربية، مادة (قر) 207/8.

2 - الششون: نصف الطبخ أو القلي أو التحميص، نصف نيء ودون تنبيل، دوزي، تكملة المعاجم العربية، مادة (ششن) 305/6.

3 - قَبَّون: لم أجد معناها، ووجدت مادة قَبَّن: وزن بميزان كبير أو بالقَبَّان. دوزي، تكملة المعاجم العربية، مادة (قبن) 180/8.

الموشحات

موشح أبي الحسن بن نزار

(1)

اختار جارية حسنة الصوت وطلب منها أن تُغني موشحته التي أولها: ¹

بِنُوتِ الْبِنَانِ	نَاذِعُكَ الْبَدْرُ الْبِيَّاحُ
عَلَى الزَّمَانِ	فَلَمْ يَدْعُ لَكَ اقْتِرَاحُ
وَالْعَيْسُ تُخْدِي	يَا هَلْ أَقُولُ لِلْحَسُودِ
كَانَتِ أَمَانِي	يَا لَا تَمَيَّ عَلَى السَّرَاحِ
إِلَى الْعِيَانِ	أَخْرَجَهَا ذَاكَ السَّمَّاحُ

موشح ابن زهر

(1)

قال في الجارية سماك: ² [الخفيف]

صَادِنِي وَلَمْ يَدْر مَا صَادَا	
شَادِنِ سَبِي اللَّيْثِ فَانْقَادَا	
وَاسْتَخَفَ بِالْبَدْرِ أَوْ كَادَا	
يَا لَهُ لَقَدْ ضَمَّ بِالْبَدْرِ أَرْزَارَهُ	وَبِالْحَقْفِ زَنْزَارَهُ
لَوْ أَجَازَ حَكْمِي عَلَيْهِ	
لَاقْتَرَحْتِ تَقْبِيْلَ نَعَائِيهِ	
لَا أَقُولُ أَلْتُمِ خَدْيِيهِ	

¹ - المقرئ، النفع، 42/5.

² - ابن سعيد، المغرب، 277/1-278.

أنا من يعظم والله مقداره ويلزم إكباره
 يا سماك حسبك أو حسبي
 قد قضيت في حاكم نحبي
 واحتسبت نفسي في الحب
 إنها نفس لذا الحب أماره وبالسوء أماره
 عرض الفؤاد لأشجاناه
 ومضى على حكم سلطانه
 فانبريت في بعض أوطانه
 تارة أقبل آثاره وأندبته تارة
 أيها الممدل بأجفانه
 كم وفيت والغدر من شأنه
 وأصح من طول هجرانه
 وعلش حبيب قطعت الزياره وعينيك سحره

موشح عمر بن عبد الله

(1)

قال عمر بن عبد الله¹ في الجارية حسانة: ²

حُسَّانَةٌ رَخِيمَةٌ عَانَقَتْ مِنْهَا الْبَانَةَ
 وَالنَّقَّي الرَّجْرَجَ³ وَأَشْوَقِي لِحُسَّانَةَ

1 - هو أبو حفص عمر بن عبد الله السلمي، فقيه وعلامة، شاعر وأديب ظريف، علا قدره بين أهله بفاس ووُلي قضاء تلمسان وفاس، ثم ولاه المنصور قضاء إشبيلية، توفي فيها سنة 603 هـ. انظر ابن الأبار، التَّحْمِلة، 162/3، ابن سعيد، الغصون اليبانة، 93 المقري، أزهار الرياض، 361/2.

2 - ابن سعيد، الغصون اليبانة، 93.

3 - الرجراج: الضعيفة. ابن منظور، لسان العرب، مادة (رجج) 281 / 2.

الأزجال

زجل ابن قزمان

(1)

قال في الجارية زاد المال:¹

ياأمورَ الزمّان وشغلُ البالِ
حتى ريت الخديمة زاد المال
سأقت الميَّدة سأقت القنديل
حتى قالت لي سيدي جا الوكيل

لم نفكر في الحرّ وقتاً زال
تبسط الصوف وتتزع الطييري
وهي تجعل من المثلث قليل
بخويخات ورماناً سافري

(2)

وقال في زاد المال:²

جاني زايير وقف لباب الدار
قامت الخادم أن ترى من كان
أنت مشغول بهم اليوم زمان
جأت إليّ قالت لي أخرج تُراد
سيد مشغول كما طلع للرقاد
الله يعلم فاضول ه للباب
فككون ماغ إن دخل في عذاب
وانا مشغول ولس نريد نخرج
ومن العار عليّ أن ننفج
فسمعتة وه يكرّر عجب

لي يا بعد يا أخي قد زار
قلها قل جي يراك إنسان
كان بوذك تراه بليل ونهار
قلت قل لسنه وقت اعاد
ينتظرنني والاه بالخيار
بخرافه يقأه لي ذب ذب
أو يوقفن ثم للباطار³
واختفائي من الرجل يسمج
فتقل إلى قرية صار
ثم قال بعد ما انقبض وغضب

¹ - الديوان، 134.² - الديوان، 576-580.³ - البطار: عجمي الأصل معناه الحنك والذوق، والمراد بذلك أن الزائر الفضولي سيوقفه هناك ما طاب له. ديوان ابن قزمان (الهامش)، 578.

ثُمَّ أَشْيَا يَنْفَعُ بِهَا الْاِخْتِصَارُ
 قُلْتُ حَقُّهُ أَوْ طَزَعٌ¹ هِيَ فَالْمَنَامُ
 كَيْلُوا فِيهَا بَعْدَ تَسْعِ أَشْبَارِ
 طِرْتُ لَا شَكَّ أَوْ كُنْتُ قَرِيبًا أَنْ نَطِيرُ
 وَوَثَبْتُ وَلَمْ نَرَاهُ مَكَارُ
 وَأَنَا عِلْجُكَ وَعِلْجُ عَاذِ وَرُبْعِ
 لَسْتُ تَرَى وَحَدَّ مِنْهُمْ أَشْنُهُ عَارُ
 أَيُّ هُرُوبِكَ أَخْرُجُ كَذَا لِلضُّوِ
 وَلَعَنَهُمْ وَأَبْلَى قَنَؤَ بَنَارُ

أَيُّ قُلُّ أَنْسَانَ يُقَلُّ ذَهَبُ
 أَنَا أَيُّ كُنْتُ سَمَعْتُ هَذَا الْكَلَامُ
 وَأَنَا جَالِسٌ وَوَثَبْتُ وَثَبَ لَمَامُ
 إِلَى وَسَطِ الدُّوَيْرَةِ لَمْ نَسْتَدِيرُ
 حَسْبُكَ أَنِّي عَثَرْتُ عِنْدَ الْبَيْرِ
 ادْخُلْ أَقْرَبُ وَمَرْحَبًا وَارْتَبِعْ
 فَعَلَّ اللَّهُ بِذَا الْخَدَمِ وَصَنَعْ
 يَا حَسْبُنَا لَهُ قُلُّ خَادِمِ سَوِ
 سَخَطَ اللَّهُ عَلَى بَنِي قَوْقَوِ²

1 - طَزَعٌ: أضغاث الأحلام. ديوان ابن قزمان (الهامش)، 578-579.

2 - بنو قَوْقَوِ: هم السودان. ديوان ابن قزمان (الهامش)، 579.

ملحق شِعْر الجوّاري

شعر أنس القلوب

(1)

وقالت في الوزير أبي المغيرة بن حزم: ¹ [الخفيف]

قَدَمُ اللَّيْلِ عِنْدَ سَيْرِ النَّهَارِ	وَبَدَا الْبَدْرُ مِثْلَ نِصْفِ سَوَارِ
فَكَأَنَّ النَّهَارَ صَفْحَةً خَدًّا	وَكَأَنَّ الظَّلَامَ خَطًّا عِذَارِ
وَكَأَنَّ الْكُوْسَ جَامِدُ مَاءٍ	وَكَأَنَّ الْمُدَامَ ذَائِبُ نَارِ
يَا لَقَوْمِي تَعَجَّبُوا مِنْ غَزَالِ	جَائِرٍ فِي مَحَبَّتِي وَهُوَ جَارِي
لَيْتَ لَوْ كَانَ لِي إِلَيْهِ سَبِيلٌ	فَأَقْضِي مِنْ حُبِّهِ أَوْطَارِي

(2)

سألت المنصور بن أبي عامر عن كيفية تكفير ذنبها فقالت: ² [المجتث]

أَذْنَبْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا	فَكَيْفَ مِنْهُ اعْتِذَارِي
وَاللَّهُ قَدَّرَ هَذَا	وَأَلَمْ يَكُنْ بَاخْتِيارِي
وَالعَفْوُ أَحْسَنُ شَيْءٍ	يَكُونُ عِنْدَ اقْتِدارِي

شعر بُثينة بنت المعتمد

(1)

قالت في رسالة لأبيها: ³ [الكامل]

اسْمَعْ كَلَامِي واسْتَمِعْ لِمَقَالَتِي	فَهِيَ السُّلُوكُ بَدَتْ مِنَ الْأَجْيَادِ
لَا تُتَكَبَّرُوا أَنِّي سُبَيْتٌ وَأَنَّي	بُنْتُ لِمَلِكٍ مِنْ بَنِي عَبَّادِ

1 - المقرئ، النفع، 151/2.

2 - المقرئ، النفع، 151/2.

3 - المقرئ، النفع، 59/6.

وَكَذَا الزَّمَانُ يَوُولُ لِلْإِسَادِ
وَأَذَاقَنَا طَعْمَ الْأَسَى مِنْ زَادِ
فَدَنَا الْفِرَاقُ وَلَمْ يَكُنْ بِمُرَادِ
لَمْ يَأْتِ فِي إِعْجَالِهِ بِسَدَادِ
مَنْ صَانَنِي إِلَّا مِنَ الْأَنْكَادِ
حَسَنِ الْخَلَائِقِ مِنْ بَنِي الْأَنْجَادِ
وَلَأَنْتَ تَنْظُرُ فِي طَرِيقِ رَشَادِي
إِنْ كَانَ مِمَّنْ يُرْتَجَى لَوْدَادِ
تَدْعُو لَنَا بِالْيُمْنِ وَالْإِسْعَادِ

مَلِكٌ عَظِيمٌ قَدْ تَوَلَّى عَصْرَهُ
لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ فُرْقَةَ شَمَلِنَا
قَامَ النَّفَاقُ عَلَى أَبِي فِي مَلِكِهِ
فَخَرَجْتُ هَارِبَةً فَحَازَنِي امْرُؤٌ
إِذْ بَاعَنِي بَيْعَ الْعَبِيدِ فَضَمَّنِي
وَأَرَادَنِي لِنِكَاحِ نَجْلِ طَاهِرِ
وَمَضَى إِلَيْكَ يَسُومُ رَأْيَكَ فِي الرِّضَا
فَعَسَاكَ يَا أَبَتِي تُعَرِّفَنِي بِهِ
وَعَسَى رُمَيْكِيَّةُ الْمُلُوكِ بِفَضْلِهَا

شعر بزيعة

(1)

قالت: ¹ [الطويل]

وَيَزْدَادُ عِنْدِي مَنْ أَحَبَّكُمْ قُرْبًا

وَيَفْرَحُ قَلْبِي أَنْ أَرَى الزُّورَ مِنْكُمْ

(2)

وقالت: ² [البسيط]

لَا مَرِحْبًا بِغُرَابِ الْبَيْنِ وَالصَّدِّ

لَمَّا رَأَيْتُ وَجُوهَ الطَّيْرِ قُلْتُ لَهَا

¹ - ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، 126.

² - ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، 126.

شعر جارية الرشيد بن المعتد

(1)

قالت: ¹ [البسيط]

يا لهف نفسي على مال أفرقه
إن اعتذاري إلى من جاء يسألني
على المقلين من أهل المروءات
ما لست أملك من إحدى المصنعات

شعر رغد

(1)

قالت: ² [الخفيف]

أين أيامنا بخلق أتينا
..... وأسهر كُـلَّ عـيـنٍ
كان ذاك الزمان للدهر عينا
لا تهنا العادي ولا قر عينا

شعر الرميكية

(1)

طلب المعتد من ابن عمّار أن يجيز قوله: ³ [الرمل]صنّع الرّيح من الماء زرد⁴

¹ - المقرّي، النّفع، 240/5.

² - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 192/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية.

³ - السيوطي، نزهة الجلساء، 85، المقرّي، النّفع، 347/5.

⁴ - زرد: الدرّع. ابن منظور، لسان العرب، مادة (زرد) 194/3.

وعندما أطال ابن عمّار التفكير قالت الرُّمَيْكِيَّة: ¹

أَيُّ دِرْعٍ لَقَّتْـالِ لَوْ جَمَّـذُ

شعر جارية مع ابن زيدون

(1)

سألت جارية أبا الوليد ابن زيدون أن يزيد على بيت أنشدته وهو: ² [البسيط]

يا مُعْطِشِي مِنْ وَصَالِ كُنْتُ وَارِدَهُ هل منك لي علة إن صحت أو عطشي

شعر العبادية

(1)

سهر عبّاد ليلة لأمر حزبه والعبادية نائمة فقال: ³ [المتقارب]

تتـامُ ومُـدْنفُها يـسـهـرُ وتـصـبـرُ عنـهُ ولا يـصـبـرُ

فأجابته: ⁴ [المتقارب]

لـنـنـ دـامَ هـذا وهـذا بـهـ سـيـهـلـكُ وجـداً ولا يـشـعـرُ

¹ - السيوطي، نزهة الجلساء، 85، المقرئ، النفع، 347/5.

² - المقرئ، النفع، 254/4.

³ - ابن الأبار، التكملة، 252/4، العلة السيرة، 48/2، ابن عبد الملك المرآكشي، الذيل والتكملة، 494/2/8، المقرئ، النفع، 58/6.

⁴ - ابن الأبار، التكملة، 252-251/4، ابن عبد الملك المرآكشي، الذيل والتكملة، 494/2/8، المقرئ، النفع، 59/6.

شعر عتبة

(1)

قالت في ابن زيدون: ¹ [الطويل]

أَحَبَّتْنَا إِنْ بَلَغَتْ مُؤَمَّلِي
وَجَاءَ يُهَنِّئُنِي الْبَشِيرُ بِقُرْبِهِ

وَسَاعَدَنِي دَهْرِي وَوَاصَلَنِي حَبِّي
فَأَعْطَيْتُهُ نَفْسِي وَزَدْتُ لَهُ قَلْبِي

شعر عزيز

(1)

قالت: ² [الخفيف]

قَدْ تَقَضَى النَّهَارُ إِلَّا بَقَايَا
وَأَتَانَا الظُّلَامُ مِنْ قَبْلِ الشَّرِّ
دَامَ هَذَا وَذَا بَطُولِ بَقَاءِ الـ

مِنْ شُعَاعِ مُخَلَّقٍ لِلأَصِيلِ
قِ فَأَهْلًا مِنْهُ بِخَيْرِ نَزِيلِ
حَكَمَ السَّيِّدِ الْفَتَى الْمَأْمُولِ

¹ - ابن بسّام، الخيّرة، ق 1 م 431/1.

² - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، 185/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم
الجامعة الأردنية.

شعر غاية المنى

(1)

سأل ابن الفراء غاية المنى أن تُجيزه فقال: ¹ [مجزوء الخفيف]

سَلْ هَوَى غَايَةَ الْمُنَى

فَقَالَتْ: [مجزوء الخفيف]

مَنْ كَسَا جِسْمِي الضَّنَى
سَأَيَقُولُ الْهَوَى أَنَا

وَأَرَانِي مُنِيَّماً

شعر فاتن

(1)

قالت: ² [الخفيف]

فَجَنَى رِيْقَتِي وَذَبَّلَ وَرْدِي
كَانَ حَلَّ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ عِنْدِي

مَنْ أَبَاحَ النَّقِيْلَ وَاللَّثْمَ خَدِّي
لَيْتَ مَنْ جَاءَ آخِرَ اللَّيْلِ نَحْوِي

¹ - ابن الأَبَّار، التَّحْمِيْلَةُ، 253-252/4، ابن عبد الملك المرَّاكشي، الذَّيْلُ وَالتَّحْمِيْلَةُ، 488/2/8-

489، المَقْرِي، النَّفْعُ، 61/6.

² - ابن فضل الله العمري، مسالك الأَبْصَارِ، 192-191/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم

الجامعة الأردنية.

شعر قمر المشرقية

(1)

قالت: ¹ [البسيط]

مِنْ بَعْدِ مَا هَتَكَتْ قَلْبًا بِأَشْفَارِ
تَشُقُّ أَمْصَارَ أَرْضٍ بَعْدَ أَمْصَارِ
وَلَا لَهَا غَيْرُ تَرْسِيلٍ وَأَشْعَارِ
لِلَّهِ مِنْ أُمَّةٍ تُزْرِي بِأَحْرَارِ
بَعْدَ الدِّيَانَةِ وَالْإِخْلَاصِ لِلْبَارِي
لَا يَخْلُصُ الْجَهْلُ مِنْ سَبِّ وَمِنْ عَارِ
رَضِيَتْ مِنْ حُكْمِ رَبِّ النَّاسِ بِالنَّارِ

قَالُوا أَتَتْ قَمَرَ فِي زِيٍّ أَطْمَارِ
تُمْسِي عَلَى وَحَلٍ تَغْدُو عَلَى سُبُلِ
لَا حُرَّةٌ هِيَ مِنْ أَحْرَارِ مَوْضِعِهَا
لَوْ يَعْقِلُونَ لَمَا عَابُوا غَرِيبَتَهُمْ
مَا لَابِنِ آدَمَ فَخْرٌ غَيْرَ هِمَّتِهِ
دَعْنِي مِنَ الْجَهْلِ لَا أَرْضَى بِصَاحِبِهِ
لَوْ لَمْ تَكُنْ جَنَّةً إِلَّا لِجَاهِلَةِ

(2)

وقالت تتشوق إلى العراق: ² [الكامل]

وِظْبَائِهَا وَالسَّحْرُ فِي أَخْدَاقِهَا
تَبْدُو أَهْلَتَهَا عَلَى أَطْوَاقِهَا
خُلِقَ الْهَوَى الْعُذْرِيَّ مِنْ أَخْلَاقِهَا
فِي الدَّهْرِ تُشْرِقُ مِنْ سَنَا إِشْرَاقِهَا

أَهَا عَلَى بَغْدَادِهَا وَعِرَاقِهَا
وَمَجَالِهَا عِنْدَ الْفُرَاتِ بِأَوْجِهَا
مُتَبَخَّرَاتٍ فِي النَّعِيمِ كَأَنَّمَا
نَفْسُ الْفِدَاءِ لَهَا فَأَيُّ مَحَاسِنِ

(3)

مدحت مولاها فقالت: ³ [الكامل]

إِلَّا حَلِيْفُ الْجُودِ إِبرَاهِيمُ
كُلُّ الْمَنَازِلِ مَا عَدَاهُ نَمِيمُ

مَا فِي الْمَغَارِبِ مِنْ كَرِيمٍ يُرْتَجَى
إِنِّي حَلَّاتٌ لَدَيْهِ مَنَزَلُ نِعْمَةٍ

1 - ابن عذاري، البيان المغرِب، 128/2-129.

2 - ابن الأَبَّار، التَّحْمِلَةُ، 246/4، المَقْرِي، النَّفْع، 124/4.

3 - ابن الأَبَّار، التَّحْمِلَةُ، 246/4، المَقْرِي، النَّفْع، 124/4.

شعر مُتَعَة

(1)

قالت للأمير عبد الرحمن بن الأوسط : ¹ [المجتث]

يَا مَنْ يُغَطِّي هَوَاهُ	مَنْ ذَا يُغَطِّي النَّهَارَا
قَدْ كُنْتُ أَمْلِكُ قَلْبِي	حَتَّى عَاقَبْتُ فَطَارَا
يَا وَيَا تَا أَتْرَاهُ	لِي كَانِ أَوْ مُسْتَعَارَا
يَا بِأَبِي قُرَشَّيِّ	خَلَعْتُ فِيهِ الْعِذَارَا

شعر مَرَجَان

(1)

عَلَّمَت مَرَجَان زَرْزُورًا شِعْرًا نَظَمْتَهُ فَقَالَ: ² [مجزوء الرَّمْل]

أَيُّهَا الْفَاصِـدُ رَفِيقَا	بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
إِنَّمَا نَفَسُ عَرِيقَا	فِيهِ مَخِيَا الْعَالَمِينَ

(2)

قالت: ³ [مجزوء الرجز]

يَا لَيْلَةً لَوْ أَنَّهَُا	تُبَاعُ لِي أَوْ تُشْتَرَى
شَرَيْتُهَا بِكُلِّ مَا	أَطْبُؤُهُ مِنَ الْمَنَى

¹ - ابن الأَبَّار، التَّحْمِلة، 242/4-243، المَقْرِي، النَّفْع، 115/4.

² - المَقْرِي، أَزْهَارِ الرِّيَاضِ، 265/2، النَّفْع، 346/1.

³ - ابن الأَبَّار، التَّحْمِلة، 247/4-248.

شعر جارية مشرقية

(1)

قالت لأحد وزراء المنصور بن أبي عامر: ¹ [البسيط]

ما بال أنجم هذا الليل حائرةً أضلّت القصد أم ليست على فلك
عادت سواريه وقفاً لا حراك لها كأنها جئت صرعى بمعتراك

شعر هند

(1)

ردت هند جارية ابن مسلمة الشاطبي على دعوة الوزير أبي عامر بن ينق فقالت: ²

[الكامل]

يا سيِّداً حاز العلاء عن سادة شم الأنوف من الطراز الأول
حسبي من الإسراع نحوك أنني كنت الجواب مع الرسول المقبل

¹ - إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، 59، نقلاً عن التجيبي، شرح

المختار من شعر بشار، 15-16.

² - ابن الأبار، تحفة القاصم، 239، التكملة، 259/4، المقرئ، النفع، 67/6.

شعر جارية يوسف بن نصر سلطان غرناطة

(1)

قالت جارية السلطان يوسف بن نصر: ¹ [الكامل]

عَنْ شُكْرِ مَا أَوْلَاهُ أَعْجَزَ مَنْطِقِي
دُرّاً وَلَكِنْ مِثْلُهُ لَمْ يَنْسَقِ
جَادَتْ بِهَا كَفُّ الْكَرِيمِ الْمُشْفِقِ
فَطَفَّقَتْ بَيْنَ تَشَوُّفٍ وَتَشَوُّقِ
يَرْمِي بِسَهْمٍ لِلْقُلُوبِ مَفُوقِ
وَسَنَاهُ عَنْ بَذْرِ الْكَمَالِ الْمُشْرِقِ
مِنْهَا بِجُودِ نَدَى يَمِينِكَ قَدْ سَقِي
تَخْفَى وَأَيُّ جَوَانِحٍ لَمْ تَخْفِقِ
بِالْوَعْدِ أَنَا عَنْ قَرِيبٍ نَلْتَقِي
فِيهَا وَجَفْنٍ لِلطَّرِيقِ مُحَدِّقِ
فِيهَا وَقَلْبٍ بِالصَّبَابَةِ مُوثِقِ
أَوْ فَوْقَهَا بِمَقْيَدٍ وَبِمُطْلَقِ
حِيناً وَحِيناً يَرْتَمِي أَوْ يَرْتَقِي
وَصَفَا تَتَى قَلْبِي رَهَيْنَ تَعَشُّقِ
يَتَخَيَّرُ الْمَوْلَى الْهَمَامُ وَيَنْتَقِي
مِنْ عِنْدِ مَوْلَى نَاصِرٍ لِمُوفِقِ
مِنْ قَصْدِهِ الْأَرْضَى بِمَا هُوَ مُنْتَقِ

مَوْلَى الْمُلُوكِ بِمَغْرِبٍ وَبِمَشْرِقِ
أَهْدَى إِلَى الْمَمْلُوكِ مِنْ مَنْظُومِهِ
وَأَفَى لِيُعْلِمَنِي بِأَفْضَلِ مَنْحَةٍ
وَأَتَى يُبَشِّرُنِي بِرَائِقَةِ الْخَلَى
مِيَادَةَ الْأَعْطَافِ سَاحِرٍ لَحْظِهَا
لَمْ لَا يَفُوقُ الشُّهُبَ نَيْرٌ وَجْهَهَا
لَمْ لَا يَرُوقُ الْآنَ رَوْضُ مَحَاسِنِ
جَاءَتْ بِهَا الْبُشْرَى فَأَيُّ صَبَابَةٍ
قَدْ كَدَتْ أَذْهَبُ لَوْعَةً لَوْ لَمْ تَجِدْ
أَنَا فِي الْعَشِيَّةِ بَيْنَ قَلْبِ مَوْلَعِ
وَالْعَبْدُ يُمْسِي بَيْنَ فِعْلِ مُرْسَلِ
فَاعْجَبْ لَهُ يَرْتَاحُ تَحْتَ ضُلُوعِهِ
فَتَخَالَهُ مِثْلَ الْجَوَادِ لَدَى الْوَعَى
مَوْلَايَ أَبْدَى مِنْ بَدِيعِ جَمَالِهَا
لَا شَيْءَ أَشْرَفُ فِي الْوَجُودِ مِنَ الَّتِي
وَفَّقَتْ لِلشُّكْرِ الْجَمِيلِ وَقَدْ أَتَتْ
لَا زَالَ مَوْلَانَا يَجُودُ لِعَبْدِهِ

¹ - ابن فركون، الديوان، 240-241.

ملحق شِعْر الغناء

غناء شعر البحتري

(1)

ومن أصوات بهجة: ¹ [الطويل]

وشيكاً ولم يُنَجِرْ لَنَا مِنْكُمْ وَعَدُّ
سَقَتْ رَبْعَكَ الْأَنْوَاءُ مَا فَعَلْتَ هِنْدُ
وإن لم يكن منه وصال ولا ود²
وأبي حبيب ما أتى دونه البعد

أَحْبَابَنَا قَدْ أَنْجَزَ الْبَيْنُ وَعَدَهُ
أَطْلَالَ دَارِ الْعَامِرِيَّةِ بِاللَّوَى
بِنَفْسِي مَنْ عَذَّبْتُ نَفْسِي مَحَبَّةً
حَبِيبٌ مِنَ الْأَحْبَابِ شَطَّتْ بِهِ النَّوَى

غناء شعر أبي تمام

(1)

ومن أصوات مُهَجَّة: ³ [الطويل]

بها القَطْرُ قَالَ النَّاسُ أَيُّهُمَا الْقَطْرُ⁴
لها باذلاً فأنظر لمن بقي الذُّخْرُ
فليس لي غيرنا ذلك الفخر

جَرَى حَاتِمٌ فِي حَلْبَةٍ مِنْهُ لَوْ جَرَى
فَتَى دَخَرَ الدُّنْيَا أَنْاسٌ وَلَمْ يَزَلْ
فَمَنْ شَاءَ فَلْيَفْخَرْ بِمَا شَاءَ مِنْ نَدَى

¹ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 187/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم
الجامعة الأردنية، الديوان، 740/2-741.

² - الديوان، 741 / 2:

بِنَفْسِي مَنْ عَذَّبْتُ نَفْسِي بِحُبِّهِ وإن لم يكن منه وصال ولا ود

³ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 189/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم
الجامعة الأردنية، شرح ديوان أبي تمام، 952.

⁴ - شرح ديوان أبي تمام، 952:

جَرَى حَاتِمٌ فِي حَلْبَةٍ مِنْهُ لَوْ جَرَى بها القَطْرُ شَأْوَ قِيلَ أَيُّهُمَا الْقَطْرُ

إِنَّا كَمَا الْإِيَّامُ يَجْمَعُهَا الشَّهْرُ

جَمَعْنَا الْعُلَى بِالْجُودِ بَعْدَ افْتِرَاقِهَا

(2)

ومن أصوات مُهَجَّة: ¹ [الطَّوِيل]

وَسُمِّيَ فِيهِمْ وَهُوَ كَهَلٌّ وَيَافِعُ²
لِكَثْرَةِ مَا أُوصُوا بِهِنَّ شَرَائِعُ
لَهَا رَاحَةٌ فِي مَجْدِهِمْ وَأَصَابِعُ³
فَضَاعَ وَمَا ضَاعَتْ لَدَيْنَا الصَّنَائِعُ

أَنَا ابْنُ الَّذِينَ اسْتُرْضِعَ الْمَجْدُ فِيهِمْ
مَضُوءًا وَكَأَنَّ الْمَكْرُمَاتِ لَدِيهِمْ
فَأَيُّ يَدٍ فِي الْمَجْدِ مُدَّتْ فَلَمْ تَكُنْ
هُمْ اسْتَوْدَعُوا الْمَعْرُوفَ مَحْفُوظًا مَالِنَا

غناء شعر توبة بن الحمير

(1)

ومن أصوات رَدَاح: ⁴ [الطَّوِيل]

عَدَا النَّاسُ فِيهَا وَالْوَشَاةُ الْأَدَانِيَا
فَلَمْ يَمْنَعُوا مِنِّي الْبُكَاءَ وَالْقَوَافِيَا
فَلِيَّتَ الْهَوَى بِاللَّائِمِينَ مَكَانِيَا
أَطَعْتُ وَلَكِنَّ الْهَوَى قَدْ عَصَانِيَا

تَمَسَّكَ بِحُبِّ الْأَخْيَالِيَّةِ وَاطَّارِحُ
فَإِنْ يَمْنَعُوا لِيْلَى وَحُسْنَ حَدِيثِهَا
يَلُومُكَ فِيهَا اللَّائِمُونَ فَصَاحَةً
لَوْ أَنَّ الْهَوَى فِي حُبِّ لِيْلَى أَطَاعَنِي

¹ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 187/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم

الجامعة الأردنية، شرح ديوان أبي تمام، 958-959.

² - شرح ديوان أبي تمام، 958-959:

وَسُمِّيَ فِيهِمْ وَهُوَ كَهَلٌّ وَيَافِعُ

أَنَا ابْنُ الَّذِينَ اسْتُرْضِعَ الْجُودُ فِيهِمْ

³ - شرح ديوان أبي تمام، 958-959:

لَهَا رَاحَةٌ مِنْ جُودِهِمْ وَأَصَابِعُ

فَأَيُّ يَدٍ فِي الْمَجْدِ مُدَّتْ فَلَمْ تَكُنْ

⁴ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 198/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم

الجامعة الأردنية.

غناء شعر جرير

(1)

من أصوات رغد: ¹ [الطويل]

لقد هاج هذا القلبُ عَيْناً مَرِيضَةً
صَحَا القلبُ عَنْ سَلْمَى وَقَدْ بَرَّحَتْ بِهِ
إِذَا سَايَرَتْ أَسْمَاءُ يَوْمًا ظَعَانِنَا
تَقُولُ سُلَيْمَى لَيْسَ لِلْبَيْنِ رَاحَةٌ
أَجَالَتْ قَذَى ظَلَّتْ بِهِ الْعَيْنُ تَمْرَحُ
وَمَا كَانَ يَلْقَى مِنْ تَمَاضِيرِ أَبْرَحُ
فَأَسْمَاءُ مِنْ تِلْكَ الظَّعَانِنِ أَمْلَحُ
بَلَى إِنَّ بَعْضَ الْبَيْنِ أَشْفَى وَأَرْوَحُ²

(2)

ومن أصوات مُهْجَة: ³ [الوافر]

أَلَا زَارَتْ وَأَهْلُ مَنْبَى هُجُودُ
حَاصِنٌ⁴ لَا الْمُرِيْبُ لَهَا خَدِينُ
وَنَحْسُدُ أَنْ نَزُورَكُمْ وَنَرْضَى
فَلَا بُخْلٌ فَيُؤَيِّسُ مِنْكَ بَخْلُ
شَكُونًا مَا عَلِمْتَ فَمَا أُوَيْتُمْ
وَأَيَّتْ خَيَالَهَا بِمَنْبَى يَعُودُ
وَلَا تُفْشِي الْحَدِيثَ وَلَا تَرُودُ
بِدُونِ الْبَذْلِ لَوْ رَضِيَ الْحَسُودُ⁵
وَلَا جُودٌ فَيَنْفَعُ مِنْكَ جُودُ
وَبَاعَدْنَا فَمَا نَفَعُ الصُّدُودُ

¹ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطار، 192/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم
الجامعة الأردنية، الديوان، 834/2-835.

² - الديوان، 835/2:

تقول سُلَيْمَى لَيْسَ فِي الصَّرْمِ رَاحَةٌ بَلَى إِنَّ بَعْضَ الصَّرْمِ أَشْفَى وَأَرْوَحُ

³ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطار، 188/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم
الجامعة الأردنية، الديوان، 318/1-319.

⁴ - حَصَان: عفيفة بيّنة الحصانة والحُصْنِ ومتزوجة. ابن منظور، لسان العرب، مادة (حصن)
120/13.

⁵ - الديوان، 318/1:

وَنَحْسُدُ أَنْ نَزُورَكُمْ وَنَرْضَى بِدُونِ الْبَذْلِ لَوْ عَلِمَ الْحَسُودُ

فَبَلَّتْني التَّهَامُ والنُّجُودُ

هَوَى بتهامةٍ وهَوَى بنجودٍ

غناء شعر ابن الحداد

(1)

ودع العذيب³ عذيب ذات الخال
للأغيد المعطار لا المعطال
وحموك إلا من تصور بالي
فمتى أرجي منك طيف خيال

ومما يُغنى به بالأندلس: ¹ [الكامل]
فذر العقيق² مجانباً لعقوقه
أفق محلى بالقواضب⁴ والقنا
حجبوك إلا من توهم خاطري
والقارظان⁵ جميل صبري والكري

1 - المقرئ، النفع، 50/5.

2 - العقيق: وادٍ بالحجاز كأنه عَقُّ أي شَقٌّ، غلبت الصفة عليه غلبة الاسم. ابن منظور، لسان العرب، مادة (ع ق) 255/10.

3 - العذيب: تصغير العذب وهو الماء الطيب، وهو ماء بين القادسية والمغيثة، بينه وبين القادسية أربعة أميال، وإلى المغيثة اثنان وثلاثون ميلاً، وقيل هو وادٍ لبني تميم وهو من منازل حاج الكوفة. ياقوت، معجم البلدان، 92/4.

4 - القواضب: وسيف قاضب وقضاب وقضابة ومقضب وقضيب: قطاع، وقيل: القضيب من السيوف اللطيف. ابن منظور، لسان العرب، مادة (قضب) 679/1.

5 - القارظان: ومن أمثالهم: لا يكون ذلك حتى يؤوب القارظان، وهما رجلان: أحدهما من عنزة والآخر عامر بن تميم بن يقدّم بن عنزة، خرجا ينتحيان القرظ ويجتنيانه فلم يرجعا، فضرب بهما المثل. ابن منظور، لسان العرب، مادة (قرظ) 455/7. القرظ: شجرٌ يُدبغُ به. ابن منظور، لسان العرب، مادة (قرظ) 454/7.

غناء شعر الحطيئة

(1)

ومن أصوات فاتن: ¹ [الطويل]

بِعَيْنَيْكَ مِنْ مَاءِ الشُّوْنِ وَكَيْفُ²
 دُمُوعِي وَأَصْحَابِي عَلَيَّ وَقُوفُ³
 وَإِنْ بَانَ حُبُّ بَالِنَوَى وَأَلَيْفُ³
 نَكِيبِ تَغَالَى فِي الزَّمَامِ خُوفُ

أَمِنْ رَسْمِ كَلِدٍ مَرْبَعٌ وَمَصِيفُ⁴
 تَذَكَّرْتُ فِيهَا الْجَهْلَ حَتَّى تَبَادَرْتُ⁴
 يَقُولُونَ هَلْ تَبْكِي مِنَ الشُّوقِ حَازِمُ⁴
 فَلَأَيًّا أَرَاكَ عَتَّيَ ذَاتُ مَنْسِمِ

غناء شعر ابن الدُمينة

(1)

ومن أصوات مُهَجَّة: ⁴ [الطويل]

لِي الْأَجْرُ فِي الْهَجْرَانِ مُنْذُ زَمَانِ
 عَلَى مَا بَنَا أَمْ نَحْنُ مُبْتَلِيَانِ

لَقَدْ كَانَ فِي الْهَجْرَانِ أَجْرٌ لَقَدْ مَضَى
 فَوَاللَّهِ مَا أُدْرِي أَكُلُّ ذَوِي الْهَوَى

¹ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطار، 191/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم

الجامعة الأردنية، الديوان، 166-168.

² - الديوان، 166:

لِعَيْنَيْكَ مِنْ مَاءِ الشُّوْنِ وَكَيْفُ

أَمِنْ رَسْمِ دَارٍ مَرْبَعٌ وَمَصِيفُ

³ - الديوان، 168:

تَخَلَّى إِلَى ذَاتِ الْإِلَهِ حَنِيفُ

يَقُولُونَ هَلْ يَبْكِي مِنَ الشُّوقِ حَازِمُ

⁴ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطار، 190/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم

الجامعة الأردنية.

غناء شعر أبي دهب الجمحي

(1)

ومن أصوات بهجة¹ : [الطويل]

وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُهَا لَا أُعْرَجُ²
وَمِنْ آيَةِ الْهَجْرِ الْحَدِيثِ الْمُلْجَجِ

وَإِنِّي لَمَحْزُونٌ عَشِيَّةَ جِئْتُهَا
فَلَمَّا التَّقِيْنَا لَجَجْتُ فِي حَدِيثِهَا

غناء شعر ذي الرمة

(1)

ومن أصوات مهجة³ : [الطويل]

وَأَنْتَ امْرُؤٌ قَدْ حَكَمْتَكَ الْعَشَائِرُ
عَلَى ذَاكَ إِلَّا جَوْلَةَ الدَّمْعِ صَابِرُ
لَكَ الدَّهْرُ مِنْ أُحْدُوثَةِ النَّفْسِ ذَاكِرُ
مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا اعْتَادَنِي مِنْكَ زَائِرُ

أَفِي الدَّارِ تَبْكِي أَنْ تَحْمَلَ أَهْلَهَا
فَلَا ضَيْرَ أَنْ تَسْتَعِيرَ الْعَيْنُ إِنَّنِي
وَأَنْ لَا يَنِي يَا مَيِّ مِنْ دُونِ صُحْبَتِي
وَأَنْ لَا يَنَالَ الرَّكْبُ تَهْوِيمَ وَقَعَةٍ

¹ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبحار، 187/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم
الجامعة الأردنية، الديوان، 56-57.

² - الديوان، 56:

وَإِنِّي لَمَحْزُونٌ عَشِيَّةَ زُرْتُهَا وَكُنْتُ إِذَا مَا زُرْتُهَا لَا أُعْرَجُ
³ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبحار، 189-188/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم

الجامعة الأردنية، الديوان، 1015-1012/2.

(2)

ومن أصوات فاتن: ¹ [الطويل]

لَنَا حَنَّ قَلْبٍ بِالصَّبَابَةِ مُوَلِّعُ
 وَمَا لَلْفَتَى فِي دِمْنَةِ الدَّارِ مَجْزَعُ²
 بَلَقَطِ الحَصَى وَالخَطِّ فِي الأَرْضِ مُوَلِّعُ
 بِكَفِّي والغَرْبَانُ فِي الدَّارِ وَقَعُ

إِذَا حَانَ مِنْهَا بَعْدَ مَيِّ تَعَرُّضُ
 وَمَا يُرْجِعُ الدَّهْرُ الزَّمَانَ الَّذِي مَضَى
 عَشِيَّةَ مَالِي حِيلَةَ غَيْرِ أَنْبِي
 أَخْطُ وَأَمْحُو الخَطَّ ثُمَّ أَعْيِدْهُ

غناء شعر ابن الرومي

(1)

من أصوات عزيز: ³ [المجتث]

وَأَلَيْسَ فِي الحَقِّ رَيْبُ
 دُونَ العَوَاقِبِ غَيْبُ⁴
 شَبِيهَةٌ تُنَمِّشُ شَيْبُ⁵
 كَمْ جَرَّ نَفْعًا شَبِيبُ

تَأْمُلُ العَيْبِ عَيْبُ
 فَكُلُّ خَيْرٍ وَشَرٌّ
 وَإِنَّمَا كُتِلَ شَيْءٌ
 لَا تَحْقُقُ رَنَّ شَبِيبًا

¹ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 190/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم
 الجامعة الأردنية، الديوان، 720/2-721.

² - الديوان، 720/2:

وما يُرْجِعُ الوَجْدُ الزَّمَانَ الَّذِي مَضَى وما لَلْفَتَى فِي دِمْنَةِ الدَّارِ مَجْزَعُ
³ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 184/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم
 الجامعة الأردنية، الديوان، 135/1-136.

⁴ - الديوان، 135/1:

وَأَلَيْسَ فِي الحَقِّ رَيْبُ خَأْفَ العَوَاقِبِ غَيْبُ
 وَكُلُّ خَيْرٍ وَشَرٌّ
⁵ - الديوان، 135/1:

إِنْ يُمَسِّلُوا النَّاسُ عَنِّي سَابِيًا فَلَا سَابِيَةَ سَابِيُ

(2)

ومن أصوات عزيز: ¹ [الخفيف]

أَذْنَتِي أَيَّامُهُ بَانِقِضَابٍ²
بِمَشْيِبِ اللَّذَاتِ وَالْأَصْحَابِ³
مِنْ مُصَابِ شَبَابِهِ فَمُصَابِ
مَا بِهِ مَا بِهِ وَمَا بِي مَا بِي

يَا شَبَابُ وَأَيْنَ مِنِّي شَبَابِي
وَمُعَزٌّ عَنِ الشَّبَابِ مُؤَسٌّ
قُلْتُ لَمَّا انْتَحَى يَعْدُ أَسَاهُ
لَيْسَ تَأْسُو كُلُّومٌ غَيْرِي كُلُّومِي

(3)

ومن أصوات بهجة: ⁴ [مجزوء الرمل]

نِ وَفِي بُعْدِ الْمَنَالِ
رُةً بِالْمَاءِ الزُّلَالِ

يَا شَبِيهَ الْبَدْرِ فِي الْحُسْنِ
جُدُ فَقَدْ تَفَجَّرُ الصَّخْرُ

(4)

ومن أصوات مَهْجَة: ⁵ [الطويل]

وَأَشْرِبُهَا صِرْفًا وَإِنْ لَمْ لُومٌ
وَفَتُّ لِي وَرَأْسِي بِالْمَشْيِبِ مُعَمَّمٌ
وَقَدْ بَخَلْتُ بِالْوَصْلِ تَكْنَى وَتَكْتُمُ

سَأَعْرِضُ عَمَّا أَعْرَضَ الدَّهْرُ دُونَهُ
فَإِنِّي رَأَيْتُ الْكَأْسَ يَا سَلْمُ خُلَّةً
وَصَلَّتْ فَلَمْ تَبْخَلْ عَلَيَّ بِوَصْلِهَا

¹ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبحار، 184/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم
الجامعة الأردنية، الديوان، 388/1-389.

² - الديوان، 388/1:

أَذْنَتِي حِبَالُهُ بَانِقِضَابِ

يَا شَبَابِي وَأَيْنَ مِنِّي شَبَابِي

³ - الديوان، 389/1:

بِمَشْيِبِ اللَّذَاتِ وَالْأَتْرَابِ

وَمُعَزٌّ عَنِ الشَّبَابِ مُؤَسٌّ

⁴ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبحار، 186/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم
الجامعة الأردنية، الديوان، 97/5.

⁵ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبحار، 188/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم
الجامعة الأردنية، الأبيات موجودة في الديوان، 279/5 (1).

وَمِنْ صَارِمِ اللَّذَاتِ إِنْ خَانَ بَعْضُهَا لِيُرْغَمَ دَهْرًا سَاءَةً فَهَوَ أَرْغَمُ

غناء شعر الصُّمة بن عبد الله القشيري

(1)

ومن أصوات رغد: ¹

تغَنّ بِرِيَّاءِ ابْنِ سَعْدٍ فَإِنَّمَا غِنَاءٌ يَظُلُّ الْجُودُ مِنْهُ كَأَنَّمَا
تُلَامُ عَلَى الصَّمْتِ النَّسَاءِ الْحَرَائِرُ عَلَى رَأْسِهَا مِنْ سُورَةِ السَّرِّ طَائِرُ

غناء شعر الصنوبري

(1)

ومن أصوات رغد: ² [المنسرح]

لَا النَّوْمُ أَدْرِي بِهِ وَلَا الْأَرْقُ يَدْرِي بِهِذِينَ مَنْ بِهِ رَمَقُ
إِنَّ دَمَوْعِي مِنْ طَوْلِ مَا اسْتَبَقْتُ كَلَّمْتُ فَمَا تَسْتَطِيعُ تَسْتَبِقُ
وَلِي مَلِيكَ لَمْ تَبْدُ صَوْرَتُهُ مُذْ كَانَ إِلَّا صَلَّتْ لَهَا الْحَدَقُ
نَوَيْتُ تَقْبِيلَ نَارٍ وَجَنَّتِيهِ وَخَفْتُ أَدْنُو مِنْهَا فَأَحْتَرِقُ

¹ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 193/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية.

² - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 193/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الديوان، 369.

غناء شعر العباس بن الأحنف

(1)

سمع ابن حزم جارية تغني أبياتاً لعباس بن الأحنف، فقالت : ¹ [البسيط]

إني طرّبتُ إلى شمسٍ إذا غربتُ
شمسٌ ممثلةٌ في خلقٍ جارية
ليست من الإنس إلا في مناسبة
فالوجهُ جوهرةٌ والجسمُ عبهرة
كأنها حين تخطو في مجاسدها
كانت مغاربهها جوفَ المقاصيرِ
كان أعطفها طي الطواميرِ
ولا من الجن إلا في التصاويرِ
والريحُ عبهرةٌ والكُلُّ من نورٍ
تخطو على البيض أو حدّ القواريرِ

(2)

ومن أصوات سَعْدِي : ² [السّريع]

إنّ التي هامتُ بها النفسُ
كانت إذا ما جاءها المبتلى
وإبّ أبي الوجه المايح الذي
إن تكُن الحمى أضرتُ به
عاودها من سُقمها نُكسُ
أبرأه من كفها اللّمسُ
قد عَشَقْتَهُ الجنُّ والإنسُ
فربّما تتكسِفُ الشمسُ

(3)

ومن أصوات عزيز : ³ [المنسرح]

كان رحيلي من أرضكم عجباً
من قبل أن أعرض الفراق على
وحادثاً من حوادث الزمن
قلبي وأن أسعد للحرزن

¹ - ابن حزم، رسائله، 249/1 - 251.

² - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 200/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم
الجامعة الأردنية، الديوان، 160-161.

³ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 186/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم
الجامعة الأردنية، الديوان، 264.

غناء شعر عروة بن حزام

(1)

ومن أصوات بهجة: ¹ [الطويل]

وإني لتعروني لذكراك هزّة
وما هو إلا أن أراها فجاءةً
وأطرفُ عن رأيي الذي كنتُ أرتأي
ويظهرُ قلبي عُذرها ويعينها
وقد علمت نفسي مكان شفافها
لئن كان بردُ الماء أبيضَ صافياً
لها بين جدي والعظام ديبٌ²
فأبّهتُ حتى ما أكادُ أجيبٌ³
وأنسى الذي أعددتُ حين تغيبٌ⁴
عليّ فما لي في الفؤاد نصيبٌ
قريباً وهل ما لا يُنالُ قريبٌ
إليّ حبيباً إنها لحبيبٌ⁵

¹ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطار، 187/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم
الجامعة الأردنية، الأصبهاني، الأغانبي، 310/23 .

² - الأصبهاني، الأغانبي، 310/23.

وإني لتعشاني لذكراك هزّة
³ - الأصبهاني، الأغانبي، 250/4.

⁴ - الأصبهاني، الأغانبي، 310/23.

وأنسى الذي أزمعتُ حين تغيبُ
⁵ - الأصبهاني، الأغانبي، 310/23.

إليّ حبيباً إنها لحبيبٌ
لئن كان بردُ الماء حرّانَ صادياً

غناء شعر عمر بن أحمد الباهي

(1)

ومن أصوات رَدَّاح: ¹ [البسيط]

فلا خيالَ ولا عهدَ ولا طَلَّالُ
أم يَسْتَمِرُّ فيأتي دُونَهُ الأَجَلُ

شَطَّ المَزارُ بحذوي وانتهى الأَمَلُ
ألا رجاءَ فَمَنا نَدْرِي نُدرِكُهُ

غناء شعر عمر بن أبي ربيعة

(1)

ومن أصوات رَغْد: ² [الطويل]

إلى حَاجَةٍ مَالَتْ بهنَّ الرِّوَادِفُ
بقايا اللُّباناتِ الدُّمُوعُ الذَّوَارِفُ
كَأني يُعَانِيتُني مِنَ الجِنِّ طَائِفُ³
على حذرِ الأعداءِ للقلبِ شاغِفُ

إذا قُمْنَ أو حاولنَ مَشياً تَأطُرًا
فلَمَّا هَمَمْنَا بالتَّفَرُّقِ أعجَلتُ
فأتبعتُهُنَّ الطَّرْفَ مُتَبِّلَ الهَوَى
وَكُلُّ الذي قَد قُلْتُ يومًا لقيتُكُمْ

¹ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطار، 198/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية.

² - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطار، 192/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم الجامعة الأردنية، الديوان، 133.

³ - الديوان، 133:

فأتبعتُهُنَّ الطَّرْفَ مُتَبِّلَ الهَوَى كَأني يُعَانِيتُني مِنَ الجِنِّ خَاطِفُ

غناء شعر الفرزدق

(1)

ومن أصوات مُهَجَّة: ¹ [الوافر]

دُمُوعاً غَيْرَ رَاقِيَةِ السَّجَّامِ²
وَجِيرَانٍ لَنَا كَانُوا كِرَامِ³
وَمَا بَعْدَ الْمَدَامِ مَن مَّامِ

وَقَالُوا إِن فَعَلْتِ فَأَغْنِ عَنَّا
وَكَيْفَ إِذَا رَأَيْتِ دِيَارَ قَوْمِي
أُكْفِكِ عِبْرَةَ الْعَيْنَيْنِ مِنِّي

غناء شعر أبي الفضل بن حسداي

(1)

من أصوات جوارى المُقْتَدِرِ بالله: ⁴ [البسيط]

بَانَتْ وَمَا قُضِيَتْ مِنْهَا لُبَانَاتُ
مِنَ الْأُمُورِ فِي الْأَوْهَامِ رَاحَاتُ
هَبَّ النَّسِيمُ فَقَدْ تَهْدَى تَحِيَّاتُ
دَهْرًا وَقَدْ بَقِيَتْ فِي النَّفْسِ حَاجَاتُ
عُنْبَى فَنُبْلَغُ أَوْطَارًا وَلَذَاتُ
فَرَبَّمَا صَدَقَتْ تِلْكَ الْمَنَامَاتُ

عَهْدُ اللَّبْنَى تَقَاضَتْهُ الْأَمَانَاتُ
يُدْنِي التَّوَهُّمُ لِلْمُشْتَاقِ مُنْتَزِحَاتُ
تُقْضَى عِدَاتُ إِذَا دَبَّ الْكَرَى وَإِذَا
زُورٌ يُعَلَّلُ قَلْبُ الْمُسْتَهَامِ بِهِ
لَعَلَّ عُنْبَ اللَّيَالِي أَنْ يَعُودَ إِلَى
حَتَّى نَفُوزَ بِمَا جَادَ الْخِيَالُ بِهِ

¹ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطار، 189/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم

الجامعة الأردنية، الديوان، 290/2.

² - الديوان، 290/2:

دُمُوعاً غَيْرَ رَاقِيَةِ السَّجَّامِ

فَقَالُوا إِن فَعَلْتِ فَأَغْنِ عَنَّا

³ - الديوان، 290/2:

وَجِيرَانٍ لَنَا كَانُوا كِرَامِ

فَكَيْفَ إِذَا رَأَيْتِ دِيَارَ قَوْمِي

⁴ - ابن خاقان، فُلَانِدُ الْعَقِيَانِ، 546/2-547، المَقْرِي، النَّفْعِ، 172/2.

عليه من عنبر الأصداع لآمات
لكن وصلك إن واصلت جنات
بُدور تم وأيدي الشرب هالات
إلا لتحيا بها منا حشاشات
فخف إذ ملئت منها زجاجات

توريد خذك للأحداق لذات
نيران هجر كالعشاق نار لظى
كأنما الراح والراحات تحملها
حشاشة ما تركنا الماء يقتلها
قد كان في كأسها من قبلها تقل

غناء شعر القطامي

(1)

من أصوات بهجة: ¹ [البسيط]

وفي تفرقهم موتي وإقصادي²
حتى تصيدنا من كل مصطاد³
مواقع الماء من ذي الغلة الصادي⁴
من يتقين ولا مكنونه باد

بانوا فكانت حياتي في اجتماعهم
وفي الخدور غمامات برقن لنا
وهن ينبزن من قول يصبن به
يقتلنا بحديث ليس يعلمه

¹ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبحار، 187/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم

الجامعة الأردنية، الديوان، 80-81.

² - الديوان، 80:

وفي تفرقهم موتي وإقصادي

بانوا وكانت حياتي في اجتماعهم

³ - الديوان، 80 :

حتى تصيدنا من كل مصطاد

وفي الخدور غمامات برقن لنا

⁴ - الديوان، 81 :

من يتقين ولا مكنونه باد

يقتلنا بحديث ليس يعلمه

مواقع الماء من ذي الغلة الصادي

وهن ينبزن من قول يصبن به

(2)

ومن أصوات رعد: ¹ [البسيط]

وإن بليت وإن طالت بك الطول
بالغمز غيرهن الأعرص الأول
أو كالكتاب الذي قدمه البائل
حتى تغير دهر خائن خبل
إلا قليلاً ولا ذو خلة يصل
وللرواسم فيها بيننا عمل²
عين ولا حالة إلا ستنتقل³

إنما محيوك فاسلم أيها الطلل
إنني اهتديت لتسليم علي دمن
فهن كالخلل الموش ظاهرها
كانت منازل منقاد نحل بها
ليس الجديد به تبقى شاشته
أمست عليّة يرتاح الفواد لها
والعيش لا عيش إلا ما تقر به

غناء شعر قيس بن الخطيم

(1)

ومن أصوات رداح: ³ [الطويل]

لعمرة وحشاً غير موقوف راكب
تحل بنا لولا نجاؤ الركائب
بدا حاجب منها وضنت بحاجب⁴

أتعرف رسماً كاطراد المذاهب
ديار التي كادت ونحن على منى
تبدى لنا كالشمس تحت غمامة

¹ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطار، 193/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم
الجامعة الأردنية، الديوان، 23-25.

² - الديوان، 24-25.

³ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطار، 198/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم
الجامعة الأردنية، الديوان، 76-80.

⁴ - الديوان، 80:

تبدت لنا كالشمس تحت غمامة
بدا حاجب منها وضنت بحاجب

وَعَهْدِي بِهَا عَذْرَاءَ ذَاتِ ذَوَائِبِ

وَلَمْ أَرَهَا إِلَّا ثَلَاثًا عَلَى مَنِيٍّ

غناء شعر مجهول

(1)

سمع ابن حزم جارية تغني أبياتاً قديمة: ¹ [الوافر]

كَشَمْسٍ قَدْ تَجَلَّتْ مِنْ غَمَامِ
وَقَدَّ الْغُصْنِ فِي حُسْنِ الْقَوَامِ
لَهُ وَذَلَّلْتُ نِلَّةَ مُسْتَهَامِ
فَمَا أَهْوَى وَصَالًا فِي حَرَامِ

غَزَالٌ قَدْ حَكَى بَدْرَ التَّمَامِ
سَبَى قَلْبِي بِالْحَاظِ مِرَاضِ
خَضَعْتُ خُضُوعَ صَبِّ مُسْتَكِينِ
فَصَلِّبِي يَا فَدَيْتَكَ فِي حَلَالِ

غناء شعر مجهول

(1)

أنشدت جارية مرابطية أمام المعتمد فقالت: ² [الكامل]

وَأَوَّأَ عَمَائِمَهُمْ عَلَى الْأَقْمَارِ
أَمْضَى إِذَا انْتَضَيْتِ مِنَ الْأَقْدَارِ
أَوْ أَمَّنَّوْكَ حَلَّاتِ دَارِ قَرَارِ

حَمَلُوا قُلُوبَ الْأَسَدِ بَيْنَ ضُلُوعِهِمْ
وَتَقَلَّدُوا يَوْمَ الْوَعَى هِنْدِيَّةً
إِنْ خَوْفُوكَ لَقَيْتَ كُلَّ كَرِيهَةٍ

¹ - ابن حزم، رسائله، 135/1.

² - المقرئ، النفع، 51/6.

غناء شعر مجهول

(1)

سمع محمد بن أبي عيسى جارية تغني قائلة: ¹ [الكامل]

طَابَتْ بِطَيْبِ لثَاتِكَ الْأَقْدَاخُ	وَزَهَتْ بِحَمْرَةِ خَدِكَ التَّفَاحُ
وَإِذَا الرِّبِيْعُ تَسَمَّتْ أرواحُهُ	طَابَتْ بِطَيْبِ نَسِيمِكَ الْأرواحُ
وَإِذَا الحِنَادِسُ أَلْبَسَتْ ظَلْمَاءَهَا	فَضِيَاءُ وَجْهِكَ فِي الدُّجَى الْمِصْبَاحُ

غناء شعر مجهول

(1)

ومن أصوات رَدَاح: ² [الطَّوِيل]

إِذَا مَا كَتَمْنَا الحُبَّ نَمَّتْ عِيُونُنَا	عَلَيْنَا وَأَبْدَتْهُ العُيُونُ السَّوَاكِبُ
وَإِنْ نَحْنُ أَخْفَيْنَا ضَمَائِرَ حُبِّنَا	أَشَارَتْ بِتَسْلِيمِ عَلَيْنَا الحَوَاجِبُ

1- الحميدي، جَذْوَةُ الْمُقْتَبِسِ، 126/1، ابن خاقان، مطمع الأنفوس، 261-262، الضبي، بُغْيَةَ

المُلْتَمَسِ، 111، المقرئ، النَّفْعِ، 233/2، 106/5-107

2- ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 198/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم

الجامعة الأردنية.

غناء شعر مسلم بن الوليد

(1)

ومن أصوات عزيز: ¹ [الطويل]

فَسِيحٌ وَأَبَى الشُّحِ إِلَّا عَلَى عَرِضٍ²
ولكن أساءت شيمةً من فتى محض
لكالمبتغي زبداً من الماء بالمحض

وإني لأستحيي القنوع ومذهبي
وما كان مثلي يعتريك رجاؤه
وإني وإشرافي عليك بهمتي

غناء شعر المعتمد بن عباد

(1)

ومن أصوات سعادى: ³ [البسيط]

وما أحاذرُهُ مِنْ قَوْلِ حُرَّاسٍ
مَشِيًّا عَلَى الْوَجْهِ أَوْ سَعِيًّا عَلَى الرَّاسِ⁴

لولا عيون من الواشين ترمقني
لزررتكم لا أكافيكم بجفوتكم

¹ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطار، 184/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم
الجامعة الأردنية، الديوان، 45.

² - الديوان، 45:

وإني لأستحيي السؤال ومذهبي عريضٌ وأبى الشُّحِ إِلَّا عَلَى عَرِضِ

³ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطار، 199/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم
الجامعة الأردنية، الديوان، 58.

⁴ - الديوان، 58:

لزررتكم لا أكافيكم بجفوتكم مَشِيًّا عَلَى الْوَجْهِ أَوْ حَبْوًّا عَلَى الرَّاسِ

(2)

ومما يُغنى من شعر المُعتمَد: ¹ [الطَّويل]

ألا غَفَرَ الرَّحْمَنُ ذَنْباً تَوَاقَعَهُ
وبَدَرَ تَمَامٍ فِي جُفُونِي مَطَالَعَهُ
من الظَّلَمِ لِمَ تُحْظَرُ عَلَيَّ شَرَائِعَهُ
عَلَى مُعْتَقِيهَا أَوْ عَدَواً تُقَارِعُهُ

تَظُنُّ بِنَا أُمَّ الرَّبِّيعِ سَامَةً
أَهْجُرُ ظَلِيماً فِي ضُلُوعِي كِنَاسُهُ
ورَوْضَةً حُسْنٍ أَجْتَنِّيهَا وَبَارِداً
إِذَا عَدِمْتُ كَفِّي نَوَالاً تَفِيضُهُ

(3)

ومن أصوات سُعدى: ² [الكامل]

حَتَّى تَبَدَّى لِلنَّوَاطِرِ مُكَلِّمًا
مَنِّي يَدُ الْإِصْبَاحِ تَلْكَ الْأَنْجُمَا

سَايَرْتُهُمُ وَاللَّيْلُ غُفْلٌ ثَوْبُهُ
فَوْقَ قَفَّتِ ثُمَّ مَوْدَعَاً وَتَسَلَّمَتْ

غناء شعر نصيب بن رباح

(1)

ومن أصوات عزيز: ³ [الطَّويل]

وَقُلْ إِنْ تَمَلَّيْنَا فَمَا مَلَّكَ الْقَلْبُ
فَمَا فَوْقَ مَا لَاقَيْتُ مِنْ حُبِّكُمْ حُبٌّ⁴
عِتَابُكَ إِنْ عَاتَبْتَ فِيمَا لَهُ عَتَبُ

بَزَيْنَبَ أَلَمِّمْ قَبْلَ أَنْ يَرَحَلَ الرَّكْبُ
وَقُلْ إِنْ أَنْلَ بِالْحُبِّ مِنْهَا مَوْدَةً
وَقُلْ فِي تَجَنُّبِهَا لَكَ الذَّنْبُ إِنَّمَا

¹ - الديوان، 20.

² - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 200/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم
الجامعة الأردنية، الديوان، 26.

³ - ابن فضل الله العمري، مسالك الأبطال، 186/10، رقم المخطوط 3423، ميكروفيلم
الجامعة الأردنية، الديوان، 60.

⁴ - الديوان، 60:

فلا مثل ما لاقيت من حُبِّكم حُبُّ

وَقُلْ إِنْ نَلَّ بِالْوَدِّ مِنْكَ مَحَبَّةً

لذِي وُدِّهِ ذَنْبٌ وَلَيْسَ لَهُ ذَنْبٌ

فَمَنْ شَاءَ رَامَ الْوَصْلَ أَوْ قَالَ ظَالِمًا

الموشحات

موشح ابن باجة

(1)

غنت بعض قيان ابن تيفلويت موشحاً لأبي بكر بن باجة أوله: ¹

جرر الذيل أيمًا جرّ وصل الشكر منك بالشكر

وآخره قوله: ²

عقد الله راية النصر لأمير العلاء أبي بكر

موشح أبي الحسن بن نزار

(1)

طلب أبو الحسن بن نزار من جارية أن تغني موشحته التي أولها: ³

نازعك البدر الليّاح بننت الـدنان
 فلم يدع لك اقتراح على الزمان
 يا هل أقول للحسود والعيس تُخدي
 يا لا ثمي على السراح كانت أماني
 أخرجها ذاك السماخ إلى العيان

¹ - ابن خلدون، المُقَدِّمة، 584/1، المقرّي، أزهار الرياض، 209/2، النّفْع، 233/9.

² - ابن خلدون، المُقَدِّمة، 584/1، المقرّي، أزهار الرياض، 209/2، النّفْع، 233/9.

³ - المقرّي، النّفْع، 42/5.

موشح عمر بن عبد الله

(1)

من الموشحات المشهورة التي يُغنى بها في الأقطار: ¹

حُـسَّانَةٌ رَخِيمَةٌ عَانَقَتْ مِنْهَا الْبَانَةَ
وَالنَّقَى الرَّجْرَجُ ² وَأَشْـوَقِي لِحُـسَّانِهِ

1 - ابن سعيد، الغصون اليبانة، 93.

2 - الرجراج: الضعيفة. ابن منظور، لسان العرب، مادة (رجج) 2/ 281.

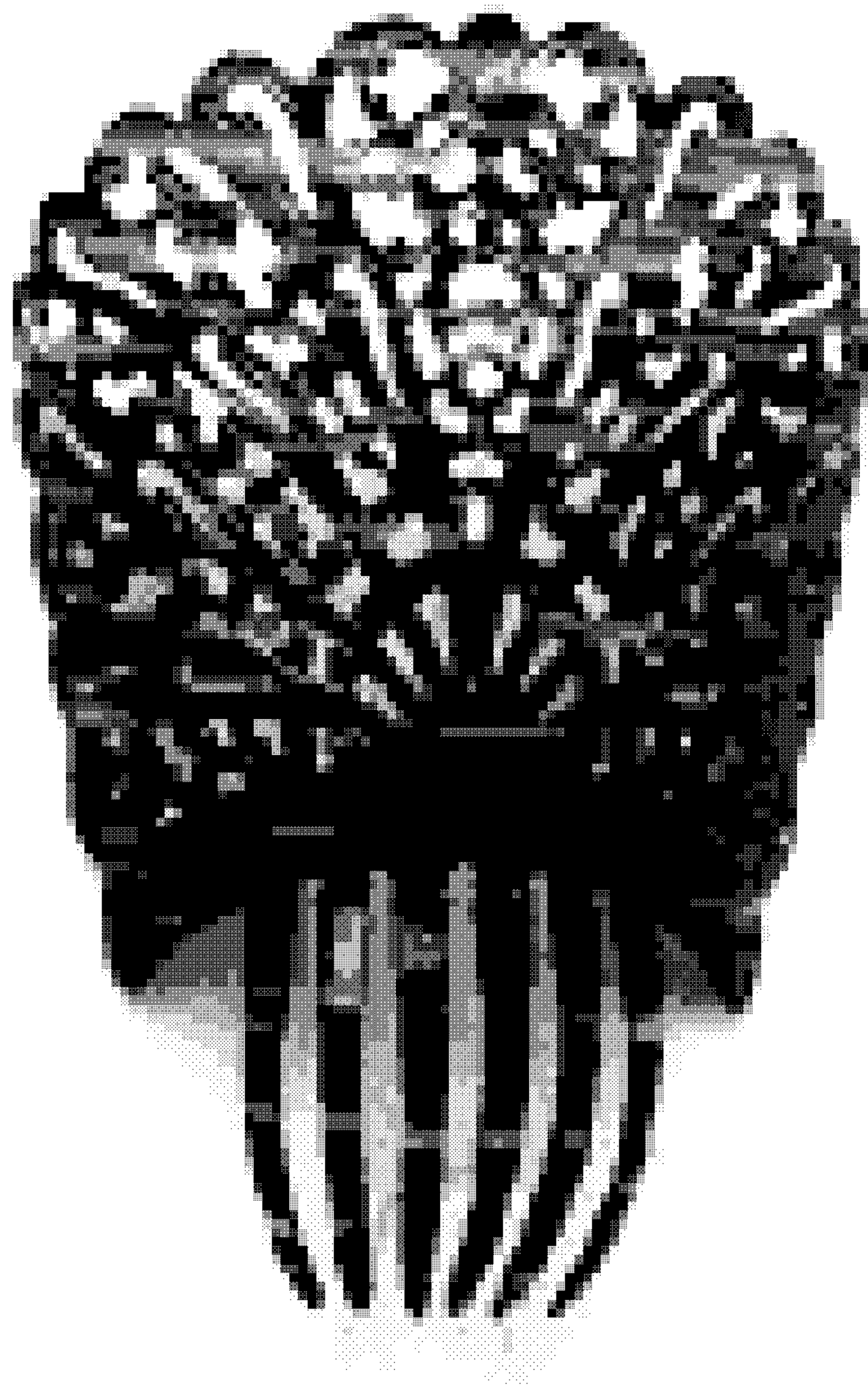
ملحق الصور



صورة 1: صورة لراقصة وراقص فلامنجو يحركان أصابعهما بأشكال انسيابية مختلفة.



صورة 2: صورة لراقصات فلامنجو بملابسهن الطويلة المزركشة متعددة الألوان.



صورة 3: صورة تاج صغير من التيجان التي تضعها بعض راقصات الفلامنجو.



صورة 4: صورة راقصة فلامنجو تحمل مروحة لزيادة التشبه بالطاووس.

الفهارس

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن

فهرس إحصائيات موضوعات الشعر

فهرس الأعلام

- (أ)
- ابن الأبار 52، 54، 55، 57، 64، 182.
- إبان بن عبد الله 10.
- إبراهيم بن حجاج اللخمي 55، 186، 195، 209، 329.
- إبراهيم بن محمد 183، 184.
- إبراهيم العكش 62.
- أثل 9.
- إحسان عباس 98، 99، 120، 214.
- أحمد بن زرياب 210.
- أحمد بن نعيم 253.
- أزهر 259، 278.
- إسماعيل بن بدر 141، 316.
- إسماعيل بن فرج الأحمر 11، 37، 78، 79، 80.
- أسيماء 127، 283.
- إشراق السويدي 52، 53، 59، 60.
- اعتماد الرميكية 8، 11، 36، 37، 46، 47، 65، 68، 71، 95، 118، 117، 142، 144، 166، 295، 304، 305، 306، 307، 325.
- الأعمى التطيلي 141، 254.
- ألفونسو السادس 81.
- امرؤ القيس 196، 236.
- أمية بن عبد العزيز الداني 108، 162، 207، 257.
- أميمة الكاتبة 82.
- أنس القلوب 27، 42، 65، 178، 179، 180، 181، 182، 192، 193، 196، 197، 198، 309، 323.
- أورورا (انظر صُبْح البَشْكَسِيَّة)
- إيزابيلا (ثريا)
- (ب)
- ابن باجة 205، 206، 207، 214، 215، 217، 249، 354.
- بُثَيْبَة (محظية أبي الحجاج بن نصر) 11، 37، 78.
- بُثَيْبَة بنت المعتمد 190، 191، 193، 194، 198، 323.
- البحثري 215، 220، 224، 245، 334.
- بدعة 161، 172، 294.
- البرميخو 73، 78، 79، 80.
- بزيعه 178، 183، 184، 196، 199، 324.
- ابن بستام 90، 111، 118، 119، 258.
- بشر بن حبيب 10، 12، 53.
- ابن بشكوال 56.
- ابن بطال 110، 111، 166، 171، 259.
- ابن بقنة 15.
- أبو بكر الزبيدي 115، 116، 157، 164، 260.
- أبو بكر بن عبد الرحمن 40.
- أبو بكر بن نصر 261.
- البلنوبي 130، 169، 171، 261.
- ابن بليطة 128، 262.
- بنفسج بنت المنصور 66.
- بهار بنت المنصور 66.
- بَهْجَة 33، 212، 216، 220، 221، 224، 226، 234، 236، 238، 239، 240، 241، 243، 245، 247، 334، 339، 341، 344، 347.
- (ت)
- تاشفين الموسوس 148، 299.
- تاشفين بن علي بن يوسف 204.
- تجني 162، 258.

- الحرّاني 75.
- ابن حريق 46، 47.
- ابن حزم 18، 25، 26، 27، 28، 30، 31، 38، 40، 41، 42، 43، 91، 108، 109، 153، 155، 156، 158، 164، 166، 180، 196، 198، 218، 219، 227، 264، 309، 323، 343، 349.
- ابن حسداي 39، 207، 214، 346.
- حُسْنُ الوَرْدِ 118، 119، 120، 169، 259، 278، 279، 296.
- حسن بن زرياب 210.
- أبو الحسن بن نزار 72، 318، 354.
- أبو الحسن النصري 37، 65.
- الحسين بن علي بن أبي طالب 151.
- الحطيئة 215، 223، 235، 338.
- أبو حفص عمر بن قلهيل 210.
- الحكم المُسْتَصِر 8، 10، 27، 29، 36، 52، 53، 57، 61، 62، 70.
- الحكم بن هشام 9، 33، 39، 63، 105، 106، 161، 203، 208، 209، 213، 215، 216، 217، 218، 220، 266.
- حلاوة 9.
- حمدونة 210، 211.
- ابن حمديس 106، 107، 121، 210، 211، 123، 126، 130، 131، 132، 133، 136، 155، 156، 161، 164، 167، 170، 172، 267.
- الحميدي 181.
- الحميري 45.
- حوراء 9، 10.
- ابن حيان 45، 70.
- تَفْتِير 143، 269، 300.
- أبو تمام 217، 221، 231، 237، 244، 334.
- تهتز 9.
- توبة بن الحمير 215، 220، 221، 229، 238، 240، 246، 335.
- تيفلويت 206، 214، 354.
- (ث)
- ثريّا 37، 65، 66.
- (ج)
- ابن الجبار الكموني 138.
- ابن جبير 120، 262.
- جريس 215، 217، 230، 238، 241، 245، 336.
- جعفر بن زرياب 210، 211.
- أبو جعفر بن سعيد 14.
- جعفر المصحفي 76.
- جوهرة 36، 121، 122، 123، 124، 140، 145، 167، 242، 268، 269، 271، 272، 304، 305، 306.
- ابن الجياب 156، 163، 169، 263.
- جيجان 64، 117، 280.
- (ح)
- حبيب بن الوليد 53.
- أبو الحجاج بن نصر 11، 37، 73، 78.
- أبو الحجاج يوسف الثالث بن يوسف الثاني 179، 184، 187.
- ابن الحداد 38، 214، 217، 337.

الرَّمَادِي 24، 38، 276.
الرُّمَيْكِيَّة (انظر اعتماد)
ابن الرُّومِيّ 215، 216، 233، 241، 243،
245، 246، 340.
رَيْحَانَةٌ 58، 59، 65.
الرَّيْسُونِي 62.

(ز)

زاد المال 14، 15، 320.
زبيدة 94.
الزبير المثلث 144.
زُخْرَف 9.
زرياب 54، 55، 63، 182، 183، 202، 203،
207، 209، 210، 211، 212، 213، 214،
288.
زمرّد 60، 65.
ابن زُهر 163، 318.
الزُّهْرَاء 36، 66، 96، 97، 98.
ابن زيدون 178، 277، 326، 327.

(س)

سِحْر 36، 140، 151، 155، 304، 308.
ابن السَّراج المالقي 118، 119، 162، 278،
279.
سَعَاد 13.
سعد شلبي 81، 121، 123.
سُعدى 214، 215، 218، 227، 242، 243،
343، 351، 352.
ابن سعيد 76، 168، 174، 281.
سعيد الخير بن الحكم 12.
سعيد بن جودي 64، 117، 146، 159، 280.
بنت سكري المورورية 11، 64.
ابن سكن 154، 167، 281.

(خ)

ابن خاقان 181.
ابن أبي الخصال 130، 133، 134، 271.
ابن خفاجة 112، 113، 157، 272.
خلف 41.
خُلَّةٌ 12، 13، 245، 341.
خُلُوَّةٌ 38، 277.

(د)

دُر 10.
ابن درّاج القسطلي 121، 124، 125، 273.
ابن الدُّمينة 216، 230، 338.
أبو دَهْبَل الجُمحي 216، 240، 339.

(ذ)

الذَّنْفَاء 77.
ذَهَب 14.
ذو الرُّمَّة 215، 217، 218، 225، 236،
238، 339.

(ر)

راح 9.
راضية 47، 56.
أم الرُّبَيْع (انظر اعتماد)
رَدَّاح 32، 33، 216، 219، 220، 221،
225، 226، 229، 238، 240، 241، 246،
335، 345، 348، 350.
الرَّسُول الكريم 30، 51.
ابن رشيق 125، 159.
الرَّصَافِي 52.
رَغْد 35، 230، 234، 235، 236، 237،
325، 336، 342، 345، 348.

(ط)
 طارق بن زياد 6، 7، 19، 66.
 الطاهر أحمد مكي 4، 5، 66.
 طَرَب 63، 65، 60، 310.
 طَرُوب 10، 35، 66، 69، 70، 74، 75، 76،
 79، 95، 99، 114، 115، 289، 290.
 ابن طفيل 122، 124، 204، 285.
 ابن الطُّوبى 130، 135، 136، 137، 171،
 285.

(ظ)

ظَبِيَّة 10.

(ع)

عابدة المدنيَّة 12، 53، 65.
 عاتب 10.
 عاج 116، 117، 311.
 أبو عامر بن يَنق (انظر ابن يَنق)
 عبادة بن ماء السماء 138، 170، 286.
 العباديَّة 11، 36، 58، 59، 199، 303، 326.
 عباس بن فرناس 207.
 أبو العباس المرواني 13، 91.
 العباس بن الأحنف 156، 215، 219، 227،
 235، 242، 343.
 ابن عبد البر 287.
 ابن عبد ربّه 164، 288.
 عبد الرحمن الأوسط (انظر عبد الرحمن بن
 الحكم)
 عبد الرحمن بن الحكم 8، 9، 32، 33، 35، 51،
 54، 56، 63، 69، 70، 74، 75، 94، 95،
 99، 114، 115، 158، 160، 172، 182، 183،
 198، 213، 214، 225، 224، 223، 222، 226،
 229، 232، 260، 289، 330.

السلطانة الكبرى (انظر مَرْجان)
 سلمى (جارية أبي بكر الزبيدي الإشبيلي) 115،
 116، 123، 228، 242.
 سليم مولى المغيرة بن الحكم 208، 212، 213.
 سليمان المستعين 10، 168، 282.
 السيد عبد العزيز سالم 97.
 السيدة الكبرى (انظر اعتماد)

(ش)

شأن 10.

شانجة بن ألفونس 81.

شاه جاهان 98.

الشريف الطليق 41.

ابن شريف النفري 283.

شُعاع 66، 100.

الشفاء 8، 35، 66، 95، 100.

ابن الشمر (انظر عبد الله بن الشمر)

شنجول 77.

ابن شهيد 92، 125، 126، 127، 128، 147،

148، 283، 284، 310.

الشيبياني 55، 65.

(ص)

صُبْح البَشْكَنْسِيَّة 8، 10، 27، 36، 47، 65،

66، 69، 71، 76، 77، 79، 80، 95، 121،

124، 125، 273، 276.

صُبْح الرُّومِيَّة 52، 168، 174.

الصُّمَّة القشيري 216، 342.

الصُّنُوبري 215، 230، 237، 245، 342.

(ض)

الضبي 181.

- عبد الرحمن الداخل 7، 8، 9، 54، 92، 203، 208، 212.
- عبد الرحمن بن زرياب 210، 211.
- عبد الرحمن المستظهر 215، 216، 219، 220، 221.
- عبد الرحمن المستكفي 10.
- عبد الرحمن الناصر (انظر الناصر)
- عبد العزيز المريني 93.
- عبد الله بن الشَّمر 290.
- عبد الله بن عبد الرحمن 10، 70، 74، 79.
- عبد الله بن محمد 10، 55، 64، 117، 203.
- عبد الله عفيفي 97، 190.
- عبد الله بن المنذر 209.
- عبد الملك بن رزين 89، 90، 91.
- عبد الملك بن زيادة الله 18.
- ابن عبد المنعم الصَّقلي 292.
- عبد المولى اللوشي 292.
- عبد الواحد المرَّاكشي 50، 61، 78.
- عبدة أم شنجول 77.
- عبيد الله بن زرياب 210، 211.
- عبيد الله بن يحيى 33.
- عبيدة بن عبد الرحمن 92.
- عبيدس 159، 280.
- عُتْبة 178، 182، 194، 327.
- أبو عثمان السَّرْقُسطي 109، 293.
- عثمان بن عفان 123.
- عثمان بن محمد 183، 184.
- عَجَب 82.
- عجفاء 53، 65، 203، 208، 212.
- ابن عَدَّاري 31، 76، 77.
- عُرْوَة بن حزام 215، 221، 226، 240، 241، 344.
- عزّة 108، 258.
- عزیز 63، 212، 216، 220، 231، 232.
- 233، 235، 240، 327، 340، 341، 343.
- 351، 352.
- عشار 10.
- عَفْرَاء 43، 112، 157، 273.
- عقار 48.
- عقيل بن عطية 150، 161، 293.
- عَمَّ المدنيّة 54، 65، 208، 213، 214.
- علوة 11، 37.
- علي بن أبي الحسين 161، 172، 294.
- علي بن يوسف بن تاشفين 78، 133، 134، 201.
- عليّة 210، 211.
- ابن عَمَّار 36، 46، 71، 111، 112، 113، 118، 144، 294، 325، 326.
- عمر بن الخطَّاب 30.
- عمر بن أبي ربيعة 185، 215، 236، 239، 345.
- عمر بن أحمد الباهي 216، 219، 345.
- عمر بن عبد الله 319، 355.
- أبو عمرو المقرئ 59.
- (غ)
- غاية المني 57، 58، 64، 65، 328.
- غزلان 55، 211.
- ابن غلبون 52، 53، 59.
- ابن الغليظ 118، 119، 165، 169، 296.
- (ف)
- فاتن 63، 212، 223، 235، 236، 238، 239، 328، 338، 340.

- (ك)
- الفارابي 5.
- فاطمة بنت المنذر القرشية 29.
- فتحونة بنت جعفر 177.
- فَجْرُ 10.
- فَخْرُ 66، 75، 100.
- ابن الفراء 57، 382.
- فرحون 297.
- الفرزدق 33، 123، 216، 217، 236، 241، 346.
- ابن فَرْكُونُ 179، 184، 185، 187، 315.
- أبو الفضل الدارمي 158، 161، 162، 297.
- ابن فضل الله العمري 31، 208، 212، 213، 214، 217، 221، 232، 250.
- فضل المدنيّة 54، 65، 208، 213، 214.
- الفيروز آبادي 3.
- فينان 56.
- (ل)
- لب بن موسى 82.
- لبنى 57، 61.
- لذِيذَة 141، 254، 255، 256.
- لُعُوب 168، 313.
- لسان الدين ابن الخطيب 93، 148، 155، 164، 170، 299.
- ليفي بروفنسال 86.
- (م)
- ابن ماء السماء (انظر عبادة بن ماء السماء)
- ماريا النصرانيّة (انظر مزن)
- مالك بن أنس 53.
- مأمون بن المعتمد 81.
- مُتَعَة 63، 65، 66، 99، 100، 178، 179، 182، 183، 198، 211، 330.
- المتوكل على الله 34.
- مَجْدُ 66، 99.
- أم المَجْدُ 120.
- ابن محفوظ 160، 301.
- محمد بن أحمد الأنصاري 144.
- محمد جميل بيهم 62.
- محمد الخامس 73، 78، 79.
- (ق)
- قاسم بن أصبغ البياني 100.
- قاسم بن زرياب 210.
- أبو القاسم بن محمد بن المليح 205.
- قدريّة حسين 98.
- ابن قُزَمان 14، 91، 320.
- القطامي 215، 235، 238، 239، 347.
- قطر الندي 42.
- قَلَمُ البَشْكَسِيَّةِ 35، 51، 54، 55، 56، 65، 208، 213، 214.
- قَمَرُ (محظية إسماعيل بن فرج الأحمر) 11، 37.
- قَمَرُ المَشْرِقيّة 45، 55، 186، 188، 194، 195، 197، 209، 329.
- قُنْدُ 298.
- قيس بن الخطيم 214، 215، 216، 241، 348.

217، 218، 222، 227، 243، 249، 295،
 304، 312، 323، 325، 349، 351، 352،
 369.
 مغيث الرومي 80.
 أبو المغيرة بن حزم 27، 42، 43، 164، 180،
 196، 198، 309، 323.
 المغيرة بن الحكم 208، 212، 215، 216، 229
 المغيرة بن عبد الرحمن 35، 223، 224، 229.
 المقرئ 53، 54، 55، 59، 60، 96، 97، 98،
 181، 182، 211.
 أم الملوك (انظر اعتماد)
 ممتاز 98.
 مُنْتَهَى الْمُنَى 12.
 ابن المنخل 309.
 المنذر بن عبد الرحمن 63، 160، 310.
 المنذر بن محمد 9.
 المنصور بن أبي عامر 20، 27، 42، 43، 66،
 70، 76، 77، 79، 80، 90، 91، 92، 95،
 121، 124، 125، 126، 127، 146، 147،
 180، 181، 188، 196، 203، 276، 284،
 310، 323، 331.
 ابن منظور 2، 3، 5.
 مُهْجَةٌ 63، 65، 212، 215، 216، 217، 218،
 221، 225، 230، 231، 236، 237، 241،
 244، 334، 335، 336، 338، 339، 341،
 346.
 موسى بن عاصم 38.
 أم المؤيد (انظر صبح البشكنسيّة)
 مية 151، 302.

محمد بن زرياب 210.
 محمد صبحي أسعد أبو حسين 181، 182.
 محمد بن عبد الرحمن المستكفي 10.
 محمد بن أبي عيسى 228، 244، 350.
 محمد بن ميمون 152، 157، 302.
 محمد بن هشام المهدي 10، 82.
 مدثرة 35.
 مَرْجَان 10، 29، 47، 57، 70، 96، 99، 193،
 330.
 مهرجان (انظر مَرْجَان)
 ابن مردنيش 72، 73.
 مروان بن أحمد بن حدير 42 .
 مروان بن يحيى بن أحمد بن حدير 40.
 مريم 11، 37، 73، 78، 79.
 مُزَن 60، 65، 66.
 مُزَنَةٌ (محظية الناصر) 10.
 مُزَنَةٌ (محظية هشام المهدي) 10.
 مسلم بن الوليد 216، 232، 351.
 ابن مسلمة الشاطبي 59، 186، 187، 331.
 ابن مسلمة بن قاسم 177.
 مصابيح 210، 288.
 مصطفى الشكعة 66.
 أبو المطرف الزهري 165، 302.
 المظفر بن الأفطس 85.
 المظفر بن المنصور 61، 126، 127، 276.
 معاوية بن صالح 13.
 المعتصم بن صمادح 57، 64، 303.
 المعتضد 11، 36، 58، 90، 91، 94، 303.
 المعتمد بن عباد 8، 11، 26، 32، 36، 37،
 46، 65، 71، 81، 95، 90، 118، 140، 141،
 144، 160، 158، 151، 145، 164، 166، 167،
 190، 193، 194، 198، 204، 214، 215،

- (و)
 وائل أبو صالح 27، 30، 77، 78.
 ابن الوبة 162، 167، 291.
 وداد 36، 307، 308.
 أم الوفاء (انظر لذيذة)
 ولادة بنت المستكفي 12، 32، 178.
 أبو الوليد البطليوسي النحلي 312.
 أبو الوليد بن جهور 85.
 أبو الوليد بن يزيد بن عبد الملك 123.
 ابن وهبون 313.
- (ي)
 يحيى بن حريث 12.
 يحيى بن حكم الغزال 168، 313.
 يحيى بن زرياب 210.
 يحيى بن محمد 40.
 يخط الشوق (انظر نزهة)
 ابن ينق 149، 186، 187، 286.
 يوسف الفهري 13.
 يوسف بن هارون (انظر الرمادي)
- (ن)
 الناصر 10، 19، 29، 36، 47، 55، 56، 57،
 60، 62، 66، 70، 91، 92، 94، 95، 96،
 97، 98، 99.
 نرجس 66.
 نجم (انظر راضية)
 نجمة 169، 263.
 نزهة 131، 298.
 نزهة الوهبية 64.
 نسيم 311.
 نصيب بن رباح 216، 220، 240، 352.
 نصر الخصي 74، 79.
 نظام 61، 65.
 نعم 38، 107، 121، 264.
 نغمى 111، 112، 295.
- (هـ)
 هارون الرشيد 54.
 هاشم بن عبد العزيز 116، 117، 211، 311.
 هذيل بن خلف 58.
 هشام بن المغيرة 35.
 هشام المؤيد 10، 26، 61، 70، 76، 79، 80،
 82، 115، 116، 121.
 هشام بن عبد الرحمن الداخل 9.
 هشام بن عبد الملك 92، 234.
 هشام بن محمد المعتد 10.
 ابن همشك 311.
 هند 59، 149، 186، 187، 220، 286، 331.
 هنيذة 55، 211.
 ابن هود 20.

فهرس الأماكن

- (أ) أبْدَة 202، 205.
الإسكندرية 55.
إشْبِيلِيَّة 37، 71، 115، 116، 140، 188، 191، 204، 205، 228.
أَغْمَات 190.
أَقْرِيْطِش 34.
إلْبَيْرَة 88.
- (ب) بَرَبَشْتَر 20.
بَغْدَاد 54، 55، 94، 96، 183، 188، 211.
- (ج) الْجَزَيْرَة الْخَضْرَاء 7، 209.
جَلْبِيَّة 20، 85.
جَيَّان 39، 40.
- (ح) حَصْن أَرْنِيْط 82.
- (خ) خُرَاسَانَ 85.
- (س) سَرَقُسْطَة 206.
- (ش) شَنْبُوس 25.
- (ص) صِقْلِيَّة 129، 130.
- (غ) غَرْنَاطَة 60، 69، 79، 186، 188، 193، 194، 315، 332.
غَسْقُونِيَّة 86.
- (ف) فاس 79.
- (ق) قَرْطُبَة 4، 5، 20، 25، 27، 41، 50، 61، 64، 76، 80، 82، 84، 85، 94، 95، 96، 99، 100، 115، 116، 146، 188، 204، 209، 212.
قَشْتَالَة 81.
قَنَو 14، 15.
- (ل) لَنْكُوك 86.
- (م) مَالَقَة 17، 150، 202، 205، 228.
المَدِينَة الْمَنْوَرَة 51، 53، 54، 56.
الْمَرِيَّة 25، 59، 89.
مَوْزُور 11.
- (و) وادي آش 79.
وادي إِشْبِيلِيَّة 25.

فهرس إحصائيات
موضوعات الشعر

الجواري في الغزل

العصر	شعراء .ع	الشاعر	أسماء الجواري	مقطوعات .ع	ع. أبيات	نوع الشعر	البحر	القافية		
عصر الإمارة في جارتين	1	الحكم بن هشام الربضي	مجموعة جوار	1	4	مقطوعة	البسيط	النون		
			مجموعة جوار	2	2	نتفة	الخفيف	الذال		
		2	عبد الله بن الشمر	جارية	3	5	مقطوعة	الخفيف	الكاف	
				جارية	4	3	مقطوعة	الطويل	الراء	
				طروب	5	5	مقطوعة	الطويل	الراء	
				لعوب	6	16	قصيدة	الكامل	الباء	
5	عبيد بن جودي	جارية	7	1	مفرد	الطويل	الراء			
6		جارية	8	1	مفرد	الطويل	الراء			
عصر الخلافة في جارتين	7	ابن عبد ربه	مصاييح	9	6	مقطوعة	البسيط	الذال		
			جارية	10	2	نتفة	الخفيف	النون		
		8	أبو عثمان السرقسطي	جارية	11	4	مقطوعة	الكامل	الغين	
				جارية	12	2	نتفة	الكامل	النون	
				جارية	13	3	مقطوعة	المتقارب	السين	
		10	سليمان بن المستعين	جارية	14	12	قصيدة	الكامل	النون	
				جارية	15	3	مقطوعة	المديد	الباء	
		11	الرمادي	جارية	16	6	مقطوعة	الرمل	اللام	
				جارية	17	3	مقطوعة	المنسرح	الفاء	
				جارية	18	4	مقطوعة	البسيط	الراء	
		12	علي بن أبي الحسين	جارية	19	2	نتفة	الوافر	النون	
				جارية	20	2	نتفة	البسيط	الباء	
				جارية	21	7	مقطوعة	البسيط	الشين	
		عصر الطوائف في ست جوار	16	أبو الفضل الدارمي	جارية	22	2	نتفة	الطويل	السين
					جارية	23	2	نتفة	الخفيف	الراء
جارية	24				2	نتفة	الطويل	الميم		
17	ابن حزم			جارية	25	8	قصيدة	الكامل	الكاف	
				جارية	26	2	نتفة	البسيط	النون	
				جارية	27	3	مقطوعة	الكامل	الذال	
21	المعتمد			جارية	28	2	نتفة	السريع	العين	
				جارية	29	2	نتفة	البسيط	الراء	
				جارية	30	1	مفرد	الكامل	الراء	
		جارية	31	6	مقطوعة	الكامل	اللام			
		اعتماد								

الجواري في الغزل

العصر	شعراء .ع	الشاعر	أسماء الجواري	مقطوعات .ع	ع. أبيات	نوع الشعر	البحر	القافية
عصر الطوائف في ست جوار	21	المعتمد	اعتماد	32	3	مقطوعة	الطويل	السين
			اعتماد	33	4	مقطوعة	الطويل	العين
	22	أبو الوليد البطليوسي النحلي	جارية	34	6	مقطوعة	الكامل	الراء
	23	ابن حمديس	جارية	35	8	قصيدة	الكامل	اللام
			مغنيات	36	4	مقطوعة	المتقارب	الباء
	24	الحكيم	جارية	37	3	مقطوعة	مجزوء الرمل	العين
			تجنّي	38	4	مقطوعة	مخلع البسيط	النون
			عزّة	39	4	مقطوعة	السريع	النون
	25	ابن خفاجة	عفراء	40	9	قصيدة	الطويل	الميم
	26	ابن السراج المالقي	مجموعة جوار	41	6	مقطوعة	الطويل	النون
			حسن الورد	42	7	مقطوعة	الخفيف	اللام
27	إبراهيم بن عبد الصمد	جارية	43	3	مقطوعة	الطويل	الذال	
28	ابن بسام	جارية	44	2	نتفة	الرمل	الجيـم	
29	ابن عبد المنعم الصقلي	جارية	45	4	مقطوعة	الكامل	الراء	
30	ابن سكن	جارية	46	3	مقطوعة	الكامل	القاف	
31	ابن المنخّل	جارية	47	1	مفرد	الكامل	القاف	
32	ابن زهر	سماك	48	48	موشح	موشح	—————	
33	أبو بكر بن نصر الإشبيلي	جارية	49	2	نتفة	الكامل	الراء	
34	أبو حفص عمر السلميّ	حسانة	50	50	موشح	موشح	—————	
35	عبد الله بن الوبة	جارية	51	17	قصيدة	السريع	الراء	
36	ابن محفوظ	جارية	52	6	مقطوعة	البسيط	اللام	
37	ابن شريف النفري	جارية	53	1	مفرد	الطويل	الراء	
38	ابن أبي الخصال	جارية	54	5	مقطوعة	البسيط	الفاء	
39	ابن سعيد	صُبح	55	15	قصيدة	مخلع البسيط	الحاء	
40	ابن الجياب	نجمة	56	20	قصيدة	البسيط	الراء	
41	ابن الخطيب	جارية	57	3	مقطوعة	الطويل	القاف	

عصر الطوائف في ست جوار

عصر المرابطين في جارية

عصر الموحدين في جارية

عصر بني الأحمر في جارية

الجواري في الحنين

العصر	ع. شعراء	الشعراء	أسماء الجواري	مقطوعات .ع	ع. أبيات	نوع الشعر	البحر	القافية
عصر الإمارة في أربع جوار	1	عبد الرحمن بن الحكم	طروب	1	14	قصيدة	المتقارب	الباء
			طروب	2	1	مفرد	السريع	الراء
	2	عبد الله بن الشمر	طروب	3	1	مفرد	السريع	الراء
	3	المنذر بن عبد الرحمن	طرب	4	3	مقطوعة	المنسرح	الباء
	4	هاشم بن عبد العزيز	عاج	5	8	مقطوعة	الطويل	الباء
	5	سعيد بن جودي	جيجان	6	3	مقطوعة	البسيط	النون
عصر الخلافة في	6	أبو بكر محمد بن الحسين	سلمى	7	7	مقطوعة	مخلع البسيط	العين
	7	الرمادي	خلوة	8	5	مقطوعة	الطويل	الميم
عصر الطوائف في خمس جوار	8	عبادة بن ماء السماء		9	4	مقطوعة	مجزوء البسيط	الكاف
	9	أبو علي الحسن بن الغليظ	أزهر	10	2	نتفة	الطويل	الباء
	10	ابن السراج المالقي	أزهر	11	4	مقطوعة	الطويل	الراء
		ابن السراج المالقي	أزهر	12	2	نتفة	الطويل	الباء
		ابن السراج المالقي	حسن الورد	13	4	مقطوعة	البسيط	النون
	11	يمكن ابن بسام	حسن الورد	14	3	مقطوعة	الطويل	الذال
	12	أبو علي الحسن بن الغليظ	حسن الورد	15	4	مقطوعة	الطويل	الذال
			حسن الورد	16	3	مقطوعة	الخفيف	اللام
	13	المعتمد	اعتماد	17	6	مقطوعة	المتقارب	الذال
			اعتماد	18	5	مقطوعة	الطويل	الذال
			وداد	19	2	نتفة	الطويل	الميم
			جوهرة	20	3	مقطوعة	السريع	الراء
			جارية	21	5	مقطوعة	مجزوء الكامل	الكاف
			مجموعة جوار	22	4	مقطوعة	الكامل	الميم

الجواري في الحنين

العصر	ع. شعراء	الشعراء	أسماء الجواري	مقطوعات ع.	ع. أبيات	نوع الشعر	البحر	القافية
عصر المرابطين في حابة	14	الأعمى التطيلي	لذيذة	23	33	قصيدة	البسيط	البااء
عصر الموحدين في حابة	15	محمد بن أحمد بن جبير	جارية	24	6	مقطوعة	مخلع البسيط	الياء
عصر الموحدين في حابة	16	ابن همّشك	نسيم	25	6	مقطوعة	الطويل	القاف

الجواري في الوصف وصف الساقيات

العصر	شعراء .ع	الشعراء	أسماء الجوّاري	مقطوعات .ع	أبيات .ع	نوع الشعر	البحر	القافية
عصر الخلافة في حارّية	1	ابن شهيد	أسيما	1	3	مقطوعة	مخلع البسيط	الباء
			غلامية	2	8	مقطوعة	الرمّل	الباء
عصر الطوائف	2	ابن بليطة	غلامية	3	6	مقطوعة	الطويل	الطاء
	3	ابن حمديس	ساقية	4	5	مقطوعة	الكامل	الباء
			ساقية	5	7	مقطوعة	الرمّل	الميم
			ساقية	6	2	نتفة	المتقارب	الراء
4	المعتصم بن صمّاح	ساقية	7	1	مفرد	البسيط	الباء	
5	ابن الطوي	ساقية	8	3	مقطوعة	الكامل	الكاف	
6	مجهول	ساقية	9	1	مفرد	السرّيع	الهاء	

وصف الراقصات

العصر	شعراء .ع	الشاعر	أسماء الجوّاري	مقطوعات .ع	أبيات .ع	نوع الشعر	البحر	القافية
عصر الطوائف	1	عبادة بن ماء السماء	راقصة	1	2	نتفة	المنسرح	الميم
			راقصة	2	2	نتفة	المنسرح	الفاء
			راقصة	3	3	مقطوعة	المنسرح	الضاد
	2	النحلي	راقصة	4	3	مقطوعة	الوافر	الباء
3	ابن حمديس	راقصة	5	5	مقطوعة	المتقارب	الباء	
		راقصة	6	6	مقطوعة	الطويل	الذال	
		مجموعة	7	2	نتفة	الطويل	الحاء	
		مجموعة	8	3	مقطوعة	المتقارب	الراء	
عصر الموحدين في حارّية	4	ابن أبي الخصال	مجموعة	9	2	نتفة	مخلع البسيط	الهاء
			أربع راقصات	10	2	نتفة	المنسرح	النون
	5	ابن الطوي	راقصة غلامية	11	5	مقطوعة	السرّيع	الهمزة
	6	البلنوبي	راقصة	12	2	نتفة	البسيط	الباء
7	ابن كسرى	نزهة	13	4	مقطوعة	الطويل	النون	

الجواري في الشكوى

العصر	ع. شعراء	الشعراء	أسماء الجواري	ع. مقطوعات	ع. أبيات	نوع الشعر	البحر	القافية
عصر ملوك الطوائف في خمس جوار	1	المعتمد	سحر	1	4	مقطوعة	الطويل	الواو
			جوهرة	2	4	مقطوعة	مجزوء الرجز	الباء
	2	ابن حزم	جارية	3	4	مقطوعة	الوافر	الياء
			جارية	4	2	نتفة	الطويل	الفاء
	3	التطيلي	لذيذة- أم الوفاء	6	16	قصيدة	الكامل	الميم
			لذيذة	7	29	قصيدة	البسيط	الذال

الجواري في الهجاء

العصر	شعراء .ع	الشعراء	أسماء الجواري	مقطوعات .ع	ع. أبيات	نوع الشعر	البحر	القافية
عصر الإمارة	1	الغزال	جارية	1	5	مقطوعة	البسيط	التاء
عصر الخلافة	2	إسماعيل بن بدر	جارية	2	4	مقطوعة	الطويل	العين
عصر الطوائف في جارتين	3	مجهول	تفتير	3	6	مقطوعة	السرير	الراء
	4	ابن عمار	اعتماد	4	7	مقطوعة	المتقارب	اللام
	5	أحمد بن نعيم	جارية	5	2	نتفة	السرير	الخاء
عصر المرابطين	6	محمد بن أحمد الأنصاري	جارية	6	3	مقطوعة	الكامل	الراء
عصر الموحدين	7	ابن أبي الخصال	مجموعة	7	2	نتفة	مخلع البسيط	التاء
			أربع راقصات	8	2	نتفة	المنسرح	النون

الجواري في العتاب

العصر	ع. شعراء	الشعراء	أسماء الجواري	ع. مقطوعات	ع. أبيات	نوع الشعر	البحر	القافية
-------	----------	---------	---------------	------------	----------	-----------	-------	---------

عصر الإمارة	1	سعيد بن جودي	جارية	1	2	نتفة	الطويل	الضاد
عصر الطوائف في جارية	2	المعتمد	جوهرة	2	3	مقطوعة	السرير	الراء

الجواري في أغراض أخرى

العصر	شعراء .ع	الشعراء	أسماء الجواري	مقطوعات .ع	أبيات .ع	نوع الشعر	البحر	القافية	
عصر الخلافة	1	ابن شهيد	جارية	1	4	مقطوعة	الخفيف	الراء	
	2	المنصور	جارية	2	4	مقطوعة	الخفيف	الياء	
	3	أبو المغيرة	جارية	3	3	مقطوعة	الخفيف	الراء	
	4	ابن الوبلة	أنس القلوب	4	3	مقطوعة	الخفيف	الراء	
	5	المعتضد	جارية	5	5	مقطوعة	مجزوء الرمل	اللام	
عصر الطوائف	6	ابن خفاجة	العبادية	6	1	مفرد	المتقارب	الراء	
	7	ابن دراج القسطلي	جوهرة	7	2	نتفة	البسيط	اللام	
	8	عبد المولى اللوشي	جارية	8	15	قصيدة	البسيط	الكاف	
	9	قند مولى نجم بن طرفة	جارية	9	5	مقطوعة	المجتث	الجيـم	
	10	المعتمد	جؤذر	10	2	نتفة	الوافر	الـدال	
	10		سحر	11	4	مقطوعة	الطويل	الواو	
			وداد	12	2	نتفة	الخفيف	الكاف	
			اعتماد	13	4	مقطوعة	الطويل	الراء	
	12	النحلي	جارية	14	3	مقطوعة	الوافر	الباء	
	13	ابو عامر بن ينيق	هند	15	2	نتفة	الكامل	اللام	
	14	أبو الحسن الحصري	جارية	16	2	نتفة	الخفيف	الهاء	
	15	محمد بن ميمون	مي	17	3	مقطوعة	الكامل	الياء	
	16	المعتصم	جارية	18	1	مفرد	المتقارب	اللام	
	17	ابن مسعود	جارية	19		أرجوزة			
	18	عقيل بن عطية	جارية	20	2	نتفة	السريع	الـدال	
	عصر الموحدين	19	ابن قزمان	زاد المال	21		أرجوزة		
				جارية	22		أرجوزة		
زاد المال				23		أرجوزة			
عصر بني الأحمر	20	ملك غرناطة يوسف الثالث	جارية	24	4	مقطوعة	الكامل	القاف	
			جارية	25	4	مقطوعة	الكامل	القاف	
	21	لسان الدين ابن الخطيب	جارية	26	5	مقطوعة	الطويل	الياء	
			جارية	27	4	مقطوعة	الطويل	الضاد	

موضوعات شعر الجواني

القافية	البحر	نوع الشعر	ع. أبيات	ع. مقطوعات	مالك الجارية	أغراض الشعر	الشاعرة	ع. ناعرات
الباء	الطويل	مفرد	1	1	عثمان بن محمد	غزل	بزيرة الإمام	1
الدال	البسيط	مفرد	1	2	عثمان بن محمد	أغراض أخرى		
اللام	الخفيف	مقطوعة	3	3	الحكم بن هشام	أغراض أخرى	عزيز	2
الميم	الكامل	نتفة	2	4	إبراهيم بن حجاج	مدح		
القاف	الكامل	مقطوعة	4	5	إبراهيم بن حجاج	الحنين إلى المشرق	قمر المشرقية	3
الراء	البسيط	قصيدة	7	6	إبراهيم بن حجاج	أغراض أخرى		
الراء	المجتث	مقطوعة	4	7	زرياب	غزل	متعة	4
الدال	الخفيف	نتفة	2	8	الحكم بن هشام	غزل	فاتن	
النون	الخفيف	نتفة	2	9	المغيرة بن الحكم	أغراض أخرى	رغد	6
النون	مجزوء الرمل	نتفة	2	10	الناصر	أغراض أخرى		
الياء	مجزوء الرجز	نتفة	2	11	الناصر	أغراض أخرى	مرجان	7
الدال	الرمل	مفرد	1	12	المعتمد	أغراض أخرى	اعتماد	
الراء	المتقارب	مفرد	1	13	المعتضد	أغراض أخرى	العبادية	9
الراء	الخفيف	مقطوعة	6	14	المنصور	غزل	أنس القلوب	
الراء	المجتث	مقطوعة	3	15	المنصور	أغراض أخرى		
الدال	الكامل	قصيدة	11	16	رجل ما	أغراض أخرى	بثينة بنت المعتمد	11
الشين	البسيط	مفرد	1	17	مع ابن زيدون	غزل	جارية	
الكاف	البسيط	نتفة	2	18	وزير المنصور	مدح	جارية	13
التاء	البسيط	نتفة	2	19	الرشيد بن المعتمد	أغراض أخرى	جارية	
الباء	الطويل	نتفة	2	20	ولادة بنت المستكفي	غزل	عتبة	15
النون	مجزوء الخفيف	نتفة	2	21	المعتصم بن صمادح	أغراض أخرى	غاية المنى	
اللام	الكامل	نتفة	2	22	عبد الله بن مسلمة الشاطبي	مدح	هند	17

موضوعات شعر الجواني

العصر	الشاعرات .ع	الجارية	أغراض الشعر	مالك الجارية	مقطوعات .ع	أبيات .ع	نوع الشعر	البحر	القافية
الجارية في عصر بني الأحمر	18	جارية	غزل	يوسف الثالث- ابن فركون	23	11	قصيدة	الكامل	القاف
	18	جارية	مدح	يوسف الثالث- ابن فركون	23	6	مقطوعة	الكامل	القاف

موضوعات شعر الغناء

شعراء	الشاعر	أغراض الشعر	الجارية	مالك الجارية	مقطوعات .ع	أبيات .ع	نوع الشعر	البحر	القافية
1	ابن الرومي	غزل	بهجة	الحكم بن هشام	1	2	نتفة	مجزوء الرمل	اللام
		شكوى	مهجة	الحكم بن هشام	2	4	مقطوعة	الطويل	الميم
		أغراض أخرى	عزيز	الحكم بن هشام	3	4	مقطوعة	المجتث	الباء
		ندب الشباب	عزيز	الحكم بن هشام	4	4	مقطوعة	الخفيف	الباء
2	العباس بن الأحنف	غزل	سعدى	المعتمد بن عباد	5	4	مقطوعة	السرير	السين
		غزل	جارية	قريب ابن حزم	6	5	مقطوعة	البسيط	الراء
		أغراض أخرى	عزيز	الحكم بن هشام	7	2	نتفة	المنسرح	النون
3	أبو الفضل بن حسداي	غزل	جواني المقندر	المقتدر بالله	8	11	قصيدة	البسيط	التاء
4	القطامي	غزل	بهجة	الحكم بن هشام	9	4	مقطوعة	البسيط	الدال
		غزل	رغد	المغيرة بن الحكم	10	7	مقطوعة	البسيط	اللام
5	جرير	غزل	مهجة	الحكم بن هشام	11	6	مقطوعة	الوافر	الدال
		شكوى	رغد	المغيرة بن الحكم	12	4	مقطوعة	الطويل	الحاء
6	أبو تمام	فخر	مهجة	الحكم بن هشام	13	4	مقطوعة	الطويل	العين
		فخر	مهجة	الحكم بن هشام	14	4	مقطوعة	الطويل	الراء
7	ذو الرمة	غزل	مهجة	الحكم بن هشام	15	4	مقطوعة	الطويل	الراء
		غزل	فاتن	الحكم بن هشام	16	4	مقطوعة	الطويل	العين
8	المعتمد بن عباد	أغراض أخرى	سعدى	المعتمد بن عباد	17	2	نتفة	البسيط	السين
		غزل	جارية	في الأندلس	18	4	مقطوعة	الطويل	العين
		غزل	سعدى	المعتمد بن عباد	19	2	نتفة	الكامل	الميم
9	عروة بن حزام	غزل	بهجة	الحكم بن هشام	20	6	مقطوعة	الطويل	الباء
10	البحراني	غزل	بهجة	الحكم بن هشام	23	4	مقطوعة	الطويل	الدال
11	توبة بن الحمير	أغراض أخرى	رداح	عبد الرحمن المستظهر	21	4	مقطوعة	الطويل	الياء
12	ابن الحداد	غزل	جارية	في الأندلس	24	4	مقطوعة	الكامل	اللام
13	شاعر قديم	غزل	جارية	لأحد الخاصة	22	4	مقطوعة	الوافر	الميم
14	الخطيب	غزل	فاتن	الحكم بن هشام	23	4	مقطوعة	الطويل	الفاء
15	الصنوبري	شكوى	رغد	المغيرة بن الحكم	24	4	مقطوعة	المنسرح	القاف
16	قيس بن الخطيم	غزل	رداح	عبد الرحمن المستظهر	25	4	مقطوعة	الطويل	الباء
17	عمر بن أبي ربيعة	غزل	رغد	المغيرة بن الحكم	26	4	مقطوعة	الطويل	الفاء
18	نصيب بن رباح	غزل	عزيز	الحكم بن هشام	27	4	مقطوعة	الطويل	الباء

موضوعات شعر الغناء

القافية	البحر	نوع الشعر	ع. أبيات	ع. مقطوعات	مالك الجارية	الجارية	أغراض الشعر	صاحب الشعر
الميم	الوافر	مقطوعة	3	28	الحكم بن هشام	مهجة	أغراض أخرى	الفرزدق
الحاء	الكامل	مقطوعة	3	29	رجل مع محمد بن أبي عيسى	جارية	غزل	مجهول
الراء	الكامل	مقطوعة	3	30	المعتمد	جارية ابن تاشفين	أغراض أخرى	مجهول
الضاد	الطويل	مقطوعة	3	31	الحكم بن هشام	عزيز	فخر	مسلم بن الوليد
النون	الطويل	نتفة	2	32	الحكم بن هشام	مهجة	شكوى	ابن الدمينه
الراء	الطويل	نتفة	2	33	المغيرة بن الحكم	رغد	أغراض أخرى	الصمة القشيري
الجيم	الطويل	نتفة	2	34	الحكم بن هشام	بهجة	شكوى	أبو دهب الجمحي
اللام	البسيط	نتفة	2	35	عبد الرحمن المستظهر	رداح	شكوى	عمر بن أحمد الباهي
الباء	الطويل	نتفة	2	36	عبد الرحمن المستظهر	رداح	غزل	مجهول
		موشح	موشح	37	ابن تيفلويت	جواني ابن تيفلويت	أغراض أخرى	أبو بكر بن باجة
		موشح	موشح	38	في الأندلس	جارية	أغراض أخرى	أبو الحسن بن نزار
		موشح	موشح	39	في الأندلس	جارية	غزل	عمر بن عبد الله

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المخطوطات:

1. ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى (749هـ)
مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ميكروفيلم مخطوط محفوظ بالجامعة الأردنية،
رقم 3423 .

المصادر والمراجع:

1. ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (658هـ):
- تحفة القادم، دار الغرب، ط1، بيروت، 1986.
- التكملة لكتاب الصلوة، تحقيق عبد السلام الهرّاس، دار المعرفة، د.ط، الدار
البيضاء، د.ت (1-4) .
2. ابن الأثير، محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني (630هـ):
- الحلة السّيراء، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، د.ط، القاهرة، د.ت (1-2)
3. الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، ط2،
بيروت، 1995 (1-10) .
4. ابن الأحمر، أبو الوليد إسماعيل بن يوسف (807هـ):
نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان، تحقيق محمد رضوان الداية، عالم الكتب،
ط1، بيروت، 1986.
5. ابن الأحنف، العباس بن أسود بن طلحة الحنفي (192هـ):
ديوانه، تحقيق عاتكة الخزرجي، مطبعة دار الكتب المصرية، د.ط، القاهرة،
1954.
6. الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس (560هـ):
نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، د.ط، بورسعيد، د.ت (1-2) .

7. أرسلان، شكيب:
الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، دار الكتاب الإسلامي، د.ط،
القاهرة، د.ت (3-1) .
8. الأزدي، علي بن ظافر (613هـ):
بدائع البدائه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ط،
القاهرة، 1970.
9. الإستجي، أبو عمرو عثمان بن علي بن عثمان (بعد 560هـ)
سمط الجمان وسقط الأذهان، مطبعة النجاح، د.ط، الدار البيضاء، 2002.
10. الأسد، ناصر الدين:
القيان والغناء في العصر الجاهلي، دار الجيل، ط3، بيروت، 1988.
11. الأصبهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الأموي القرشي (356هـ):
الأغاني، دار الثقافة، ط3، بيروت، 1962 (1-25).
12. ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة السعدي
الخرجي (668هـ):
عيون الأنباء في طبقات الأدباء، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، د.ط،
بيروت، 1965.
13. الأعمى التُّطيلي، أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن هريرة (525هـ):
ديوانه، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، د.ط، بيروت، د.ت.
14. أمين، أحمد:
ظهر الإسلام، دار الكتاب العربي، د.ط، بيروت، د.ت.
15. أنيس، إبراهيم:
موسيقى الشعر، ط5، 1981.
16. البحري، أبو عبادة الوليد بن عبَّيد (284هـ):
ديوانه، تحقيق حسين كامل الصيرفي، دار المعارف، ط2، القاهرة، د.ت (1-4)
17. بروفنسال، ليفي:
- تاريخ إسبانيا المسلمة من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية (711م-1031م)
المجلس الأعلى للثقافة، د.ط، القاهرة، 2002.
- الحضارة العربية في إسبانيا، دار المعارف، د.ط، القاهرة، 1979.
18. ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (542هـ):

- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، د.ط، بيروت، 1997 (1-8).
19. ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود (578هـ):
الصلة، الدار المصرية، د.ط، القاهرة، 1966 (1-2).
20. البعلبكي، منير:
موسوعة المورد، دار العلم للملايين، ط2، بيروت، 1993 (1-10).
21. البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي، (739هـ):
مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، دار
المعرفة، ط1، بيروت، 1955 (1-3).
22. البكري، أبو عبيد عبد بن عبد العزيز بن محمد (487هـ):
المسالك والممالك، تحقيق عبد الرحمن عبد الحجي، دار الإرشاد، ط1، بيروت،
1968 (1-2).
23. بريس، هنري:
الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، دار المعارف، د.ط، القاهرة، 1988.
24. بيهم، محمد جميل:
المرأة في حضارة العرب والعرب في حضارة المرأة، دار النشر للجامعيين، ط1،
القاهرة، 1962.
25. التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب (502هـ):
شرح القصائد العشر، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، ط4، بيروت،
1980.
26. ترند، ج. ب:
تراث الإسلام، مطبعة التأليف، د.ط، القاهرة، 1936 (1-2).
27. أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي (231هـ):
شرح ديوانه، إيليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني، ط1، بيروت، 1981.
28. التهانوي، محمد علي:
موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق علي دحروج، مكتبة لبنان،
ط1، بيروت، 1996 (1-2).
29. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (255هـ):
- رسائل الجاحظ، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، د.ط، القاهرة، 1964
(1-4).

- المحاسن والأضداد، دار إحياء العلوم، ط1، بيروت، 1986.
30. جرير، أبو حزر بن عطية بن الخطفي (110هـ):
ديوانه، تحقيق نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، د.ط، القاهرة، د.ت (1-2).
31. ابن الجزار، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد القيرواني (في حدود 369هـ):
زاد المسافر وقوت الحاضر، تحقيق محمد سويسي ورفيقه، بيت الحكمة، ط1، قرطاج، 1999.
32. ابن جلجل، أبو داود سليمان بن حسان (بعد 372هـ):
طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، د.ط، القاهرة، 1955، د.ت.
33. الجُمحي، أبو دَهَبَل وهب بن زمعة بن أسيد (63هـ):
ديوانه، تحقيق عبد العظيم عبد المحسن، مطبعة القضاء، د.ط، النجف، 1972.
34. حازم القرطاجني، أبو الحسن بن محمّج بن حازم الأنصاري (684هـ):
منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الكتب الشرقية، د.ط، باريس، 1964.
35. ابن حريق، أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد البننسي (622هـ):
ابن حريق البننسي حياته وآثاره، مطبعة النجاح، ط1، الدار البيضاء، 1996.
36. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (456هـ):
- التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والألفاظ الفقهية، تحقيق إحسان عباس، دار مكتبة الحياة، د.ط، بيروت، 1959.
- رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية، ط2، بيروت، 1987 (1-3).
37. حسين، قدرية:
شهرات النساء في العالم الإسلامي، مطبعة السعادة، ط1، القاهرة، 1924 (1-2).
38. الحسيني الموسوي، العباس بن علي شمس الدين (1180هـ):
نزهة المجلس ومُنية الأديب الأنيف، المطبعة الحيدرية، د.ط، النجف، 1967 (1-2).
39. الحطيئة، جرّول بن أوس بن جُوَيّة بن مخزوم (نحو 45هـ):
ديوانه، تحقيق نعمان محمد أمين طه، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، 1987.
40. الحكيم، أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الداني (529هـ):

- ديوانه، تحقيق محمد المرزوقي، دار بوسلامة، د.ط، تونس، د.ت.
41. ابن حمديس، أبو محمد عبد الجبار بن أبي بكر بن محمد (527هـ):
ديوانه، دار صادر، د.ط، بيروت، 1960.
42. الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (626هـ):
معجم البلدان، دار الفكر، د.ط، بيروت، د.ت (1-4) .
43. الحميدي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله (488هـ):
جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب
المصري ودار الكتاب اللبناني، د.ط، القاهرة _ بيروت، 1984 (1-2) .
44. الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (720هـ):
الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة،
ط2، بيروت، 1980.
45. ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي، (بعد 367هـ):
صورة الأرض، دار صادر، د.ط، بيروت، د.ت.
46. ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان (422هـ):
المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق محمود علي مكي، دار الكتاب العربي،
د.ط، بيروت، 1973.
47. ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله (529هـ):
- قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، تحقيق حسين يوسف خريوش، مكتبة المنار،
ط1، الزرقاء، 1989 (1-4) .
- مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق محمد علي
شوابكة، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1983.
48. خالص، صلاح:
إشبيلية في القرن الخامس الهجري، دار الثقافة، د.ط، بيروت، 1965.
49. الخربوطلي، علي حسني:
تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي، دار المعارف، د.ط، القاهرة، 1959.
50. ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن أحمد (280هـ):
المسالك والممالك، دار صادر، د.ط، بيروت، د.ت.
51. الخشني، محمد بن حارث (361هـ):
قضاة قرطبة، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني،
ط2، القاهرة _ بيروت، 1989.

ملخص باللغة الإنجليزية

Abstract

This thesis studies women slaves in Al-andalus and their influence on the Andalusian life and poetry. It is in preface, and two sections of seven chapters. The first part is comprised of four chapters discusses women slaves social, cultural, political and economical influence in Al-andalus. The second part is made of three chapters studies women slaves influence on poet's poetry, women slaves poetry, and women slaves influence on singing poetry.

The first part starts with the first chapter which discusses women slaves influence on the Andalusian social life. Chapter one starts with a discussion about women slaves personal liberty in Andalusian society, and how some women slaves used it and transformed it to deterioration. Then, I talked about the relationship between women slaves and free females. I found out that the Andalusian references did not present a lot of information, so it is difficult to draw a picture of their relationships. But the relationship between women slaves themselves was clear; it was competitive and sometimes it was friendly. The relationship between women slaves and men in general was friendly. Their relationship was based on admiring each other, and it may turn into love that drives some men to death or madness. Finally, I discussed the Andalusian society general view for the women slaves, some Andalusians contempt them while others show respect to governors concubines.

The second chapter studies women slaves influence on the Andalusian cultural life. At first, I discussed the Andalusian interest in teaching their women slaves many sciences. I noticed that governors, upper class, and slave traders taught their women slaves. Then, I defined the meaning of intellectual and talented women slaves, I talked about some of them who were described as poets even if their poetry is lost. After that, I studied women slave writers who spread during the period of An-Nasir and Al-Hakam, had an important role in the cultural life, and had weight in Al-andalus. Finally, I looked into the biggest influence of women slaves in the Andalusian culture such as: their names, religions, languages, and their role in poetry as poets and inspiration for men poets.

The third chapter discusses women slaves influence on the Andalusian political life. First, I studied the most powerful women slaves and their political authorities. Then, I talked about the conspiracies that

they made to appoint their sons as rulers and get rid of their fellow wife sons. The women slaves never worked alone to reach their aims, they always asked one of the strong political men – who wanted to rule Al-andalus - to help them. They also made conspiracies to take revenge over one of their competitors or old fellows who betrayed them. Finally, I show some examples for women slaves who had an honorable role in Andalusian political life.

The fourth chapter brings up women slaves influence on the Andalusian economical life. I started this chapter with a discussion about women slaves' trade, the most preferable ones, the most important kinds that Andalusians export. Then, I gathered many texts to explain the long process that the Andalusians go through in order to buy a slave girl. At last, I found out that the buying process and the high prices didn't stop Andalusian interests in women slaves. They considered women slaves as gifts and gave them to each other. They also gave women slaves expensive gifts, farms, and lands, so women slaves became rich and some of them built mosques and grave yards.

The second part starts with the first chapter that discusses women slaves influence on poets poetry. I studied the poetry that the poets composed about women slaves. I organized it in topics according to the quantity of poetry amount. I studied the most important poetry characteristics. Then, I found out that most poets composed single, dual lines or strophes. They used Islamic and Arabic cultural heritage and they also used some aspects from their environment as: birds, flowers, music and dancing. Andalusian poets used rhetoric as paronomasia and antithesis. They imitated the traditional pictures and metaphors, but they created some new pictures when they compose poetry about cupbearers and dancers. They used most of the Arabic poetry music measures and rhymes.

The second chapter discusses women slaves poetry which was composed or sung in Al-andalus. At the beginning, I divided it in subjects according to the amount. Then, I talked about the characteristics of their poetry. I noticed that most of women slaves composed single, dual lines or strophes and they rarely composed long poems. Some women slaves composed narrative poetry. They seldom used rhetoric. Although they tried to be creative, most of them imitated the traditional pictures and metaphors. Finally, I found out that they composed their poetry on Arabic poetry music long measures and their rhymes covered only twelve letters of the Arabic alphabets.

The third chapter sheds light on singing poetry that women slaves chose and sang. At first, I studied Andalusian's – governors and public-interest with singing, the east and foreigner world's effects on Andalusian singing. I found out that eastern women slaves, Zeryab, his sons, and his women slaves had tremendous influence on the Andalusian singing. And the Christian effects were the biggest foreigner effects too. Then, I talked about women slaves influence on singing poets, I discussed how singing strengthens the eastern lyric poetry, and how women slaves choices affected it. I studied both of the eastern and Andalusian poetry that women slaves sang. At the end, I found out that women slaves sang dual lines and strophes, they chose suitable poetry to sing, and the poetry that they sang had rhetoric and inner music in order to help them implement the melody.

Hebron University
Faculty Of Graduate Studies
Arabic Language Department

Women Slaves & Their Influence On Arabic Poetry In Al-andalus

Prepared by: Janan Izzeddin Shabaneh

Supervised by: Hassan Flaifel
Associate Professor of Andalusian Literature

This thesis is submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree of Master of Arts in Arabic Language and Literature, College of Graduate Studies & Academic Research, Hebron University.

2005